

الشعبة : دراسات لغوية

التخصص : دراسات بلاغية معاصرة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات البلاغية المعاصرة  
موسومة بـ

**البلاغة الجديدة مرجعياتها وآلياتها**  
**قراءة في تحولات التدريس البلاغي العربي**

إشراف الأستاذ :

أ.د. دحماني نور الدين



لجنة المناقشة

إعداد الطالب :

عمور عبد القادر

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة	الجامعة الأصلية
بن عائشة حسين	أستاذ	رئيساً	جامعة مستغانم
دحماني نور الدين	أستاذ	مشرفاً ومقرراً	جامعة مستغانم
قاضي الشيخ	أستاذ محاضر "أ"	عضواً مناقشاً	جامعة مستغانم
بلخوان محمد كمال	أستاذ محاضر "أ"	عضواً مناقشاً	المدرسة العليا للأساتذة بمستغانم
زحاف الحبيب	أستاذ محاضر "أ"	عضواً مناقشاً	جامعة معسكر
مسكين حسنية	أستاذة محاضرة "أ"	عضواً مناقشاً	جامعة مستغانم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةٌ

الحمد لله ربّ العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه، حمداً يليقُ بجلاله وعظيم سلطانه، وجمال فضائله، وجزيل نعمائه على رأسها نعمة الإسلام والإيمان، ثمّ الصلّاة والسّلام على الهادي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، صلاةً خالصةً زكيةً نرجو بها شفاعته يوم الدّين ، فاللّهم صلّ وسلم على حبيبنا وقدوتنا وشفيعنا صلاةً دائمةً بدوام اللّيل والنّهار، إلى يوم نلقاه على الحوض مسلمين غير مُبدّلين، آمين.

أمّا بعد:

فقد استخلف الله ﷻ الإنسان لتوحيد العبادة وعمران الأرض، فخلقهم في أحسن تقويم، وأغدقَ عليه نعمه ظاهرة وباطنة؛ ولا ريب أنّ من أعظم النّعم التي ميّز الله بها البشرَ عن سائر مخلوقاته نعمة الكلام والبيان، فجعله كليماً مُبيناً، مُعرباً عمّا في نفسه من المعاني والمقاصد، ومتواصلاً مع محيطه لطبيعته الاجتماعية الجبليّة.

استرعت نعمة البيان اهتمام الحكماء من البشر؛ فقد كانت ولا زالت محلّ اهتمام الكثير من العلماء على اختلاف م شاربهم وتوجّهاتهم النّقافيّة والفكريّة. فاشتغلوا قديماً بقضيّة (أصل اللّغات ونشأتها)، فقدّموا الفرضيات والنّظريات عن بدايات اللّغة البشريّة، والتي لم يقدر العلم - إلى يومنا هذا - إثباتها أو الفصل فيها.

كما راحوا يبحثون في عجائب آلة النّطق عند الإنسان وعن كيفية حدوث الأصوات وصدورها على صفات معيّنة يختلف فيها كلّ صوتٍ عن الآخر حتّى تتمايز عن بعضها ، وتمكّن علماء العربيّة من ترتيب الأصوات في الجهاز الصّوتي تصاعدياً حسب منطقة وقوع الصّوت وأسماها بالمخارج وجعلوا الأصوات حروفاً، ولا زال البحث في طبيعة الكلام البشري

قائماً حيث انتبه العلماء إلى وجود فوارق في طبقات الكلام من حيث التلفظ والمعاني ومن خلال آثاره في النفس البشرية، ثم بدأت دراسات اللغة البشرية تتسع وتتعدد مواضيعها وتنوع مناهجها، فمنها ما كان ينظر في سلامة الكلام الصرفية والتركيبيّة حتى يوافق المرجع اللغوي المتفق عليه بين الجماعة فيحكم له بالصحة أو الخطأ، ومنها ما كان فنياً ينظر في جماليات الكلام البشري يفاضل بين الأقوال وفق معايير جمالية اتفق عليها الدارسون.

تلكم التأمّلات في جماليات الكلام، صارت بفضل جهود الباحثين في اللغة والأدب، علماً كاملاً مستقلاً عن بقية العلوم اللغوية يعرف بـ " علم البلاغة "، مع اختلاف يسير في المصطلح حسب اختلاف الثقافات البشرية. واختص علم البلاغة بوصف فنّ القول، ودراسة مميزاته عن الكلام العادي. فدرس البلاغيون القول الشعري ونظروا له، كما عتّوا ب القول الخطبي وما يقوم عليه. فرأوا الطّبيعة الوجدانية و التّصوير الخيالي من نصيب الخطاب الشعري، وعُرفَ فيما بعد بالشّعريّة. أمّا الخطابة فكانت محلّ ممارسة ودراسة الأقاويل الإقناعيّة المحمّلة بالأفكار أيّاً كان قصدُها، والاحتجاج عليها بالحجج المختلفة بين المنطق، والقياس، والاستدلال البلاغي، فغاية الكلام الخطابي التّأثير الفكري نحو توجيه أفعال النّاس لغاية مرصودة سابقاً.

إنّ التّفكّر العلمي في ظاهرتي الإمتاع والإقناع البلاغيين والتّمايز الحاصل بينهما أدّى إلى تشظّي علم البلاغة إلى مسارين كبيرين؛ الخطابيّة والشّعريّة، جعل الباحثين يرون تضاداً بين البلاغتين يكمن في اختلاف الصدق والكذب أي الحجاج والتّخييل، ومنهم من رأى التّكامل بينهما، إذ لا إشكال في التّواشج بين المسارين البلاغيين في الخطاب الواحد، ولازال التّنازع بين النظريتين قائماً إلى يومنا هذا.

مع مطلع القرن العشرين عانت بلاغة الحجاج من التّهميش في الدّراسات الأكاديميّة والمدرسيّة في أوروبا إلى غاية ستّينات هذا القرن حيث ظهرت دراسات بلاغيّة جديدة تُعنى

بالشّطر المفقود من علم البلاغة الفسيح، فكان مصطلح ( البلاغة الجديدة ) وسمّاً مميّزاً لبلاغة الحجاج القديمة التي ظهرت عند اليونان القدماء، فوسمها الفيلسوف البلجيكي (شاييم بيرلمان) بالبلاغة الجديدة تمييزاً لها عن البلاغة الشعريّة المهيمنة آنذاك ونظراً لاعتبارات جديدة تميّزها عن بلاغة الحجاج اليونانيّة.

يعدّ موضوع (البلاغة الجديدة) موضوعاً بكرةً يستنقزُ الباحث للغوص في أغواره للكشف عن ماهيته ومكوناته ونظرياته؛ فما البلاغة الجديدة؟ وما مرجعياتها الفلسفيّة والمعرفيّة؟ وما الدوافع التي أدت إلى إعادة بعثها من حيث السيّاقات والعوامل التاريخيّة والاجتماعيّة؟ وكيف أصبحت منهجاً نقدياً من المناهج المعاصرة؟ وما طرائقها الإجرائيّة؟ وما انعكاسات هذه النظريّة الغربيّة على الدرس البلاغي العربي المعاصر؟ كيف تلقّاها الباحث العربي؟ وما مدى إمكانية اتخاذها مقارنةً نقديةً تقرأ الخطاب العربي التراثي والمعاصر؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليّة العلميّة ارتأينا بعد استشارة لجنة التّكوين العلميّة وتوجيهاتها ضبط عنوان هذه الأطروحة في شكلها النّهائي كالآتي : (البلاغة الجديدة؛ مرجعياتها وآلياتها، قراءة في تحولات الدرس البلاغي العربي).

الدراسات السابقة في مجال البلاغة الجديدة : تلقتني العديد من الدراسات العلميّة المعاصرة مع دراستنا هاته في شقّها النظري والموسوم بـ( البلاغة الجديدة مرجعياتها وآلياتها )، فالبلاغة الجديدة بالمفهوم الذي اخترناه؛ مفهوم الحجاج، قد تناولتها دراسات كثيرة في العقدين الأخيرين لما لهذه النظريّة من أثر عميق في الدرس النّقدي والبلاغي المعاصر، لكننا سنحاول أن نضيف شيئاً جديداً للمكتبة البلاغيّة العربيّة في هذا التّخصّص نظراً لطريقة الطّرح في دراستنا، فقد حاولنا لفت الباحث العربي إلى الأصول الفلسفيّة والمعرفيّة لهذه النظريّة، فنرجو أن يفيد بحثنا الدّارسين إفادة تتجلّى من خلالها حقيقة هذه النظريّة البلاغيّة،

أمّا من حيث الآليات الإجرائيّة لهذه النّظريّة فقد حاولنا جمع شتاتها من خلال ما توفّر بين أيدينا من المراجع التي بثّت فيها تلكم الآليات.

أمّا ما جاء من جديد في بحثنا خلافاً لبقية الدّراسات فيمكن في شقّها التّطبيقي الموسوم بـ ( **قراءة في تحولات الدّرس البلاغي العربي** )، إذ لم نقف من خلال بحثنا على دراسة أكاديميّة تناولت أثر البلاغة الجديدة في الدّراسات الحجاجيّة العربيّة بمنهج استقرائي نقدي كما حاولنا في هذه الدّراسة سوى بعض المقالات الموجزة. فقد تطرّفنا إلى جهود المعاصرين في استقطاب نظريّة الحجاج كما أعدنا قراءة بعض أعمالهم التّطبيقيّة ونظرنا في مدى تحكّمهم في المنهج الحجاجي الموظّف في قراءة النّص التّراثي العربي.

ولّا بأس من ذكر بعض الأعمال البلاغيّة المعاصرة التي تلتقي مع دراستنا في جانبها النّظري خاصّة، فقد وسم الكثير من الباحثين دراساتهم بـ ( **البلاغة الجديدة** ) كجزء ثابت في دراساتهم، وفي صدارة هؤلاء الباحث المغربي الدكتور **محمد العمري** الذي تشهد له أعماله الكثيرة التي اعتبرها الكثير من الدّارسين بأنّها مشروع بلاغي متكامل، ومن كتبه التي تلتقي وبحثنا كتاب ( **البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول** )، وإنّ كان ظاهر هذا العمل ينبئ عن تناول البلاغة الجديدة بمفهومها الذي قدمناه أي بلاغة الحجاج، لكن متن الكتاب قد تناول البلاغة الجديدة بمفهوم آخر يختلف عن مفهوم الحجاج اتّساعاً لا تعارضاً، فنّظريّة محمد العمري عن البلاغة الجديدة في هذا الكتاب تحتوي نظريّة الحجاج ولا تفصيها، فقد أراد صاحب الكتاب أن يؤسّس لنظريته الجديدة في البلاغة، تحوي تحت لوائها التّخييل والتّداول، ويسمّيها بنظريّة **البلاغة العامّة**.

لم يعرض العمري كثيراً لبلاغة الحجاج بل راح يستقصي مواطن تقاطع الحجاج والتّخييل من خلال المدونات البلاغيّة العربيّة القديمة وبعض النّصوص التّراثيّة في محاولة منه لخلق توصيف جديد للبلاغة الجديدة في النّقافة العربيّة القديمة، وعليه يكون تقاطع

دراستنا مع هذا العمل في العنوان دون المضمون. وللعمرى كتاب آخر في بلاغة الحجاج موسوم بـ ( في بلاغة الخطاب الإقناعى ) وقد عرضنا لدراسة هذا العمل بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة، والكتاب محاولة جادة لولوج نظرية الخطابة في البلاغة العربية القديمة تنظيراً وتطبيقاً، وهذا العمل من أقدم الأعمال للباحث فقد جاء عارياً عن المفاهيم الحجاجية الجديدة التي وفدت مع نظريات النقد المعاصر من أوروبا.

ومما يلتقي ودراستنا في محورها الأساس مؤلف ( الحجاج في البلاغة المعاصرة ) لصاحبه الباحث الموريتاني (محمد سالم محمد الأمين الطلبة)، وهو بحث قيم في مجاله فقد قدّم للمكتبة العربية زاداً يُعين الباحث العربي في ميدان البلاغة الجديدة، إذ استقصى الأصول اليونانية لبلاغة الحجاج، حيث اتفق مع دراستنا في هذا المبحث الذي نسب فيه أصول بلاغة الحجاج إلى البلاغة الأرسطية ومن ورائها بلاغة أفلاطون المعلم وسفسطائية الخصوم، ثم انتقل إلى فتح الباب على نظريات التأويل والتفسير التي رآها متعلقة بنظرية البلاغة من وجوه عدة ذكرها في بحثه.

ثم انتقل الباحث محمد سالم الطلبة في الباب الثاني من دراسته إلى عرض نظرية الحجاج في البلاغة المعاصرة، وقد نسبها إلى مدرستين أوروبيتين البلجيكية والفرنسية، فالبلجيكية على رأسها شايبم بيرلمان وزميلته لوسي، وكذلك الفيلسوف ميشال مايير، وقد استندت هذه المدرسة في بعث نظرية البلاغة الجديدة على النظرية البلاغية اليونانية.

أما نظيرتها الفرنسية فكانت نظرية بنيوية منبثقة عن اللسانيات الحديثة، وقد ترأس هذه المدرسة الفيلسوف واللساني الفرنسي رولان بارت والفيلسوف بول ريكور، ويرى محمد سالم الطلبة أنّ نظرياتهم البلاغية الجديدة قد بقيت بعيدة نوعاً ما عن بلاغة الحجاج بالمفهوم الأرسطي القديم الذي طوره شايبم بيرلمان

ومن أطاريح الدكتوراه التي تشترك مع دراستنا في نظرية الحجاج الأطروحة الموسومة بـ (العلاقات الحجاجية في القرآن الكريم) من إعداد الطالب محمد عرابي وإشراف الدكتور عبد الخالق رشيد، وقد نوقشت هذه الأطروحة بقسم اللغة العربية بجامعة وهران في 2014/01/07م. وقد وجدنا مواطن تتفق فيها مع دراستنا لعل أهمها نظرية الحجاج التي وسمناها بالبلاغة الجديدة، فقد تطرق الباحث في القسم النظري من دراسته إلى روافد النظرية الحجاجية المعاصرة: الرافد الفلسفي والرافد البلاغي والقرآن الكريم والدرس اللساني والتداولي المعاصر، وليس مفهوم الرافد عند الباحث بنفس مفهوم المرجعية في بحثنا، فقد عمد الباحث في دراسته لروافد الحجاج إلى تتبع مفاهيم وإنجازات الفلاسفة والبلاغيين في الموضوع بترتيب تاريخي.

جمع الباحث هذه الروافد كلها في مدخل الدراسة فكانت أقل حجماً مما عرضنا له في دراستنا إذ خصصنا لكل مرجعية مما ذكرنا مبحثاً خاصاً بها في الفصل الأول من الدراسة، أما رافد القرآن الكريم فلم نجد له علاقة معرفية بنظرية الحجاج، فلم نصل إلى سبب إدراجه ضمن روافد بلاغة الحجاج.

كما جاءت هذه الدراسة في شكلها العام منطقية؛ لأن الباحث عرض إلى دراسة الحجاج في القرآن الكريم من خلال العلاقات المنطقية الموجودة فيه وهي علاقات: (التتابع، الاقتضاء، السببية، التناقض، الاستنتاج)، فجاء التحليل الحجاجي لهذه العلاقات في القرآن الكريم منطقياً أو شبيهاً بالطرق المنطقية.

### الخطّة والمنهج :

استجابة لإشكالية الدراسة وجب علينا تحديد المنهج العلمي المناسب لهذه الدراسة فكان المنهج التاريخي الأنسب لها بالإضافة إلى الاستقراء والوصف من أجل الإحاطة - قدر الإمكان - بسياق هذا العلم ونسقه، مع الاستعانة بتقنية النقد والتحليل للنظريات الحجاجية

المختلفة، ثم حاولنا في القسم الثاني من الدراسة إلقاء نظرة عن آثار هذه النظريات البلاغية الجديدة على التفكير البلاغي العربي المعاصر، فكانت قراءة نقدية مع شيء من **المقارنة** عن الأثر البلاغي الغربي في البلاغة العربية، فاستوت هندسة الدراسة وفق الشكل الآتي :

**مدخل** : جاء المدخل تاريخياً مفاهيمياً نتبعنا فيه تاريخ البلاغة الغربية منذ النشأة اليونانية، بداية من البلاغة السفسطائية وورودها ومفاهيمها، ثم عرضنا للصراع الذي قام بين الفلاسفة والسفسطائيين، وذكرنا تصدي الفلاسفة اليونانيين للتيار السفسطائي بقيادة (سقراط) الذي يعدّ المؤسس الأول لبلاغة اليونان إذ بناها على أنقاض السفسطة، واستمرّ عدااء الفلاسفة للسفسطة على يد (أفلاطون) الذي رأى البلاغة في اليقين والأخلاق المثالية فأقصى كل ما يمتُّ إلى الاحتمال بصلة فضلاً عن المغالطة والتزييف، إلى أن جاء (أرسطو طاليس) آخر من استقرت على يده النظرية البلاغية اليونانية، ولم تقم قائمة للسفسطة بعده.

ثم انتقلنا إلى عرض جانب من تاريخ البلاغة في العهد الروماني، وقد أخذ الرومان بلاغتهم عن اليونان وامتداداً لها دون إضافات كبيرة على ما جاء به أرسطو باستثناء الطابع الديني، فقد كست المسيحية الخطابة الرومانية بالخطاب الكنسي الديني. وسرعان ما بدأ الخطاب البلاغي يتخلّى عن الخطابة ويميل إلى البلاغة الشعرية، وانتهت البلاغة في القرون الوسطى إلى آلة تزيينية للأسلوب، ثم شهدت ركوداً عجبياً أوصلها إلى الانحسار داخل حجرات التعليم في المدارس، وقد وسمت هذه المرحلة بمرحلة الجمود التي امتدت إلى مطلع القرن العشرين حين بدأ اختفاء تعليم البلاغة من المدارس الأوروبية.

**القسم الأول من الدراسة (الجانب النظري)** : خصّصنا هذا القسم من الدراسة إلى الشطر الرئيس من عنوان الأطروحة : ( **البلاغة الجديدة مرجعياتها وآلياتها** )، وقد جاء الدراسة النظرية على فصلين، حاولنا في الفصل الأول الإمام بمرجعيات البلاغة الجديدة، ونقصد بالمرجعيات تلك الأفكار الأولى فلسفية أو معرفية؛ والتي أسهمت في قيام نظرية البلاغة



الجديدة، فكانت البداية بتمهيد حول مفهوم المرجعية ومفهوم البلاغة الجديدة، ثم تلا التمهيد ثلاثة مباحث رتبناها كالاتي :

**المبحث الأول : البلاغة اليونانية :** فقد وجدنا أنّ المرجعية الأساس لبلاغة الحجاج الجديدة كانت في البلاغة اليونانية، باعتبارها أول بلاغة قامت على فكرة الحجاج والإقناع، كما أنّ مؤسس البلاغة بوجهها الإقناعي الجديد يصرّح بأنّ الدافع الأول لبعث نظريته البلاغية قد وجده في مبحث بلاغي قديم هو بلاغة اليونان.

**المبحث الثاني : من الفلسفة القديمة إلى البلاغة الجديدة :** وقد خصّصنا هذا المبحث للحديث عن المأزق المعرفي الذي وصلت إليه الفلسفة الغربية، والذي بدأت إرهاباته مع عصر النهضة حينما طالب الكثير من الفلاسفة الغربيين باستبدال التسق الفلسفي الميتافيزيقي بفلسفة جديدة كفلسفة العلم وفلسفة اللّغة والبلاغة الجديدة. وقد شكّلت فلسفة اللّغة مرجعية أساسية في انتعاش البحوث اللّغوية المعاصرة والبلاغة الجديدة بوجه خاصّ.

**المبحث الثالث : المنطق الطبيعي بديلاً عن المنطق الصّوري :** خصّصنا هذا المبحث لتلك الأفكار الجادّة التي نهضت تدعو لاستدراك القصور الكامن في المنطق الصّوري ونقده لعلّه أصيلة فيه، كامنة في قيامه على قواعد صارمة لا تتماشى ونسبية العلوم الإنسانية القائمة على منطق الاحتمال المتعارض مع فكرة الحقيقة المطلقة.

**الفصل الثاني :** خصّص هذا الفصل لدراسة آليات البلاغة الجديدة والنظريات التي تفرّعت عن النّظرية البلاغية الأم؛ نظرية الحجاج، ومن ثمّة المناهج النّقديّة الحجاجية المتولّدة عن هذه النّظريات. وقد جاء هذا الفصل على مباحث ثلاثة:

- آليات الحجاج المنطقي عند بيرلمان الذي عمل على نقض المنطق الصّوري وحاول استبداله بنسق منطقي جديد عُرف بالمنطق الطبيعي.

أمّا النّظرية الحجاجية الثّانية التي تطرّقنا إلى دراستها فقد وُسمت بنظرية الحجاج اللّغوي، وتنسب إلى الفيلسوف الفرنسي (أوزفالد ديكر)، وقد نسبت هذه النّظرية إلى اللّغة لاعتمادها

في تحليلها الحجاجي للخطاب على بنية اللغة دون التعرّض لجوانب أخرى من الحجاج في الخطاب.

والنظرية الحجاجية الثالثة في هذا الفصل كانت عن **الحجاج البلاغي**، إذ يرى أصحابها أنّ الصّور البلاغية هي وجه آخر من وجوه الحجاج، فلم تعدّ الصّورة البلاغية مجرد انزياح جمالي أو حلية تزيينية في النصوص كسالف عهدها، إذ صارت الصّورة عاملاً حجاجياً مؤثراً داخل الخطاب، ومردّد ذلك إلى تقوية المعاني وتكثيفها عن طريق المبالغة التي تخلفها الصّورة البلاغية في الكلام ممّا يؤثّر في نفس القارئ وعقله ويمهّد الطريق للإقرار بما يعرض عليه من أفكار يحمله على تبنيها والعمل بها.

وقد عرضنا باقتضاب إلى نظريات حجاجية أخرى كنظرية **البلاغة العامة** التي حاول أصحابها لمّ شمل البلاغة بشطريها الحجاج والشعرية، وتقوم فكرة هذه النظرية على أنّ البلاغة تعاضد بين الحجاج والتصوير إذ يعملان بشكل متكامل يصعب الفصل بينها إلا في الأعمال النظرية التي يقوم بها النقاد، أمّا في الواقع والممارسة فأصعب ما يكون الفصل بين الحجّة والصّورة وبقية آليات البلاغة التحسينية.

وعرضنا إلى نظرية ميشال مايير البلاغية التي يسمها **بنظرية المساءلة**، وهو يرى أنّ الأساليب البلاغية التي تثير التساؤلات لدى المتلقّي تعدّ عوامل حجاجية لما أثارته في ذهن المتلقّي من إشكالات.

**القسم الثاني من الدراسة (الجانب التطبيقي) :** قد خصّصنا هذا الجزء من الدراسة للعنوان الفرعي للأطروحة : **(قراءة في تحولات الدرس البلاغي العربي)** ، وقد جاء القسم التطبيقي من الدراسة في فصلين :

**الفصل الأول :** أثر البلاغة الجديدة في البحث البلاغي العربي : وقد جاء هذا الفصل في ثلاثة مباحث؛ أمّا المبحث الأول فكان عن **دواعي تجديد الدرس البلاغي العربي**، أمّا المبحث الثاني فبعنوان **(مشروع بلاغة الحجاج لدى المعاصرين)**، والمبحث الثالث بعنوان

(مشروع البلاغة العامة لدى المعاصرين : محمد العمري أنموذجاً). وقد عملنا في المبحثين الأخيرين على رصد آثار البلاغة الجديدة في مشروعين بلاغيين مهمين قدمهما الباحثون العرب. تمثل المشروع الأول في استقطاب البلاغيين العرب لنظرية الحجاج كما نظر لها أصحابها في صورتها الغربية في محاولة لبناء نظرية عربية في بلاغة الحجاج. أما المبحث الأخير فقد خُصَّ بنظرية بلاغية جديدة وُسِّمت بنظرية البلاغة العامة التي يرى أصحابها أنّ البلاغة كلُّ متكامل جمع الحجاج والشعرية.

#### - الفصل الثاني : قراءة نقدية في تطبيقات المناهج الحجاجية في النص التراثي: خصصنا

هذا الفصل الأخير من الدراسة لاستقراء الممارسات النقدية الحجاجية للبلاغيين العرب المعاصرين الذين حصلوا باعاً من الدرس النظري لنظريات الحجاج المعاصرة وحاولوا قراءة نصوص تراثية وفق مناهج تحليل الخطاب الحجاجية، وجاءت دراستنا بمثابة نقد النقد لهذه الأعمال لننظر كيف تعامل الناقد العربي المعاصر مع المناهج الجديدة، وجاءت هندسة هذا الفصل الأخير من الدراسة على النحو الآتي :

#### تمهيد : التداولية والحجاج في البلاغة العربية القديمة : عملنا في هذا التمهيد الموجز

على لفت نظر القارئ إلى مواطن التداولية والحجاج في بلاغتنا القديمة، فليس هذان المبحثان بالأمر الجديد على علمائنا قديماً، لكنّ الجديد في طريقة الطرح والتّظهير المنظم والممنهج الذي جاءت به الدراسات اللسانية المعاصرة.

#### -الدراسة التطبيقية : اخترنا مدونة حجاجية من المدونات التي أثرت المكتبة العربية المعاصرة

بنظرية الحجاج وأنواعها نظرياً وتطبيقياً، وهي العمل الجماعي لعدّة باحثين معاصرين أشرف على تنسيقه وإعداده الباحث د. حافظ إسماعيلي علوي تحت عنوان ( الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) ، وقد صدرت هذه الدراسات عن عالم الكتب الحديث بالأردن سنة 2010م، وقد اخترنا منها أربعة أعمال من أجل نقدها وخصصنا لكلّ مقالٍ مبحثاً خاصاً به:

-المبحث الأول : المقال الأول : (تحليل حجاجي لظاهرة بدعيّة) لشكري المبخوت :

درسنا في هذا المبحث عملاً نقدياً من إعداد الدكتور شكري المبخوت، قارن فيه الباحث نظريّة الحجاج المعاصرة مع فنّ بدعي من البلاغة العربيّة القديمة، وتمكّن من تحقيق نتائج مهمّة ينبغي الالتفات إليها وإعادة النّظر في هذا الفنّ البدعي الذي لامس حدود نظريّة الحجاج إلى حدّ بعيد.

- المبحث الثاني : المقال الثاني : (الحجّة في الاستعمال القرآني -إبراهيم وقومه

نموذجاً-) للدكتور إدريس حمّادي : حاول إدريس حمّادي في مقاله هذا إلقاء قراءة حجاجيّة على الاستعمالات الحجاجيّة في القرآن الكريم من خلال اختياره لخطاب النّبي إبراهيم عليه السلام لقومه حينما حاجّه قومه في ربّه لكنّه سرعان ما دحض حججهم الواهيّة بالبرهان الساطع، وقد عرض الباحث إلى حجج الفريقين ونوعيتها ومدى تأثيرها في المتلقّي وإقناعه.

-المبحث الثالث : المقال الثالث : الحجاج في المناظرة (مقاربة حجاجيّة لمناظرة أبي

حنيفة مع الملحدّين) للدكتور : عبد العزيز لحويّدق : اشتغل الباحث في مقاله هذا على نصّ المناظرة الشهيرة التي دارت بين الشّيخ أبي حنيفة النّعمان رضي الله عنه والملحدّين، واعتنى الباحث في تحليله بالوظيفة الحجاجيّة التي يؤدّيها الأسلوب الإنشائي في البلاغة العربيّة كأسلوب الاستفهام والتّقي.

- المبحث الرابع : المقال الرابع : (خطبة طارق بن زياد؛ من الإقناع العقلي إلى

الاندفاع العاطفي)، للباحث خالد يعقوبي : تتجلى الأفعال الحجاجيّة في فنّ الخطبة بشكلٍ جليّ، فما أنسب هذا الفنّ لنظريّة الحجاج لما يوظّفه الخطيب من وسائل تداوليّة ولغويّة يمارس بها الإقناع على الجمهور، وكذلك فعل القائد طارق بن زياد عندما وقف على مشارف أوروبا، وقد استقرأ الباحث خالد يعقوبي حجج الخطيب في هذه الخطبة التّاريخيّة التي فتحت تاريخاً عظيمة في صفحات الأمة الإسلاميّة المشرقة.

**خاتمة :** جاءت خاتمة بحثنا حوصلة موجزة لكل ما توصلنا إليه من نتائج حول نظريات البلاغة الجديدة وآليات تطبيقها على النصوص، وكذا الأثر الذي خلفته هذه النظريات على البلاغة العربيّة التي يحاول أصحابها استرجاع مجدها القديم ثراءً ونشاطاً، كما أبدينا في هذه الخاتمة آراءنا النقديّة حول هذه النظريات المعاصرة ومدى نجاعتها في قراءة النصوص المختلفة متوخّين في ذلك الموضوعيّة العلميّة بعيداً عن الميولات التي تفقد البحث العلمي المصادقيّة المقصودة.

**أهداف الدراسة :** تهدف دراستنا هاته إلى كشف اللثام عن نظرية البلاغة الجديدة من حيث المفهوم والمنهج، وذلك بالكشف عن مرجعياتها ودوافع نشأتها بالإضافة إلى أنواعها وآليات اشتغالها. كما تهدف هذه الدراسة إلى النظر في أثر نظرية البلاغة على الدرس البلاغي المعاصر وما أضافته من تجديد يستحق الاهتمام والتطوير.

### التحديات التي واجهتنا في مسيرة إعداد هذه الدراسة :

لعلّ أهمّ عائق يواجه الباحث في مسيرته ندرة المصادر العلميّة الخاصّة بالنظريّة التي يشتغل عليها، فالنظريات النقديّة المعاصرة غربيّة وافدة فيعسر على الباحث في مجالها أن يطّلع عليها في مصادرها الأصليّة ممّا يسبّب نقصاً في البحث العلمي، ويرجع الأمر في الغالب إلى ندرة تلك المصادر في المكتبات الوطنيّة، والصّالونات الدوليّة للكتاب التي انقطع صيتها منذ مدّة للظروف الصحيّة الرّاهنة، فقد تعذّر علينا الحصول على كتب في نظريّة الحجاج الغربيّة المعاصرة بلغتها الأصل.

وممّا وجدناه يزيد هذه الدراسة تعقيداً تداخل التخصصات العلميّة مع نظرية الحجاج، ونذكر منها بوجه خاصّ حقلي الفلسفة والمنطق، ولا يخفى اتّساع هذين الحقلين ممّا يجعل الإحاطة بهما من الاستحالة بمكان، وينبغي للباحث أن يصيب منها نصيباً كي يتمكّن من تبيين التداخل بينها ثمّ الفصل بينها وبين حقل البلاغة. كما يتداخل حقل الحجاج مع علم

النفس وعلم الاجتماع بدرجة أقل من الأولى. وهذا التداخل مما يحمّل الباحث أعباءً أخرى قد ينوء بحملها مع استحالة استغناء الدراسة عنها.

وفي ختام هذه التقدمة أقول بقول النبي ﷺ "من لم يشكر الناس لم يشكر الله عزّ وجل". فللكريم لا ينسى جمائل من أحسنوا إليه، فالشكر دائمٌ باقٍ إلى كلِّ من علّمني حرفاً، أو قدّم لي نصحاً و إرشاداً، شكراً لكافة أساتذة كلية اللغة العربية آدابها والفنون بجامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم، وكثير منهم يستحقّ الذكر باسمه على رأسهم الأخ والأب الذي تبنانا فتيانا في سبيل العلم إلى أن أوصلنا - بفضل الله - إلى ما نحن بصددّه اليوم، شكراً جزيلاً لك أيّها الأستاذ الكريم يا من أشرف بحلمه قبل علمه وبأناته وتوجيهه على هذه الأطروحة شكراً للأستاذ الدكتور نور الدين دحماني متّعك الله بالصحة والعافية وأدام عليك نعمه ظاهرة وباطنة ورضي الله عنك في الدنيا والآخرة. كما يجب علينا توجيهه خالص التشكرات لفريق التكوين وأعضاء اللجنة المناقشة.

شكراً للجنة التكوين القائمة على مشروع الدراسات البلاغية المعاصرة المكوّنة من الأساتذة الكرام : د. حطّاب طانيّة، د. فريحي مليكة، د. جلّول بوطيبة، د. السعيد مكروم.

مستغانم 06 صفر 1443هـ الموافق 13 سبتمبر 2021م

# المدخل :

البلاغة الغريية

تاريخ ومفاهيم

تمهيد :

إنّ الباحث في علم البلاغة سيلحظ منذ البداية أنّه قد أقبل على دراسة علمٍ متّسعةً أطرافه، غائرة جذوره في أقاصي التّاريخ الإنساني، ولولا أنّ التّدوين والكتابة كانا أمراً نادراً جداً عند الحضارات الإنسانيّة القديمة لوصلنا ما عجزنا عن تحقيقه بلة دراسته وفهمه ثمّ نقده، ولعلّ التّراث اليوناني يبقى أقدم ما وصلنا من تراث في علم البلاغة العتيّد ، فنبدأ بحثنا من البلاغة اليونانيّة كما سارت على ذلك أغلب الدّراسات في هذا الميدان.

1 - البلاغة اليونانيّة :

يقول الفيلسوف (أوليفي ريبول Olivier Reboul): " إنّ الخطابة إبداع إغريقي " <sup>1</sup> أي أنّها ظهرت أوّل مرّة عندهم دون سواهم من الحضارات، لكنّ هذا الأمر يحتاج إلى جهد كبير لإثبات صحّته مع قلة أهميّته أو فائدته في البحوث المعاصرة، فهذه الأمور الموعلة في التّاريخ لا يمكن إثباتها أو نفيها قطعاً لقلّة الدّلائل العلميّة عليها، كما لا يخلو هذا الطّرح من تحيّر ظاهر للهيمنة الغربيّة التي تدّعي الظّهور في كلّ مجال دون بقية الأمم، وقد فنّد هذه الفكرة الباحث (عماد عبد اللّطيف) إذ يقول : " البلاغة بالتّأكيد ليست اختراعاً يونانياً، وواقع الاكتشافات الحديثة للمنجز المعرفي للحضارات القديمة في الصّين ومصر والعراق وفارس والهند وغيرها في سبيله إلى الإطاحة بهذا التّصوّر المتحيّر عن تاريخ البلاغة، إذ تتعرّز شيئاً فشيئاً فكرة أنّ البلاغة... لم تكن اختراعاً يونانياً بأيّة حال " <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أوليفي ريبول مدخل إلى الخطابة، تر رضوان العصبية وحسان الباهي، دار إفريقيا الشرق ، 2017م ص29

<sup>2</sup> عماد عبداللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السّياسي، بحث في البلاغة المهمّشة. مجلة البلاغة وتحليل العدد 8/7 خريف/شتاء 2015م.



وكان يُقصد بالبلاغة عند اليونان الخطابة أو (ريطوريقا \* *Rhétorique*)؛ وهي فنّ الأقاويل الخطيبية التي يُقصد بها الإقناع (*l'art de parler pour persuader*)<sup>1</sup>؛ تلك الأقاويل التي تحمل شحنة إقناعية موجّهة إلى الجمهور في مناسبات مختلفة، يوافق فيها الخطاب طبيعة السياقات السياسية والعسكرية والقضائية التي كانت آنذاك، الأمر الذي ساهم في حظوة البلاغة والإصرار على تعلّمها وتعليمها كفنّ للإقناع والدّفاع عن الحقوق.

أمّا عن تاريخ نشأة الخطابة اليونانية فإنّ أقدم أثر للحجاج قد ارتبط بفنّ الحوار في القرن السادس قبل الميلاد مع رائده الفيلسوف الرّواقي (زينون *Zenon* 490 ق.م - 430 ق.م) تلميذ الفيلسوف (بارمينيد *Parménide* 540 ق.م - 480 ق.م)<sup>2</sup>. قام (زينون) بتعليم فنّ الدّحض ردّاً على خصومة (هرقليطس *Héraclite* 535 ق.م - 475 ق.م)، وفنّ الدّحض "نوع من الجدل السّلبّي الذي ينطلق من مقدّمات مقبولة أو مستحسنة من قبل الخصم ثمّ يقوم بتقويض استدلاله ونتائجه"<sup>3</sup>، وهذا يعدّ أقدم استعمال للحجاج من النّاحية التّاريخية.

\* تُرجمت (الخطابة) اليونانية إلى العربيّة مقابل (البلاغة)، ونذكر أنّ بعض الباحثين لا يرى هذه التّرجمة مطابقة أو مناسبة. يقول رضوان العسبة: "لذلك وجب القول إنّ الأمر عند الغربيين متعلق بالخطابة لا بالبلاغة، لأنّ هذه (يقصد الخطابة) ليست إلّا قسماً من أقسامها، جعلت تهيمن على الأجزاء الأخرى حتّى كفت الخطابة، فصار الجزء كلّاً، أيّ صارت الخطابة بلاغة وليس العكس، فيكون مقصود الغربيين من الرّيطوريقا إذن هو الخطابة، مثلما فهمها فلاسفة العرب وعلقوا عليها. أمّا ترجمة الرّيطوريقا بالبلاغة مثل الذي اتّفق عليه ثلّة من مفكرينا المشغولين بالحجاج في مجال الأدب فلا نظنّها ترجمة موفقة" مقدّمة ترجمة كتاب: أوليفي ريبول، مدخل إلى البلاغة، إفريقيا الشرق 2017م ص14، ينظر أيضاً حمادي صمود، مقدّمة أهم نظريات الحجاج في النّقاليذ الغربيّة.

<sup>1</sup>Françoise DOUAY-SOUBUN, LES FIGURES DE RHÉTORIQUE : ACTUALITÉ, RECONSTRUCTION, REMPLI, Langue française, n°101,1994 , p13.

<sup>2</sup> ينظر ليونيل بلونجر (*Lionel Bellenger*)، الآليات الحجاجية للتواصل، تر عبد الرّفيق بوركي، مجلة علامات 21،

ومن الباحثين من يردُّ ظهور الحجاج إلى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد إثر الحروب التي قامت في صقلية وطرده الطغاة منها، وذلك حوالي السنة 465 ق.م<sup>1</sup>، وقد نشأ الحجاج في بادئ الأمر لغاية قضائية\* يدافع بها الأهالي عن حقهم في الأراضي المغتصبة. وبعدُ (كوراكس Coraqs) \* وتلميذه (تيزياس Tisias) أول من نشر منهجاً دفاعياً للأهالي حتى يتسنى لهم الوقوف أمام المحاكم والمطالبة بحقوقهم بشكلٍ عملي، ولذا يعتبرهما بعض الباحثين من مؤسسي الخطابة اليونانية<sup>2</sup>.

تطوّرت الخطابة اليونانية من خطاب قضائي عادي؛ لغته يومية عادية إلى فنٍّ وظفت فيه اللغة بطريقة حجاجية أدبية أول مرة على لسان الفيلسوف (جورجياس Géories) الذي جعل الخطاب العادي خطاباً أدبياً بكثرة التصويرات والإيقاعات حتى سما بالنثر إلى مرتبة تقارب فنون الشعر. وقد أعجب أهل أثينا بجورجياس الصقلّي المولد عند زيارته لهم في مهمة دبلوماسية، أعجبوا بحديثه حتى استحلفوه أن يُعاود زيارتهم مرّة أخرى<sup>3</sup>. وقد يكون الجانب الجمالي للغة (أو التزيين) الذي أدخله جورجياس وصار مستخدماً في الخطابة هو سبب القبح الذي وُجّه للسفسطائيين مثل (جورجياس، تيزياس، بروديكوس دوسيوس...) من معارضتهم الفلاسفة أمثال (سقراط وأفلاطون وأرسطو)، لأنهم رأوا فيه لعباً على العواطف والمشاعر بالإيهام والمغالطة اللغوية واستغلال العقل خاصة بين عامة الناس. هذه الطريقة في توظيف الخطابة عدّها العقلاء من الفلاسفة سفسة يجب التحذير منها.

<sup>1</sup> ينظر أوليفي ريبول مدخل إلى الخطابة ص30

\* أي أنّ منشأ الخطابة لم يكن لأجل الأدب أو الفلسفة أو فنّ العبارة (البلاغة)، وفيما بعد أدخل جورجياس جماليات أدبية على الخطابة اليونانية (ينظر نفس المرجع ص 32). ينظر أيضاً: فيليب بروتون تاريخ نظريات الحجاج، ص20

\* كوراكس فيلسوف سفسطائي تلميذ الفيلسوف أنبادوقليس

<sup>2</sup> ينظر فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج ص 19

<sup>3</sup> ينظر أوليفي ريبول مدخل إلى الخطابة ص32

والسفسطة (Sophia) في جانبها اللغوي تعني الحكمة، والمنتسب لها هو الحكيم (Sophiste)<sup>1</sup>، وقد انتشر هذا المذهب الخطابي في المجتمع اليوناني القديم حتى صار المهيمن الوحيد على القضاء والمحاماة وصناعة الرأى العام. وقد تكثرت هذه الخطابة للمعايير الأخلاقية الثابتة والقيم الاجتماعية المشتركة<sup>2</sup>، فحوّلت للخطيب السفسطائي التصرف في هذه القيم حسب ما يراه مقبولاً بين الناس ولا يهمله في ذلك الحكم صوابه من غلطه.

وتقوم الخطابة السفسطائية على استدلالات قياسية مقدماتها وهمية لا تعتد باليقين العقلي أو الواقعي أو القياس الخطابي بله البرهاني والمنطقي الذي يعتمد المقدمات الضرورية، لذلك كانت نتائجها ضارة على المعرفة بأي حال من الأحوال. فالسفسطة " هي القياس المؤلف منها الوهميات، وهي القضايا الكاذبة التي يحكم فيها الوهم \* في غير المحسوسات وهي كاذبة كالحكم بأن كل موجود مشار إليه، وأن كل ميت يخاف منه.... ومما يدل على كذب الوهم أنه يوافق العقل في المقدمات المنتجة لنقيض حكمه، ثم تخلفه عن الحكم عند النتيجة، كما يوافق العقل على أن كل ميت جماد، وكل جماد لا يخاف منه، لكنه لا يوافق العقل على أن الميت لا يخاف منه، مع أنها نتيجة لازمة للمقدمات اللتين وافق عليهما"<sup>3</sup>، فكانت النتيجة أن تصدى الكثير من الفلاسفة اليونان لهذه الطريقة الفاسدة في الاستدلال؛ طريقة السفسطة ليس غرضها سوى إفحام الخصم وتضليله.

<sup>1</sup> ينظر رشيد الرّاضي، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2010/1 ص 12

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 13

\* الوهم : هو قوة يدرك بها الجزئيات المنتزعة من المحسوسات، فهو تابع للحس لهذا كان حكمه في المحسوسات صحيحاً أما حكمه في غير المحسوسات فغير صحيح. (محمد حسن مهدي بخيت، علم المنطق ص 138)

<sup>3</sup> محمد حسن مهدي بخيت، علم المنطق : المفاهيم والمصطلحات، التصديقات، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ط 2013/1 ص 138.

يلجأ الفلاسفة والخطباء على السواء إلى تقنية القياس لما لها من قوة ظاهرة تفرض على المتلقي القبول بالنتيجة المقصودة، ولا يخلو فنُّ من فنون اليونان المشهورة (الفلسفة، الخطابة، الجدل، السفسطة) من القياس، لكنَّ القياس بين هذه الفنون قد يشترك في الشكل ممَّا يكسبه مصداقية عارضة، إلاَّ أنَّ مضمون العمليات القياسية فمختلف تماماً، فالقياس على ثلاثة أوجه على اعتبار صدق مقدماته<sup>1</sup> : أسلم القياس ما يعرف بالقياس البرهاني لاعتماده على مقدمات صادقة في ذاتها، أمَّا القياس الخطابي والجدلي فيعتمد مقدمات مشهورة ليست قطعية الثبوت لذلك تستعمل الخطابة في الممكن المحتمل التصديق والوقوع، وأضعف القياس الذي يعتمد على مقدمات وهمية وكاذبة ومحلَّه السفسطة التي جلبت لأصحابها عداوة الفلاسفة بتمويهها للحقيقة.

ارتبطت نشأة الخطابة اليونانية إذن باسم السفسطائيين ( Les Sophistes )، وهم مجموعة من الخطباء وظفوا الخطابة للتلاعب بالحقيقة واليقين. فالعالم والوجود عندهم نسبي في كلِّ مظاهره، فالقيم أمرها نسبيٌّ؛ كالحقِّ مثلاً قد يكون باطلاً والعدل يتحوَّل إلى ظلمٍ والحقيقة ليست يقينا راسخاً، والذي يفصل في هذه التسيبات هو الإنسان الخطيب الذي يتوسَّل الخطاب ليدير مؤثِّر البوصلة إلى ما يراه هو عدلاً وحقيقةً وقيماً خيرةً أو شريرةً<sup>2</sup> متوسلاً في ذلك الخطاب المنمَّق المحشو بالمغالطات والأقيسة السفسطية التي تُبنى على مقدمات فاسدة وكاذبة.

لكنَّ (أوليفي ريبول) يرى أنَّ إطلاق الأحكام الإقصائية على السفسطائيين يفتقر إلى الموضوعية واليقين، لما لا؟ وقد وصلنا تاريخهم عبر خصومهم الفلاسفة، فقد "تلاعب خصوم السفسطائيين بمصطلحي (Sophie=الحكمة و Sophistes=الحكام) منذ أفلاطون وأرسطو إلى يومنا هذا، حيث أضافوا إلى أنفسهم صفة محب الحكمة Philo/Sophie

<sup>1</sup> أرسطو طاليس، منطق أرسطو، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت، 1980م، ص 489، 490.

<sup>2</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة ص 37/36

وحذفوا السابقة (so) قبل (Phistes) التي صارت تعني الكذب، أو تركوا السابقة (so) وأعطوا الكلمة مجملة معنًى قديماً وهو (Sophistique) التي تعني الزخرفة والبهرجة، واسمين به خطاب هؤلاء المشاغبين وفلسفتهم<sup>1</sup>، وهذا الرأي معقول جداً فلا يمكن الجزم بلحكام عن السفسطة وأصحابها صدرت من خصومهم الفلاسفة فلا بدّ لحظّ النفس هنا من نصيب في التصرف في الحقيقة أو قلبها إلى ضدّها، فيبقى الأمر نسبياً إلى أن يثبت العكس.

وبقي اسم الخطابة مرتبطاً بالسفسطة التي حملت معنى سلبياً يقوم على وسيلة الإيهام والمغالطة والتلاعب بالتأويل الإنسانية عن طريق الخطاب الإقناعي، رغم المحاولات التي تريد إعادة الاعتبار لهؤلاء الخطباء الذين اتُّهموا بالسفسطة، وذلك بحجة أن انتقادهم لم يكن مُحِقّاً في كلّ جوانبه فالسفسطائيون كانوا يشتغلون أيضاً " بتنظيم البنيات التربويّة الأساسيّة في المجالات المختلفة في النحو والفصاحة وحتى العلوم، ولا ننسى تأثيرهم في تطوير الذهنيّة النقديّة... كان مشروعهم تسليح التلميذ لمواجهة كلّ الصّراعات الفكرية أو الأحداث التي يمكن أن تحدث في الحياة الاجتماعيّة..."<sup>2</sup> ولهذا فإنّ حكم الفلاسفة بإقصاء هؤلاء الخطباء من الحياة الفكرية اليونانية قد يبدو مجحفاً إذا ما حاولنا أن نوازن بين ما قدموه لخدمة العلم والفكر آنذاك وبين ما وُجّه لهم من اتهامات بسبب توظيفهم لجماليات اللّغة الطّبيعيّة (المحسنات) وعرضهم للوجود والقيم بشيءٍ من النسبيّة والاحتماليّة.

<sup>1</sup> عبدوش العباس وبوسنه فتحة، مقال : السفسطة المعاصرة في كتاب ( السنة الرسوليّة والسنة النبويّة) لمحمد شحرور،

مجلة الخطاب العدد 25/ص83

<sup>2</sup> فيليب بروتون جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر محمد صالح ناحي الغامدي، ص24

## 2 - مراحل نضج البلاغة اليونانية عبر أعلامها :

بعد صراع طويل بين السفسطائيين والفلاسفة بدأ الدرس البلاغي اليوناني يشهد عوده وتستوي مدارسه ونظرياته، وما كان للبلاغة اليونانية أن تصل إلى ما وصلت إليه لولا جهود الكثير من الفلاسفة الذين سنعرض لبعضهم في هذا المبحث حسب ترتيبهم التاريخ والأهمية العلمية التي أسهموا بها في تشييد علم البلاغة أو فنّ الخطابة وعلى رأس كبار الفلاسفة اليونان سقراط (Socrate) ، أفلاطون (Platon) ، إلى أن استوت النظرية البلاغية على يد الفيلسوف أرسطو (Arestote)، وبين هؤلاء الفلاسفة هناك أعلام آخرون لم يصلنا عنهم الكثير سنذكر بعضهم بقدر ما وصلنا عنهم من جهودهم في هذا المجال المعرفي .

### 1.2- إيزوقراط (Isocrate):

هو أ حد معلّمي فنّ الخطابة، وأوّل من عارض طريقة السفسطائيين في الإقناع بتوظيفهم " الحيل والمراوغة الإشهارية ويمجّ التعلّم الآلي للمواضع " <sup>1</sup>، باعتبار الحجّة إبداعاً من الخطيب وليست قاعدة منطقية يقف عليها كلّ محاجج، فالإبداع أوسع من العلوم التقنية التي لا تستوعب الملكة الإبداعية المغرورة في نفوس البشر .

بدأ هذا الرجل ينظر للخطابة بطريقة أكثر تخلّقاً ممّا كانت عليه السفسطة حيث كان يدعو تلاميذه إلى التأمل والتفكير ومشاركتهم إيّاه في كتابة خطاباته <sup>2</sup>، كما استطاع من خلال تفكّره ونظره في موضوع الخطابة التوصل إلى شروط وعوامل قادرة على بناء خطيب ناجح لخصّها في الاستعدادات الطبيعية والاستمرار في الممارسة والتّعليم النسقي <sup>3</sup>. وهذا بداية التّظير لأقدم العلوم اليونانية التي مازالت تنافس الفلسفة للتربّع على عرش العلوم. بذل

<sup>1</sup> أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص 39.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 39.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 40.

إيزوقراط جهداً يحسب له في تبرئة الخطابة مما لحقها من أوصاف مشينة فهي في رأيه تقنية خطابية يستطيع الخطيب أن يوجهها كيف شاء على حسب نيّاته وأخلاقه.

## 2.2 - سقراط (Socrate) ناقداً ومؤسساً: 470 ق.م 399 ق.م:

يعدُّ سقراط أوّل الفلاسفة اليونانيين الذين أشهروا نقداً لاذعاً للخطابة القائمة على طريقة السفسطائيين، فبينما كان سقراط يهدم النظرية الموجودة في سبيل التأسيس لنظرية جديدة في الخطابة حافظ على جوهر النظرية القديمة الذي يخصُّ (فنّ الإقناع)، فلم يكن بوسعهِ إقامة قطيعة مع هذا القصد الأوّل الذي قامت لأجله البلاغة اليونانية ؛ مع أنّ الكثير من الباحثين في هذه البلاغة (الخطابة) يبحثون دوماً عن قطيعة إبستيمولوجية بين البلاغتين (بلاغة السفسطة وبلاغة الفلاسفة) ، وهذا الأمر يراه الباحث فيليب بروتون (Philippe Breton) ضرباً من المبالغة لأنّ الفكرة الأساس هي الإقناع ؛ الفكرة المشتركة بين السفسطة وبلاغة سقراط؛ فالواقع أنّ "سقراط لم يرفض البلاغة لكنّه عرض فكرة توسيع دائرة استخدامها من جهة، وربطها بمناهج البحث عن الحقيقة من جهة أخرى..."<sup>1</sup>.

تظهر بعض الفروق بين رؤية سقراط\* والسفسطائيين، وهي ليست فروقاً جوهرية ما دام الأصل الإقناعي مشتركاً وقائماً في كلا النظريتين، فسقراط أضاف على سابقه توسيع مجال الاستعمال للخطابة، إضافة إلى الاهتمام بالحقيقة أكثر، وهذا ما سيظهر جلياً فيما بعد على يد تلميذه أفلاطون. فالخطيب الجيد الذي يهتمُّ بنشر الحقيقة والمعرفة بين الجمهور،

<sup>1</sup> فيليب بروتون ، جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة محمد صالح نادي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبدالعزيز، ص 25

\* كانت الخطابة السفسطائية ترتبط بالمرافعات القضائية فقط، فقام سقراط بتوسيع سياقات استعمالها وإخراجها من حيزها الضيق إلى الاجتماعات العامة، ولا يهتمّ فنّ الإقناع عنده بصغر الموضوع أو كبره، إنّما هو آلية تجتاح كلّ مجالات الحياة (ينظر فيليب بروتون، تاريخ نظريات الحجاج ص 25. عن محاوره فيدر)

ملتزماً في ذلك بالأخلاق الفاضلة التي ترقى بالنفوس لبناء دولة العدل والقيم<sup>1</sup>. هذه الخطابة التي يحبّها سقراط ومن جاء بعده من الفلاسفة؛ خطابة تبني الحقيقة والعلم وتتوخّى إعداد الفرد الصّالح وبناء المجتمع المثالي.

كما جاء اهتمام سقراط بالحقيقة والعدل على رأس اهتماماته في تأسيسه لنظريّة جديدة في الخطابة اليونانيّة، ولعلّ سبب ذلك هو ما رآه من استعمال منحرف لهذه الصنعة في أيدي أناس لا يهتمّون بالحقّ وإقامة العدل. تمكّن سقراط في محاورته [جورجياس Gorgias]\* من ركّز صنعة الخطابة في الأعمال غير المهمّة في حياة الإنسان، موظّفاً في ذلك تقنيتي التشبيه والقياس بأمر أخرى دخلت حياة الإنسان بطريقة غير مشروعة وأصبحت محلّ اهتمامٍ ونفعٍ بين النّاس، ودكّر منها الطّبّ وكيف تسلّل إلى علم الطّبّ<sup>2</sup>، حتّى صار يدّعي أصحاب صنعة الطّبّ أنّهم هم الأصل في العناية بالجسد بواسطة التّغذية وعليهم يُبنى ويرتكز علم الطّبّ، وكذلك فعل مع فنّ التّجميل وعلاقته بالرياضة، فعلم التّجميل خدعة يدّعي أصحابها المزيّة التي تمنحها الرياضة للجسم وليس هو كذلك في الواقع، لأنّ الجسم الجميل الأنيق يعود فضل بنائه إلى المواظبة على ممارسة الرياضة لا على التّجميل.

حاول سقراط في هذه المحاورته أن يخرج بنتيجة أنّ كلّاً من الطّبّ والتّجميل صنعتان تعتمدان الخداعَ وادّعاء ما ليس لها من المزايا في الواقع، من هذا المقام ضرب سقراط تشبيهاً وعقد قياساً بين هاتين الصنعتين وصنعة الخطابة وما تدعيه من تشريع وإقامة للعدل

<sup>1</sup> ينظر محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد الولي، منشورات الاختلاف 2014م، ص68

\* Gorgias : هي مناظرة كتبها أفلاطون، وقد جرت بين سقراط وبعض السفسطائيين منهم جورجياس وبولوس وكالكييس (ينظر محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد الولي، منشورات الاختلاف 2014م)

<sup>2</sup> ينظر محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد الولي، منشورات الاختلاف 2014م، ص61/60.



عن طريق الإيهام والمناورة في الكلام ، فالطَّبَّخ والتَّجْمِيل والخطابة ليست سوى صناعات وضيعة مخادعة تقصد إلى تحقيق المتعة دون العلم والحقيقة<sup>1</sup> ، حاول سقراط من خلال محاوراته للسفسطائيين إقامة خطابة تخدم القيم والفضائل، وتلغي كلَّ خطابة لا تراعي هذه المبادئ الاجتماعية، وهذا ما سيظهر جلياً مع تلميذه أفلاطون.

يمكن ردُّ نقدِ سقراط للسفسطة بنفس طريقة نقده لها رغم بعد المقام وجهلنا بأحوال الخطاب، فالحجج التي استعملها سقراط لا تعدو أن تكون احتمالية لا ترقى إلى اليقين المقصود تحقيقه حتى تُمكن من نعت هذه الصناعات بالخداع والتزييف، فقوله مثلاً عن (صناعة الطَّبَّخ والتَّغذية أنها خدعة يدعي أصحابها الفضل على علم الطَّب ويتسللون عبرها إليه ويشوشون على الأطباء ) فإنَّ قوله هذا واهٍ وضعيف، لأنَّ الصِّحة قرينة الغذاء ، فقد أثبتت العادات والتجارب العلمية أنَّ أساس الصِّحة هو طبيعة التَّغذية، لأنَّ ال طريقة السليمة في تحضير الطَّعام وتقديمه تبني الجسم الصَّحيح إضافة إلى أمور أخرى . فلا ندري كيف تمكَّن سقراط من تقرير هذه الحجج الاحتمالية على الفلاسفة القدماء حتى خرق هذا الخرق في كيان الخطابة السفسطائية القائمة آنذاك؟ وساعده في ذلك تلميذه أفلاطون الذي عقد هجومه على السفسطة من خلال هذه المحاوراة ومحاورة فيدر.

### 3.2 - أفلاطون (Platon) 427 ق.م - 347 ق.م:

بعد سقراط يأتي تلميذه الفيلسوف اليوناني أفلاطون (Platon) صاحب المثالية ليتصدى لمذهب السفسطة في الحجاج بكلِّ شراسة إلى أن تمكَّن من إلصاق تهم الحقارة والوضاعة بهذه الخطابة وأصحابها. وقد ظهر ذلك من خلال محاورتي جورجياس وفيدر مع سقراط حول ماهية الخطابة وموضوعها وما ينبغي أن تكون عليه وليس كما هي السفسطة

<sup>1</sup> ينظر ينظر محمد الولي، تملّات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، البلاغة والخطاب ، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف 2014م ص 61/60/59.

في مقابعتها للحشود التي لا تستسيغ المعرفة الفلسفية وإنما المعرفة العامية<sup>1</sup> التي لا تتضبط لأيّ معيار علمي سليم. فالخطيب السفسطائي يعتمد قاعدة الاحتمال الذي يتغذى على الرأى (L'opinion) والمعتقد (Croyance) ولا يعتمد على العلم والمعرفة (Savoir)<sup>2</sup>، وهو مجازفة في حدّ ذاتها، ممّا يعود - في نظر الفلاسفة - على المجتمع بالضّرر.

وبناءً على الضّرر الذي يمكن أن يلحق المجتمعات من جزاء اعتماد الرأى في الخطابة أشهر أفلاطون عداءه للسفسطة، حيث ظهر هذا العداء في محاورته (الجمهورية)\*، أين شنّ هجوماً قوياً على خصومه السفسطائيين حينما رأهم يفضلون العالم الأرضي الزائل ويتجاهلون العالم الأعلى وهو العالم المثالي المعقول مع أنّ عقولهم لها من الذكاء ما يمكنها لبذل الخير والسعي إلى نشره لكنهم أبوا إلا اتباع الشرّ والإفساد ونشر الجهل بين العامة بسفسطتهم<sup>3</sup> المعتمدة على المراوغة والمغالطة في الجدل والحجاج.

بدأ يظهر انتصار الفلاسفة على السفسطائيين في المحاورتين اللتين أوردهما أفلاطون وجرت بين سقراط وجورجياس (Gorgias) وبين سقراط وفيدر (Phèdre)، حيث استطاع سقراط بعد حوار طويل أن يضطرّ جورجياس للإقرار بحقارة الخطابة ولو بطريقة غير صريحة، عندما أقرّ جورجياس أن الخطابة تتحدّث في جميع التخصّصات بدون الحاجة إلى تعلّمها (يعني بدون تعلّم تلك التخصّصات)، رغم أنّ جورجياس كان يعمل جاهداً على إعطاء الصّورة الأخلاقية الحسنة للخطابة لكنّ الحوار خرج إلى حقيقة أخرى مفادها أن السفسطائي

<sup>1</sup> ينظر محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف 2014م/ص81

<sup>2</sup> ينظر محمد الولي، (الموضوعات الحجاجية الكبرى في المغرب)، مجلة علامات، ع 19، 01 يناير 2003م  
\*الجمهورية The Republic أو بالأحرى: السياسة (باليونانية: Πολιτεία، Politeia)، هو حوار سقراطي، كتبه أفلاطون، ح. 380 ق.م، ويدور حول تعريف العدالة ورتب وشخصية الدولة المدينة العادلة، والرّجل العادل. وهو من أشهر أعمال أفلاطون وثبت أنّه كان من أعظم الأعمال المؤثرة فكرياً وتاريخياً في الفلسفة والنظرية السياسية. عن موقع <https://www.marefa.org> بتاريخ 2021/07/18

<sup>3</sup> ينظر أفلاطون، جمهورية أفلاطون، دراسة وترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2004. ص 409/408

النَّاجِح هو " الجاهل المتحدّث إلى الجهلة، من يتغلب على العالم، بمعنى الكفو" <sup>1</sup>؛ ولا ريب أنّ جدال الجاهل يعود على العالم بالخسران.

ويعدّ أفلاطون أكبر الفلاسفة الذي عادوا الخطابة السفسطائية، وانتصر للفلسفة إلى أبعد الحدود، والخطابة عنده ليست شيئاً إلاّ أن تكون خادماً للفكر دون ما سواه <sup>2</sup>. لقد كان صراع أفلاطون مع السفسطائيين صراعاً بين العقلانية الفلسفية والاحتمالية الذاتية التي تعتمد الأهواء والميولات الشخصية.

يبحث الفيلسوف أفلاطون عن الحقيقة وينشدها وإنّه لأمرٌ كافٍ ليرفض طريقة السفسطائيين في الحجاج خاصّة مسألة الاحتمالية ونسبية الحقيقة وتهوينهم من أمر الحقيقة العلمية. لذا وصفهم بأنّهم أدعياء علم فقط <sup>3</sup>، يغلب عليهم الهوى واللذّة ولا يهتمون لحقيقة المسائل العلمية الماثلة في الوجود كالأخلاق والقيّم والإيمان. وعلى هذا أطلق أحكاماً صارمة في حقّ صناعة الخطابة، فقد عدّها وسيلة " تمويهية تحقّق اللذّة لكن لا تحقّق الفضيلة، ولم يقف عند هذا الحدّ بل زاد أن جعلها صناعة من صناعات التملق "Flatterie"<sup>4</sup> والخداع الذي يرمي الخطيب من خلاله إلى تحقيق نكهة الفوز دون مراعاة لمواطن الحقّ من الباطل.

وجد أفلاطون في الخطابة مبادئ تتعارض والقيّم التي دعا إليها في المدينة الفاضلة الواردة في (محاورة الجمهوريّة) <sup>5</sup>، كما تتعارض مع القيم الإنسانية بصفة عامّة، فكان سبباً كافياً لرفض الخطابة السفسطائية، وبدأ بوضع نظريّات القيم بمنطلقات فلسفية؛ هذه البلاغة

<sup>1</sup> أوليفي ريبول مدخل إلى الخطابة ، ص45

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 46

<sup>3</sup> ينظر محمد سالم الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص26

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 28

<sup>5</sup> ينظر فؤاد زكريا (في ترجمته) لكتاب " جمهوريّة أفلاطون" منشورات دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر 2004م

الفلسفية "هي بلاغة الحق وهي البلاغة الحقيقية" <sup>1</sup> ويسمّيها أفلاطون بلاغة تربية النفوس بواسطة الكلام (بسيكاغوجيا **psychologie**) <sup>2</sup>.

نرى الصراع بين السفسطائيين وأفلاطون صراعاً بين الشكّل والمضمون، في حين أولت الخطابة السفسطائية أهمية قصوى لبناء الخطاب وشكّله اللغوي الجمالي والخصائص البنائية التي تؤثر في المتلقّي وتقنعه بغضّ النظر عن فحوى هذا الخطاب ومدى صلاحيته للواقع، فإنّ أفلاطون يرفض هذا المعيار الشكّلي أو الأسلوبي في بناء الخطاب الإقناعي، وبنى نقده للسفسطة على أساس نقد المضمون وما يحمله الخطاب من قيم وأهداف توافق معيار الخير والحقّ وتعارض معيار الشرّ والباطل، كما توافق الوجود في حقيقته ولا تعبت بحقائق الموجودات كما فعلت السفسطة بنظرتها الاحتمالية للأمور والنسبية التي تقيس بها كلّ المبادئ والقيم الإنسانية.

أورد أفلاطون في محاورته ( فيدر - Phédre ) بعض مساوئ الخطابة السفسطائية التي بنى عليها نقده ورفضه لهذه الخطابة. يقول فيدر في هذه المحاورته "... ليس من الضروري لخطيب المستقبل معرفة ما هو عدل حقاً، ولكن ما يبدو حقاً في نظر الحشد المدعو لإصدار الحكم، ولا ما هو جميل أو حسن حقاً، ولكن ما يظهر كذلك، إذ من المحتمل وليس من الصدق يتولّد الإقناع" <sup>3</sup> وهذا الإقرار من فلاسفة السفسطة في طريقة كسب الرأْي وإقناع العامة بناء على أحكام محتملة تفتقر إلى الصّحة والدقّة.

يقتنص سقراط وتلميذه أفلاطون من هذه المحاورات ما يروونه حجّة كافية للاستغناء عن هذه الصنّاعة المضحكة وعديمة القيمة <sup>4</sup> واستبدالها ببلاغة منطقية تُبنى على استدلالاتها على

<sup>1</sup> رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عمر أوكان، ص 17

<sup>2</sup> ينظر نفس المرجع، ص 17.

<sup>3</sup> محمد الولي، تأملات في محاورتي جورجياس وفيدير، ضمن البلاغة والخطاب إعداد محمد مشبال، ط1/2014/ص 71

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 71

حقائق بديهية تكون نتائجها ضرورية كالرياضيات التي لا يمكن للعقل السليم أن يرفضها. وحاول أفلاطون بناء بلاغة جديدة هي بلاغة البرهان التي تهدف إلى الصّدق وإحقاق الحقّ. فقد رأينا في محاوراته كيف قلب حجج السفسطائيين ضدّهم، وكان ذلك في تصريحهم القائل بعدم حاجة الخطيب إلى معرفة ما هو عدل أو ما هو حق<sup>1</sup>، وهذا قدح يكفي لنقض خطابّتهم عند أفلاطون.

وقد عوّل أفلاطون بعد نقضه لفقّ الخطابة على استبدالها بالجدل \* لأنه كفيلاً " بمعرفة يقينية بالأمور الأخلاقية والسياسية يقين علوم الطبيعة حتى إنها أكثر يقينية"<sup>2</sup>، لكنّ هذا التّصوّر ما لبث أن انهار أمام تصوّر آخر وهو التّصوّر الأرسطي لبلاغة تفصل بين البرهان والإقناع الاحتمالي؛ أي أن هناك فصلاً وفاقاً بين الخطاب الفلسفي والخطاب البلاغي العامّ. فقد وصف المؤرّخ الفلسفي (تسلر Tesler) تصوّر أفلاطون في جمهوريته التي ينشد فيها الحقّ والمثالية بأنّها مدينة فنيّة<sup>3</sup> لا يمكنها الصّمود أمام واقع البشر المعيش.

#### 4.2 - أرسطو Aristote: (384 - 322 ق.م)

يُعدُّ الفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس أهمّ باحثٍ استوت على يده نظرية البلاغة اليونانية القديمة، إذ تمكّن من تحديد موضوعاتها وآلياتها وقد ألّف فيها كتباً متخصصة لعلّ أهمّها الرّيتوريقا، والمواضع.

عرّف أرسطو البلاغة (الرّيتوريقا/ **Rhetorique**) بأنّها " قوّة تتكلّف الإقناع الممكن في كلّ واحد من الأمور المفردة"<sup>4</sup>، هذا مفهوم الخطابة عند أرسطو من حيث الممارسة

<sup>1</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، تر رضوان العصابة وحسان الباهي، إفريقيا الشرق 2017م، ص47.  
\* يكتنف مصطلح الجدل عند أفلاطون شيء من الغموض ولعلّه يقصد به المنطق، ويفسره ريبول بأنه منهج الفلسفة، (المرجع نفسه ص47)

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص47.

<sup>3</sup> ينظر فؤاد زكريا، جمهورية أفلاطون، منشورات دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2004م، ص 160

<sup>4</sup> أرسطو طاليس، الخطابة، تح عبد الرحمن بدوي، دار العلم بيروت، 1980، ص9.

الفعلية على الواقع، أمّا في كونها منهجاً بلاغياً فهي " فنّ استخلاص من كلّ موضوع درجة الإقناع التي يحتويها أو القدرة على كشف نظري لما يمكن أن يكون في حالة خالصاً للإقناع"<sup>1</sup>، ويتجلى من خلال هذا المفهوم أنّ البلاغة ليست الإقناع في حدّ ذاته ، إنّما مدار أمرها حول وسائل وآليات الوصول إلى الإقناع كمرحلة أخيرة وذلك عبر قنوات وتقنيات منطقيّة أو شبهها ، وتقنيات لغويّة ونفسية تُبثّ في الخطابات المتنوّعة قصد تحقيق الإقناع المنشود كفاءة ختاميّة لهذا الخطاب. فالباحث في بلاغة الإقناع من خلال ك لام أرسطو هو من يتمكّن من وضع نظريات حجاجيّة يستعين بها الخطباء والقضاة والمحامون في بناء مواقفهم الخطابية في المقامات المختلفة.

فصل أرسطو الخطابة عن الفلسفة وجعلها آلة لمعالجة الأمور السياسيّة والقضائيّة والمناسبات الاجتماعيّة، والحجاج الخطابي نظريّة تقترب من الفلسفة ومختلفة عن العلوم التجريبيّة التي تستدعي النّظر والاستقراء ثم الاستنتاج بموضوعيّة علميّة، أمّا الحجاج فيستدعي الحجج الاحتماليّة<sup>2</sup> التي تروم الصّواب وليست الحقيقة شرطاً في الاتفاق على مسألة معينة، وذلك بخلاف الفلسفة التي تنشد المثاليّة واليقين في المعرفة الإنسانيّة.

كما قام أرسطو بفصل الفنون البلاغيّة الإقناعيّة عن الفنون الجماليّة التّخييليّة، فجعل الأولى فناً للإقناع والتّواصل اليومي تمثّلت في الخطابة ( **Rhetorique** )، والثانية فناً للشعر وهي الشّعريّة ( **Poetique** )، وألّف في ذلك مؤلفات \* لكلّ منها " يتعلّق الأمر [الأول] بتقعيد تطوّر الخطاب من فكرة إلى فكرة؛ أمّا في الحالة الثّانية فيتعلّق الأمر بتقعيد تطوّر الأثر من صورة إلى صورة.... وإنّ تقابل هذين النّسقين أحدهما بلاغي والآخر شعري، هو

<sup>1</sup> رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص34.

<sup>2</sup> ينظر فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريّة الحجاج، ص 17

\* وهي كتاب الخطابة وقد ترجم إلى العربيّة بعنوان تلخيص الخطابة لابن رشد، وكتاب فنّ الشعر وقد ترجم أيضا إلى العربيّة في كتاب لابن رشد (تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر)

أساساً ما يحدّد جوهر البلاغة الأرسطيّة<sup>1</sup> ، وعليه يرى (رولان بارت Roland Barthes) أنّ أيّ باحث يُخضع البلاغة لهذا التقسيم التقابلي أو يتبنّاه فهو ذو توجّه أرسطي في الدّراسة البلاغيّة. ورغم هذا الفصل الأرسطي بين الخطابة والشعر إلّا أنّ الأولى نالت الحظّ الأوفر في دراسات أرسطو على حساب الشعريّة ، ولا يعدّ هذا الأمر غريباً نظراً للواقع الذي كانت تعيشه أئينا من منازعات قضائيّة وتشريعيّة واحتفاليّة تقوم على قوّة الخطاب وقدرته على الإقناع والسيطرة على الجمهور. والشعر عند أرسطو فنٌّ للتخييل ولا يخدم العلم والمعرفة والأمة. فالفيلسوف رجل عقل يبحث عن الحقيقة والمعرفة ولا يهتمّ بالفنون التي تبحث عن اللذة والإثارة.

أرسطو صاحب المنطق الصّوري علم أنّ الخطابة التي ستوجّه المشتغلين بها إلى قيادة العامّة وإقناع الجماهير لن يحكمها نفس المنطق الصّوري الذي يحكم الفلسفة فحاول أن ينزل بالخطاب البلاغي بدرجة أقلّ ممّا يكون عليه في الفلسفة، فاستعمل " الدليل والاستدلال والقياس التقريبي (القياس الإضماري)، إنّها منطق منحطٌ إرادياً، مكيفٌ مع مستوى الجمهور"<sup>2</sup>، وهذا ما عُرف بالممكن أو الاحتمال (عند أرسطو) والذي توافقه العامّة ولو افتقر إلى الدقّة و الصّرامة الموجودة في القياس الرياضي البرهاني، " فيبقى الحجاج مرتبطاً بمنطق الممكن أي بالجدل بمعناه الأرسطي..."<sup>3</sup>. وألف أرسطو كتباً للحجج المسلّمات التي يعتمدها الخطيب في حجاجه عُرفت باسم " نظريّة الأمكنة \* Topique التي هي صورٌ أولى للأفكار المسلّم بها المتّصلة بأوضاع نموذجيّة نمطيّة"<sup>4</sup> فهذه ممارسة تعليميّة للخطابة من قبل أرسطو فهو يسير على خطى السقراطيين الذين ثارت عليهم الفلسفة ذاتها ولم تتمكّن

<sup>1</sup> رولان بارت ، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ص 32

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص35.

<sup>3</sup> بول ريكور، (البلاغة، الشعريّة ، التأويليّة) ترجمة مصطفى النّحال، مجلة أوان، العدد التاسع صدر في 2005/02/01م.

\* ترجمة هذا المصطلح (الأمكنة) خاصّة بمتّرجم المقال، وترجم عند آخرين بالمواضع.  
<sup>4</sup> المرجع نفسه (البلاغة، الشعريّة ، التأويليّة).

أن تستكشف عن استغلال طرق السفسطة في تعليم وتلقين الناشئة طرق الإقناع المختلفة والتّظهير لها.

### 3 - البلاغة في عهد الرومان :

استقرّت الخطابة اليونانية على يد أرسطو كمبحث علمي مهمّ، ومن بعد هـ ذا أقبل عليها الرومان مستفيدين من هـ ذا العلم العريق. وكان وصوله إلى روما بعد توافد الإغريق إليها واشتغالهم بتعليم الخطابة وتأسيس المدارس لنفس الغرض الإقناعي<sup>1</sup> الذي قامت لأجله البلاغة اليونانية.

ازدهرت مهنة المحاماة في عهد الرومان لكنّ المحامي لم يكن له أجره نظير مرافعاته إنّما لهم الهدايا بدلاً من ذلك<sup>2</sup>. أشهر المحامين في ذلك العهد ( سيشرون Cicero ت 43 ق.م و كنتيليان quintilien ت 96 م) وقد احترف الرّجلان الخطابة وألّفا فيها كتباً، نذكر منها كتاب (عن الخطيب) وكتاب (الخطيب) لسيشرون<sup>3</sup> سنة 55 و 46 ق.م. وكتاب (المؤسسة الخطابية)<sup>4</sup> لكنتيليان سنة 93 ق.م. وقد قام هذان المحاميان بترجمة المفاهيم البلاغية اليونانية واستيعابها ومن ثمّ توظيفها في المحاماة. وقام سيشرون بتلخيص كتاب في الخطابة الأرسطية يسمى هذا الكتاب بـ (هيرينيوس)<sup>5</sup>

بني (سيشرون) بلاغته على أسس أرسطو ثمّ أخذ في نقدها وتغيير بعض ما جاء فيها كنظريّة المواضيع والحجج الجاهزة، فهو يرى أن تلك القواعد التي وضعها أرسطو

<sup>1</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 21.

<sup>2</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص 99

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه ص 99

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 99.

<sup>5</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 36.



للخطباء حتى يقتبسوا منها ليست ضرورية على الإطلاق ؛ لأنّ الأسلوب الخطابي ليس منوالاً أو قالباً موحداً، إنّما يخضع الخطاب للمقام الذي يُلقى فيه والموضوع الذي يستثيره ، ويتطلّب ذلك خبرة الخطيب وموهبته وثقافته الواسعة في شتى ميادين العلم<sup>1</sup> . ونحسب أنّ طرح (سيشرون) جدير بالاهتمام فهو لا يلحّ على تكلف الخطاب أو التّبجّح واتباع القواعد التي وضعها فلاسفة اليونان، واستعمال الحيّل الخُطبيّة كما كان عند خطباء اليونان، لكن الخطابة عنده حسن الأسلوب وإتقان صياغة العبارات مع لغة فصيحة تكفي الخطيب أن يؤدّي دوره في الإقناع.

يقول سيشرون: "إذا كان هناك نُبل في الأشياء التي نتحدّث عنها انعكس على الكلمات بريقاً طبيعياً"<sup>2</sup>، فالخطاب إذن يحسُن عند هبحسن القضايا التي يطرحها كالمبادئ العليا والأخلاق الرّفيعة والقضايا العادلة. أمّا الصيغ الأسلوبية على اختلافها وتعدّها هي أضواء تثير وتبين عن القضايا التي نحتجّ لها، أمّا المحسّنات البديعية فهي جماليات إضافية لا بدّ من توفّر جمال المضمون قبلها، وإلاّ فلا يُمكنها أن تزيّن ما ليس بجميل أصلاً. هذا ما يراه سيشرون في قضية الحجاج الخطابي النّاجع<sup>3</sup>. ولعلّ الكثير منّا يؤيّد هذا الرّأي الذي ذهب إليه، فنحن نعلم بدهاء أنّ الخطاب البشري يثبتته في النفوس قوّة الموضوع وأهميته وصدق قضيته عند المخاطبين، كما أنّنا في نفس الوقت لا نقفّ من شأن الصّورة البلاغية والجمالية الأسلوبية التي يطلّ بها على النّاس إذ لولا الأسلوب الجميل لما وصلت الرّسالة على الوجه الصّحيح.

ويكتمل نقد سيشرون لبلاغة أرسطو مع القديس (أوغسطين Augustin 354م -

430م) في البلاغة المقدّسة نسبة إلى الكتاب المقدّس ، الخطيب المسيحي متعلق بالحقيقة

<sup>1</sup> ينظر أوليفي ريبول ، مدخل إلى الخطابة، ص100

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص100

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص100

والإحسان والقيّم، ولا تهمة الفصاحة في ذلك<sup>1</sup>. ومن هنا تكون العودة إلى البعد الأخلاقي في الخطابة التي كان يدعو إليها أفلاطون عند اليونان لكن تحت مظلة الدين، كما تظهر الأبعاد الأخلاقية في بلاغة الرومان كما تنشدها مختلف الأمم، ولعلنا نستفيد حكماً يحتاج إلى دراسة وتحقيق كون الإنسان كائن أخلاقي بالدرجة الأولى، وقد تعبت الظروف بهذا الكائن فتصرفه عن فطرته الأولى.

أمّا (كنتيليان) فيواصل على درب (سيشرون) إذ يراه خطيباً مريباً، كما يراهن على الهدف الأخلاقي في الخطابة كما وظّفها في التعليم بإدخال النحو إليها من أجل تفسير النصوص، وجعل الجدل تقنية خطابية<sup>2</sup>. ويراه (رولان بارت) معلماً جيداً لا يتعصب للجانب الأخلاقي كثيراً مثل سيشرون<sup>3</sup>. وقد احترف كنتيليان مهنة تعليم البلاغة بوظيفة لدى الدولة واتّسعت شهرته كثيراً. كتب في البلاغة التعليمية اثني عشر كتاباً تختصّ في تكوين الخطيب من السنوات العمرية الأولى<sup>4</sup>. وقد استقرّ عمل كنتيليان على نظرية في الكتابة، يعرض فيها تقنيات السبك والتأليف الجيد والسليم، وكذلك التوافق بين الفكر والتدوين<sup>5</sup>. وعليه نرى اهتمام الخطباء الرومان بالجانب اللغوي وجمالياته ودوره في بناء الخطاب الإقناعي، فمهما كانت الحجّة قوية فلا يسعها المرور والتأثير في النفوس إلاّ عبر قناة اللغة السليمة الجميلة البليغة.

## 4 - البلاغة المعمّمة : القرون الوسطى (ق 5م - ق 15م):

بداية الاهتمام بالأسلوب والتأليف كانت مع كنتيليان الذي وضع كتاباً لقواعد الكتابة، وتبعاً لهذا الاهتمام بدأ ظلّ البلاغة الأرسطية يخفّ وينزوي في القرون الوسطى بسبب

<sup>1</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة في البلاغة القديمة، ص 38،39.

<sup>2</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص101.

<sup>3</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ص 39.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص40

<sup>5</sup> ينظر المرجع نفسه، ص40.

الاهتمام المتزايد بالأسلوب أو فنّ العبارة، و هذه الأخيرة بلاغة أدبية أقرب إلى الشعريّة منها إلى الخطابيّة. فكانت الهيمنة هذه المرّة لصالح الصّور الأسلوبية التي ازدهرت في تلك القرون، وحققت ضوء البلاغة الخطابيّة الحجاجيّة. وقد أسفر دمجُ الخطابة مع الشعريّة عن ظهور نظريّة جديدة في البلاغة عرفت **بالبلاغة المعمّمة** نظراً لاحتوائها شطري البلاغة، التّخييلي والإقناعي.

ظهرت هذه البلاغة الجديدة مع الخطيب (أوفيد **Ovide**) لأنّه قارب بين الخطابة والشّعريّة، ثمّ (دينيس الهاليكارناسي **Dionysius of Halicarnassus**) الذي أسقط من البلاغة القياسات الإضماريّة التي وضعها أرسطو، ليصرف نظره عن المنطق إلى التّركيب اللّغوي أو حركة الجمل لتبدأ الرّحلة مع نظريّة بلاغيّة جديدة هي نظريّة الأسلوب. ثمّ يأتي (بلوتارك **Plutarch** ت120م)\* موجّها كتاباً إلى الشّباب في كيفيّة قراءة الشّعراء. وبدأت معه البلاغة الأدبيّة في الازدهار والاستقرار ، فجعل منها جماليّة تتلقّى الشّعْر بذوق رفيع متسامي<sup>1</sup>؛ إنّها بلاغة الفصاحة والأسلوب والأدب الجميل تطلّ برايتها على مساحة الخطابة لتكتسحها من جديد.

يستمرّ انتعاش البلاغة في المدارس الرّومانيّة على يد أوسينيوس ( 310 - 393م) وهو نحوي وبلاغي من بوردو، ثم على يد أسقف أوفرنيا ( 430 - 484م). وقد ظهرت في هذه الفترة الصّبغة المسيحيّة على البلاغة، وإدراج الوجوه البلاغيّة على أنّها مقتبسة من الكتاب المقدّس (الإنجيل) على يد شارلمان متبركاً في هذا بأوغسطين وكاسيودور<sup>2</sup>. يمكن

\* فلوطرخس كما يُعرف باسم بلوتارخُس أو بلوتارخ (نحو 45 - نحو 125 م) هو فيلسوف ومؤرخ يوناني. ولد في مدينة خيرونيا وتلقى تعليمه في أثينا حيث أخذ عن الفيلسوف الأفلاطوني أمونيوس. مؤلفاته في التاريخ وفيرة ومشهورة، لعل أهمها كتاب "السير المقارنة لعظماء اليونان والرّومان"، وكتاب "الأخلاق" أو "موراليا"

<sup>1</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة ص 44.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 44.

القول أنّ بلاغة القرون الوسطى كانت بلاغة تصوير وتزيين؛ فقد ظهر الاهتمام بالفنون الشعريّة والصنّاعة اللّغوية السّاميّة والمتوسّطة والأقلّ منها، فكانت العودة إلى قواعد الكلام وأساليب التّركيب وطرق التّزيين من أهمّ خصائص بلاغة هذه العصور، كما اعتنى بلاغيو هذه الفترة بالمواضيع الدّينيّة أكثر ممّن سبقهم من اليونان.

أمّا عن أهمّ الفنون التي ظهرت في هذه العصور فهي الخطابات الوعظيّة الدّينيّة، وظهرت أيضاً الرّسائل الإداريّة مع ازدهار العمل الإداري المنظم في عهد (شارلمان Charlemagne)\*. كما ازدهر النّظم أو الكتابات الشعريّة التي تجنح إلى التّخييل أكثر من الواقع. إلّا أنّ هذه المرحلة المزدهرة بلاغيّاً (ما بين القرن الخامس والسّابع الميلادي) المتلاقحة مع المعطيات الدّينيّة لم تلبث طويلاً فسرعان ما عاد المنطق والقواعد اللّغوية للسيطرة على ملكة الكلام وفنونه المختلفة. فكان المرحلة التّالية (ما بين القرن السّابع إلى القرن الثّاني عشر الميلادي) مرحلة منطقيّة نحويّة بامتياز<sup>1</sup>، ولم يبق للبلاغة إلا بعض الوجوه القليلة. ثمّ يظهر الجدل ليسيطر على ساحة علوم الكلام بعد القرن الثّاني عشر إلى الخامس عشر<sup>2</sup>.

## 5 مرحلة الانحطاط :

بدأ تراجع البلاغة بعودة التّقسيم الذي وضعه أرسطو بين الخطابة والشّعريّة، فقد ظهر التّقسيم نفسه في بلاغة الرّومان، ورجحت كفة البلاغة الشعريّة على الخطابة، وقد كان هذا الظّهور للشّعريّة عند الغرب بفضل العرب<sup>3</sup> الذين تأثّروا بكتاب فنّ الشّعر لأرسطو بعد

\* هو ملك الفرنجة وحاكم إمبراطوريتهم بين الأعوام 768 و800 م. وهو إمبراطور الإمبراطوريّة الرّومانيّة المقدّسة بين الأعوام 800 و814 م.

<sup>1</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 62.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 62.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 67.

ترجمته للعربية. لكنّ (رولان بارت) قال : إنّ كتاب أرسطو عن الشّعريّة تُرجم عن الإغريقيّة إلى اللاتينيّة ولم يصرّح أنّه ترجم عن العربيّة. ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي بدأت الشّعريّة تدخل الكلاسيكيّة الأدبيّة في فرنسا وغيرها. حاملة معها نظريّة المحتمل في الأدب أو التخييل الذي يغني عن الحقيقة؛ وهي فكرة أرسطيّة تداولها النقاد العرب في قولهم: إنّ الشعر يغني عن صدقه كذبه <sup>1</sup>. وهكذا ترجح كفة الإمتاع على كفة الإقناع في البلاغة العربيّة، وهو الأمر نفسه الذي حدث في البلاغة العربيّة.

مازالت الخطابة تتراجع أمام الشّعريّة وتعليميّة الأسلوب إلى أن تمّ استبدال هذه البلاغة العامّة التي ضمّت الأسلوب إلى جنب الخطابة – بالبلاغة الشّعريّة في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي <sup>2</sup>، "وانحصرت البلاغة في دراسة أساليب القول وصوره؛ أي أنّها تحوّلت من بلاغة إقناع إلى بلاغة صور" <sup>3</sup>. ثمّ أصاب البلاغة العربيّة نصيب من الاختزال والاقتصار على دراسة جماليات الأسلوب والعبارة والاكتفاء بهما دون التّعرض لبلاغة الإقناع في الخطابات، وكان هذا الاختزال على يد (بيير دو لاراميه Pierre de La Ramée : 1515م- 1572م) فقد أقصى خطابة أرسطو عندما حاول فصل الجدل عن البلاغة، فأضحت البلاغة تُعنى بزينة العبارة والاستعارة حتّى صارت أقرب إلى نظريّة الأدب منها إلى نظريّة الخطاب الإقناعي <sup>4</sup>، ومن ثمّة آلت – في نهاية المطاف – بلاغة تعليميّة لا تكاد تخرج عن جدران المدارس.

<sup>1</sup> ينظر إحسان عباس، تاريخ النّقد الادبي عند العرب ، دار النّقافة بيروت / ط 4/ص435

<sup>2</sup> ينظر بارت ، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 68

<sup>3</sup> الحسين بنوهاشم، نظريّة الحجاج عند شايم بيرلمان، ص08

<sup>4</sup> ينظر رضوان العصبه وحسان الباهي، في مقدّمة ترجمة كتاب " مدخل إلى البلاغة لأوليفي ريبول " افريقيا الشرق

## 6 - بلاغة القرن العشرين :

انزوت البلاغة الغربية في القرنين الماضيين وكان ذلك " ابتداء من القرن التاسع عشر، إذ لم تعد البلاغة من المواد التعليمية في المقررات المدرسية والجامعية<sup>1</sup>، هكذا كانت نهاية مسيرة طويلة من الدرس البلاغي الغربي، من السفسطة بداية وانتهاءً بالتخلي عن تدريس البلاغة في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر. فقد "كان لأستاذ البلاغة اليد العليا في الثانوية لأنه كان يلقي فن الخطاب الزاقي، وفي سنة 1902م اختفى اسم البلاغة رسمياً في فرنسا، ليستبدل (درس البلاغة) بدرس (تاريخ الأدب)..."<sup>2</sup>. فقد ازدهرت المدارس الأدبية في هذه الحقبة بشكل لافت، حيث عكف المثقفون على قراءة الشعر والروايات وابتعد الناس عن الخطابة التي لم تجد مزاوياً لها في ظل الظروف السياسية الزاهنة.

تغير التفكير الأوروبي مع " ... ثقافة الوضوح التي غزت أوروبا بعد القرن السادس عشر الميلادي مع العقلانية والتجريبية، [التي] دخلت في نزاع مع ثقافة الحجاج التي تعتمد المحتمل، والبلاغة كانت ضحية هذا النزاع"<sup>3</sup>، فقد توجهت أوروبا في هذه القرون الأخيرة إلى نهضة علمية كبرى، تعتمد العلم التجريبي والمنطق الرياضي متجاوزة بذلك المنطق الاحتمالي الخطابي، مما شهد تراجعاً واضحاً للدرس البلاغي انتهى بإقصائه من الحياة العلمية والعملية.

<sup>1</sup> ينظر بول ريكور، الاستعارات الحية، تر محمد الولي، دار الكتاب الجديد المتحدة/ ط1/2016م، ص47.

<sup>2</sup> فيليب بروتون الحجاج في التواصل ص20.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 21

أقصىت البلاغة من المعاجم مثل (معجم لالاند)؛ وهذا ما حصل بالفعل "...لكلمة (بلاغة : Rhetorique) التي تدهور استخدامها فلسفياً حتى أصبحت مهجورة، بحيث لا يرد ذكرها مثلاً في معجم لالاند (Laland) الفلسفي..."<sup>1</sup>.

كما كان للفلسفة العقلانية التي انتشرت في تلك الحقبة الأثر البالغ في إنزواء الدرس البلاغي وضموره في مواجهة فلسفة العقل والضرورة المنطقية ، حيث " لا يختلف رأي (أوليفي ريبول) وبالخصوص (بيرلمان) عن رأي (رولان بارت) في كون العقلانية ورفضها للمحتمل، شكّلت مصدراً للصعوبة التي واجهتها البلاغة في الاحتفاظ بموقع مركزي في أنظمة الفكر الحديثة..."<sup>2</sup>، إلا أنّ الوضع لم يدم طويلاً حتى عاد الدرس البلاغي ينفذ الغبار عن نفسه ليكتسح المجال من جديد في حل نظرية جديدة ومتعددة.

لم يدم غياب البلاغة طويلاً عن ميدان العلوم اللغوية الحديثة في أوروبا ، فما لبثت إلا قليلاً وبالضبط في فترة الستينات من القرن الماضي بدأ مصطلح البلاغة الجديدة يطفو على سطح الدراسات الفلسفية والنقدية المعاصرة مرادفاً للحجاج على يد الفيلسوف القانوني (شايم بيرلمان Chaim Perelman)، فكان كتابه (مصنّف في الحجاج ، البلاغة الجديدة) منعطفاً في الدرس البلاغي؛ حيث أقام القطيعة مع نظرية ديكرت في العقل والاستدلال، وأعاد اتصال نظريته البلاغية بثنائية أرسطو التي يقرّ فيها بأنّ هناك مناقشات تتعلّق بالعلم وأخرى تتعلّق بالبلاغة<sup>3</sup>. ويعدّ هذا الفيلسوف باعث بلاغة الحجاج من رماها اليوناني وواصل على دربه بلاغيون آخرون.

ويؤكّد الفيلسوف (بول ريكور) : أنّ " البلاغة التي نشأت في صقلية خلال القرن السادس قبل الميلاد، أقدم مبحث استعمل في اللغة استعمالاً خطابياً، ثمّ هي التي اعتمدها

<sup>1</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص ص60

<sup>2</sup> فيليب برتون الحجاج في التّواصل، ص 21.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص22.

البروفيسور (بيرلمان) لسبر الخطاب الفلسفي ذاته، وذلك عبر جلّ أعماله إلى أكثرها اختزالاً في عنوان (امبراطورية البلاغة)<sup>1</sup>. وهذا تأكيد على أن البلاغة الجديدة ليست طفرة إنّما هي امتداد لإرث بلاغي عتيق يصعب تجاوزه دونما الاستفادة منه في العصر المعاصر.

وقد كان بعض البلاغيين يؤمن أنّ غياب البلاغة ليس سوى إعادة بناء لهذا الصرح الأدبي والفلسفي القديم. فيقول (أوليفي ريبول): "البلاغة ضرورة لا غنى عنها، لذلك فإننا لا نجتثّ بلاغة إلاّ لإنشاء بلاغة أخرى وهذا ما يشهد به التّاريخ، فبعدما سقطت في نسيان يطبعه الاحتقار في نهايّة القرن التّاسع عشر، عادت إلى قوّتها في نهاية السّتينات (من القرن العشرين)، فانتبهنا إلى أنّنا نستعين بها في الإشهار والسّياسة والتّعليم"<sup>2</sup>. ولعلّ هذا من طبيعة الكون وسننه في إعادة أطواره وتجديدها، ولا نحسب أنّه ينفرد من هذا العقد علم أو أدب أو ثقافة معيّنة. وكذلك هي البلاغة الجديدة عند (رولان بارت)؛ الذي اعتبرها - بدوره - نفس النّسق البلاغي القديم، وهو اليوم قيّد الإنجاز والاكتمال، فليست هناك بلاغة إلاّ التي كانت، فالعالم الحاضر مليء بشكل عجيب بالبلاغة القديمة<sup>3</sup> والمتجدّدة حسب ما تستدعيه الوسائل العصريّة.

عاد (رولان بارت) - زعيم المجدّدين - ينقّب عن بلاغة جديدة في الإرث القديم للبلاغة الكلاسيكيّة فراح " ... يبحث للبلاغة القديمة عن فستان حديث، وعن شغل في شركات الإشهار (بلاغة الصّورة)، لقد كتب سنة 1963 قائلاً: ينبغي إعادة التّفكير في البلاغة الكلاسيكيّة بمفاهيم بنيويّة، وسيكون - حينئذٍ - من الممكن وضع بلاغة عامّة، أو لسانيّة لدوالّ التّضمين، صالحة للصّوت المنطوق، والصّورة والإيما...ء، وها هي ذي

<sup>1</sup> بول ريكور، (البلاغة الشعريّة الهرمينوطيقا) ترجمة مصطفى النّحال مجلة أوان ع9، 2005/02/01

<sup>2</sup> محمد العمري، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟ ض تاب الحجاج، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2010، ج1، ص20-

<sup>3</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص11.



الصّیحات تدعو إلى عودة البلاغة بصفتها "الإمبراطورية"، التي هيمنت على حقول المعرفة النّقدية والأدبية في الحقب السّوالف.<sup>1</sup> تتجلى فكرة بارت حول امبراطورية البلاغة إذ نراه يتوسّع في مفهوم البلاغة اتّساعاً يضمّ بلاغة الخطاب والصّورة والسّيمياء.

استمرت حال البلاغة الغربيّة على حالها إلى غاية " فترة السّنينات من القرن العشرين، لنرى عودة ميلاد الاهتمام بالبلاغة. فبعد فوات الأوان شهدت هذه الفترة بداية الوعي بأهميّة تقنيات التّأثير والإقناع وقوتها طوال القرن، كما شهدت هذه الفترة أيضاً بداية هيمنة الإشهار بقوة في المشهد الاجتماعي والثقافي"<sup>2</sup>. فقد عادت البلاغة تزفّل في جلاباب النّقد المعاصر تارة وفي فلسفة اللّغة تارة أخرى، وكذلك المنطق الموسّع الاحتمالي غير الصّوري، والدّعائية والإشهار؛ وكلّها مشارب معرفيّة ترتوي منها بلاغة الحجاج. وقد أصبح ميدان النّقد الأدبي يعجّ ببلاغات جديدة ما كُنّا نعرفها من قبل لولا هذه الثّورة البلاغيّة الجديدة، فظهرت بلاغة الأسلوبية مع الدّرس اللّساني المعاصر، و الهلاغة التّداوليّة، وبلاغة الصّورة، والحجاج اللّغوي، والبلاغي...

أمّا في الجزء الآخر من العالم الغربي، في أمريكا تحديداً، فقد ظهرت دراسات عدّة تهتمّ بالجانب الإقناعي في الخطابات، وتميّزت باهتمامها بالجانب النّفسي والاجتماعي، ولم تعتنِ بالخاصية المنطقية للحجاج كما عند بيرلمان، وجلّ هذه الدّراسات من أصل أمريكي، نذكر منها: ( الدعاية والأنشطة التّنمويّة) للاسويل وكازي وسميت في سنة 1935م، و(الحجاج والحوار والمناظرة) لبافيد في نيويورك 1950م، وأصدر كارنوجي كتابه (فنّ الكلام أمام الجمهور والإقناع في الأعمال)، وقدّم هوفلند (دراسات في الاتّصال الجماهيري) في سنة 1949م<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> بن يحيى طاهر ناعوس، البلاغة وتحليل الخطاب قراءة في تغيير النّسق المعرفين، مجلة دراسات ع7/2015.ص16

<sup>2</sup> فيليب بروتون الحجاج في التّواصل، ص21

<sup>3</sup> ينظر ليونيل بلنجر، الآليات الحجاجية للتّواصل، تر عدل الرّفيق بوركي، علامات 21، ص41.

## 1.6 مفاهيم متعدّدة للبلاغة المعاصرة :

تعدّدت المفاهيم والتّعريفات لعلم البلاغة في العصر الحديث عند الغرب نذكر منها ثلاثة تحديدات كبرى هي :

### 1.1.6 المفهوم الأرسطي<sup>1</sup> : (Retorique) أو الخطابيّة كما يسمّيها محمد العمري. ويقصد

بها الباحثون تلك البلاغة التي تبحث عن الآليات الإقناعيّة في النصوص، وكيفية إنشائها لتأديّة دورها الإقناعي في الخطاب. وتعرف ببلاغة الحجاج أو البلاغة الجديدة، وأوّل مؤسس لنظرية الحجاج الجديدة هذه هو الفيلسوف ورجل القانون البلجيكي شايم بيرلمان<sup>2</sup>، وقد اعتمد هذا الفيلسوف طرقاً منطقيّة وشبه منطقيّة للإقناع كما كان الأمر عند أرسطو، واشتهرت نظريته باسم البلاغة الجديدة نسبة إلى كتابه ( مصنّف في الحجاج، البلاغة الجديدة).

وما يؤخذ على بيرلمان في هذا العمل البلاغي الجبار هو عدم اهتمامه بالجزء الجمالي في الخطاب اللّغوي. فقد " اختزل بيرلمان البلاغة - وهو أحد أقطاب البلاغة الجديدة - في الحجاج على نحو ما اختزلها الآخرون في الأسلوب"<sup>3</sup>، إذ لا يمكن لأيّ باحث في هذا المجال أن يتغاضى عن أهميّة الأسلوب والصّور والبديع في تحقيق غاية الإقناع المنشودة.

### 2.1.6 المفهوم الأدبي<sup>4</sup> : ويقصد بهذا المفهوم البلاغة الأسلوبية التي تجعل من الأسلوب

والصّورة الجماليّة موضوعاً لها، ويرى بارت أن هذا المفهوم هو الذي استقرّ للبلاغة طيلة

<sup>1</sup> ينظر محمد العمري البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، دار إفريقيا الشرق، ص12

<sup>2</sup> ينظر محمد سالم الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ص106

<sup>3</sup> محمد مشبال، (البلاغة بين التّخييل والتّداول) مج العبارة العدد1، أغسطس 2006، المغرب

<sup>4</sup> ينظر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، دار إفريقيا الشرق، ص12

عصور الانكماش، كما أنّ هذا المفهوم هو الذي ازدهر وشاع في الدرس البلاغي العربي حين كان في أوج رقيه.

وقد ركّز بعض الباحثين في البلاغة على نظرية الصّور والوجوه البلاغية دون الحجاج أمثال (رولان بارت)، فالبلاغة في نظرهم عنصر من السيميائيات الجديدة، أي دراسة العلامات في الحياة الاجتماعية<sup>1</sup>. وعلى "... هذا النحو نُعتت بلاغة (جماعة مو) في كتابهم البلاغة العامة بالاختزال، عندما حددت موضوع البلاغة في جملة من الصّور البلاغية التي تتحقّق في خطاب يتّسم بالانزياح بالقياس إلى خطاب لغوي يفترض أن تكون بلاغيته في درجة الصّفر"<sup>2</sup>. ومع ظهور مصطلح الاختزال في البلاغة المعاصرة كان لزاماً أن ينادي آخرون ببناء بلاغة عامّة في مواجهة هذا الاختزال في الحجاج تارة وفي الأسلوب تارة أخرى.

**3.1.6 المفهوم النسقي<sup>3</sup>** : ويتبنّى هذا المفهوم رؤية معاصرة تحاول الجمع بين أطراف البلاغة الخطابية والأسلوبية في مفهوم واحد عامّ هو البلاغة العامة. وفي هذا المعنى يقول (ريبول) : " لن نبحت عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج، بل في المنطقة التي يتقاطعان فيها....ينتمي إلى البلاغة كلّ خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث، المتعة والتّعليم والإثارة مجتمعة متعاضة، كلّ خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعّمتين بالحجاج"<sup>4</sup>. وقد تبنى هذا الطّرح النظري الدكتور والباحث المغربي محمّد العمري، حيث حمل لواء البلاغة العامة وراح يزاولها في مؤلّفاته وفي المحافل العلمية المختلفة. و تشير هذه التسمية ( البلاغة العامة ) إلى استرجاع البعد التّداولي المقامي للبلاغة وضمّه إلى بلاغة الصّورة والأسلوب ، فهي ثورة على بلاغة مختزلة ( Restreinte ) كما

<sup>1</sup> ينظر فيليب بروتون، الحجاج في التّواصل، ترجمة محمد مشبال وعبدالواحد التّهامي ص22

<sup>2</sup> محمد مشبال، (البلاغة بين التّخييل والتّداول) مج العبارة العدد1، أغسطس 2006، المغرب.

<sup>3</sup> ينظر محمد العمري البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، دار إفريقيا الشرق، ص12

<sup>4</sup> محمد مشبال، (البلاغة بين التّخييل والتّداول) مج العبارة العدد1، أغسطس 2006، المغرب

سمّاها جيرار جينيت. البلاغة المختزلة هي " بلاغة الصّور البديعيّة إنّها شبيهة بالتّأليف في البديع عند العرب"<sup>1</sup>، وما زالتّ البحوث البلاغيّة والآراء الفلسفيّة في أخذ وردّ إلى يومنا هذا بين مؤيّد ومعارض لهذا الطّرح أو ذلك. وهذه خلاصة الرّحلة البلاغيّة من اليونان إلى اليوم حاولنا الإلمام بها اختصاراً في هذا المدخل التّاريخي والمفاهيمي.

<sup>1</sup> محمد العمري، مقال ( المقام الخطابي والمقام الشعري) مجلة دراسات سيميائية العدد 5



# الفصل الأوّل

## مرجعيّات البلاغة الجديدة

- 1- تمهيد : أ - مفهوم المرجعيّة : التّحديد اللّغوي والاصطلاحي
- ب - مفهوم البلاغة الجديدة
- 2- مرجعيّات البلاغة الجديدة:
- المبحث الأوّل : البلاغة اليونانيّة
- المبحث الثّاني : الأزمة الفلسفيّة
- المبحث الثّالث : المنطق الصّوري والمنطق الطّبيعي
- المبحث الرّابع : دوافع معرفيّة و سياقات أخرى

## 1 تمهيد في المفهوم والمصطلح:

### مفهوم المرجعية :

قبل الخوض في سرد مرجعيات البلاغة الجديدة لابدّ من الاطلاع على المقصود من مصطلح **مرجعية** في المعاجم اللغوية والمعاجم المختصة حتى نكون على بصيرة في استعمالنا لهذا المصطلح. ثم نعرّج على مصطلح البلاغة الجديدة. وقد دار خلاف طويل بين الدارسين العرب لنظرية البلاغة الجديدة حول مصطلحاتها وكيفية ضبطها، منها الإقناع والإقتناع، الإذعان، المقانعة، الخطابية...، فالباحث في هذا الموضوع سيصادف الكثير من الفوضى المصطلحية، ولا نودّ الدخول في هذه الاختلافات (فقد تعرضنا لها في المدخل).

### - التّحديد اللّغوي :

تعود لفظة مرجعية في المعاجم اللغوية إلى مادة (رجع): و " رَجَع يَرْجِعُ رَجْعاً وَرُجُوعاً وَرُجْعَى وَرُجْعَاناً وَمَرْجِعاً وَمَرْجِعَةً: انصَرَفَ..... والمَرْجِعُ، و رَجَعِي مَصْدَرٌ عَلَى فُعْلَى..."<sup>1</sup>  
"رَجَع فلانٌ : عاد، انصرف "رجع المسافرُ .... رَجَع أدرجَه: عاد من حيث أتى- رَجَع إلى الصّواب : اهتدى إليه - رَجَع إلى المعجم : استشاره ، وراجعته للتحقيق..."<sup>2</sup>  
والذي يعنينا من المعنى اللغوي بالنسبة لمصطلح مرجعية هو ( رجع أدرجه وعاد من حيث أتى) لأنه يناسب المصطلح ويقاربه في هذه الدلالة الخاصة.

### - التّحديد الاصطلاحي :

**مَرْجِعِيَّة (Reference):** " إسمٌ مؤنَّثٌ منسوبٌ إلى مَرْجِعٍ... مصدرٌ صناعيٌّ من مَرْجِعٍ : خلفيّة تاريخيّة سابقة. مرجعية الضمير : إحالة الضمير إلى مرجع أو مفسر سابق أو

<sup>1</sup> ابن منظور لسان العرب مادة رجع/ ج 8 ص 114

<sup>2</sup> أحمد مختار عبد الحميد عمر ت 1424هـ. معجم اللغة العربية المعاصرة بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ط 1429

لاحق. مَرَجِيَّةٌ دينيَّةٌ : سلطة ، جهة أو شخص تَرَجِّعُ إليه طائفة دينيَّةٌ معيَّنة فيما يخصُّها أو يشكُّلُ عليها من أمرها " <sup>1</sup>. فالمرجعية عند أهل التاريخ هي خلفيَّةٌ وقاعدة فكريَّةٌ تشترك فيها الجماعة أو يتَّخذها المثقَّفُ منطلقاً له في معالجة الأحداث الآنيَّة والمستقبليَّة. وقد كان لأحداث التاريخيَّة المتراكمة على مرور الزمن مساهمة في بناء هذه الخلفيَّة وتبلورها حتَّى تصير بمثابة الأسس المتينة التي ترقى إلى درجة الاعتقاد المقدَّس عند بعض الشعوب والشخصيات، حيث لا تستطيع أن ترى المستقبل خارج مرجعيَّاتها كما لا تتعامل مع الآخر إلا من منظور هذه المرجعيَّة التاريخيَّة.

وكثيراً ما تتجاوز المرجعيَّة العامل التاريخيَّ إلى منطلقات أخرى فلسفيَّة وعقدية وقوميَّة؛ فهي "الفكرة الجوهرية التي تشكل أساس الأفكار، والرَّكيزة الأساسيَّة والنهائيَّة الثابتة لرؤية الكون التي يتبنَّاها مجتمع ما، وهي المبدأ الواحد الذي تردُّ إليه كلُّ الأفكار وتنسبُ، ولا ينسبُ هو لها ولا يردُّ إليها. والإطار الجامع الذي تؤسَّس عليه الأنظمة العامَّة ... " <sup>2</sup> لبناء مجتمع بشري يحتكم إلى نفس المرجعيات ويجعل منها دستوراً ينظِّم حياته بمختلف مجالاتها. وعليه فإنَّ المرجعيَّة هي ذلك : "الأساس الفلسفي والمعرفي الذي يستند إليه العقد الاجتماعي الذي يدور المجتمع في إطاره... " <sup>3</sup>؛ فكلُّ ما يطرأ في حياة النَّاس فإنَّه يقاس بهذا العقد الاجتماعي، فإن وافق مرجعيَّة المجتمع المتواضع عليها فيؤخذ به وإلا فإنَّه سيواجه رفضاً عنيفاً ولا يعني أنَّ هذا الطَّارئ به خلل ما وإنَّما الرُّويَّة المرجعيَّة هي الفيصل فيه وإن كان صواباً، فالأنبياء مثلاً يواجهون الرِّفض والعداء لأنَّهم خالفوا المرجعيات التي تواطأت عليها أممهم من قبلُ.

<sup>1</sup> أحمد مختار عبد الحميد عمر ت 1424هـ. معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ط 1429

هـ - 2008 م ج 2 ص 863

<sup>2</sup> عبد الوهاب المسيري ، حوارات مع عبدالوهاب المسيري ص 89.

<sup>3</sup> المرجع، نفسه ص 89.



أما في مقام العلم وفلسفته فهناك نوع آخر من المرجعية يسمّى المرجعية النهائية وهي "الأفكار القبلية ( *apriori* ) أي المفاهيم والافتراضات الأساسية التي يؤمن بها الإنسان ، والتي تسبق عملية الرصد والتحليل والتقييم.."<sup>1</sup> التي يقوم بها كل باحث في ميدان تخصصه.

ومن خلال هذه المفاهيم اللغوية والاصطلاحية؛ نخلص إلى أنّ المرجعية يقصد بها تلك الفكرة الأساس التي تبنى عليها التوجّهات والرؤى والنظريات المعرفية. وهي أيضاً الأصول المعرفية والفلسفية لكل علم، حيث إليها يردُّ أصل الأمور وباديتها، والدوافع التي قامت حولها وتشبّثت بها ولم تحد عنها على مدى فترة من الزمن؛ وفي هذا المعنى مضمون المفهوم اللغوي الدالُّ على العودة والبدء من أصل الشيء. كأن تقول مثلاً : المرجعية الدينية في الجزائر هي الإسلام السنّي، والمذهب الفقهي المعتمد هو الفقه المالكي. وقولك المرجعية الفقهية لجامع الأزهر هي الفقه الشافعي، حيث أنّ هذا المذهب هو الذي يرجع إليه الفقهاء ويحتكمون إليه في فتاواهم، كما دأب عليه سلفهم من علماء الشريعة.

أما مرجعيات العلوم فهي الأفكار الفلسفية التي قامت عليها، فالبلاغة العربية القديمة - مثلاً- قامت على أفكار المعتزلة والأشاعرة التي دارت حول إشكالية الإعجاز في القرآن الكريم، ومدى إمكانية الإمام والإحاطة العلمية بهذا الإعجاز القرآني الذي أبهر العرب الأقياح؛ وعليه قام الدرس العربي بشتى تخصصاته حول هذه السّؤال المعرفي : أين يكمن إعجاز القرآن الكريم؟ لكن سرعان ما اتّسعت اهتمامات الدرس البلاغي العربي إلى ال بحث في إشكالات علمية أخرى قائمة على فلسفة جمالية، وذلك مع كتب البديع والبيان التي توجّه أصحابها لدراسة ظاهرة البديع في الشعر والتجديد الذي طرأ في القصيدة العربية في العصر العباسي.

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري ، حوارات مع عبد الوهاب المسيري ص90.

وفلسفة الجمال في اللّغة هي المرجع الذي يبنى عليه الدّرس البلاغي العربي عموماً، وتبحث عن مكن الجمال التّصويري والانزياح الأسلوبي في الخطابات المختلفة شعريّة بالدّرجة الأولى ثمّ التّثريّة، لأنّ العرب تعتقد جزماً أنّ الشّعْر هو سيد فنون القول بلا منازع. أمّا فلسفة البلاغة اليونانيّة فقد قامت على فلسفة الإقناع التي أسّس لها الفلاسفة اليونان قديماً بسبب الصّراعات التي قامت في المحاكم حول أملاك المواطنين، فالإقناع عندهم مركز البلاغة أمّا الجماليات الأخرى فهي تابعة لهذا المرجع الأوّل وليست أصلاً يدانيه في الاهتمام والاعتبار.

وفي بحثنا هذا حول مرجعيات البلاغة الجديدة سنضع لأنفسنا إطاراً اصطلاحياً حول مرجعيات البلاغة الجديدة، ويضمّ هذا الإطار كلّ العوامل التي كانت سبباً مباشراً في إعادة بعث نظريّة البلاغة الجديدة (الحجاج / *Argumentation*) في العصر المعاصر. ومن مرجعيات هذه البلاغة تلك الدّوافع والأسباب التي كانت وراء بعث البلاغة القديمة وهيأت لها البيئة الخصبة لتظهر مرّة أخرى ويذيع صيئها كما كان في عهدها الأوّل. وسنتطرق في هذه المرجعيات\* إلى الأصول التّاريخيّة لنظريّة البلاغة الجديدة ، وكذلك نعرض إلى تلاحق البلاغة مع حقول نقدية وعلمية أخرى هيأت الجوّ لاحتضان ميلاد علم جديد هو (البلاغة الجديدة أو بلاغة الحجاج) التي كان بيرلمان أكبر أعلامها في الوقت المعاصر.

### 2.1 - مفهوم البلاغة الجديدة : (*La nouvelle rhétorique*)

نقصد بالبلاغة الجديدة بلاغة الحجاج، تلك النّظريّة البلاغيّة اليونانيّة التي استقرّت مع أرسطو ب(فنّ الخطابة *Rhétorique*)<sup>1</sup>، والخطابة " علم البلاغة وليس الغرض منها

\* ولسنا ندعي في مقام البحث عن مرجعيات البلاغة الجديدة ورصدها أنّنا قد أحصيناها وأحطنا بها، إنّما أتينا على ذكر ما رأيناه أهم هذه المرجعيات، وبالقدر الذي وقّفتنا إليه الله - عزوجل - ويبقى البحث مفتوحاً لمن أراد الاستزادة .  
<sup>1</sup> أمّا ترجمتها إلى العربيّة فقد رابها غموض وتعدّد في المفهوم والاصطلاح، ولعلّ أحدث ترجمة لهذا المصطلح اليوناني هي كلمة (خطابية) وهي من وضع الباحث المغربي محمد العمري، وقد وضع هذا المصطلح قاصداً به بلاغة الحجاج =

تعليم الكلام البليغ فحسب، ولكن الغرض منها عرض الأفكار بأسلوب مقنع ... فالخطابة قياس مركّب من مقدّمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه" <sup>1</sup>، وقد أعاد إحياءها من جديد علماء عدّة، ولعلّ أبرز من استقرّت على يديه هذه النظريّة في الزّمن المعاصر هو رجل القانون والفيلسوف البلجيكي (شايم بيرلمان *Chaïm Perleman*) <sup>2</sup>. وما ينبغي التّنبية عليه كوّن مصطلح (البلاغة الجديدة) قد تداوله بلاغيون آخرون <sup>3</sup> بمفاهيم أخرى قبل (بيرلمان *Perleman*)، إلا أنّ الانتشار والاستقرار النظري كان من نصيب نظريّة هذا الأخير لما فيها من جدّة وخروج عن طوق البلاغة التّقليديّة من جهة وعن قواعد المنطق والفلسفة والجدل من جهة أخرى.

أمّا طبيعة (نظريّة الحجاج: *Théorie de l'argumentation*) الموضوعيّة تكمن مناقشتها للقضايا الخلافية التي لا تخضع لقاعدة مضبوطة أو قانون صارم يفكّ النزاع بحلّ ضروري لا حوّل عنه، حينها يأتي دور بلاغة الحجاج التي "تتعارض بدورها مع الضّرورة والبداهة، فنحن لا نتداول حيث يكون حلُّ بعينه ضرورياً، ولا نحاجج ضدّ البداهة، إنّ مجال الحجاج هو مجال الشّبيه بالحقيقة والسّائع، والمحتمل، بالنّظر إلى إفلات هذا المجال من يقينيات الحساب" <sup>4</sup>، وهذا المجال الذي أهمله الفلاسفة والمناطقة قد وجد فيه بيرلمان ضالّته

---

= (الإقناع) وهو ما يسميه علم الخطاب الاحتمالي، وهو في مقابل فنّ الشعر أي الشعريّة؛ على وزن صرفي موحد. ينظر محمد العمري ، أسئلة البلاغة ص28.

<sup>1</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني 1982، ج1/ص531.

<sup>2</sup> شايم بيرلمان *PERELMAN CHAÏM* (1912-1984م) فيلسوف ورجل قانون وهو مؤسس البلاغة الجديدة، ولد في وارسو (بولندا) ، هاجر إلى بلجيكا عام 1925 واشتغل حتّى عام 1978 أستاذاً في المنطق والأخلاق والميتافيزيقيا. من أهم كتاباته البلاغة الجديدة، إمبراطوريّة البلاغة، المنطق القضائي.

<sup>3</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص26، فقد وسّمها بارت بالبلاغة الجديدة أو السّفسطة التّانيّة ، ظهرت في القرون الوسطى بعد تداخل البلاغة الحجاجيّة مع البلاغة الشعريّة. كما ظهر مصطلح البلاغة الجديدة عند الناقد أيفور ريتشارز الإنجليزي والمصري د. موسى سلامة.

<sup>4</sup> Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation, édition de l'universtède bruxelles, p1.

مع نظريته البلاغية الجديدة، خاصة عند ذكر القيم والأخلاق والفضائل، أين تتسع فجوة الخلاف بين الناس.

البلاغة الجديدة هي " نظرية الحجاج التي تهدف إلى دراسة التقنيات الخطابية، وتسعى إلى إثارة النفوس، وكسب العقول عبر عرض الحجج، كما تهتمّ البلاغة الجديدة أيضاً بالشروط التي تسمح للحجاج بأن ينشأ في الخطاب، كما تفحص الآثار الناجمة عن ذلك التطور"<sup>1</sup>، أي أنّ الفعل الحجاجي بعد ميلاده داخل الخطاب اللغوي ينتقل إلى الفعل الإنجازي خارج الخطاب أي يترجم عملاً على الواقع. فقد اتخذت البلاغة الجديدة من الإقناع عمدة لها كما كانت قديماً مع أرسطو ( *Arestote* ) الذي جعل البلاغة بحثاً عن الحجج التي تساعد على الإقناع<sup>2</sup> وتعديل الرأي.

كما أصبحت البلاغة زيادة على أنها آلية إقناعية ومنهجاً تعليمياً يتعلّمه الطلبة نظراً لأهميته في الحياة الاجتماعية، صارت - زيادة على ذلك - في القرن العشرين منهجاً نقدياً أخذ على عاتقه مهمة تحليل الخطابات وقراءتها بتتبع الحجج المدرجة فيها لخدمة الإقناع، وكذلك تمييز الحجج المحتملة والممكنة من حجج المغالطة والسفسطة. والمهم في عمل نظرية الحجاج رصد الآثار الكامنة في الخطاب شفوياً كان أو مكتوباً أو أيقونة إخبارية والتي تحمل على الإقناع الذي ينتزّل في ثوب والإذعان والتسليم للرأي ثم العمل به.

صارت قضية الإقناع بالقول رهاناً استراتيجياً في بداية القرن العشرين مع ازدهار الثورة الإعلامية وانتشار وسائل الدعاية، فقد اهتمّ المشتغلون بتحليل الخطابات في الزمن المعاصر بالتفقيب عن عوامل الإقناع ( *Persuasion* ) وآلياته الكامنة في اللغة الطبيعية وما ينتجه المتكلم بها من مدونات خطابية ، كما أنّ الحجاج صار آلية مهمة في الفصل بين الآراء

<sup>1</sup> صابر الحباشة، التداولية والحجاج : مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، ط2008، ص 15.

<sup>2</sup> Alexandre Motulsky-Falardeau , *La rhétorique aujourd'hui*, Les Presses de l'Université Laval, [www.pulaval.com](http://www.pulaval.com), p85.

والمواضيع التي لا تتصاح للقوانين والبراهين المنطقية، فاختلاف البشر أمر قدرى لا مرأى فيه ويستحيل جمع الناس على رأي واحد، وهنا تكمن مهمة الحجاج في تقليص فجوات الاختلاف " وخلق التوازن والاستقرار على أمر بل إنّه - أحياناً - وسيلتنا لتحقيق الإطمئنان لنا وللآخرين"<sup>1</sup> تفادياً للصراعات الناشئة عن اختلاف وجهات النظر نحو مسألة ما، وتشبيهاً للسلام بين الأفراد والمجتمعات.

أمّا (أوليفي ريبول - *Olivier Reboul*) فيضيف أنّ مفهوم الخطابة (البلاغة) اليوم قد اتسع أكثر ممّا كان عليه سابقاً، فزيادة على خاصية الإقناع وإنتاج النصوص؛ أصبحت البلاغة ذات أبعاد تأويلية للنصوص حيث تعمل على تفسير وتأويل وفهم الخطابات المعاصرة، فالبلاغة اليوم نظرية تروم الفهم<sup>2</sup>؛ فهّم ما ينطوي تحت اللغة الطبيعية والبنية السطحية الموظفة في الخطاب، وقد صارت التأويلية فناً أساسياً يدرس في الجامعات وينضوي تحت لواء البلاغة الجديدة<sup>3</sup>. ولعلّ عامل القراءة والتأويل للخطابات صار نظرية مركزية ضمن النقد المعاصر، وهذه هي البلاغة الجديدة تتسع لتأويل الخطاب والتّقيب عن المضمّر بالنقد والتحليل البلاغيين.

### 3.1- تمييز بلاغة بيرلمان بـ (الجديدة):

ترجع تسمية بلاغة الحجاج بـ(الجديدة) إلى كونها " تهتمّ بدراسة التنوع الجديد للمخاطبين عبر وسائل الإعلام الحديثة، وهو أمر لا يزال في نظره - بيرلمان - مهملًا"<sup>4</sup>. وكذلك تجدد المتلقّي عبر القراءة التي صارت سمة هذا العصر . يقول بيرلمان: " إن الجمهور اليوم ليس مجرد جمهور استماع إلى خطيب يتحدّث في ساحة عامّة، وإنّما هو

<sup>1</sup> ليونيل بلنجر، الآليات الحجاجية للتواصل، تر عبد الرزّيق بوركي، علامات 21، ص32

<sup>2</sup> ينظر أوليفي ريبول ، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبية وحسان الباهي، إفريقيا الشرق 2017م، ص26

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 25 / 26.

<sup>4</sup> محمد سالم محمد الأمين الطّلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص106

جمهور القراءة اللامنتهي"<sup>1</sup>، ولا ريب أنّ نسبة القراءة ومنصّات الخطاب في العصر الحديث قد كثرت جداً نظراً للتّورة العلميّة في مجال الطّباعة، ومحاربة الأميّة، وتنظيم التّعليم وانتشار الوعي والثّقافة حول العالم بفضل الإعلام، فلم يعد الجمهور محصوراً في قاعة أو ساحة بل لم يعد الخطاب محصوراً داخل نطاق الرّمن فقد يُلقى الخطيب خطابه في مجلّة أو كتابٍ يقرأه الجمهور على مدى العصور.

وقد كانت (الريطوريقا *Rhétorique*)\* اليونانيّة تروم الإقناع أمام جمهور محدود ومعروف، يتكوّن من هيئة المحلّفين في المحاكم أو من عامّة النّاس في المحافل، أمّا اليوم فقد صار الجمهور المقصود بالخطاب أوسع ممّا يتخيّله الخطيب نفسه، فبفضل وسائل الإعلام والاتصال " أصبح الخطيب يواجه مصاعب لا حصر لها ( *innombrable*)"<sup>2</sup>، كما أصبحت البلاغة الجديدة " قدرة عالميّة للفعل أو التّأثير أو لتعزيز الرّوى و الفهم العام"<sup>3</sup> فيمكن لرئيس أيّ دولة أن يخاطب شعوب العالم بأسره فضلاً عن شعبه، وحينئذ تصبح مهمّة الإقناع التي تقصدها الخطابة الجديدة أمراً عسيراً جداً نظراً لاختلاف طبقات المتلقّين وثقافتهم ومرجعياتهم. فجده البلاغة الجديدة بالنسبة للخطابة اليونانيّة في نوعيّة الجمهور، وأمّا جدتها بالنسبة لبلاغة الصّور والأسلوب فهي في الخاصيّة الإقناعيّة التي اختفت في البلاغة القديمة منذ عهد الرومان تقريباً.

وسمّ بلاغة (*Perelman*) بالجديدة يُعدّ تمييزاً لها عن نسختها الأولى اليونانيّة المنبت؛ خطابيّة وشعريّة، فالبلاغة القديمة تطلق خاصّة على بلاغة الصّور (بلاغة الأسلوب) أو ما يعرف بالشّعريّة (*Poétique*) على اعتبار موضوعها القديم، وقد تطلق كذلك باعتبار تاريخي

<sup>1</sup> Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, *Traité de l'argumentation*, p24.

\* ريطوريقا: هو تعريب مباشر أطلقه فلاسفة العرب القدماء على بلاغة/خطابة اليونان. *Rhétorique*.

<sup>2</sup> Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, *Traité de l'argumentation*, p34

<sup>3</sup> Irit Sholomon Kornblit , *La diversité culturelle dans tous ses etas : analyse, discursive, rhétorique et argumentative d'une formule. (Unpublished PHD thesis). Departement de Francais, Universite Bar-Ilan 2019, p14*

على " بلاغة أرسطو " أو " فنّ الخطابة " (*Rhétorique*) لأنّ هذه الأخيرة لم تدم طويلاً بعد زوال حضارة اليونان وظهور الحضارة الرومانية التي اهتمت بالجانب البلاغي الأسلوبي، أكثر من الخطابي.

وقد أطلق بيرلمان (*perelman*) صاحب النظرية الحجاجية الجديدة وصف (الجديد) على نظريته؛ عندما ألحق عنواناً فرعياً للعنوان الرئيس لكتابه (مصنّف في الحجاج، البلاغة الجديدة - *Traité de l'argumentation, La nouvelle Rhétorique*)<sup>1</sup>؛ الكتاب الذي أصدره في سنة 1958م مع زميلته (لوسي تيتيكا *Lucie Olbrechts-Tyteca*)، وقد ضمّ كتابه هذا تفاصيل عديدة حول نظرية الحجاج؛ المفاهيم والمقدمات الحجاجية وأنواع الحجج والتقنيات الحجاجية... إلخ.

وصف (بيرلمان) بلاغته بالجديدة نظراً "لحدثة الأبعاد التي تهتمّ بها، ثمّ إنّها أيضاً صارت ذات خصائص إنسانية عميقة، ويؤكد ذلك كونها قد أجريت داخل قسم الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة بروكسل (بلجيكا)"<sup>2</sup>، وقد كانت تجربة الرّجل الفلسفية مرجعاً أساسياً في بناء نظريته الحجاجية حيث كان المنطق الصّوري حاضراً بقوة رغبةً في نقده وبناء منطق موازٍ له يوجّه الحجاج البلاغي توجيهاً يخالف الاستدلالات والقياسات المنطقية، كما تبدو شخصية رجل القانون أيضاً حاضرة رجاء الوصول إلى قانون عامّ يحكم القيم الإنسانية يستعين به القضاة والمحامون في محافلهم القضائية.

<sup>1</sup> نسخة المصنّف التي اعتمدها من تقديم ميشال ماير صدر عن مطبوعات جامعة بروكسل الطبعة السادسة 2008م.

<sup>2</sup> محمّد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 104

### 4.1 - بين البلاغة الجديدة والبلاغة القديمة :

الميزات الفارقة بين البلاغتين الجديدة والقديمة قد يتجاوز مسألة تجدد المتلقي إلى أمور أخرى نظرية ومنهجية. نذكر منها الاختلاف بين غاية البلاغة قديماً إذ كانت تقصد إلى إنتاج النصوص على منوال خاصّ يحشد الحجج للإقناع، وتعليمها للناس (بلاغة تعليمية)، أما اليوم فصارت البلاغة منهجاً يقصد إلى كيفية قراءة النصوص وتحليلها<sup>1</sup>، ومقارنتها مقارنة وصفية لا معيارية، والكشف عن المقنع والتأجع فيها، فقد جعل (بيرلمان) من الإقناع مركز نظريته الجديدة وأساسها<sup>2</sup> وأهم الجانب التأثيري العاطفي من البلاغة الأسلوبية (بلاغة الصور).

ولما كان الإقناع هو أساس هذه النظرية، حاول بيرلمان دراسة التقنيات المستخدمة في الخطابات والتي من شأنها أن تزيد في التأييد لأفكار الخطيب، لذا وصفها بالبلاغة الجديدة، " فمن خلال القيمة (القدر) المعطاة للتأييد، يصبح الهم ليس هو القيمة الصورية للحجج بل خاصيتها الإجرائية ومجال تلقيها، ما يهم هو الخطابات الحجاجية المستعملة والمستمع"<sup>3</sup>، فصارت أهمية الحجة إنجازية في الأفعال وليست تأثيرية في الخيال والعاطفة، فيقاس نجاح الفعل الحجاجي بمدى تأثيره في المتلقين.

واختلف الخطاب في البلاغة الجديدة عن البلاغة الأرسطية، فقد كان الخطاب شفوياً مباشراً للمتلقين، وصار الخطاب اليوم متعدد الأشكال والصيغ من الملفوظ الشفوي إلى

<sup>1</sup> ينظر هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، دار إفريقيا الشرق. ص 23، ينظر أيضا رولان بارت قراءة جديدة للبلاغة القديمة (مقدمة المترجم عمر أوكان ص 8). تعقيب : إلا أنّ رأي هنريش بليت هذا يمكن نقده بتعريف أرسطو للخطابة إذ يعتبرها فنّ استخلاص من كلّ موضوع درجة الإقناع التي يحويها؛ فهذا التعريف يتمّ عن قصد أرسطو إلى وضع آليات نقدية تتقّب عن المقنع في النصوص، وهذا ما يعرف في عصرنا بالمنهج النقدي الذي ذكره هنريش بليت بخصوص بلاغة القرن العشرين)

<sup>2</sup> ينظر جميل حمداوي ، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص31

<sup>3</sup> مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة، ص 79.



المكتوب والمرئي<sup>1</sup> والإشهاري وكلّ هذا بفضل التكنولوجيا المعاصرة، وكذا توظيف البلاغة في خطابات سائر العلوم كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والفكر المعاصر، فهذه المجالات العلمية ما انفكت توظف البلاغة في خطابها العلمي بغية التّواصل مع المتلقّي، وهذا الاشتغال المتعدّد الأطياف للخطاب البلاغي عقّد العملية التّقديّة للخطاب الإقناعي نظراً لتعدّد وتواشج مجالاته وأشكاله بتعدّد تلك النظريات والمجالات العلمية.

كما حاول (بيرلمان) من خلال نظريته هذه " تجديد الخطاب القضائي في ضوء رؤية بلاغية حاجية جديدة ... فإنّ (بيرلمان) قد ركّز على خطاب القضاة الذين يكونون أمام أطروحات قضائية متعارضة " <sup>2</sup>، لأنّ البلاغة القديمة كان تعنى بمرافعات المحامين دون القضاة. والقاضي في بلاغة الحجاج هو المتلقّي الذي يقصد بالعملية الحاجية الموقفة. فكيف يمكن لهذا المتلقّي الذي يستمع لطرفي المحاماة المتعارضة آراؤهم والمدرسة حجّهم بكلّ دقة واجتهاد أن يكتشف مواضع الخلل أو الضّعف في الخطابين المعروضين؟ وبالتالي يؤدي قضاءه بكلّ عدل وشفافية على أثر الفعل الحجاجي المنجز، بعد أن ينجو من الفخاخ المبتوثة في خطابات المحامين؛ فخاخ المناورة والمغالطة. أمّا المهمة الخطابية للطرفين الآخرين (محامي الاتّهام ومحامي الدّفاع) فتكمن في استثمار الفجوات القانونية وكيفية تأويلها لصالح آرائهما، وإقناع القاضي بهذا التّأويل والاستدلال له قانونياً باستغلال التّقنيات الحاجية المتاحة أمامهما.

كما أنّ مصطلح " البلاغة الجديدة " يمنع الالتباس بالنظريات الكلاسيكية خاصة وأنّ (بيرلمان وتيتيكا) يصرّحان ببناء نظريتهما على نظريتي الجدل والخطابة اليونانيتين، وخاصة الالتباس بالاستخدام الماركسي لمصطلح (جدلي)، وبالفعل فإنّ الشّكل التّواصلية

<sup>1</sup> ينظر عبدالله صوله، الحجاج منطلقاته تقنياته أطره ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربية ص

<sup>2</sup> جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق 2014، ص30.

للحوار الذي يعدّ أساسياً في الجدل الأرسطي لا يلعب إطلاقاً أيّ دور في البلاغة الجديدة عند بيرلمان<sup>1</sup> إنّما كانت وجهتهما في هذه النظريّة وجهة بلاغيّة حاجيّة، يتجلّى ذلك من خلال التّركيز على الإقناع في الخطاب والتّقنيات النّاجعة لنجاح العمليّة الحاجيّة الإقناعيّة.

ولعلّ أكبر إنجاز يُحسَب (لبيرلمان وتيتيكا) في هذه النظريّة البلاغيّة الجديدة هي تبرئة الحجاج ممّا ألصق به من تُهمّ رافقته طيلة قرون كانت سبباً في تراجعها أمام الفلسفة، هما تهمتان معروفتان:

- الأولى : " المناورة والمغالطة والتلاعب بعواطف الجمهور وب عقله أيضاً، ودفعه دفعاً إلى القبول باعتباريّة الأحكام لا معقوليّتها " <sup>2</sup>، وسبب ذلك هجوم بعض الفلاسفة اليونانيين - أمثال أفلاطون - على فلاسفة السّفسطة (السّفسطائيين، وسيأتي الحديث عنهم) بسبب طريقتهم في الحجاج، ثمّ انسحب هذا الهجوم الفلسفي على البلاغة؛ بلاغة الحجاج برُمّتها فيما بعد.
- الثّانيّة هي " صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب في وضع ضرورة وخضوع واستلاب " <sup>3</sup> وهذا نابع عن المنطق الصّوري الأرسطي الذي لا يقبل الاختلاف بين حكمين أو أكثر على شيء واحد، وهذا ما كرّسه ديكرت في عقلانيته. (سنأتي على ذكر عقلانيّة ديكرت في مبحث أزمة الفلسفة)، والاستدلال الصّوري يجعل من الحجاج ضرورياً وحتمياً إذ لا يمكن بحال من الأحوال للمتلقّي أن يجد فسحة أو فرجة ينفلت منها سوى الخضوع والتّسليم لما يفرضه عليه الخطاب.

<sup>1</sup> فرانز فان إيمرن، و روب غروتندورست، نظريّة نسقيّة في الحجاج، المقاربة الذّريعيّة - الجدليّة، تر عبد المجيد جحفة، الكتاب الجديد المتحدّة، ط1/2016م، ص66.

<sup>2</sup> عبد الله صولة، في نظريّة الحجاج، دراسات وتطبيقات، دار مسكيلياني للنشر والتّوزيع، تونس، ط1/2011، ص11

<sup>3</sup> عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظريّة وتطبيقيّة، دار كنوز المعرفة ط1 2016م عمّان، ص157

### 2 - مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا :

أمّا عن مفاهيم بلاغة الحجاج الجديدة عند بيرلمان فتمتدّد وتتوّع ولكن لا تضادّ بينها، منها قوله : الحجاج هو " حملٌ على الإقناع أولاً، وعملٌ في ضوء ذلك الاقتناع (*Conviction*) ثانياً..."<sup>1</sup>؛ وهذا التعريف مبناه غائي حيث عرّف بيرلمان نظريته منطلقاً من غاياتها التي تهدف إلى تحقيقها، فالخطيب يعرض قضاياها على المتلقّي مدعّمة بالحجج المختلفة من حجج منطقيّة يقينيّة تحتكم إلى البرهان تارة، ومحتملة ممكنة (*probable*) تحتكم إلى منطق الاحتمال تارة أخرى، حججاً متعارف على مقبوليتها ومسلّم بها بين العامّة. كلّ هذه الحجج المتنوّعة وغيرها يقدّمها الخطيب في خطاطة إقناعيّة مدروسة ومنسّقة حتّى تتمكّن هذه القضية من الولوج إلى فكر المتلقّي ونفسه بغية القبول والاقتناع بها، وبعد ذلك حمله على العمل والممارسة بهذه الأفكار التي سلّم بها دون تردّد.

والحجاج عند (بيرلمان وتيتيكا) هو أيضاً تلك : " العلاقات الجدليّة القائمة بين الفكر والعمل"<sup>2</sup>، أي أنّ المحاجج يخاطب فكر المتلقّي بغية التأثير فيه وإقناعه بأطروحاته وبالتالي تحويل سلوك المتلقّي عبر فكره إلى تبنّي الفكرة والعمل بما عُرض عليه من أفكار. ولمّا كان فكر الإنسان وعمله في علاقة خاصّة تكمن في خضوع الإنسان لفكره فهو المتحكّم والدافع إلى العمل؛ رأى بيرلمان في نظريته أن تختصّ بمخاطبة الفكر، وذلك عبر توظيف تقنيات الإقناع التي يتقبلها الفكر الإنساني عامّة عبر الحجج المنطقيّة والشبه منطقيّة، أو ما يتواضع عليه المستمع الكوني من قيمّ وحجج احتماليّة يمكن القبول بها، وتوظيف الحجج البلاغيّة كالاستعارة والمجاز، ثم يترتّب العمل بالأفكار التي اقتنع بها المتلقّي بواسطة الحجاج الممارس على فكره.

<sup>1</sup> عبدالله صولة، في نظريّة الحجاج، ص 21

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 18

لم تخلُ هذه النظرية الحجاجية الجديدة من السمات المنطقية المعروفة، دون التغلغل في قوالب منطقية صورية ومجردة<sup>1</sup> وجافة، فقد حرص (بيرلمان) على إعطاء حُلة شبه منطقية لنظريته تمكّن الخطيب المحاجج من آليات التفكير المنطقي<sup>2</sup>، ويختلف القياس المنطقي عن القياس الحجاجي في مدى صدق المقدمات، فيكتفي القياس الحجاجي بقبول مجموعة من العقلاء لهذه المقدمات<sup>3</sup>، ولا يشترط صدقها وشمولية قبولها عند الجميع. وسيتجلى ذلك جيداً عند التطرّق إلى مقدمات الحجاج وتقنياته (الفصل الثاني).

كما استعان (بيرلمان وتيتيكا) بتقنيات الجدل والخطابة القديمة، فأخذت بلاغة الحجاج من الجدل ذلك " التّمشيّ الفكري الذي يقود إلى التأثير الذهني في المتلقّي، ويأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو العمل والإعداد له لكنّه يظلّ مختلفاً عن الخطابة والجدل، من زاوية كسره للثنائية التقليدية وجمعه بين النظري والتأثير السلوكي العملي، فهو خطابة جديدة متّسعة"<sup>4</sup>. تلاقح هذه الفنون الإقناعية الثلاث كان مصدراً أساساً لبناء نظرية بيرلمان الجديدة، دون الركون الكلي لأيّ من هذه النظريات القديمة، التي اعتبرها بيرلمان منبعاً ومعيناً معرفياً لكنّها ليست مهيمناً على نظريته في الحجاج.

### 3 - البلاغة الجديدة / البرهان / الجدل :

قد يلاحظ الباحث تجاوراً معرفياً تتداخل فيه نظرية البلاغة الجديدة (الحجاج) مع البرهان (*démonstration*) والجدل (*Dialectique*)؛ أمّا البرهان فبيّن اختلافه عن الحجاج (*Argumentation*) من حيث إنّ مقدماته (البرهان) يقينية لا تحتل الظنّ

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص66.

<sup>2</sup> ينظر عباس حشاني، مصطلح الحجاج تقنيات وبواعثه، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ع2013/9م

<sup>3</sup> ينظر فرانز فان إيمن، و روب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، المقاربة الذريعية - الجدلية، تر عبد المجيد

جحفة، الكتاب الجديد المتحدة، ط1/2016م، ص60

<sup>4</sup> عباس حشاني، مصطلح الحجاج تقنيات وبواعثه، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، ع2013/9م

والاحتمال، وعليه تكون قياساته ذات نتائج يقينية صادقة لا يمكن ردّها أو دحضها<sup>1</sup>، بينما في الحجاج والجدل فإنّ المقدمات القياسية تفتقد للصدق واليقين وعليه تفتقد نتائجها للضرورة البرهانية، وتكون نتائجها احتمالية يمكن قبولها أو ردّها حسب موقف المتلقّي. أمّا الفرق بين الحجاج الخطابى والحجاج الجدلي فإنّ الاحتمال والظنّ في الجدل أقوى وأكثر شهرة وتصديقاً منه في الخطابة التي تروم التصديق والتأفع والمستجاد<sup>2</sup>، لذا كانت حججها شبيهة بالمنطقية تستمدّ قوتها من الواقع والمعقول والمشهور. ويبقى الهدف بينهما تحقيق الإقناع والتصديق لدى المتلقّي.

وما يحكم الفرق بين هذه النظريات هو مادّة القياس، والمقدمات المستعملة فيه؛ فإذا كانت صادقة محضة فهو قياس برهاني يختصّ بحقل المنطق، أمّا إذا كانت مقدماته ظنيّة مشهورة يغلب عليها اليقين فهي جدل أو حجاج - كما هو في البلاغة الجديدة - أمّا إذا كانت مقدمات القياس تعتمد المغالطة وترومها فهي سفسطة محضة، أمّا إن كانت هذه المقدمات تعتمد الخيال الفني فهي حجاج بلاغي<sup>3</sup> يقصد إثارة وإمتاع واستفزاز العواطف تمهيداً للإقناع.

#### 4 - مرجعيات البلاغة الجديدة :

مما لا مرأى فيه أنّ جميع النظريات العلمية لا تخرج من العدم بل لها إرهاصات ومقدمات تمهّد لظهورها ثمّ استوائها على الشكل الذي يصلنا، ولا يتوقّف تطورها وتجديدها مع البحث العلمي والنقد الفلسفي. ولنظريّة - البلاغة الجديدة - خلفيات تاريخية ومعرفية وأصولاً فلسفية قامت عليها، فقد رأينا الاصطلاح على الخلفيات المعرفية لهذه النظريّة بـ(مرجعيات

<sup>1</sup> ينظر عبدالله البهلوي ، الحجاج الجدلي، ط2013/ ص63/64.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص67.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه ص63.

البلاغة الجديدة). فقد كان " الاهتمام بالحجاج يتوازي مع بعض العوامل، منها النظري والاجتماعي؛ فالنظرية في الحجاج تتطور دائما على خلفية فكرية معينة، وفي سياق اجتماعي خاص"<sup>1</sup>، وهي تلك الأفكار التي أسس عليها أعلام هذه البلاغة نظرياتهم. فقد حدثت أفكار وسياقات قديمة وجديدة (طارئة) بالنسبة لتاريخ هذا العلم دفعت البلاغيين إلى التجديد والنهضة به، وإعادة صياغته في نظريات وقواعد تواكب مستجدات هذا العصر الحديث، وحاجات الإنسان المعاصر.

سننظر في فصلنا هذا إلى رصد أهم هذه المرجعيات الفلسفية و الدوافع المعرفية والاجتماعية وغيرها لنفهم الحاجات التي قامت لأجلها نظرية جديدة في الحجاج تسد الفراغ المعرفي الذي ظهر في القرون المتأخرة بسبب غياب الحجاج البلاغي.

أبرز الأصول التي قامت على قواعدها نظرية البلاغة الجديدة من الناحية التاريخية، نجد بلاغة أرسطو (الخطابية) والبلاغة اليونانية عموماً، ونجد أيضاً مرجعيات فكرية أهمها أخرى منها : أزمة الفلسفة الحديثة متمثلة في انفصال العلوم عنها في العصر الحديث، والتي ما فتئت تصطدم مع الواقع خاصة تلك النزعة المادية والعقلانية والأحادية؛ التي خلفت صراعاً مهولاً في أوروبا في مطلع القرن العشرين تمثل في حربين عالميتين ذهب فيها ملايين الضحايا. يضاف إلى المرجعيات الفكرية صرامة المنطق الصوري التي لا تتناسب وكثير من العلوم الإنسانية التي تعتمد التعددية في الرؤى والأفكار وتعدّد القراءات والتأويلات، وكذلك التفاوت في القيم بين الأفراد والمجتمعات ما مكن لازدهار منطق جديد يعتمد مبدأ الاحتمالية والتسببية في كثير من القواعد العلمية حتى الرياضيات التي طالما خضعت للمنطق البرهاني. ونبدأ بعرض هذه المرجعيات عرضاً سلفياً حسب العامل الزمني.

<sup>1</sup> فيليب بروتون و جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج ، ترجمة محمد صالح نادي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة

## المبحث الأول : البلاغة اليونانية مهد البلاغة

الجديدة

### المبحث الأول : البلاغة اليونانية مهد البلاغة الجديدة :

بلاغة الحجاج نظرية بلاغية يونانية بامتياز، ساهم في بناء هذه النظرية عوامل شتى بفضل جهود علماء عدة، أما الحيز الزمني الذي ظهرت فيه هذه النظرية " فقد كانت قصة البداية للحجاج، من حيث النظرية والممارسة تحديداً في القرن الخامس قبل الميلاد (500 ق م - 450 ق م)"<sup>1</sup>، وكان ذلك في " بيئة يونانية وفي جزيرة صقلية بالضبط"<sup>2</sup>. ولقد كان الباحث بالفلسفة اليونان إلى دراسة الخطابة (بلاغة الحجاج) هو الاهتمام " بالتحكم في الاستعمال العمومي للكلام في هذه الأوضاع النموذجية التي يجسدها كل من التجمع السياسي، والتجمع القضائي والتجمع الاحتفالي"<sup>3</sup>، فهذه المجالات الثلاثة هي التي كانت تشكل الرأي العام اليوناني وتشغله، وتناقش الآراء تحت مظلة ديمقراطية<sup>4</sup> يدلي فيها كل الأطراف بأرائهم بكل حرية.

وقامت نظرية الحجاج عند اليونان - في بادئ الأمر - على ثلاثة مصادر أو روافد تغذية: هي فن الحوار (الديالكتيك، الجدل) وفن الاستدلال (المنطق) وفن الخطاب (البلاغة)<sup>5</sup>. وسنحاول في هذا المبحث ذكر المهم من هذه العوامل الباعثة للبلاغة عند اليونان، وما اتفق عليه بين الفلاسفة والمؤرخين.

#### 1 - الحجاج بين الخطاب القضائي والخطاب السفسطائي:

ظهور الخطابة عند اليونان كان - بداية - بدافع قضائي (دفاعي) عند أهالي صقلية لاسترجاع ممتلكاتهم، بعد تحرير أراضيهم من المغتصبين. وهذا يعني أن أمر قيام البلاغة

<sup>1</sup> محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري ص47.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص47.

<sup>3</sup> عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان الرباط، ط1، 2013م، ص53.

<sup>4</sup> ينظر محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري ص47.

<sup>5</sup> ينظر ليونيل بلونجر، الآليات الحجاجية للتواصل، تر عبد الرزاق بوركلي، علامات، 21، ص36.



عندهم لم يكن بدوافع فلسفية (علمية) أو أدبية (جمالية) <sup>1</sup> كما صارت إليه فيما بعد ، حيث تطورت هذه الخطابات القضائية، وأصبحت تلبي حاجات اليونانيين الفلسفية والأدبية والتعليمية<sup>2</sup>. ويعزو بعض الباحثين الفضل في إنكفاء جذوة البحث في الحجاج لدى الفلاسفة اليونان - على غرار أفلاطون وأرسطو- إلى النشاط الحجاجي السفسطائي\* الذي عرف في هذه البيئة وفي هذا التاريخ انتشاراً واسعاً بين الناس<sup>3</sup>.

وقد أفضى تلاحق الأدب بالفلسفة على يد السفسطائيين إلى ميلاد فنّ البلاغة " فنّ تأليف وإلقاء الخطب المقنعة ... وأسهمت حركة السفسطائيين في نشأة النثر، وخصوصاً الخطابة على حساب الشعر في أثينا." <sup>4</sup> ولكنّ الفلاسفة أمثال أرسطو وأفلاطون قد رفضوا تيار السفسطة لزعيمهم أنّ الحجاج السفسطائي يقوم على المغالطات لا على الحقيقة ، وأغراض الحجاج السفسطائي عند أرسطو خمسة أضرب <sup>5</sup> : التّبكيّ والكذب، وإضعاف الفهم بالشكّ، والعجومة\* والهذر . إلا أنّ الدافع السفسطائي الذي كان حافزاً للفلاسفة اليونان بالبحث في فنّ العبارة (الخطابة) انقلب سلباً على الحجاج السفسطائي؛ حيث مارس عليه سقراط وأفلاطون كلّ أشكال العداء والتّحذير منه لأنّه - في نظرهم - صار وسيلة لخداع

<sup>1</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبية وحسان الباهي، دار إفريقيا الشرق 2017، ص30

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه ص39

\*السفسطة : تيار فكري وحجاجي كان قبل نظرية الحجاج الأرسطوية، وكانت السفسطة تعني الحكمة ثم صارت فيما بعد مرادفاً للحجاج الزائف ، ينظر هشام الزيفي، الحجاج عند أرسطو، ص52. 54.

<sup>3</sup> ينظر هشام الزيفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن : نظريات الحجاج في النّقاليد الغربية، إشراف حمادي صمود، ص51.

<sup>4</sup> أيفور أرمسترونغ ريتشاردز، مقال (فلسفة البلاغة) ترجمة حسن البنا عزالدين، مجلة أبعاد ع6 2010/02/01

<sup>5</sup> ينظر أرسطو طاليس، منطق أرسطو، تح وتقر عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت 1980، ص789، 788.

\* العجومة : يقصد بها أرسطو اللّحن في الكلام أو استغلقه على الفهم واستحالته ويقابله في اليونانية (سولوقسموس)، انظر تلخيص كتاب السفسطة ضمن المنطق لارسطو، ص785.

العامّة في مسألة القيم (خاصّة العدل) والأحكام، وكذلك أصبحت السّفسطة وسيلة في ابتزاز أموال المتعلّمين<sup>1</sup>.

ويبقى العامل المهمّ الذي أثرى البحث في حقل البلاغة الحجاجيّة هو هذا التّصادم والصّراع الذي كان بين الفلاسفة اليونانيين والسّفسطائيين لتأطير نظريّة خاصّة بصناعة القول<sup>2</sup>؛ فقد اختلف الفريقان حول مسألة الخطاب النّاجع وشروط بنائه والأسس التي يقوم عليها، فقد اعتمدت السّفسطة على الإيهام والمناورة من منطلقات ومقدّمات حجاجيّة زائفة غير واقعيّة وغير يقينيّة تفتقد إلى أدنى معايير الصّدق. أمّا الفلسفة على يد أفلاطون فهي عكس ذلك تماماً، فكانت تبني حجاجها على المواضع البديهيّة والضّرورات المنطقيّة، والاستدلال البرهاني.

أدى الصّراع بين المتناقضات - السّفسطة والفلسفة - إلى ميلاد نظريّة الخطابة على يد أرسطو (Arestote) الذي وضعها بين طرفي نقيض بين السّفسطة والفلسفة بناء على نظريّة المحتمل\* (الأيقوس Eikos) من أجل بناء قانون خاصّ بالقيم<sup>3</sup> يخضع له الخطاب الموجّه للجماهير. وحين قسّم " الخطابة إلى مشاجريّة (قضائيّة)، استشاريّة (سياسيّة) وتثبيتيّة (تقويميّة) كان يفكّر في الدّفاع عن قيم العدل والخير والجمال على التّرتيب"<sup>4</sup>، ويتجلّى من هذا الكلام أنّ الخطابة هي قانون خاصّ بقيم الخير العاليّة وليس كما أشيع عنها

<sup>1</sup> ينظر محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، ضمن البلاغة والخطاب أعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات دار الاختلاف، ط1 2014م ص 51،50. (هذا المقال يوضح صورة الصّراع القائم آنذاك بين الفلاسفة والخطباء السّفسطائيين)

<sup>2</sup> ينظر هشام الزّيفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة. ص 52/53  
\* المحتمل : هو منطق الاحتمال الطّبيعي الذي تخضع له اللّغات الطّبيعيّة، وسيأتي الحديث عنه في هذا الفصل في مبحث (المنطق الأرسطي والمنطق الطّبيعي)

<sup>3</sup> ينظر عبدالله صولة الحجاج منطلقاته وأطره وتقنياته ص 302 302

<sup>4</sup> الحسين بنو هاشم، نظريّة الحجاج عند بيرلمان، ص 30.

من تهم المناورة والمغالطة والإيهام<sup>1</sup>. وهذه النظرية الأرسطية في الخطابة هي ما وجد فيها بيرلمان مرجعاً فكرياً خصباً لبناء قانون القيم في العصر الحديث.

يقول رجل القانون والفيلسوف ( شايم بيرلمان ) : إنّه توصّل إلى فنّ بلاغة الإقناع بطريق الصدفة بينما كان يبحث هو وزميلته عن قانون خاصّ بالقيم\* ؛ قانون عامّ يحكم القيم الإنسانية، يعتبر معياراً لفضّ الخلافات والجدال حول موضوع القيم والأخلاق، ويفصل بين الحسن والقبيح والخير والشرّ، وقد وجدنا ما بحثنا عنه في فكر قديم هو فلسفة أرسطو البلاغية<sup>2</sup>، هذه الفلسفة التي لازالت على مدى عصور طويلة المعين الرئيس للفكر الغربي<sup>3</sup>. فالرجل بحكم تخصصه في القانون، قد لاحظ اختلاف الناس في هذا المجال، فحاول ضبط موضوع القيم بقانون يحتاجه الجميع، وفي خضمّ البحث ألقى نفسه يبحث في موضوع الخطابة ( ريطوريقا ) وهو مبحث قديم من مباحث البلاغة اليونانية القديمة. من هنا بدأ بيرلمان في دراسة الحجاج في البلاغة اليونانية محاولاً استثمار هذه النظرية في عصر الإعلام والدعاية فطوّرها وواءها مع مستجدات وسياقات معاصرة.

إنّ المتصفّح لكتاب بيرلمان وزميلته تيتيكا (البلاغة الجديدة : مصنّف في الحجاج) يدرك لزاماً أنّه " سعي حثيث لبعث الخطابة القديمة " <sup>4</sup>، والخطابة القديمة ( *Rhytorique* ) هي بلاغة اليونان، و قد استقرّت هذه نظرية عند اليونان على يد الفيلسوف أرسطو الذي فصلها عن الفلسفة والمنطق من جهة، ومن جهة أخرى عن الشعريّة أيضاً<sup>5</sup>. لكنّ هذا الاستقرار كان نتيجة نشاط علمي مكثّف سبقه؛ تمثّل في بلاغة السفسطائيين و فلسفة سقراط

<sup>1</sup> ينظر الحسين بنو هاشم الحجاج عند بيرلمان، ص30.

\* يقصد بالقيم : المبادئ العامة التي تؤسس الخلفية الأخلاقية لتدبير الديمقراطيات المعاصرة (العدل ، المساواة، المسؤولية عن الأفعال) ينظر كتاب الدفاع عن الأفكار، تكوين ملكة الحجاج ، محمد بن سعد الدكان ص 58

<sup>2</sup> ينظر محمد العمري، ( المقام الخطابي والمقام الشعري)، مجلة دراسات سيميائية أدبية ع5 - 1991/12

<sup>3</sup> ينظر هشام الزيفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن : نظريات الحجاج في النقايد الغربية، إشراف حمادي صمود.ص 52

<sup>4</sup> حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج ص 158

<sup>5</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عمر أوكان، إفريقيا الشرق، (الصفحة الثانية من مقدّمة المترجم)

والصراع الفكري الذي كان قائماً بينهما آنذاك، ثم وضع أفلاطون لبلاغة خاصة به تروم الوصول إلى الحقيقة والمعرفة وردّ السفسطة وما شاكلها من المناورة في الكلام والتزييف له. وعليه يعلن (بيرلمان) عن أهم مرجعية معرفية انطلق منها وأسس على منوالها نظريته الجديدة في الحجاج، فنلاحظ من الوهلة الأولى أنّ تيار البلاغة الجديدة " هو تيار يعلن ارتباطه المباشر بخطابية أرسطو وبناءه عليها"<sup>1</sup> باعتراف مؤسسها في العصر الحديث ، فما أوجه التشاكل بين خطابية أرسطو وبلاغة بيرلمان؟

### 2- الإقناع القاسم المشترك بين البلاغتين :

حتى نتبين أنّ هذه البلاغات اليونانية القديمة هي مهد البلاغة الجديدة وأصلها الذي ازدهرت فيه ومنه، وأكثرها قرباً لبلاغة بيرلمان ن الحجاجية هي بلاغة أرسطو، لأنّ هذا الأخير هو من أعطى البلاغة الصبغة الإقناعية بتمييزها عن الشعرية<sup>2</sup>. والجانب الإقناعي التداولي هو ما جعله بيرلمان وتيتيكا موضوعاً لبلاغتهما الجديدة؛ إذن يجب علينا أن نفكّش في البلاغة القديمة لنلاحظ أواصر القرابة والارتباط بين القديم والجديد في علم البلاغة الغربية، وذلك تأسيساً للمرجعية الأولى للبلاغة الجديدة وتأسيساً لها تحت لواء بلاغة الحجاج الأرسطوية.

قضية الإقناع هي الباعث الأول والمقصد الأساس لقيام البلاغة اليونانية القديمة (الخطابة) عموماً، لأنّها قامت للمطالبة بالامتلاكات، والدفاع عنها تحت ظلّ الحروب والصراعات التي عاشتها صقلية<sup>3</sup> 458 ق.م. وبعد انتهاء الحروب شهدت كلّ من أثينا وسيراكوزا<sup>4</sup> مرافعات قضائية للمطالبة بامتلاكات السّكان الأصليين، وصارت الحاجة للخطاب الفصيح المقنع في جوّ ديمقراطي أمراً لا غنى عنه لضبط الأمن واسترجاع الحقوق ممّا هيأ

<sup>1</sup> محمّد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص30

<sup>2</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عمر أوكان، إفريقيا الشرق، (الصفحة الثانية من مقدّمة المترجم)

<sup>3</sup> ينظر عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 27 - 28

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 28

بيئة حاضنة لانتصار سلطة القول على قوة السّلاح، وانتعشت فيها البلاغة اليونانية (بلاغة الإقناع).

والإقناع عند أفلاطون هو سبيل القيادة حيث يتجلى ذلك في تعريفه للخطابة إذ يقول: "الخطابة : صناعة قيادة النفوس بالقول"<sup>1</sup>، وتكون القيادة عنده نحو الحق والخير بالفلسفة لا على طريق السّفسطة، والإقناع هو سبيل قيادة الناس. وحاول أفلاطون بناء بلاغة فلسفية برهانية تهدف إلى الخير دائماً بوضع معايير لذلك الخير، ومحاربة الغواية والمغالطة السّفسائية. كان أفلاطون يبحث عن المعرفة انطلاقاً من الأقوال الصادقة حيث يظهر صدقها من مقدمات بديهية، أو يُستقّ منطقياً من أقوال صادقة بدهياً<sup>2</sup>. إذن الإقناع عند أفلاطون حاضر أيضاً لكنّه يعترض على طرائق استعمال الحجاج والإقناع بالباطل في صور مختلفة من الإيهام والمغالطات.

الإقناع في البلاغة نظرية أرسطية ؛ لأنّ الفيلسوف اليوناني (أرسطو) هو من شطر البلاغة (أو فنّ العبارة كما كانت تسمّى عندهم) إلى الحجاج من جهة والشّعريّة من جهة أخرى، فيعرّف البلاغة الحجاجية أي الخطابة بـ " فنّ استخلاص من كلّ موضوع درجة الإقناع التي يحتويها...أو القدرة على كشف نظري لما يمكن أن يكون في كلّ حالة خالصاً للإقناع"<sup>3</sup>. والظاهر من تعريفه هذا أنّه كان على وعي بدور آلة الخطابة كمنهج يلقّن الإقناع ممارسةً في الخطابات وقراءة؛ إذ تستعمل نظرية الخطابة في قراءة النصوص وتحليلها من أجل استخراج مواطن الإقناع وآلياته ومدى تأثيره في المتلقّي.

<sup>1</sup> محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار ص51

<sup>2</sup> ينظر فرانز فان إيمرن و روب غروتندورست، نظرية نسفية في الحجاج، ص66

<sup>3</sup> رولان بارت ، قراءة قديمة للبلاغة الجديدة، ص 20

والخطابة عند أرسطو موجّهة لغير أهل البرهان<sup>1</sup> أي لغير المتعلّمين أو لغير الخاصة من الناس؛ إنّما تُوجّه إلى العامّة من الناس لإقناعهم بما يطرح عليهم من أفكار وقوانين تسوس حياتهم في المجال السّياسي أو الاجتماعي أو القضائي. " فالهدف من البلاغة القديمة هو التّحدّث أمام حشد من النّاس (الجمهور) في السّاحة العامّة لإقناعهم بما يطرح عليهم من أفكار وآراء قصد الالتزام بها"<sup>2</sup>، لذا فإنّ الإقناع فكرة مشتركة بين البلاغتين القديمة والجديدة، وهو أمر مركزي في كليهما، و قد أصبح الإقناع اليوم حاجة من خصوصيات العصر الحديث في معالجة القيم والأخلاق، والسّياسة و الإشهار والتّسويق التّجاري.

يقول أرسطو فيما يخصّ القضايا التي تكون خاصّة بأفعال النّاس : "إنّ أفعال النّاس ومصالحهم لا يمكن إخضاعها لأيّ قاعدة ثابتة ودقيقة ... إذا كانت الدّراسة العامّة للأفعال الإنسانيّة تطرح مثل هذه الصّعوبات، فالأحرى بالدّراسة الخاصّة لكلّ واحدٍ منها هي التي ستكون أشدّ غموضاً لأنّها لا تتدرج ضمن فنّ منتظم، ولا في أيّ تععيد صوري"<sup>3</sup>، تنبّه أرسطو في وقت مبكر للفرق الكائن بين الفلسفة والبلاغة (الخطابة)، الفلسفة لها قوانين نظريّة تقوم على مبادئ المنطق الصّوري، وتحتكم قضاياها إلى الاستدلال البرهاني قياساً على مقدّمات صحيحة، كما لها مسائل علميّة تختصّ بالبحث فيها، كما يتخصّص في دراستها الفلاسفة وهم أعلى النّاس في درجات التّفكير العقلاني.

<sup>1</sup> ينظر الزواوي بغوره، الفلسفة واللّغة (نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة)، دار الطليعة بيروت ط1 أكتوبر 2005م. ص26.

<sup>2</sup> Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, *Traité de l'argumentation, édition de l'université de bruxelles*, p07.

"L'objet de la rhétorique des Anciens était, avant tout, L'art de parler en public de façon persuasive : elle concernait donc l'usage du langage parler, du discours, devant une foule réunie sur la place publique, dans le but d'obtenir l'adhésion de celle-ci à une thèse qu'on lui présentait"

<sup>3</sup> محمد الولي، ( مدخل إلى الحجاج : أفلاطون أرسطو وشايبم بيرلمان) مجلة عالم الفكر ع 2 مجلد 40، أكتوبر ديسمبر 2011م، ص 14.

### 3 - بلاغة الحجاج بعيداً عن المنطق :

أقام أفلاطون نظريته في الإقناع على أسس منطقيّة، أمّا في البلاغة الأرسطيّة فليست "الصّفة البرهانيّة في القول شرطاً كافياً لتحقيق الاقتناع العملي الذي يهدف إليه الحجاج، فقد تُستوفى برهانيّة الدليل ولا يحدث معها اقتناع المخاطب ، إذ لا شيء يمنعه من أن يستمرّ على اعتقاده السّابق ولو دُلّ على سبيل برهاني مستقيم" <sup>1</sup>. وهذه الحالات موجودة كثيراً في المجتمع الإنساني فقد يُلجَم المخاطب بكلّ دليل وحبّة ويأبى الاقتناع والتّسليم، ولعلّ الفيلسوف اليوناني انتبه إلى أنّ ما تعجز عنه الفلسفة والمنطق في سبيل تحقيق الإقناع هو من مهامّ الخطابة، "فخرج في كتاب الخطابة من البحث المنطقي ... إلى البحث في علاقة القول بالأخلاق والسياسة بالجدل والقياس الإضماري الذي يحكم الخطاب الطّبيعي" <sup>2</sup>، ويبني العمليّة الإقناعيّة بأفكار ومقدّمات ظنيّة الثّبوت لكنّها ذات مكانة في المجتمع، مكانة التّسليم التي اكتسبتها بعدّة عوامل لعلّ أهمّها العقد الاجتماعي والتّقدّم الزّمني.

بعيداً عن المنطق تعالج الخطابة القضايا التي تتغلّت من الفلسفة والبرهان، حيث رأى أرسطو أنّ منطقه الصّوري لا يمكنه أن يُخضع أهواء الجمهور وبعض القضايا النسبيّة لقواعد متينة متماسكة، يجري تفعيلها مع جميع الآراء والخلافات الإنسانيّة، فالنفس البشريّة كائن متغيّر المزاج، غير ظاهر ولا محسوس، وليس بثابت على حال واحدة، ويمكن تغيّره بين الفينة والأخرى، من هنا يبدأ دور بلاغة الحجاج (الخطابة اليونانيّة)، فهي كفيلة بمعالجة التّباعد بين الآراء المختلفة في حقل المحتمل ( *Probable* : الذي ليس بيقين إنّما مشهور مقبول بين النّاس). ومحاولة التّقريب بين هذه الآراء أو إقناع أطراف الخلاف على رأي واحد يتوافق عليه الجميع هي مهمّة حاجيّة.

<sup>1</sup> طه عبدالرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، ط200/م، ص65.

<sup>2</sup> عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص91.

وعليه فإنّ الدور المنوط ببلاغة الحجاج هو "البحث في الأمور التي يُشاوَر فيها، والتي ليس لدينا عنها قواعد منظّمة" <sup>1</sup> أو قوانين صارمة تفصل فيها، فتعمل البلاغة على تقليص المسافة بين رأيين أو أكثر والعمل على إلغاء هذه المسافة ما أمكن ذلك، ومطابقة الحافر بالحافر وتلك أعلى درجات الإقناع المنبئ عن نجاح العمليّة الحجاجيّة. فالابتعاد عن المنطق الصّوري في البلاغة الجديدة أصبح أمراً ملحاً لسبب راجع إلى هيمنة العقلانيّة الديكارتيّة التي كرّست هيمنة العقل بقيادة المنطق الصّوري والاستدلال البرهاني على شتى أنواع العلوم. وعليه فإنّ القضايا التي كانت تعالجها بلاغة أرسطو هي نفسها سنجدّها في البلاغة الجديدة .

تأتي رحابة البلاغة بعد صرامة المنطق؛ هذه هي فكرة أرسطو التي رآها ناجعة في مسائل احتماليّة، يفاوض فيها الخطيب جمهوره بين ثنائيّة الرّفص والقبول لدى الجمهور لأنّها لا تعتمد على مقدّمات ضروريّة وبديهيّة تمرّ إلى النتائج عبر الاستدلال الصّوري؛ أي أنّها ليست يقينا مؤكّداً، هذا ما عُرفَ بالمحتمل (الإيكوس) عند أرسطو؛ هو منطق مُهيكل ومُكيّف على حسب رأي الجمهور المتداول <sup>2</sup>، منطق أقلُّ صرامةً، مسلّماته ليست يقينيّة مثلما هي المسلمات العلميّة . المحتمل البلاغي منطق طيّع الاستعمال والاستدلال، يقبل الطّرح والطّرح النقيض والآراء المتعدّدة، وليس متماسكا صلباً، لكنّ الجمهور يقبله على أنّه كذلك <sup>3</sup>.

فالأساس في بلاغة الحجاج الأرسطيّة هو كيف يتلقّى الجمهور الرّأي؟ وكيف يعتقدّه ويتبنّاه؟ وما السبيل إلى ذلك؟ وليس قيمة الحجج الخُطبيّة مهمّة من حيث رجاحتها أو مرجوحيتها، فالجماليّة جماليّة المتلقّي وليست جماليّة الأثر <sup>4</sup> لأنّ للمتلقّي مطلق النّظر والاختيار. تعتمد بلاغة الحجاج فكرة الإقناع في الجمهور، والآليات التي تجعل الرّأي مؤثراً

<sup>1</sup> محمد العمري، (المقام الشعري والمقام الخطابي) دراسات سيميائيّة أدبيّة، ع5، ديسمبر 1991م.

<sup>2</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص35.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص35.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص35



فيه، لكنّ القبول بالرأي لن يكون شاملاً لجميع الناس بل يكفي إقناع الأغلبية. فنجاحه  
الحجاج ودرجة نجاحه تُقاس بمدى القبول الجمهوري والعمل بذلك الرأي<sup>1</sup> الذي اقتنع به؛  
فدرجة القبول هي أمانة نجاح المهمة الحجاجية. وهذا المنطق البلاغي الاحتمالي نفسه  
سيتكرّر مع شايم بيرلمان في نظريته الجديدة.

### 4.1 التعددية والاختلاف مبعث الحجاج :

ولعلّ الدافع الأهمّ للحجاج بعد تعدّد الآراء هو ذلك الاختلاف القائم بينها؛ وهو أمر  
طبيعي فالتعدّد سمته الاختلاف، والاختلاف بين المتحاورين في الحكم على الأشياء سيؤدّ  
حتماً نوعاً من التدافع بالأقوال، مع أو ضدّ الآراء المطروحة على طاولة النقاش. وهذا  
الباعث (الاختلاف) كان ملازماً للعملية الحجاجية منذ أرسطو إلى العصر الحديث<sup>2</sup>. والجو  
الذي كان قائماً في صقلية بعد الحروب كان مشحوناً بالخلافات الكثيرة الناتجة عن مطالبة  
الأهالي بحقوقهم - كما هو الأمر اليوم - خلق ممارسة حجاجية أولية تتبّعها الفلاسفة  
بالتنظير والتفكير حتى اكتملت نظرية معرفية كما نراها اليوم.

تتعدّد بواعث الاختلاف بين غموض الأطروحات والحجج في صياغاتها اللغوية  
وطرق تأويلها، وكذلك الاختلاف الفكري والمستوى التعليمي بين المتخاطبين، والتعصّب لفكرة  
معينة أو التشييع لفكرٍ أوجماعٍ أو حزبٍ ما<sup>3</sup>. فهذه العوامل أصل الاختلاف بين البشر الذي  
يتولّد عنه التّحاجج عند فتح هذه الموضوعات، سواء كان ذلك في النوادي السياسية الخاصة  
أو النوادي العلمية أو مجالس العامة... فالاختلاف كان يوماً ما دافعاً لقيام البلاغة اليونانية  
وها هو يعيد بعثها من مرقدتها في القرن العشرين نظراً للخلافات القائمة بين دول العالم وبين

<sup>1</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، ص5

<sup>2</sup> ينظر هشام الزيفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن أهم نظريات الحجاج منذ أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود،  
ص123.

<sup>3</sup> ينظر عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ط2013/ص6

الأفراد داخل المجتمعات المتعددة المرجعيات والديانات والأجناس، مما يخلق الاختلاف الفكري الذي يُسهم في استدعاء الحجاج لتضييق الهوة بين المختلفين.

كما تظهر " توازيات لافتة بين البلاغة الجديدة، كما اقترحها (بيرلمان وأولبريخت تينيك)، والنظريات القديمة والكلاسيكية للبلاغة، فالتصنيف الذي أورده بيرلمان وأولبريخت تينيك للمقدمات، مثلاً، هو نفسه عند أرسطو " <sup>1</sup>، فالوقائع والحقائق والافتراضات التي جمعها بيرلمان تحت مسمى مقدمات الحجاج كانت موجودة عند أرسطو قديماً، وكذلك التقنيات المستخدمة في الحجاج من وسائل الوصل والفصل، والحجج الشبه منقوية والحجج المؤسسة لبنية الواقع والحجج المؤسسة على بنية الواقع، هي تقنيات كلاسيكية أعاد استخدامها بيرلمان في بلاغته الجديدة <sup>2</sup>.

هذه بعض أوجه الشبه بين البلاغتين؛ بلاغة أرسطو وبلاغة بيرلمان؛ هي أهم أواصر القرابة بين البلاغتين مما جعل الباحثين يجعلون من بلاغة اليونان أهم مرجعية قامت عليها بلاغة الحجاج المعاصرة وازدهرت. فنجد الإقناع المسألة الأساس التي قامت عليها البلاغة في البيئة اليونانية، بدايةً مع مطالبة الأهالي بملكاتهم، ثم مع السفسطائيين الذين نشدوا الإقناع بكل حجة مباحة وكيفما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ثم تنتقل قضية الإقناع مع أفلاطون لكن مع مراعاة الأخلاق العلية، إلى أن انتهى الأمر إلى المعلم الأول أرسطو صاحب أول نظرية في البلاغة القديمة.

أما وجه الشبه الثاني هو منطق الاحتمال الذي حكم النظريتين كما ذكرنا، ثم قضية الاختلاف وتعددية الآراء الدافع والممهّد لقيام بلاغة الحجاج قديماً وحديثاً. وهكذا صارت البلاغة الجديدة سليلة البلاغة اليونانية القديمة كما صرح بذلك رائدها الفيلسوف شايم بيرلمان.

<sup>1</sup> فرانز فان إيمرن و روب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، ص67.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص67.

# المبحث الثاني

من الفلسفة القديمة

إلى

البلاغة الجديدة

### المبحث الثاني: من الفلسفة القديمة إلى البلاغة الجديدة :

#### 1- تمهيد : الحقيقة غاية الدرس الفلسفي :

طال الاحتكاك بين الفلسفة والخطابة أيام اليونان إلى أن استقرّ الدّرسان إلى ما أصّله (أرسطو طاليس)، فلم تختلف الفلسفة عن الخطاب إلا في مسألة الحقيقة وكيفية الوصول إليها عبر مقدّمات فلسفية صادقة أو مقدّمات خطابية احتمالية بين المظنون والممكن، وعليه فإنّه لا تخفى على الباحث تلك العلاقة الوطيدة بين الفلسفة والخطابة؛ علاقة جدلية بين الدّرسين قد أسهم كلّ منهما في قيام الآخر. وقد رأينا للفلسفة القديمة والحديثة دوراً أساسياً في قيام نظرية البلاغة الجديدة فاتّخذناها مرجعيّة من مرجعياتها ينبغي التّوسّع فيها لبيان الكيفية التي أسّست لبلاغة الحجاج بموازاة الدّرس الفلسفي الحديث والمعاصر.

بدأ عصر النّهضة في أوروبا وجلب معه ثقافة الوضوح بعد القرن السّادس عشر الميلادي مع العقلانيّة والتّجربيّة<sup>1</sup>، إذ أصبح الإنسان الأوروبي يميل إلى العقل والمنطق ويبتعد عن الخرافة التي نشرتها الكنيسة، وقد هيّأت هذه النّهضة الجوّ لهيمنة الفلسفة - ذات النّزعة الأحاديّة في أوروبا - على البحوث العلميّة منذ القرن السّادس عشر؛ حيث كانت تبحث عن الحقيقة واليقين في كنه الموجودات مثلما كانت تسعى إليه الفلسفة القديمة. وطالما حاول الفلاسفة إخضاع الجمهور لمسلّمات موضوعيّة ضروريّة غالباً ما تُنافي أهواء النّاس متوسّلين في ذلك الاستدلال البرهاني رغبة في الوصول إلى الحقيقة الواحدة التي يجب أن يخضع لها الجميع.

كان هدف الفلاسفة المنشود في خطاباتهم الفلسفيّة "الاقتراب من حقيقة الوجود، وفهم الكائن في ضوء هذه الحقيقة التي تكون في النّهاية نتيجة اتّفاق نوعي يُسكنها في النّصوص

<sup>1</sup> ينظر عبدالله البهلول، الحجاج الجدلي، ط2013/ص6.

والقوانين والقواعد والمعايير المنطقية والخُطوات المنهجية " <sup>1</sup>، لكنّ الظاهر أنّ الفلاسفة قد تناسوا أمر النفس البشرية وما يأتي عليها من تغير من حين لآخر واختلاف مع باقي البشر في الأهواء والأفكار والعواطف والعادات، إذ لا يمكن بحال من الأحوال إخضاع هذه المظاهر النفسية لقوانين الفلسفة والمنطق، أو بقانون واحد يسري عليها جميعها، وهذا ما ستهتمّ البلاغة بعلاجه بوصفها قانوناً يعنى بمعالجة القيم الإنسانية.

اصطُح على فلسفة العقل والمنطق بـ **Philosophie** (الفلسفة العقلانية

*rationelle*)، وهي فلسفة المُثُل التي وضعها أفلاطون؛ إذ يرى أنّ الأفكار الصحيحة والبدئية هي من نتاج عقول سوية لا تخضع للأهواء البشرية، فهي توجد في عالم المُثُل الحقيقي؛ أمّا عالم المادّة المشاهد فهو عالم زائف تختلجه أهواء النفس واللّغة والمجتمع فتُحيله إلى واقع موازٍ يدّعي أهله الحقيقة لكنّ واقعهم يشهد بعكس ذلك، ومن هنا ذهب أفلاطون (*Platon*) يؤسّس نظريته الفلسفية المعادية للبلاغة؛ فلسفة تعتمد الاستدلال البرهاني ومبادئ العقل السليم والفكر الثابت دون أي احتمال؛ الاحتمال الذي يُعتمد في بلاغة الحجاج <sup>2</sup>.

أمّا الفلسفة التجريبية فتعتمد التجربة للبرهنة على صحّة نظرياتها والوصول إلى الحقيقة والمعرفة، فالظواهر التي لا يمكن إخضاعها للتجربة لا يمكن التسليم بنتائجها كما هو الحال بالنسبة للغات الطبيعية، وعليه فإنّ اللّغة البشرية عند أصحاب هذه النظرية معرضة للخطأ لعدم قابليتها الخضوع للملاحظة والتجربة ثمّ إعادة نفس التجربة تحت نفس الظروف للوصول إلى نفس النتائج؛ لذلك تعدّ الفلسفة التجريبية من الفلسفات التي تعادي بلاغة

<sup>1</sup> عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي. منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة. ط1 2009 ص11.

<sup>2</sup> ينظر نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، دراسة لسانية تقابلية، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف 2 /2016، 2015/ ص106/107

الحجاج<sup>1</sup> إلى جانب الفلسفة العقلانية التي ألغى أصحابها وعلى رأسهم (أوغست كونت *August Comte* 1798-1857م) الذي رفض المراحل الأولى للفلسفة (اللاهوتية والميتافيزيقية) أن تكون مصدراً للعلم، وجعل من الفلسفة الوضعية (العلمية، التجريبية) موضوعاً للفلسفة الحديثة<sup>2</sup>، فمصدر المعرفة عنده ما كان قابلاً للتجربة فقط.

انصرف الفلسفة إلى البحث عن الحقيقة والمعرفة اليقينية<sup>3</sup>، واهتمامها بالتقعيد للظواهر الكونية والأخلاق والقيم الإنسانية، والتّظهير لكلّ شيء بضبطه وفق قوانين ثابتة لا تتغير أي عقلنة الوجود، وتمليك العقل زمام البحث في كلّ شيء، وإدعاء الهيمنة على العلم ونقد نظرياته بواسطة الاحتكام إلى قانون عام يحكم الظاهرة الوجودية عامة؛ كلّ هذه العوامل كانت سبباً كفيلاً بتزمّت الدرس الفلسفي وتحجّره على صنم الحقيقة الواحدة التي لا ينظر الفلاسفة إلى الوجود والعلم إلاّ بمنظارها ولا اعتبار بأي منهج سواه يوصل إلى العلم.

### 2- الحقيقة بين الفلسفة والحجاج:

إنّ الفكر الفلسفي الفوقي (الذي يدّعي الفوقية والهيمنة على العلوم) نتج عنه دخول الفكر الفلسفي في صراع مع ثقافة الحجاج الاحتمالية التي أصبحت ضحية هذا النزاع<sup>4</sup>، الأمر الذي دفع ببعض الفلاسفة والمفكرين إلى المطالبة باستبداله بالدرس البلاغي الجديد (أو فلسفة الحجاج أو فلسفة التّواصل، وكذلك فلسفة اللّغة مع فيدجنشتين *Ludwig Wittgenstein*\*) .

<sup>1</sup> ينظر نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ص107.

<sup>2</sup> ينظر الزواوي بغورة، الفلسفة واللّغة، ص85/86.

<sup>3</sup> إي سي جرابلينج، برتراند رسل (مقدّمة قصيرة جداً)، تر إيمان جمال الدين الفرماوي، مؤسسة الهداوي للتعليم والثّقافة ط1/2014م، ص35.

<sup>4</sup> ينظر فيليب بروتون الحجاج في التّواصل ، ص21

\* لودفيغ فتغنشتاين *Ludwig Wittgenstein*، 1889/04/26م، 1951/04/29م، فيلسوف نمساوي - إنكليزي، ولد في فيينا وتوفي في كامبردج. يعدّ من أبرز فلاسفة اللّغة والمنطق والعقل في العصر الحديث.

إنّ هذه الهلاغة تحاول التأثير في الآخرين متوسّلة الحجّة المعقولة والمحتملة، والحجّة اللغوية مع دغدغة العواطف وصولاً إلى الإقناع المقصود<sup>1</sup>؛ إقناع يقبل به الإنسان دون إكراه مع إمكانية رفضه أو مناقشته، لأنّ فلسفة الحجاج قائمة على منطق الاحتمال أي ما هو ممكن ومرغوب، منطق يعطي للعقل البشري مكانته وحقّه في التفاوض والجدال والقبول أو الرّفص بكلّ ديمقراطية، لذا جعل منه (بيرلمان) قانوناً خاصاً بالقيم<sup>2</sup> (*Valeurs*) وليس الحجاج كالبرهان الذي يعنى بترتيب الحقيقة<sup>3</sup> وما سوى الحقيقة الواحدة باطل لا يعتدّ به، فالحقيقة في البلاغة متعدّدة بحسب الحجج الداعمة لها ومدى التّسليم بها عند المتلقّي.

كما انتبه ثلّة من البلاغيين المعاصرين على غرار (شاييم بيرلمان، ورولان بارت وأوليفي ريبول) إلى أنّ الصّعوبة التي تواجه بلاغة الحجاج في الاحتفاظ بمكانتها في الفكر المعاصر كان مصدرها الأساس ذبوع الفلسفة العقلانيّة الرافضة لمنطق الاحتمال<sup>4</sup>، فمنطق الاحتمال في البلاغة الجديدة يكرّس فكرة الحجاج والتّعدديّة في الرّأي وإطلاق الأحكام المختلفة في القضية الواحدة، والتّطلّع إلى الوفاق الإنساني من عدّة زوايا. هذا الأمر حدا بـ(بيرلمان) إلى فصل الحجاج عن الفكر الفلسفي والمنطق الصّوري ليعيد إنعاش بلاغة الحجاج في العقود الأخيرة.

كما وقف (بيرلمان) موقفاً مضاداً " للفكر الوضعاني الذي يرفض أحكام القيمة ويعدها غير ذات معنى " <sup>5</sup> لأنّ القيم لا يمكن إخضاعها للتّجربة والمعابنة؛ والفكر الوضعاني أو الوضعي والوضعيّة (*Logical positivism*)، وتسمّى بالتّجريبيّة (*Empiricism*) أيضاً، وكلّها مفاهيم فلسفيّة تحيل على نظريّة (أوغست كونت - 1798/August comte -

<sup>1</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظريّة الحجاج، ص17

<sup>2</sup> *Traité de l'argumentation, La nouvelle rhétorique*, p99

<sup>3</sup> ينظر عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداوليّة معرفيّة لآليات التّواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، ط2/ 2012 ص125

<sup>4</sup> ينظر فيليب بروتون، الحجاج في التّواصل، ص21

<sup>5</sup> الحسين بنو هاشم، نظريّة الحجاج عند بيرلمان، ص31.

1858م) الذي يرى " أن المعرفة الصحيحة هي المعرفة المبنية على الواقع والتجربة، وأن العلوم التجريبية هي التي تحقق المثل الأعلى لليقين، وأن الفكر البشري لا يستطيع أن يتجنب اللطيفية والخطأ في العلم والفلسفة إلا إذا اتّصل بالتجربة" <sup>1</sup>، فإذا كانت أحكام القيمة مفاهيم مجردة بعيدة عن التجربة فليس لها نصيب في العلم؛ حالها في ذلك حال الفلسفة اللاهوتية (الأسطورية) والميتافيزيقية (الظواهر الطبيعية الخفية) <sup>2</sup>، لكن بيرلمان قد جعل القيم من مقدمات الحجاج التي يعول عليها الخطباء في ممارساتهم الخطابية. وعليه يمكننا الخلوص إلى الدور الهام الذي لعبته عقلانية ديكرت ووضعيتها كونه في إقصاء منطق الاحتمال وبلاغة الاحتجاج بحجة البحث عن اليقين.

### 3 - النسق البلاغي بديلا عن النسق الفلسفي :

انتشرت فكرة استبدال الفلسفة بالبلاغة بين الفلاسفة أنفسهم بعد وصول هذا العلم إلى فراغ لا يكاد يخرج منه في مطلع القرن الماضي، "فميزة الفلسفة هي أنها لا تملك موضوعات ولا مناهج ولا تؤدي إلى حلول، وستبقى الفلسفة في مسالة ذاتية أبد الدهر" <sup>3</sup>، فمنهج الفلاسفة في مقارنة الأفكار والظواهر هو طرح سؤال يليه طرح لسؤال آخر، حيث لا تكاد نظرية ما تستقر حتى يأتي السؤال الفلسفي محاولا زعزعة استقرارها وتتبع عوارها، فتبقى المقاربات الفلسفية في مواضيعها القديمة وأسئلة جديدة أو قديمة في ثوب الجديد مسلطة على هذا الموضوع أو ذاك دون الوصول إلى فصل نهائي في إشكالاته. فقد ظهر هذا الإشكال عند اليونان مع (سقراط) ثم مع (فيدجنشتين) في النمسا في منتصف القرن

<sup>1</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 579.

<sup>2</sup> ينظر الزواوي بغورة، فلسفة اللغة، ص 86/85.

<sup>3</sup> مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة، من مقدمة المترجمين إدريس كثير وعز الدين الخطابي، ص 9.



الماضي، واشتدّ كثيراً مع بيرلمان ومايير في بلجيكا<sup>1</sup>. ونتج عنه انفصال نظريات جديدة عن الفلسفة، كانت أكثر فاعليّة في الوسط العلمي المعاصر.

ظلّ الفلاسفة ينقدون جدوى الفلسفة الميتافيزيقية ( *Métaphysique* ) التي لا تقوم على منهج علمي يتوخّى الملاحظة والتّجربة ثمّ النتيجة، وقد ذهب المشكّكون في هذه الفلسفة إلى "أنّ مبدأ الميتافيزيقا في حدّ ذاته باطل طالما أنّه يناقض معرفتنا التّجريبية، بينما اعتبره فريق آخر مبدأً غير يقيني على أساس أنّ مشكّلات الميتافيزيقا هي مشكّلات مفارقة لحدود المعرفة الإنسانيّة متعالية عنها"<sup>2</sup>، وقد وصلت الفلسفة الميتافيزيقية في العصر الحديث على حدودها الأخيرة معلنة فشلها وعقمها عن الإنتاج العلمي التّجربي، فكانت نقطة التّحوّل في الدّرس الفلسفي الحديث منعطفاً خطيراً آذن بزوال الفلسفة التّقليدية معلناً ميلاد فلسفة جديدة عرفت بالوضعيّة أو التّجريبية وانتهت إلى نظرية الفلسفة التّحليلية التي اتّخذت من اللّغة موضوعاً هاماً من موضوعاتها؛ ممّا أسفر عن ازدهار البحوث اللّغوية في القرن العشرين مع النّقد اللّغوي المعاصر ونظرياته العديدة.

كان النّقد الأكبر من الفلاسفة موجّهاً للفلسفة الميتافيزيقية التي تقوم على الحدس<sup>3</sup>، فيقول ديفيد هيوم - في هذا المقام - إذا تناول المرء كتاباً في اللاهوت أو الميتافيزيقا فعليه أن يبادر في مساءلة ذاتية: " هل يحتو ي [هذا الكتاب] على تدليل تجريبي يدور حول الواقعة القائمة في الوجود؟ لا، إذن فاقذف به في النّار لأنّه يستحيل أن يكون مشتملاً على شيء غير سفسطة ووهم"<sup>4</sup>. ولهذا الحكم مايرره في واقع العلم الحديث، فلم تعد للميتافيزيقا قضايا علمية تشغل عليها تسلّم بها العقول، وعلّة ذلك أنّ هذه الفلسفة تنطلق من مسلمات

<sup>1</sup> مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة، من مقدّمة المترجمين إدريس كثير وعز الدين الخطابي، ص9

<sup>2</sup> الزواوي بغورة، فلسفة اللّغة، ص88

<sup>3</sup> ينظر صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص11

<sup>4</sup> أحمد عبد الحليم عطية، الفلسفة التّحليلية؛ ماهيتها، مصادرها، مفكروها، العتبة الإسلاميّة المقدّسة، المركز الإسلامي

للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط1، ص54

غيبية هشة (خرافة، أسطورة، تكهّنات...) لا يمكن إخضاعها للنظر الحسي أو العقلي، فتصبح مقدمات هذا العلم بلا معنى، ولا يمكن تأسيس النتائج بناءً عليها نظراً لاعتمادها على التحليل الحدسي المؤسس على الظنّ، ومن ثمة حكّم عليها الفلاسفة بالسفسطة لا غير.

وفي مطلع القرن العشرين ازدهرت جميع العلوم وانتعشت بعد انفصالها عن الفلسفة التي ظلت في نظريات مكرورة وأسئلة منهوكة، دفعت فلاسفة أوروبا إلى البحث عن الإبداع الفلسفي والتّجديد الموضوعي والمنهجي لهذا العلم العريق. ومن هؤلاء الأعلام الذين رأوا ضرورة تجديد الفلسفة : الفيلسوف البرتغالي (مانويل ماريا كاريلو *Manuel Maria Carrilho*) \* الذي فضّل استبدال هذا العلم القديم بآخر قديم أيضاً هو (علم البلاغة). يقول في هذا الشأن : " يبدو لي أنّ البلاغة هي بديل جدّ مميز للفكر النّسقي الذي تطوّر في الغرب... ويمكنني على الفور أن أضع تصوّري للفلسفة، وهو التّصوّر المرتبط بالسياق والبلاغة... فإنّ أهميّة الرّجوع إلى البلاغة لا حدّ لها " <sup>1</sup> خاصّة في هذا العصر الذي صار فيه العالم قرية صغيرة تحيي بأفكار مختلفة لا يمكن إحصاؤها.

ما دامت الفلسفة تدرس الأمور نظرياً وتضع لها القوانين والنّظريات منفصلة عن سياقاتها المتعدّدة والمختلفة من حين إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى، حيث تختلف القيم والأعراف حتماً، فالقانون الفلسفي الذي وُضِع وقُعد للبحث في هذه الظواهر الإنسانيّة في سياق ما، سيصطدم بأمور جديدة يعجز عن معالجتها كما كان ناجعاً في القضية الأولى التي وُضِع لها، وإن تشابهت المعطيات أحياناً؛ فالسياق التّاريخي والاجتماعي والثّقافي له عمدة الأمر في تحليل الظواهر الإنسانيّة وكشف مكنوناتها وأسرار حدوثها وتحولاتها. فإنّ القانون النّظري المنتزع من سياقه حاله كحال سقوط الحجر والرّيشة

\* أكاديمي وفيلسوف وبلاغي وسياسي برتغالي.

<sup>1</sup> مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة، ص 9

أثناء تجربة السقوط الحرّ، فإنّهما يسقطان بنفس السرعة ويصلان بنفس الوقت رغم الاختلافات الفيزيائية الكائنة بينهما، وليس ذلك إلاّ بسبب عزلهما عن الواقع الخارجي ومؤثراته الطبيعيّة، وكذلك النظريات الفلسفيّة التي عدّت يوماً ما قاعدة عامّة يُكتشف عجزها بعد زوال سياقها التّاريخي والاجتماعي والثّقافي.

تتوالى المناداة من الفلاسفة أنفسهم على تغيير النّسق الفلسفي بالبلاغة أو الأدب مثل "المتحلّقين حول موريس بلانشو MAURICE BLANCHOT وفيليب سوليرس PHILIPPE SOLLERS، فيطمحون إلى تجاوز الفلسفة بالكتابة الأدبيّة أو بواسطة الالتزام الثّوري"<sup>1</sup>

كما حاول بعض الفلاسفة إبداع فلسفة جديدة تقضي على فلسفة هيغل وديكارت، واصطلحوا عليها بـ " فلسفة اللّغة "، نذكر من هؤلاء : " جورج.إ.مور و راسل و فتجينشتاين. وكانت محاولة للقضاء على الفلسفة عموماً و الفلسفة الهيكلية على وجه الخصوص " <sup>2</sup>، ومن ثمة التّحوُّ على نسق تداولي يبحث في الأفعال المنجزة عن القول بمعنى البلاغة. أصبحت الفلسفة اللّغوية الجديدة - وتسمّى أيضاً الفلسفة التّحليلية <sup>3</sup> - باعاً قوياً لانتعاش النّقد الجديد وخاصة نظريّة البلاغة الجديدة لقربها من الفلسفة الأرسطية أولاً والمنطق والبرهان والجدل والخطابة من جوانب أخرى - مع اختلافها <sup>4</sup> عنهم بطبيعة الحال- فوجد فلاسفة القرن العشرين متنقّساً رجباً في هذه النظريّة لما تتمتع به من فساحة المجال

<sup>1</sup> جان ميشيل بسنيي، فكار الفلسفة المعاصرة ، ترجمة حسن لشهب عن *PHILISOPHIE DE NOTRE TEMPS* منشورات 2000 *SCIENCES HUMAINES*.

<sup>2</sup> الزواوي بغورة ، الفلسفة واللّغة، دار الطليعة بيروت، ط2005، ص195.

<sup>3</sup> ينظر أحمد عبد العليم عطية، الفلسفة التّحليلية، ماهيتها، مصادرها، مفكروها، العتبة العباسية المقدّسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1/ ص27 (الفلسفة التّحليلية تعتمد منطق التّحليل في أبحاثها، والتّحليل هو البدء بالكلّ والرجوع به إلى أصغر العناصر المكونة له وضده التّوليف).

<sup>4</sup> ينظر عباس حشاني، مصطلح الحجاج تقنياته وبواعثه، مجلة المخبير، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر، ع9/2013

واتساع الأفق أمام تعدد الآراء رغم اختلافها، الأمر الذي طالما رفضته عقلانية هيغل (*HEGEL*)، لأن " ما تؤاخذ عليه النزعة الهيجليّة ( *Hegelianisme* ) هو تلك الأطروحة القائلة بأن أكثر الأخطار يمكن أن ينتج عن أعلى درجات العقلنة، وهي الأطروحة التي وجدت نفسها تتأكد بطرق مختلفة" <sup>1</sup>، فالإسراف في عقلنة كل ما هو موجود سيصل حتماً إلى المسدود، ولنضرب لذلك مثلاً ميثاق الزواج بين الرجل والمرأة؛ فإذا ما حاول أي منهما بناء هذه العلاقة المقدسة على قواعد عقلية صارمة ومتناهية الدقة فإن علاقته الزوجية هذه لن تستمر أسبوعاً واحداً نظراً لطبيعة هذه العلاقة الإنسانية فهي عاطفية أكثر منها عقلانية حتى أننا نظن أن منطق العقل غير موجود أصلاً في هذا الميثاق الاجتماعي.

إنّ المبالغة في عقلنة كل شيء في الوجود جعل " الفلاسفة اليوم يشعرون بالحاجة لشرح الأسباب التي يملكونها للاستمرار في الثقة بالعقل : فمن أين يأتي الاختيار الذي يُلزمنا باعتماد المعالجة العقلانية للقيم التي تستهدف توجيه الفعل؟ وما مصدر إلزامية اختيار العقل؟" <sup>2</sup>. أصبح العقل موضع إشكالات فلسفية حول مدى الثقة في المعرفة العقلية، وأصبح الدرس الفلسفي المعاصر يشكك في قدرة العقل على الفصل في قضية القيم الإنسانية. كل هذه الأسئلة وغيرها يعتبر خادماً وممهداً لأجوبة كانت سبيلاً ومسوّغاً قوياً لبناء نسق علمي يسدُّ ثغرات عجزت عن سدّها العقلانية الفلسفية الحديثة، فكان الحلّ في الاتجاه نحو نسق جديد كامن في اللغة الطبيعية.

فلسفة اللغة أو الفلسفة التحليلية (*Analytic philosophy*) نظرية فلسفية معاصرة، حاول أصحابها إقامة نسق فلسفي جديد على أنقاض الفلسفة الكلاسيكية، يُعنى باللغة

<sup>1</sup> جان ميشيل بسنيي، أفكار الفلسفة المعاصرة / نتجمة حسن لشهب عن *PHILISOPHIE DE NOTRE TEMPS*

منشورات 2000 *SCIENCES HUMAINES*.

<sup>2</sup> المرجع نفسه.

الطبيعية التي يستعملها الفيلسوف في الدراسات المعرفية ، فتسعى الفلسفة إلى تحليلها رغبة في الوصول إلى حلول لما استعصى من مشكلات البشرية على الفلسفة الكلاسيكية.

رأى (ديفيد هيوم \* *David Hume*) أنّ هموم الفلاسفة الذين سبقوه ليست في محلّها وذلك لزعمهم بمعرفة العالم الخارجي ولم يتمكّنوا من ذلك<sup>1</sup>، ولذا كانت العودة إلى اللّغة؛ بوصفها المنطلق الأساس لكلّ تحليل فلسفي معرفي، فليس العالم الخارجي سوى صورة تجسّدت وتشكّلت في قوالب اللّغة، وكذلك الفكر الإنساني العادي والعالم ليس سوى أشكال لغوية، ويتمّ تحليل الموضوع في الفلسفة التحليلية باعتباره قضية فلسفية تردّ إلى أصغر جزئياتها المكونة لها، بحيث لا يمكن زيادة تجزئتها مرات أُخر، ثم تتمّ دراسة هذه الجزئيات الصغيرة كلّاً على حدة للتوصّل إلى كنهها ومن ثمة إلى المعرفة الكلية للقضية الكبرى.

وبعدّ هذا التيار الفلسفي ثورة على الفلسفة المثالية والتجريبية والعقلانية البرغماتية<sup>2</sup>. فقد أعطت الفلسفة التحليلية مركزاً مهماً للّغة الطبيعية في جميع الحقول المعرفية وعلى إثرها انتعشت البحوث اللغوية التداولية والبلاغية المعاصرة.

أمّا ديكارت (*Descartes*) زعيم العقلانية (*Rationalisme*) في الفلسفة الحديثة فيعتبر العدوّ الأول للخطابة والجدل<sup>3</sup> في العصر الحديث، فهو يفضّل البداهة والوضوح ويرفض (الديالكتيك *Dialectique*) (الجدل، فنّ الحوار) الذي يعتمد منطق الاحتمال لأنّه في رأيه يفسد العقول بدل تهذيبها<sup>4</sup>، إنّ عقلانية ديكارت تُلقى بكلّ ما هو محتمل في دائرة الخطأ ؛ فلا يمكن بناء نسق حاجي على مقدّمات يسلم بها المتلقّي دون نقدها بمنطق

\* ديفيد هيوم David Hume (1711/04/26م ت 1776/08/25م)، فيلسوف واقتصادي ومؤرخ اسكتلندي وشخصية مهمة في الفلسفة الغربية وتاريخ التنوير الاسكتلندي.

<sup>1</sup> ينظر العياشي ادراوي، الفلسفة التحليلية بين مازق لغة الكون وأفق لغة الإنسان، مجلة علامات، ع37 يناير 2012م.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه.

<sup>3</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة ، ص237

<sup>4</sup> ينظر ليونيل بلونجر، الآليات الحجاجية للتوصل، تر عبد الزفيق بوركي ، علامات 21، ص37

الصّرامة. فكان ديكرت حذراً جداً من الديالكتيين لأنهم - في نظره - قادرون على الوصول إلى نتائج ضرورية يسلم بها المتلقّي بناءً على مقدّمات حجاجية احتمالية، وذلك لأنّ العقل الإنساني قد لا يكلف نفسه إعادة النّظر في خطوات الاستدلال المعروف عليه وتفحصه ببطنة وبداهة<sup>1</sup>؛ لذا فإنّ (ديكرت) كان يرفض الخطابة والجدل ويعيد النّظر حتّى في العمليات المنطقية الصّارمة. موقف ديكرت هذا كان بمثابة الضربة القاضية للبقية الباقية من الدّرس البلاغي القديم حتّى انزوى إلى حدّ الاختفاء في أواخر القرن التاسع عشر.

شيّد علمُ الفلسفة صرحه على حساب بلاغة الحجاج التي لا زالت تتكلمش إمبراطوريتها حتّى اختفت من المدارس والجامعات الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وقد ظنّ الفلاسفة منذ ديكرت أن بلاغة الحجاج قد هدمت أركانها مع أنّهم في حاجة إليها في ممارساتهم اليومية ليحتجّوا على نظرياتهم الفلسفية<sup>2</sup>، فالحجاج آليّة إقناعية لا تتفكّ من اللّغة الطّبيعية، كما يحتاج إليها العقل البشري لبناء أحكامه على الموجودات سواء كانت أحكاماً ضرورية أو احتمالية ممكنة.

#### 4- الفلاسفة يمارسون الحجاج :

يصبو الفلاسفة إلى القضاء على بلاغة الحجاج لما يرون فيها من نقصٍ وبعدٍ عن الحقيقة واليقين؛ لكنّهم في الوقت ذاته يمارسون حجاجاً جدلياً أو خطابياً سواء وعوا الأمر أم لم يعوا، مثلما فعل سقراط عندما كان يحاجج جورجياس في شأن السّفسة وقد ذكرنا هذا الأمر في بحثنا هذا<sup>3</sup>. وقد احتجّ سقراط على جورجياس بطريقة حجاجية خالصة تعتمد الاحتمال، وهو يزعم أنّه يهدم الحجاج السّفسطائي بمنطق عقلي، فوقع في التناقض من حيث لم يدر. وكذلك كان الحال بالنسبة لهيجل الذي كان يبني مبادئ فلسفته من أجل

<sup>1</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصبية وحسان العصبية ص237

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص119

<sup>3</sup> ينظر بحثنا هذا (المدخل)، ص24/23.

الوصول إلى الحقيقة الكليّة على تخمينات<sup>1</sup> يخالجها الكثير من الاضطراب الذي يحول دون تحقيق الغاية الأسمى في معرفة حقيقة الكون.

لكن دعاوى ديكارت وأمثاله من أنصار العقل الفلسفي لم تمرّ بسلام مع البلاغيّ

المعاصر أوليفي ريبول (*Olivier reboul*) فقد تمكّن من انتزاع الدليل الهادم لهذا التّصوّر، وذلك ببرهنته على أنّ ديكارت نفسه يوظّف الحجاج بامتياز في نصوصه، واستشهد عليه بكلامه حيث وظّف العديد من المفردات التي تحمل شحنات الاحتماليّة؛ أي تحمل في طياتها منطقاً حجاجياً لغوياً بعيداً عن المنطق الصّوريّ فلسفيّ مثل قوله : (أنّه خطر لي...، نرى...، يغلب...، لاح لي...) <sup>2</sup>. يقول أوليفي ريبول معلّقاً على توظيف ديكارت ألفاظ الاحتمال في حجاجه : " لماذا الحجاج عند مؤلّفٍ رافضٍ له؟ في الواقع يستخدمه ديكارت تبياناً لضرورة تغيير الفلسفة، قبل أن يعرض فلسفته الخاصّة. لنقل إنّه يستعين بالحجاج لإبطال الحجاج." <sup>3</sup> هكذا يستفهم ( ريبول) عن غاية توظيف الحجاج في الدّرس الفلسفي العقلاني لدى رائده (ديكارت).

إنّه لنصّ قمينٌ بالاهتمام والدّراسة حيث ينفلت المنهج من مؤسّسه الأوّل ويتمرّد، كيف ولماذا؟ هل هو توظيف مقصود؟ اختياري؟ أم اضطراري؟ لم يجد منه ديكارت بدأً سوى الاستعانة بالحجاج الخطابي لتأسيس نظريته الفلسفيّة، هكذا تحيي بلاغة الحجاج على لسان الفيلسوف الذي يحاول أن يستنكفها. هذه البلاغة يعوّل عليها الفلاسفة والبلاغيون وعلماء اللّغة المعاصرون الكثير لبناء عالم حوارٍ متعدّد الأفكار والرّؤى دون منازعات أو شحناء لبناء عالم جديد يقبلُ بالآخر عن طريق الحوار الحضاري، وممارسة الاختلاف دون صدام.

<sup>1</sup> ينظر برتراند رسل، مشكلات الفلسفة، تر سميّر عبده، دار التّكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط1/2016م، ص153.

<sup>2</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص237، 238.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 238

ولنا في الفيلسوف العربي **طه عبد الرحمن** خير شاهد على أنّ المقالة الفلسفية لا يمكن لها الاستغناء عن الحجاج واستدلالاته حيث يقول : "فلما كانت الفلسفة خطاباً طبيعياً، فلا يفيدها تقليد أهل البرهان في صنع استدلالات صورية، لا هي ارتقت بها إلى درجة اليقين الرياضي، ولا هي هدتها سبُل التوجيه العملي. والحق أنّ الفلسفة الواعية بأصولها الطبيعية والتداولية التي ندعو إليها لا تبغي بمسالك الحجاج بديلاً، لأنّها وحدها الكفيلة في إطار مجال التداول ومقتضياته التفاعلية بأنّ تحصل الإقناع وتدفع إلى العمل"<sup>1</sup>. يرى **طه عبد الرحمن** أنّ لكلّ خطاب طبيعي فعالية حجاجية منبثقة من نواة تداولية تبنى حولها الجزئيات البانية له، وليست الفلسفة سوى نزر قليل من جملة هذه الخطابات ، فأتى لها أن تستقلّ بمنطق خاصّ بها سوى منطق الاحتمال المدمج في اللغات الطبيعية؛ لغة كلّ خطاب إنساني. كما يظهر من قول هذا الفيلسوف أنّه يتبنّى فكرة فلسفة اللّغة بديلاً عن النسق الفلسفي الكلاسيكي.

### 5 - الأحادية والتعددية بين الفلسفة والحجاج :

كان النقد اللاذع للعقلانية من الفلاسفة أنفسهم محاولين العمل على انفتاح الدرس الفلسفي على حقول علمية أخرى على رأسها حقل اللّغة الإنسانية ونظريات الحجاج التي ولد منها وفيها. ومن هنا صار الأمر ملحاً " لاستئناف التفكير في مشروع العقلانية، دون السقوط في المثالية أو استبعاد عطاءات العلوم شريطة أن تكون عقلانية نسبية تعاند كلّ انزلاق نحو الدوغمائية\* أو الكليانية وذلك لأنّ العقل أكثر كليانية من أي نسق كان"<sup>2</sup> وها

<sup>1</sup> طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2/ص66

\* الدوغمائية Dogmatic : حسب مكتشفها العالم الأمريكي (ميلتون روكش) تعني عدم قدرة الشّخص على تغيير جهازه الفكري عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك، أي إنها لا تسمح لصاحبها بإجراء أي تغيير أو تعديل أو تبديل في أفكاره حتّى عندما تكون هناك أسباب تستدعي إجراء مثل هذه المراجعة. <https://qafilah.com> (2021/05/01م)

<sup>2</sup> محمد نورالدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة(نموذج هابرماس) إفريقيا الشرق ط2/1998، ص



هي النسبية تعود لتنفذ الغبار عن نفسها بنقد العقلانية المتمزّنة وصولاً إلى نسقٍ آخر أفضل يحافظ على قيمة العقل دون تأليهه وتوجيهه بالوحدانية، عقل يحترم الرّأي والرّأي الآخر، وليس الاختلاف سبيلاً نحو التنازع دائماً إنّما هو غنى فُطرت عليه العقول البشرية. وعليه نقول: إنّ أرسطو كان أكثر وعياً وانفتاحاً على الفكر الإنساني والقيم الأخلاقية والأحكام القضائية التي يعجز العقل البرهاني عن دراستها والوصول بها إلى إجابات ضرورية يقبل بها كلّ أطراف الحوار الفكري البشري عامّة، لذا فإن هذا الفيلسوف اليوناني قد انتبه إلى ما هو ضروري في الوجود وإلى ما هو احتمالي، وإلى ما هو أحادي النّظر والاستدلال، وإلى ما هو تعددي يقبل الرّأي وما يخالفه. إذن جدلية الضرورة والاحتمال (المنطق الصّوري والمنطق الطّبيعي) ثنائية تتشابك داخل الفكر أو العقل الفردي والجمعي، فأبناء المجتمع الواحد في أعرافه يكادون يجمعون - في الغالب - على القيم الإنسانية إجماعاً احتماليا تواضعت عليه الأمم في نواميسها سماوية كانت أم وضعيّة، ولا يراعون فيما تواطؤوا عليه الصّواب أو الخطأ وبأيّ معيار كان ديني أو قانوني ، وبأيّ منطقٍ فلسفي أو جدلي خطابي؛ فهم قد قبلوا بما اتّفقوا وتعارفوا عليه، ليكون منطقهم وفكرهم الجامع في هذه الحياة.

وقد تجلّى الوعي الأرسطي بهذه الثنائية (الضرورة والاحتمال) في الفكر والنفس البشريين عندما وضع فرقاً بين الفلسفة والبلاغة؛ بين الضرورة والاحتمال، فألف كتابين مختلفين أحدهما كتاب ( *Topique* ) خصّه بالحجاج الفلسفي (النظري) وهو موجّه للتأثير في الذّهن<sup>1</sup> بين الخاصّة من العلماء والحكماء والفلاسفة، أمّا عامّة الناس فيعسر عليهم النّظر والاستدلال والبرهان الرّياضي في المسائل العلميّة البعيدة فهماً وتأويلاً. فخصّ أرسطو الخطباء الذين يتوجّهون إلى العامّة بخطاباتهم بكتاب الخطابة ( *Rhetorique* ) وهو

<sup>1</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، ص17

خاصً بالنظر في أحوال الناس و في خصوصيات الجمهور الذي يتلقى الخطاب<sup>1</sup>، ومراعاة المواضع التي يقبل منها المتلقي الحجج الممكنة والاحتمالية، وكيفية بناء الخطاب الحجاجي حسب المقام والسياق وحال المتلقي ، والمواضيع التي يعالجها الخطباء بعيدة تماماً عن المواضيع التي يتناولها الفلاسفة.

إذن صار لدينا مبحثان حججيان مختلفان باختلاف المتلقي؛ الحجج الفلسفي يقصد إلى إقناع الفلاسفة والعلماء وأصحاب النظر من الخاصة، ويبحث عن اليقين والحقيقة ويفتس عن أصل الوجود ومصيره وفي كنه الموجودات باستدلال منطقي محكم. أما الحجج الخطابية فيوجه إلى عامة الناس، وذلك في صور استدلالية أقل صرامة لأنه يمارس شيئاً من الليونة والسعة والسطحية أحياناً في تقديم قضاياها للمصادقة عليها، وهذا ما قاله ابن سينا : " والخاصي لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق الخواص إلا بالبرهان، والعامي لا ينتفع من حيث يحتاج أن يصدق تصديق العوام إلا بالخطابة؛ فالصناعتان التافعتان في أن يكتسب الناس تصديقاً نافعاً هما: البرهان والخطابة"<sup>2</sup>.

يؤكد لنا كلام ابن سينا أن أرسطو كان أول من ميز بين الخطاب الموجه إلى العالم والكلام الموجه إلى العامي، إذ الفرق بين الخطابين يفرضه الفرق بين الجمهور، وليس خطاب الخاصة كخطاب العمّة. وقد تأثر الفلاسفة المسلمون بالقواعد الأرسطية وعملوا بها في تأسيس النسخة العربية من الفلسفة والبلاغة، كما تأثروا بمنطقه وعملوا به في علومهم. رأينا أن الفلسفة اكتسحت مجال العلوم على حساب البلاغة التي انزوت إلى حدّ الاختفاء في ظلّ خلو الساحة . تطوّرت الفلسفة مع ديكارت ثم هيجل إلى أن صارت

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجج، ص 17.

<sup>2</sup> ابن سينا، المنطق، ص 790.

العقلانية الأحادية (*Rationalisme*)<sup>1</sup> لا تقبل التّعُدُّ في الرّأي ولا تلتفت إليه بسبب تأليه العقل عند هؤلاء، وتتويجه كمرجعية الإنسان الأولى التي لا بدّ له أن يقُدِّسها ويستشيرها في كلّ أمر يلمُّ بالبشريّة. " إن العقل عند هيغل هو الفكر الجدلي، أي المحو المطلق لعالم الرّأي المشترك"<sup>2</sup>، وهو مولد الأنظمة السياسيّة المستبدّة. وهذه النزعة الأحادية في العقلانية الديكارتيّة وصلت في أوروبا إلى المسدود في نهاية القرن التاسع عشر.

ويأبى الواقع والتّاريخ إلّا أن يكشف عوار هذه النّظريات الإنسانيّة وقصورها، ويعلن سقوطها وهدمها من ذاتها. فقد " كان هذا القرن واحدياً في جميع مظاهر إنتاجه على التّقريب، لكنّ كلّ حركات نهايته هي على الضدّ تماماً ؛ تعدّديّة؛ أي أنّها تعترف بتعدّد درجات الوجود وبأنّ هناك كثرة من الموجودات المستقلّة " <sup>3</sup> والمسائل المختلفة عن بعضها في تشكّلها وطريقة مساءلتها والتّقنين لها ومعالجتها كلّ حسب طبيعتها.

رأى الباحثان (بيرلمان وتيتيكا) أنّ إعادة بعث بلاغة الحجاج يتماشي مع العقلانية المعاصرة التّعدّدية التي بدأت في الظهور مع أزمة الفلسفة الأوروبيّة في مطلع القرن العشرين، البلاغة الجديدة التي تتقبّل اختلاف الأحكام، كما تتحاز إلى التّعدّدية التي أظهرت التّعاطف حتّى مع مذهب تعدّد الآلهة<sup>4</sup>. وقد قامت على نقض عقلانية ديكارت وهيغل التي تتحاز إلى الحقيقة الواحدة دائماً<sup>5</sup>. فقد كان ديكارت لا يقبل وجود إجابتين مقبولتين لسؤال

<sup>1</sup> العقلانية *Rationalisme* مذهب فلسفي يقصد به الإقرار بأوليّة العقل وتؤمن به على أنه القادر على معرفة الحقيقة والواقع. وهو مذهب ديكارت وسبينوزا وهيغل وفولف. ( ينظر جلال الدين سعيد معجم المصطلحات والشواهد الفلسفيّة دار الجنوب للنشر تونس 2004 ص291)

<sup>2</sup> محمد نورالدين أفاية، الحداثة والتّواصل في الفلسفة النّقدية المعاصرة(نموذج هابرماس) إفريقيا الشرق ط2/1998/ ص 29

<sup>3</sup> إ.م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا تر د. عزت قرني ص 45سلسلة عالم المعرفة 165 سبتمبر 1992 الكويت.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه.

<sup>5</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج ص18

واحد، لأن الحقيقة عنده واحدة؛ فكلاً أطلق اثنان حكيمين مختلفين على شيء واحد فأحدهما صادق والآخر كاذب<sup>1</sup>؛ اعتماداً على مبدأ التناقض\*.

مع هذا الموقف الرافض للعقلانية الديكارتية وجدت العقلانية التعددية المعاصرة والبلاغة الجديدة متفكراً لها، حيث قامت على القبول باختلاف الأحكام وتعددها لإيجاد التعايش بين أفراد مختلفين في الآراء والأفكار والأعراق دون أيّ عنفٍ. فبلاغة الحجاج لا يكمن ممارستها وتطويرها " في مجتمع شمولي واستبدادي، فوجوده (الحجاج) ليس له معنى إلا في مجتمع يتساوى فيه أفراد، أو - على الأقل - يكون مجتمعاً متعدداً يتمّ إتخاذ القرارات فيه بطريقة جماعية"<sup>2</sup>، فالحجاج عن طريق المناظرة يعين على بناء واقع اجتماعي يقرّ بالمبادرة الفردية وبالنزعة الجماعية معاً لإيجاد الحلول التوافقية للمسائل الاستشارية<sup>3</sup>، لذلك يمكننا اعتبار الفلسفة التعددية\* أهم مرجعية أسهمت في بناء بلاغة حجاجية كما كانت كذلك أول الأمر في بيئة يونانية ديمقراطية.

العلاقة الجدلية المتجددة بين الفلسفة والبلاغة يرى فيها بيرلمان شيئاً من التّجاوز لهذه الأخيرة. " فإذا كانت الفلسفة - عنده - تسمح بتوضيح المفاهيم الأساسية للبلاغة والجدل وتدقيقها، فإنّ المنظور البلاغي يسمح بفهم المهمة الفلسفية بذاتها بشكل أفضل، بتحديد

<sup>1</sup> ينظر عبدالله صوله ، الحجاج تقنياته أطره ومنطلقاته من خلال مصنّف في الحجاج ، البلاغة الجديدة، ضمن مصنّف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف حمادي صمود ص 304  
\* مبدأ التناقض : أمران متناقضان لا يكن أن يكونا صادقين معاً. ينظر ليونيل بلونجر، الآليات الحجاجية للتواصل، علامات 21/ص36

<sup>2</sup> فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر محمد صالح ناحي الغامدي، ص14

<sup>3</sup> ينظر طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص68.

\* يسميها طه عبد الرحمن: الفلسفة التداولية وهي عنده الفلسفة التي تعتمد منطقاً احتمالياً طبيعياً قاراً في الخطاب اللغوي الطبيعي. ينظر نفس المرجع.

وفق عقلانية تتجاوز فكرة الحقيقة " <sup>1</sup> . هاجس الحقيقة والبداهة الذي أرق الفلاسفة عبر العصور شكّل الفارق الأساس الذي حاول ( بيرلمان ) من خلاله أن تتجاوز البلاغة الجديدة الفلسفة الأوروبية الحديثة. فالضروري والبدهي واليقين مشهور بين الناس ولا تردّه الفطر السليمة، أمّا المختلف فيه بين الناس تتفاوت الآراء حول مصداقيته وصحّته فيسميه **بيرلمان** المحتمل **Propable** الذي اتخذ منطقالاً جديداً لبلاغته الجديدة .

ويكون منطوق (المحتمل/الممكن/المعقول) في النسبيات من الأمور كالقيم والأخلاق وتشريع القوانين لمستجدات الأمور، ومدى صلاحيتها عبر الزمن، ومواءمتها لتطور المجتمعات المعاصرة. فبلاغة بيرلمان؛ بلاغة الحجاج الاحتمالي التي يسعى أصحابها إلى دراسة ومعرفة " التقنيات القولية التي تُمكن من إثارة أو تنمية انخراط العقول في الأطروحات التي تقدّم إليها لتتال رضاها... " <sup>2</sup>؛ فالحقيقة في البلاغة الجديدة مغايرة للحقيقة في الدرس الفلسفي الكلاسيكي، فالبلاغة تُسند الحقيقة إلى التوافق في الرأي والإجماع عليه والتفاوض رغبةً في إلغاء المسافات الفاصلة بين الآراء <sup>3</sup>، فيحاول الخطيب أن يبني الحقيقة التي توافق آراءه اعتماداً على بلاغة الحجاج لكسب موافقة الجمهور فيما يطرح عليه دون إكراه أو إلزام، وكسب التأييد لأفكار الخطيب في سبيل تشييد الحقيقة المنشودة، التي تصير في ما بعد قوانين أو مبادئ تخضع لها الجماعة.

الحجاج هو " البديل الإنساني عن العنف وهو المقياس المختبر لمدى الاستعداد للقبول بالآخر وبمغايرته للذات، يصبح الحجاج القدر المصاحب لكلّ من اختار العيش المشترك،

<sup>1</sup> مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة تراديس كثير وعزالدين الخطابي ، منشورات دار مابعد الحداثة فاس، ط

2001.ص108

<sup>2</sup> Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, *Traité de l'argumentation, édition de l'universtède bruxelles*, p5

<sup>3</sup> ينظر ناصر عمارة، الفلسفة والبلاغة : مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي منشورات الاختلاف ص63

لأنه الدليل على التَّحْمُل المتبادل"<sup>1</sup>. هذه طبيعة الحياة الإنسانيّة، فالإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، فمن تحمّل الاختلاف أصبح تواصله حجاجيا، ومن النَّاس من يلجأ إلى طرائق غير إنسانيّة في معالجة خلافاته، تُنبئ عن رفضه للخلاف الفطري بين البشر سواء في بيئته المحدودة أو الأوسع منها (العالميّة).

بين الحقيقة العقلانيّة والاحتمال البلاغي استطاع (بيرلمان) أن يقدم أنموذجا نقدياً للفلسفة الأحاديّة (عقلانيّة ديكارت وهيغل) التي كانت تنشد مبادئ مثاليّة لا يمكن تحقيقها عملاً واقعيّاً، فهي لم تعد قادرة على ممارسة تلك الهيمنة المطلقة والمزعومة على الحياة والعقل الإنسانيين<sup>2</sup>، عكس الحجاج الذي ترتبط فيه الفكرة بالعمل، فيرجع صدق القضية إلى القبول بها وممارستها في الواقع<sup>3</sup>.

ابتدع (شايم بيرلمان) نظريّة البلاغة الجديدة التي تهدف إلى معالجة وجهات النّظر وتقليص المسافة بين الآراء والقضاء على سوء الفهم<sup>4</sup>، متكلّماً في بناء نظريته على فلسفة تداوليّة تؤسّس لعقلانيّة تعدديّة موازيّة للأحاديّة " تتحدّد انطلاقاً من المعايير التي اتّفق المتناظرون على اتّباعها... معايير منطقيّة غير صوريّة (تجريبيّة) \* ووظيفيّة، إذ مبانيتها لا تفارق معانيها ومعانيها لا تفارق أصولها التّداوليّة، ومبانيتها ومعانيها موجّهة أنسب توجيه

<sup>1</sup> محمّد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار: تكوين ملكة الحجاج والتّناظر الفكري، مركز نماء للبحوث والدراسات بيروت ط1، 2014، ص28

<sup>2</sup> ينظر جان ميشيل بسنيي، فكار الفلسفة المعاصرة ، نتجمة حسن لشهب عن *PHILISOPHIE DE NOTRE TEMPS* منشورات 2000 *SCIENCES HUMAINES*.

<sup>3</sup> ينظر عبدالله صولة الحجاج منطلقاته تقنيات وأطره ضمن الحجاج في النّقايد الغربيّة لحماي صمود ص 304

<sup>4</sup> تصادفتنا فكرة ( البلاغة الجديدة هي معالجة سوء الفهم) عند أيفور أرمسترونج ريتشاردز : ينظر مقال فلسفة البلاغة ترجمة : حسن البنا عزالدين، مجلة أبعاد العدد 6- 2010/02/01.

\* هكذا رسمت في الأصل، وهي نسبة إلى التّجربة وليس التّجريب.

لتحقيق الغرض المقصود...<sup>1</sup>، ورأس سنام الأمر كلّ في بلاغة الحجاج على إقناع المتلقّي بما يطرح عليه واستمالته للقبول به وتبنيّه منها عملياً في الحياة بأسلوب حضاري.

وجد (بيرلمان) جسر العبور من الفلسفة الأحاديّة إلى البلاغة الجديدة في فلسفة معاصرة : هي فلسفة القيم التعدّدية ( *Philosophie Morale Pluratiste* )<sup>2</sup>. ويصرّح بيرلمان أنّه قد أخذ هذه الفلسفة عن أستاذه الفيلسوف البلجيكي وعالم السّوسولوجيا والأخلاق : (أويغن دوبريل - *Eugene Duprèel* 1879-1967م)<sup>3</sup>. وقد عرض هذا الفيلسوف إلى تطبيقات الفلسفة الأخلاقيّة التعدّدية على المشاكل السّياسيّة والاقتصاديّة القائمة في أوروبا آنذاك. فبعد منتصف القرن العشرين استفاقت أوروبا على أشنع الحروب على مدى تاريخ البشريّة على الإطلاق، وتعلّمت منها النّخبة درساً كان باعثاً على توجّهات فكريّة جديدة مع حركة فلسفيّة نشيطة شهدها مطلع القرن العشرين<sup>4</sup>، فقد كان الإحباط الذي نتج عن كوارث تاريخ القرن العشرين إحباطاً عظيماً، زرع بشدّة ثقة الفلاسفة في قوّة الأفكار الإنسانيّة<sup>5</sup> ممّا دفع بالفلاسفة إلى مراجعة فلسفة ديكارت وهيغل التي أعطت للعقل الواحد السّيادة على الفكر والحكم.

بدأ البحث عن المخرج من هذه السّياسات الدّكتاتوريّة الأحاديّة التّوجّه؛ التي لا تعرض قراراتها للنّقاش على نخبة تُسيّر أمور الدّولة، إنّما يتفرد الحاكم بسلطة القرار المطلقة. "وعند انفجار عنف الحرب العالميّة الثّانية، وفي مقابل فضيع فظاعات معسكرات

<sup>1</sup> طه عبد الرّحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 67

<sup>2</sup> ينظر شاييم بيرلمان، (فلسفة الحجاج التعدّدية وإشكاليّة البلاغة الجديدة) ترجمة أنوار طاهر، موقع الناقد العراقي تاريخ 2015/08/20م

<sup>3</sup> ينظر المقال نفسه.

<sup>4</sup> ينظر إ.م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا تر. د. عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة 165 سبتمبر 1992 الكويت. ص 47.

<sup>5</sup> ينظر جان ميشيل بسنيي، فكار الفلسفة المعاصرة، ترجمة حسن لشهب عن *PHILISOPHIE DE NOTRE*

التصفيّة النّازيّة، وأمام جنون الأنظمة الكليانيّة، أصبح إخضاع العقل عند الفلاسفة لنقد لاذع أمراً مستساغاً. ولعلّ ذلك هو العنوان البارز للمرحلة التي تنتهي اليوم<sup>1</sup>. أمام واقع مشحون بالنزاعات والحروب دفع الفلاسفة والنقاد والخطباء والسياسيين إلى القبول بعقلانيّة جديدة هي عقلانيّة التّعّد، التي تناهض الأساليب القائمة على الاستدراج ( *Manipulation* ) وكلّ أشكال السيّطرة الإيديولوجيّة<sup>2</sup> أيّاً كان مرجعها (نازيّة أو فاشيّة، أو اشتراكيّة)، حينئذ انتعشت البيئة الحاضنة لنظريّة بيرلمان : البلاغة الجديدة أو الحجاج الاحتمالي. وهي امتداد وتجديد لخطابيّة<sup>3</sup> أرسطو التي قامت مناهضة لإيديولوجيا السّفسطة التي تستدرج العامّة وتسيطر عليها متوسّلة حجاجاً موهماً.

كان (بيرلمان) دائماً يؤسّس لنظريته بخلفيّة إغريقيّة أرسطيّة<sup>4</sup> مع تجديد وتوسيع في جوانبها تماشياً مع تجدد الموضوع والمنتقّي. ولأنّ " مهمّة الخطابة هي البحث في الأمور التي يُشاور فيها والتي ليس لدينا عنها قواعد منظّمة، وذلك في حضرة مستمعين عاجزين عن اتّخاذ نظرة في أمر ذي درجات عديدة"<sup>5</sup>، كما تستوعب البلاغة تلك القضايا التي تتفلتت من الضّرورات المنطقيّة والفلسفيّة<sup>6</sup>. فهذه الخصائص التي تميّزت بها بلاغة بيرلمان الجديدة عن الفلسفة كانت كفيلة بمنح هذه النظريّة فرصة الانتعاش والانتشار في أوروبا

<sup>1</sup> جان ميشيل بسنيي، فكار الفلسفة المعاصرة، نتجمة حسن لشهب عن *PHILISOPHIE DE NOTRE*

*TEMPS* منشورات *SCIENCES HUMAINES 2000*.

<sup>2</sup> ينظر فيليب بروتون و جيل جوتنيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص14

<sup>3</sup> مصطلح ( خطابيّة) مقابل لخطابة أرسطو وضعه د. محمد العمري على وزن شعريّة أرسطو، ينظر محمد العمري

البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، دار إفريقيا الشرق 2012، ص13.

<sup>4</sup> ينظر مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة تر إدريس كثير وعز الدّين الخطابي، منشورات دار ما بعد الحداثة فاس، ط 2001، ص106.

<sup>5</sup> محمد العمري، مقال : المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مج دراسات سيميائيّة أدبيّة ع5. ديسمبر 1991.

<sup>6</sup> ينظر عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة ص54.



وخارجها. كما كانت سبيلا لإنقاذ أوروبا من سلطة الحاكم الأحادية وإخراجها إلى التعددية السياسية<sup>1</sup>.

ولدينا رأي جدير بالذكر في هذا المقام؛ مقام النزاع بين الفلسفة والبلاغة وأيهما أحقُّ بسمة العلمية التي تفرِّج مشاكل العالم التي ما تتفكُّ تنتهي منذ وجدت الخليفة على هذه البسيطة. يقول (أوليفي ريبول) بعد عرضه لآراء أفلاطون وموقفه من الخطابة "يقدم لنا أفلاطون خطابتين... خطابة السفسطائيين وإيزوقراط، ليست فناً لكنها تملُّق كاذب. والثانية ليست إلا تعبيراً عن الفلسفة. واليوم نجد هذه الثنائية العقيمة، بين إشهار لا يبحث إلا عن الإرضاء لأجل البيع، وعلم إنساني مزعوم، ليس يحلّ المشاكل الإنسانية ويمتنع أيضاً عن طرحها"<sup>2</sup>.

يقصد ريبول بالعلم الإنساني الفلسفة التي كان يؤسس لها أفلاطون على أنقاض الخطابة، ويرى فيها - أفلاطون - العلم الصحيح الذي يصل بالإنسان إلى الحقيقة السماوية أو الإلهية كما زعم في جمهوريته ، إلا أنّ الواقع اليوم لازال هو كما كان أيام أفلاطون. وضع (أوليفي ريبول) فلسفة أفلاطون المثالية موضع التهمة إذ وصفها مع السفسطة بوصف (الثنائية العقيمة) و(العلم المزعوم) وهي تهم ثقيلة على كاهل الفلسفة المثالية إذ توضع في كفة واحدة مع عدوها التقليدي؛ (السفسطة).

يقترح (أوليفي ريبول) نسقاً بلاغياً<sup>3</sup> كحلّ بديلٍ عن السفسطة المعاصرة متمثلة في الإشهار المزيّف الذي لا يهّمه سوى منفعة البيع والكسب على حساب الزبائن، وعن الفلسفة التي لا زالت عاجزة حتى عن طرح القضايا العالمية طرحاً حقيقياً نستطيع أن نقول عنه علماً إنسانياً يتحمّل الجواب عن الأسئلة العالقة بين بني البشر أنفسهم أو بينهم وبين الوجود. وهذا

<sup>1</sup> ناصر عمارة البلاغة والفلسفة، ص65

<sup>2</sup> أوليفي ريبول ، مدخل إلى الخطابة، ص48

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص48

الموقف من الفيلسوف أوليفي ريبول موقف آخر يؤكد الرأي القائل بعجز الفلسفة عن كونها العلم الإنساني الذي يتولى النظر في مشكلات البشرية جمعاء.

### 6- الفلسفة التحليلية مرجعاً للحجاج اللساني :

من الحقول العلمية التي تعدُّ مرجعاً فلسفياً مهماً لنظرية الحجاج المعاصرة هي الفلسفة التحليلية، فقد شكّلت هذه الفلسفة معينا للتداولية التي جاء بها (أوستين وسيرل) وأصبحت فيما بعدُ مصدراً فكرياً انتعشت بفضلها نظرية الحجاج اللغوي التي تعتمد " التحليل الحجاجي [للغة] خاصة مع لسانيين فرنسيين أمثال أوزفالد ديكرو (O.Ducrot) وكويرات أوريكيوني (C.Kerbrat Orecchioni)<sup>1</sup>.

ونظرية الفلسفة التحليلية *Philosophie Analytique* نظرية قديمة استوت مع الفيلسوف الألماني (فريجه *Friedrich Ludwig Gottlob Frege* ت 1925م) الذي انتهى إلى القول بأن الرياضيات ليست إلا صوراً تحليلية لقضايا المنطق<sup>2</sup> تبلورت في صور رمزية مما أكسبها إضافة إلى الاختصار دقة أكبر من الصور اللغوية للمنطق الكلاسيكي. وكل من تبني المنهج التحليلي في الدرس اللغوي المعاصر يعدُّ عالماً على الألماني (فريجه). أعادت الفلسفة التحليلية المكانة العلمية للغة الطبيعية بعيداً عن الخرافات والأساطير إذ " يرى (مايكل ديمت *Michael Dummett* ت 2011م)\* في كتابه (أصول الفلسفة التحليلية) أنّ ما يميز الفلسفة التحليلية عن غيرها من الفلسفات، هو قناعتها بأن التحليل الفلسفي للغة يؤدي إلى تفسير فلسفي للفكر، وأنّ هذا التحليل الفلسفي هو الطريقة الوحيدة للوصول إلى تفسير شامل، وبذلك شكّلت الفلسفة التحليلية طريقة جذرية في الممارسة

<sup>1</sup> فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، ط1/2007، ص26.

<sup>2</sup> ينظر أحمد عبد الحليم عطية، الفلسفة التحليلية، ص65/66.

\* ميخائيل ديمت *Michael Dummett* : هو فيلسوف بريطاني ولد في 1925 في مدينة لندن، من أشهر الفلاسفة البريطانيين الذين تكلموا عن التكيف العرقي والمساواة، درس تاريخ الفلسفة التحليلية وتأثر بتعاليم جوتلوب فريجه، اختص بمواضيع فلسفة الرياضيات و فلسفة المنطق و فلسفة اللغة وفلسفة ما بعد الطبيعة. ت2011م.

الفلسفة الحديثة والمعاصرة، وحوّلت موضوع الفلسفة برمتها إلى موضوع خاصّ باللّغة<sup>1</sup> حتى أصبحت في الدّرس الفلسفي المعاصر منعطفاً بارزاً اختلف عن الفلسفة التقليديّة إذ استبدلت موضوعاتها القديمة بموضوع اللّغة الطّبيعيّة بالإضافة إلى ما قدّمته الفلسفة الوضعيّة الجديدة والتّجريبية التي جعلت من الدّراسات اللّغوية موضوعاً مركزياً في الفلسفة المعاصرة<sup>2</sup>.

ازدهر منهج التّحليل في العلوم المعاصرة وخاصّة في الدّراسات اللّغوية، وقد صار آليّة قارّة في الدّراسات الحجاجيّة اللّغوية في البلاغة الجديدة، فالحجاج اللّغوي يسعى إلى تحليل أيّ تركيب لغويّ يحمل حكماً ما للنّظر في صحّة ذلك الحكم، وكيفيّة الاحتجاج عليه انطلاقاً ممّا يحمله هذا التّر كيب من سمات معجميّة وصرفيّة وتركيبية ودلاليّة تصلح وفق قانون الأجدى لخدمة الحُكم (النتيجة) الناتج عن القضية المطروحة الجملة (الخبر) مدعّمة بعدّة حجج مضمرة أو ظاهرة.

" يرى الفيلسوف النمساوي (فتجنشتاين *Ludwig Wittgenstein* ت 1951م) أنّ اللّغة وما تحمله من معنى تهدف إلى ممارسة التّأثير في غيرنا بالإضافة إلى الفهم والتّمثيل"<sup>3</sup> وهذا التّأثير هو ما التّقطه أوزفالد ديكر وضمّه إلى نظريته الموسومة بللحجاج اللّساني، فالنتائج في المتلقّي عنده ليس سوى عمليّة حجاجيّة تتم داخل التّراكيب اللّغوية ، بل بالغ ديكر و في الأمر أنّ جعل اللّغة كلّها حجاج يُقصدُ به التّأثير.

جعل (أوغست كونت) صاحب الفلسفة التّحليليّة العلوم أنواعاً أربعة : العلوم المنطقيّة (الرياضيات) التي تدرس كلّ الأشياء، وعلوم الأجسام أي (الفيزياء)، وعلوم الكائنات الحيّة (البيولوجيا)، والعلوم الخاصّة بالمجتمع الإنساني (علم الاجتماع). ويرى أنّ علوم اللّغة تشترك بين حقلي البيولوجيا والسّوسيوبيولوجيا مجرداً إيّاها ممّا علق بها من نظريات ميتافيزيقية

<sup>1</sup> الزواوي بغورة، الفلسفة واللّغة، نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة بيروت، ط1/2005م، ص84.

<sup>2</sup> ينظر الزواوي بغورة، فلسفة اللّغة ص88

<sup>3</sup> الحجاج والمغالطة دراسة تداوليّة في سورة الفرقان ص13

قديمة. فإنتاج اللّغة يبدأ بيولوجيا على المستوى العصبي (مراكز اللّغة في الدّماغ) ثم ينتقل على المستوى السّوسولوجي باعتبار اللّغة كائناً اجتماعياً<sup>1</sup> تسهم المجتمعات في صياغتها صوتياً وتركيبياً ودلالياً على نحو يتواطأ عليه أفراد الجماعة. وهذا التّأصيل الفلسفي لِكُنْهِ اللّغة البشريّة يجرّدها من النّظريات الميتافيزيقية التي تبحث في أصول نشأة اللّغات لكن لم تصل تلك الدّراسات إلى نتائج وتفسيرات علمية يعتدّ بها في البحث العلمي.

كما أنّ الطّابع الاجتماعي للّغات الإنسانيّة " يجعلها بالضرّورة خاضعة لسنن التّقدّم والتّطور"<sup>2</sup> والتّغيير الذي يلحق طبائع الإنسان، فالكثير من اللّغات تقادم عليها الزّمن فاندثرت ومنها ما تغيّرت وتفرّعت عنها لغات جديدة لم تعرف من قبل مثل ما حدث مع اللّاتينية التي خرجت من رحمها اللّغات الأوروبية المعاصرة، ولم يصمد أمام تغيّرات الزّمن إلا اللّغة العربيّة التي ما زالت تحافظ على شكلها الأوّل إلى يوم النّاس هذا لتكون بذلك اللّغة الخالدة التي ينبغي لأهل العلم أنّ يتّخذوها عيّنة في بحوثهم اللّسانية لما امتازت به عن اللّغات الأخرى عبر العصور.

اعتمد النّحويون العرب طريقة التّحليل اللّغوي قديماً، إذ كانوا يبحثون في البنية الأولى للكلمة، فيجرّدونها ممّا أضيف إليها من زوائد الحروف ليصلوا إلى جذرها الأوّل، فيمكّنهم ذلك من تصنيفها معجمياً ودلالياً. وكذلك فعلوا مع التّراكيب اللّغوية في علم النّحو، فليس هذا العلم سوى تحليلاً لغوياً يصنّف الألفاظ حسب مواقعها الإعرابية بقصد بيان مكانة اللفظة من النّظم والدّلالة، إلى أنّ أوصلهم هذا التّحليل إلى معاني النّحو وعلم البلاغة. كما مكّنهم من دراسة الانزياح الأسلوبي والفوارق التي يحدثها في القرآن الكريم والشّعر العربي وما ينتجه الانزياح من جماليات بلاغية بين تركيب وآخر.

<sup>1</sup> ينظر الزواوي بغورة، فلسفة اللّغة، ص87

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص87.

وعليه يمكننا ملاحظة أسبقية علماء اللغة العربية في الممارسة التحليلية للغة على طريقة نظرية الفلسفة التحليلية، لكنهم لم يعتنوا بذلك المنهج من جهة التّظير، فلم يصطلحوا عليه تحليلاً أو تفكيكاً كالمصطلحات المنتشرة في اللّسانيات المعاصرة بل كان همّ اللغويين القدامى الوصول إلى النتيجة فقط.

# المبحث الثالث

﴿ المنطق الطبيعي بدلاً عن المنطق الصوري ﴾

### المبحث الثالث : المنطق الطبيعي بديلاً عن المنطق الصوري :

#### 1- تمهيد: هيمنة المنطق الأرسطي على المعرفة

قبل أكثر من ألفي سنة ، وضع الفيلسوف اليوناني (أرسطو *Arestote*) قانوناً يحمي العقل البشري من الوقوع في الخطأ ويعينه على التّعقل إلى أبعد حدّ ممكن، اصطُح عليه بـ(المنطق)؛ ذلك العلم المعياري الذي يدرس المبادئ العامة للفكر الإنساني ويعينه على إقامة استدلال برهاني سليم، وطرح أرسطو أسسَ نظرية المنطق في كتابه الأورغانون *Organon*<sup>1</sup>. والأورغانون "مجموعة كتب أرسطو في المنطق. و«أورغانون» كلمة إغريقية تعني «الألة». وسميت بهذا الاسم لأن المنطق عند أرسطو هو «آلة العلم» أو وسيلته للوصول إلى الصواب"<sup>2</sup>. وقد سيطر المنطق الأرسطي ذو الطابع الصوري على المعرفة الإنسانية لأكثر من ألفي سنة، واصطبغت به مختلف المعارف النظرية.

إنَّ المنطق الأرسطي الذي ينشد اليقين والضرورة ويبحث عن الحقيقة أيضاً بالابتعاد عن الخطأ قدر الإمكان، دفع بالبلاغة بالتراجع أمامه والانزواء؛ فقد كان المنطق سبباً رئيساً في انكماش البلاغة اليونانية القديمة<sup>3</sup> مع أن أرسطو قد تنبّه للأمر وفصل بين ما هو فلسفي وما هو بلاغي، فالمُلام في هذا التراجع ليس أرسطو لأنّه في مقابل المنطق الصوري الفلسفي وضع منطقاً آخر يخصُّ الخطابة واللغة البشرية وهو منطق المحتمل (*Probable*) الكامن في الخطابة والجدل، وصار يعرف اليوم بالمنطق الطبيعي (*logique naturelle*)، لأنّه خاصٌّ بطرق الاستدلال في اللغات الطبيعية.

ويرى الباحث (ليونيل بلونجر) أن هيمنة المنطق الصوري على الحجاج راجع إلى الفكرة السائدة التي تقوم بمعارضة الاستدلال الصّارم بالحجاج<sup>4</sup>، فقد عانت بلاغة الحجاج

<sup>1</sup> ينظر ليونيل بلونجر، الآليات الحجاجية للتواصل، تر عبد الزّفيق بوركى، علامات 21 ، ص36.

<sup>2</sup> [https://rufof.blogspot.com/2018/11/pdf\\_19.html](https://rufof.blogspot.com/2018/11/pdf_19.html) بتاريخ 2021/07/25م على 12:14

<sup>3</sup> ينظر أوليفي ريبول ، مدخل إلى الخطابة، ص48

<sup>4</sup> ينظر ليونيل بلونجر، الآليات الحجاجية للتواصل، تر عبد الزّفيق بوركى، مجلة علامات، ع21، ص32.

جزءاً مقارنتها بالاستدلال المنطقي والرياضي البرهاني، لأنّ هذه المقارنة لطالما وضعت الحجاج في الكفّة المرجوحة والمنطق على الكفّة الرّاجحة، ممّا ألحق كلّ ما هو سيء ببلاغة الحجاج<sup>1</sup>. فهذه المقارنة تُعقد بين العقل والرأي، بين الصّواب والمحتمل، بين اليقين والظنّ، بين الموضوعيّة والذاتيّة، بين المنطق الصّوري والمنطق الاحتمالي؛ فلا يزال الحجاج بهذه المقارنة يواجه صعوبات شتّى ممّا لحقه من تهم تقدح في علميّته ومصداقيته في مجالات المعرفة وإمكانية توصل قضاياه إلى حلول المعضلات الإنسانيّة.

### 2 المنطق في بلاغة الحجاج :

خصّ أرسطو بلاغة الحجاج بمنطق آخر أقلّ صرامة من المنطق الصوري عُرف بمنطق الاحتمال أو الممكن، وهو " ما يعتقده الجمهور ممكناً"<sup>2</sup>، وهو " كلّ ما تفترض فيه النّقة"<sup>3</sup> والمعقولة، ولا يعني ذلك أنّه صحيح وفق قواعد المنطق الصّوري؛ فالعقل البشري قد ينتج برهنة حيث توجد القواعد والقوانين، وفي حال زوالها يلجأ (العقل) إلى المحتمل الممكن لينتج لنا حججاً في حال المراهنة على رأي أو فكرة أو تأويل<sup>4</sup>. والإشكال القائم في أذهاننا اليوم هو : كيف اكتسح المنطق الصّوري مجالات المعرفة كلّها وأقصى المنطق الاحتمالي؟ هذا إشكال قد تستعصي الإجابة عنه ولكن لا بدّ من البحث عن الأسباب الدافعة لهذا الأمر، بالاستقراء الدقيق للمراحل التّاريخيّة التي مرّت بها البلاغة والفلسفة كلتاها على حدّ سواء.

منطق المحتمل الذي جعله أرسطو منطق الخطابة هو القانون الذي يحكم القيم الإنسانيّة؛ وقانون القيم هو ما بحث عنه (بيرلمان وتيتيكا) في سبيل التّوصل إلى قانون يجمع النّاس حول القيم، فيتّفقوا حول مسائل الخير والشرّ والعدل والظلم، وقيم الجمال

<sup>1</sup> ينظر الآليات الحجاجية للتواصل (مرجع سابق)، ص33.

<sup>2</sup> رولان بارت، قراءة جديدة في البلاغة القديمة ص21

<sup>3</sup> أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص123.

<sup>4</sup> ينظر ليونيل بلونجر، الآليات الحجاجية للتواصل، تر عبدالزفيق بوركلي، مجلة علامات، ع21، ص32



والأخلاق الإنسانية في هذه الحياة ، ويستحيل أن يُفصل في موضوع القيم بقوانين محكمة وصارمة.

لقد صرّح بيرلمان في مقدّمة كتابه ( إمبراطورية البلاغة ) عن صدفة وقوفه على خطابة أرسطو عندما كان يحاول وضع قانون يخصّ القيم الإنسانية<sup>1</sup> ويضبطها، فوجده في ذلك المبحث الخطابي القديم؛ خطابة اليونان. فخاض بيرلمان غمار معركة تروم تبرئة الخطابة من التّهم التي علقت بها على مدى ربح من الزّمن بسبب هجوم الفلاسفة عليها. وجعل منها قانونا يختصّ بدراسة القيم ؛ إنّه منطوق الحجاج الاحتمالي الطّبيعي الذي يتعامل به جميع النّاس في حياتهم اليوميّة، ولولاه لما استمرّت الحياة وانقطع التّواصل البشري لأنّ تقنين العلاقات الإنسانية لا يخضع لصرامة المنطق أبداً.

ويصبح المنطق الصّوري الذي يمجّد البداة والضّرورة، ويعتمد الاستدلال والبرهان في استنباط النّتائج من المقدّمات دون تعدّد أو لبس<sup>2</sup>، أصبح في العصر الحديث دافعاً خاصاً لقيام نظريّة البلاغة الجديدة، نظريّة ترفع منطق الاحتمال في مواجهة منطق الضّرورة والصّورنة، وذلك بسبب المعارضات المعرفيّة التي بدأت تظهر في أوروبا والتي عارضت المنطق الصّوري<sup>3</sup> لتبني على أنقاضه أو بجواره نظريّة منطقيّة جديدة عرفت بالمنطق الطّبيعي ويسمى أيضاً بالمنطق غير الصّوري<sup>4</sup>، وهو ما اتّخذه (بيرلمان) مركزاً لنظريته البلاغيّة الجديدة (الحجاج).

إنّ المنطق الطّبيعي الكامن في اللّغات البشريّة هو نفسه ما اصطلح عليه أرسطو بالمحتمل. إنّه المنطق الذي يوّاجه به الخطيب الجمهور في محاولاته للإقناع بما هو مقبول

<sup>1</sup> ينظر محمد العمري، دوائر الحوار ومزالق العنف، إفريقيا الشرق، 2002، ص39

<sup>2</sup> عبدالله صولة، في نظريّة الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص14

<sup>3</sup> ينظر فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 13

<sup>4</sup> ينظر عادل مصطفى، المغالطات اليوميّة ( طبيعتنا الثّانية وخبزنا اليومي، فصول في المنطق غير الصّوري)، المجلس

الأعلى للثقافة القاهرة 2008م، ص12

وممكن وليس بما هو صحيح دائماً؛ لأنّ الخطاب اللّغوي الطّبيعي ليس خطاباً برهانياً بالمعنى الدّقيق للكلمة<sup>1</sup> أو رياضياً بدهياً، فالخطيب لا يقدّم أدلّةً منطقيّةً وأشكالاً برهانيّةً ومعادلات رياضيّة يستدلّ بها على صحّة أفكاره، إنّما يبغى الإقناع بحجج مقبولة لدى المتلقّي وفق منطق المعقول ينقل عبرها التّوافق مع مخاطبيه من القضايا إلى النّتائج التي يريد توجيه المتلقّي إلى اعتناقها. كما أنّ المنطق الطّبيعي "أغنى وأكثر إجرائية في اللّغة من القياس الصّوري البرهاني"<sup>2</sup> لذلك استعان به بيرلمان لدراسة الحجاج في اللّغات الطّبيعية.

بعد قرون طويلة من سيطرة العقلانيّة الصّوريّة بحثاً عن الحقيقة اليقينيّة في ميدان المعارف والعلوم، صارت الاكتشافات العلميّة تثبت - منذ ما يزيد عن القرن ونيف - أن "مسألة اليقين هي مجرد فرضيّة وأنّ ( نظام التّعقل )<sup>3</sup> هو نظامّ حوارى ونتائج إمكانات معرفيّة، واكتشف العقل المعاصر أنّ قوّته ليست في انسجامه وتناغمه وتوحّده بل في تعدّده واختلافه..."<sup>4</sup>. وهذا التّعدّد والاختلاف الذي بدأ يفرض نظرياته الجديدة مع مطلع القرن العشرين ، خاصّة في الفلسفة والعلوم الإنسانيّة كان سبباً وجيهاً لاستدعاء نظريّة الحجاج القديمة، وإعادة إحيائها لمعالجة هذا التّعدّد في الآراء والأطروحات المتجدّدة يوماً بعد يوم ، والقابليّة بالحوار مع كافّة الأفكار المطروحة على الرّأي العامّ دون أيّ إقصاءٍ لأيّ فكرةٍ ومن أيّ جهة كان مصدرها.

### 3 توسيع المنطق:

انتبه فلاسفة أوروبا الحديثة إلى ضرورة إعادة تشكيل المنطق الصّوري حتّى يُمكنه مسايرة النّظرة التّعدديّة التي نهضت في العصر الحديث وناهضت التّوجّه الأحادي. وجاء القرن العشرون "كمرحلة حاسمة في تاريخ تراجع هيمنة المنطق الصّوري، وشيوع المنطق

<sup>1</sup> ينظر أبو بكر عزوي، الحجاج في اللّغة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص57

<sup>2</sup> عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص92

<sup>3</sup> ينظر ناصر عمارة، البلاغة والفلسفة ص66، (يقصد ناصر عمارة بنظام التّعقل المنطق).

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص66

الطبيعي الذي أعاد الاعتبار للغة الطبيعية المتسمة بخصائص الإيحاء والترميز والاستعارة والغنى الدلالي ...<sup>1</sup>.

هذا التوسع في اللغة الطبيعية هو ما كان يقلق الفلاسفة الذين وجدوا في المنطق الصوري مبدأ الصرامة؛ الصدق أو الكذب، ولا مجال لطرف ثالث يتوسطهما، لكنهم غفلوا عن عجز هذه الصرامة دون حلّ القضايا تطبيقاً على أرض الواقع بعيداً عن الصورة النظرية؛ لأنّ "اليقين المنطقي هو يقين نظري، صناعي، صوري، واليقين العملي \* أقوى على التوجيه وأقدر على التغيير من اليقين النظري ... الذي لا يُنقَع به ويظلّ حبيس القول والقرطاس"<sup>2</sup>، إذ لا يمكن إخضاعه للملاحظة والتجربة والنتيجة على منهج العلوم التجريبية الذي دعت إليّه النظريات الفلسفية المعاصرة (الوضعية الجديدة)، وما نتج عنها من الدراسات اللسانية التداولية المعاصرة التي أولت الاهتمام الأكبر لسياق الكلام ومقامه، فلا معنى للقضية الكلامية إلاّ من خلال الإنجاز الفعلي في التداول<sup>3</sup>، وعلى نفس المبدأ قامت فلسفة الحجاج المعاصرة التي تجعل نواتها في التوجيه والتأثير فكراً وعملاً.

حاول بعض المنطقيين ضمّ مبحث الحجاج إلى منطقهم، كما دعا إلى ذلك رائد الحجاج في الوقت المعاصر شايم بيرلمان في قوله : "ينبغي على علماء المنطق أن يستكملوا نظرية البرهان بنظرية المنطق غير الصوري التي تمّ استنباطها من نظرية الحجاج، هذه النظرية التي نسعى إلى بنائها من خلال آليات الإثبات الموظفة في مجال العلوم الإنسانية والقانون والفلسفة؛ من أجل تفحص الحجج التي تقدمها الإعلانات الإشهارية، والحجج التي يقدمها المحامون في مرافعاتهم والقضاة في إصدار أحكامهم والسياسيون في

<sup>1</sup> حسين مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، من التأريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة، بيروت، ص157  
\* يقصد طه عبد الرحمن (باليقين العملي : اليقين التداولي) الكامن في الخطاب الطبيعي الذي يقوم على مبدأ التفاوض بين الخطيب ومستمعيه.

<sup>2</sup> طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2/ص70

<sup>3</sup> ينظر الزواوي بغورة، فلسفة اللغة، ص88

خطاباتهم والفلاسفة في إثبات أطروحاتهم " <sup>1</sup> . هكذا يقرّر بيرلمان أن مصدر المنطق الطبيعي هي نظرية الحجاج التي ينبغي على المنطقيين الاعتراف بها وإعطاؤها حيزاً معرفياً خاصاً بها إلى جانب نظرية المنطق الصوري.

تخصّص (بيرلمان وزميلته تيتيكا ) في القانون والفلسفة جعلهما ينتبهان إلى خصوصية العلوم الإنسانية من خلال اعتمادها على منطق الخاص، الذي يختلف عن المنطق الصوري الخاص بالعلوم التجريبية والنظرية. إن التوصل إلى منطق جديد في العلوم المعاصرة سيخلق توازناً معرفياً بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية، إذ يعدّ هذا التوازن أكبر مهادٍ لازدهار نظرية البلاغة الجديدة؛ نظرية الحجاج؛ التي خلقت لنفسها منطقاً خاصاً ينظر في الحجج المنطقية والشبيهة بالمنطقية، والحجج اللغوية المدرجة في كافة أنواع الخطابات المختلفة أساليبها وصورها، هذا المنطق الجديد سيصبح منهجاً نقدياً يقرأ الخطاب ويحلّله وفق قوانين طيعة، إنها قوانين اللغة الطبيعية البشرية ولهذا سمّي بالمنطق الطبيعي الذي سيعيد العلوم الإنسانية إلى مكانتها الأصلية جنباً إلى جنب مع بقية العلوم.

إن عجز المنطق الصوري عن التعامل مع القضايا الإنسانية المختلفة التي تتفلت من الحساب والصورة<sup>2</sup>، والتي لا يمكن تقنينها بقواعد محكمة يرجع إلى " صفة نظرية متأصلة فيه؛ وهي قصوره عن ملابسة لغة الخطاب، أي اللغة الطبيعية؛ فجفافه يجافي غناها،

<sup>1</sup> Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, *Traité de l'argumentation*, édition de l'université de bruxelles. P13

"les logiciens se doivent de compléter la théorie de la démonstration ainsi obtenue par une théorie de l'argumentation. Nous chercherons à la construire en analysant les moyens de preuve dont se servent les sciences humaines, le droit et la philosophie ; nous examinerons des argumentations présentées par des publicistes dans leurs journaux, par des politiciens dans leurs discours, par les avocats dans leurs plaidoiries, par des juges dans leurs audiences, par des philosophes dans leurs traités"

<sup>2</sup> ينظر عبداللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 84

وصوريته تقصر دون استيعابها، بوصفها مادةً الخطاب<sup>1</sup>، وكان هذا العجز سبباً وجيهاً لتوجيه النقد لهذا المنطق قديماً وحديثاً من قبل العلماء المسلمين والغربيين على حدّ سواء ، والدّعوة إلى توسيعه واستكمال نظريته بنظرية المنطق الطبيعي، لأنّ التّحليل الطّبيعي للغات البشرية يمكنه أن يطرح الإشكالات ويجد الحلول لها وهو ما يسمّيه (غرايز *Grize* بالتّحليل النّفسي *Psycho-logique*)<sup>2</sup>.

#### 4 نقد المنطق الصّوري:

جاء نقد المنطق الصّوري مبكراً على يد علماء الإسلام، ففي القرن الثالث الهجري كان (ابن قتيبة ت 276هـ) يرى أنّ المنطق تحصيل حاصل لا يغفل عن إتقانه أيّ موصوفٍ بالعقل، حيث يقول في مقدّمة مؤلّفه " أدب الكاتب " معلقاً على كلام محمد بن الجهم البرمكي الذي مفاده " (أولّ الفكرة آخر العمل وأولّ العمل آخر الفكرة، واستشهد على ذلك بالذي يفكر في رفع سقف، فيحتاج إلى جدار يسند ثمّ إلى أسّ يؤسّس عليه جداره، فخلاصته أنّ فكرة السّقف صارت آخر العمل، وآخر الفكرة وهي الأسّ صارت أولّ العمل)<sup>3</sup>، فيعلّق ابن قتيبة : " فأيّة منفعة في هذه المسألة المنطقيّة، وهل يجهل أحد هذا حتّى يحتاج إلى إخراجهم بمثل هذا الألفاظ الهائلة... " <sup>4</sup> فكأنّ ابن قتيبة -رحمه الله- ينفر من هذا التّنظير الباهت لمسألة بسيطة يدركها أيّ أحد من النّاس.

<sup>1</sup> عبدالهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث الأردن 2010م، ص78

<sup>2</sup> Jean-Michel GRANDCHAMP, *L'argumentation dans le traitement automatique de la langue, Thèse de doctorat de l'Université Paris XI, Orsay, Soutenue le 16 janvier 1996, p66.*

<sup>3</sup> ينظر ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، طبع في مدينة ليدن المحروسة سنة 1900م، ص 4،5

<sup>4</sup> ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص5.

ومن العلماء الذين اشتهروا بنقد المنطق الصوري ونقضه شيخ الإسلام ابن تيمية\* إذ ألف كتاباً خاصاً لهذا الغرض سماه ( الرد على المنطقيين )<sup>1</sup>. عُرف ابن تيمية بالردّ العقلي على الفلاسفة والمنطقيين، فانتهج لذلك منهجاً عقلياً فريداً في وضوحه ولزوم نتائجه<sup>2</sup>، وقد ادعى بعض الباحثين أنّ قصد ابن تيمية في نقد المنطق ونقضه كان دينياً محضاً حيث كان من المتعصّبين لمنهج النقل السلفي، ويحتاج إثبات هذا الحكم إلى دليل<sup>3</sup> إذ لم نر الشيخ يقول بحرمة المنطق، لأنّ منهجه العقلي في الردّ على المنطقيين واضح في كتبه، ولم يقل إنّ المنطق محرّم لأننا لم نجد في كتب سلفنا. كما يرى أحد الباحثين أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية كان أوّل من نقد المنطق الأرسطي وتبعه في ذلك فلاسفة غربيون أمثال ديفيد هيوم وجون ستيوارت مل<sup>4</sup>.

أصبح نقد المنطق الصوري دافعاً قوياً لاستدعاء بلاغة الحجاج التي تتبنّى منطق الاحتمال؛ منطق قواعده أكثر تحرراً من قيود المنطق الأرسطي، منطق لا يصور يعتمد على عقلنة<sup>5</sup> اللغة والخطاب داخل الحيز الطبيعي للغات البشرية؛ لأنّ لهذه اللغات منطقاً خاصاً بها تنتظم من خلاله في علاقات بينية تستهدف المتلقّي بالتواصل والإقناع مع قابلية النقاش والحوار قد يصل إلى رفض القضية في أحيان كثيرة.

\* ابن تيمية، تقي الدين (661 - 728 هـ، 1263 - 1328 م). تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرّاني الحنبلي الدمشقي. شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، فقيه أصولي ومفتي الدين الحنيف وصاحب الآثار الكبرى في علوم الدين والفكر الإسلامي.

<sup>1</sup> ينظر محمد حسن مهدي بخيت، علم المنطق : المفاهيم والمصطلحات، التّصديقات، عالم الكتب الحديث للنشر والتّوزيع ط 2013/1/ص144.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص144.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص144.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 145.

<sup>5</sup> ينظر العناني عز الدين، المنطق الطبيعي والقاسم المشترك بين النظريات الحجاجية، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد

وقد رأى أصحاب نظرية الحجاج اللغوي (ديكرو *Ducrot* وأنسكومبر *Anscomber*) أنّ هذا المنطق الطبيعي كامن في مكونات اللغة<sup>1</sup> نفسها. فالخطيب عند محاولته الإقناع يستعين بقواعد المنطق اللغوي الطبيعي الكامنة في الألفاظ والتراكيب، والصيغ الصرفية، والمنطق النحوي، وعلوم البلاغة المعروفة، تكون أكثر نجاعة لنجاح العملية الإقناعية من الحجج المباشرة أو الاستشهادات والقياسات التي سيوظفها في مقانعته للمستمع، لأنّ فصاحة الخطيب وبلاغته لها تأثير خاص في النفوس، وهما كذلك دليل على ذكاء الخطيب وسعة فكره، لأنّ التحكّم في اللغة وعلومها إنّما هي مقدرة فكرية يفتقر إليها الكثير من الناس. وليس يوجد سبيل في الوصول إلى عقول الناس وقلوبهم أفضل من سبيل اللغة والتحكّم في أزمّتها، فالعملية الحجاجية تعزف على وترين في آن؛ العقل والوجدان باستخدام الحجج الشبه منطقية والمؤثرات النفسية الجمالية التي تزخر بها اللغة البشرية.

يعتبر (بيرلمان وتولمين *Tolmin*) \* من المعاصرين الذين عملوا بكّد من أجل افتكاك نظرية الحجاج من السيطرة المنطقية التي هيمنت عليها لقرون، سيطرة منطقية تدّعي أنّ لا حجاج سوى الذي يعتمد الاستدلال البرهاني. هذان العالمان انطلقا من فكرتين مختلفتين تعملان - في الأخير - على بناء نظرية واحدة (تقريبا) مع اختلاف الاصطلاح عليها لدى الباحثين، هي نظرية فلسفة اللغة أو المنطق الطبيعي، وكانت بداية بناء هذه النظرية مع "فيدغنشتين مروراً بغرايز (*Graize*) وأوستين (*Austin*) وسيرل (*John Searle*) وبيرلمان وصولاً إلى ديكرو"<sup>2</sup>. استمرّ نقد المنطق الصوري طويلاً إلى أن تمكّن العلماء في القرن

<sup>1</sup> ينظر العناني عز الدين، المنطق الطبيعي والقاسم المشترك بين النظريات الحجاجية، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 08، العدد 40، ص167.

\* إلا أنّ عبد الله صولة يرى أنّ تولمين لم يتمكن في كتابه أن يحزّر نظرية الحجاج من "رقعة المنطق ومن أسرّ البنى الاستدلالية" ينظر عبدالله صولة في نظرية الحجاج ص66

<sup>2</sup> العناني عز الدين، المنطق الطبيعي والقاسم المشترك بين النظريات الحجاجية، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 08، العدد 40، ص168

الماضي من افتكاك نظرية الحجاج البلاغية من سيطرة الفلسفة وهيمنتها، وافتكاكها أيضا من ريقة المنطق الصوري<sup>1</sup>.

وأكد الفيلسوف الإنجليزي (من أصل نمساوي) لودفينغ فتغنشتين ( 1889/1951م)؛

" أن الأقوال المنطقية من تحصيل الحاصل، ومن ثمة فهي فارغة من المعنى بما أنها لا تُحيل على الواقع بل تشكل إطاراً صورياً ما قبلياً للمعرفة"<sup>2</sup>، فلا يقدم المنطق الصوري المعرفة الجديدة للناس إنما يعيد تقديم ما هو معلوم عندهم من قبلُ بداهة وضرورة، كما رأى ديكارت الأمر نفسه بالنسبة للقياس الأرسطي الذي " يشرح للآخرين الأشياء التي يعلمونها، إنه فنٌ يؤكد ما هو معروف ويرسم ما هو مرسوم"<sup>3</sup>، فقولهم : ( كل إنسان فان، وسقراط إنسان، إذن فهو فان ) فليس هذا من العلم و المعرفة في شيء، إنما يبحث العلم في الدقائق الخفية التي تخفى على أغلب البشر.

ولعل أكبر المآخذ التي أوتي المنطق من قبلها مأخذ الصورنة والرمزية، لأن العلم ما كان واقعا ملموسا وليس نظريات مجردة تُتصور في الفكر وتُصحف في الكتب وتحتكرها بعض العقول المتفلسفة دون إمكانية شرحها وتبسيطها لجميع العقول البشرية. إن النقد الموجة للمنطق فتح المجال واسعا أمام ازدهار نظرية فلسفة اللغة أو المنطق الطبيعي لأن اللغة الطبيعية إنما تقوم على فكرة الاحتمال والتسببية لا الصورنة والحدود ال صارمة، وتلك طبيعة العلوم تقوم على مبدأ الفكرة البسيطة مع صاحبها ومع البحث وتطور النظر والنقد تكتمل إلى أن تصير نظرية متكاملة (نسبيا) في مجالها المعرفي إلى أن يظهر ما ينقضها من نظريات معرفية أخرى. لكن النظريات الفلسفية والمنطقية تعاني من هشاشتها وضعفها

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص66

<sup>2</sup> فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمن، تر صابر الحباشة، ص30.

<sup>3</sup> عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص91.



أمام النقد المستمر والمتكرر مما أدى بكثير من العلماء إلى الضجر منها والبحث عن منطق طبيعي بديل للمنطق السائد منذ عهد أرسطو.

كما أن منطق الفلاسفة الصوري ظل يرفل في الصور الاستدلالية المجردة<sup>1</sup>، والقوالب النظرية الجاهزة ويقدّسها، والأمثلة الخيالية المصطنعة افتراضاً يخالف الواقع، فهذه القضايا الافتراضية والمثالية ما كان لها أن تعالج مشاكل الناس على أرض الواقع الذي يستدعي نظرية الحجاج لتتظّر في الخلافات البشرية في ميدانها التداولي، وتحاول علاجها بأسهل الطرق وأخفّ الضرر بوساطة الإقناع الذي يحلّ الخلافات بالتراضي.

### 5 - فصل بلاغة الحجاج عن المنطق:

تمكّن شايبم بيرلمان من التمييز بين المنطق الذي تقوم عليه بلاغة الحجاج وبين المنطق الصوري الخاص بالفلسفة، وقضى على تلك التبعية القديمة التي منحت الامتياز - منذ أرسطو إلى ديكرت - للمنطق الصوري ومكنته من الهيمنة والتوسع على حساب بلاغة الحجاج. كما أصلح " الخطأ التاريخي الذي ارتكبه ( Pierre de la ramée ) حين جمع بين الاستدلالات الجدلية والاستدلالات التحليلية (أي بين الحجاج والبرهنة) في مبحث واحد هو مبحث الجدل، وحرّم الخطابة من قسميها الإيجاد والترتيب، ولم يترك لها سوى قسم العبارة لتصبح الخطابة عنده تحسين القول وزخرفته"<sup>2</sup>، ومن ثمّة بدأ توجه البلاغة نحو المحسنات وجمال الأسلوب وتراجع مبحث الإقناع إلى أن صارت البلاغة بلاغة صور ومحسنات في القرون الوسطى حين أصدرت أول خطابة سنة 1572م تكّرس عمل (بيار دولاراميه) من قبل صديقه (Omer Talon)<sup>3</sup> وصولاً إلى مطلع القرن الماضي.

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص66

<sup>2</sup> الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص 31/30.

<sup>3</sup> ينظر الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص33.

وجاءت تبعية الحجاج للمنطق بحجة " أن كلاً منهما موسوم بالضرورة والبداهة الاستدلاليين، غير أن بيرلمان يؤكد أن الطبيعة ذاتها للتداول والحجاج تتعارض مع الضرورة والبداهة ، لأننا لا نتداول هناك حيث يكون الحل ضرورياً، ولا نحاجج ضدّ البداهة؛ فحل الحجاج حقل الممكن التصديق والجائز المحتمل، وذلك بالقدر الذي ينفلت فيه هذا الأخير من دقة وصرامة الحساب"<sup>1</sup>. هذا العمل الذي قام به كان قطيعة تاريخية بين حقلين معرفيين طالما تداخلا وامتزجا؛ هما المنطق والحجاج ، كما أن الفصل بينهما حتمية منطقية تحملنا الحاجة إليها من خلال التأمل والنظر في اختلاف البشر من حيث الأفكار والعلم والطبقات واختلاف العقائد... فالذي يستطيعه العالم من الفهم والاقتناع بالمنطق لا يستطيعه العامي الأمي، فهذا الأخير تلزمه طريقة إقناعية غير الضرورية المنطقية؛ لذا فالأمر في ابتكار منطق خاص بإقناع المتلقي الأمي أو العامي والطبقة المتوسطة من المجتمع أمرٌ ملحٌ يحتاجه كلّ خطيب.

وعليه فإنّ " فصل الحجاج عن المنطق في أفق التأسيس لحقل جديد هو البلاغة الجديدة لم يكن ليتيسر لعلماء الحجاج إلاّ بنقد المنطق والقطع مع مقولاته الصورية الصارمة والجامدة، لضمان استقلال السجل الحجاجي عن الممارسة المنطقية، وهذا ما اضطلع به عالمان من علماء الحجاج هما بيرلمان وتيتيكا في مؤلف مشترك ظهر في الخمسينات (1958) وحمل عنوان دالاً هو : " مصنف في الحجاج، البلاغة الجديدة "<sup>2</sup>. فقد لاحظ (بيرلمان) أن قواعد المنطق لا يفهمها كلّ الناس نظراً للفروق الكائنة بين مستويات ثقافتهم، كما لاحظ فروقا بين المواضيع والقضايا التي يحتاج فيها الناس مثل بعض المسائل القضائية التي لا توجد بها نصوصا صريحة تفصل فيها فتدع المجال واسعاً أمام السلطة

<sup>1</sup> مانويل ماريا كريلو، خطابات الحداثة ص79

<sup>2</sup> مصطفى الغرافي، البلاغة بوصفها تفكيراً في قضايا الخطاب، مجلة الخطاب العدد 14، ص262.

التقديريّة للقاضي من خلال مرافعات المحامين، وذلك المجال الفاصل بينهما هو ميدان بلاغة الحجاج تؤدّي فيه مهمّتها بمنطق احتمالي غير صوري.

يقول بيرلمان عن المنطق الصوري واللاصوري : "إذا كان المنطق الصوري هو منطق البرهان، فإنّ المنطق اللاصوري هو منطق الحجاج"<sup>1</sup>، فهذا المنطق الموسّع المصطلح عليه بالمحتمل والمعقول والممكن هو منطق الخطاب الحجاجي<sup>2</sup> تمكّن بيرلمان من إبعاد الصّورنة النظريّة عن الحجاج لحاجة اللّغة البشريّة إلى الاحتماليّة والتأويل أكثر من حاجتها إلى الضّرورة البرهانيّة. فالمقدّمات الصّادقة في المنطق الصوري يمكن للخطيب أن يعدل عنها إلى حجج أخرى مقدّماتها قد تكون راجحة أو حتّى مرجوحة إذا اقتضى الأمر ذلك، ولا يضرّ ذلك بالعملية الاستدلاليّة في الخطاب الحجاجي، فالغاية هي الإقناع ولو بأضعف الحجج التي تكون الأقرب إلى التصديق الجماهيري بفضل شهرتها، وما يهمّ فيها هو القبول بين أطراف الحجاج. ولعلّ هذا التّمييز بين التّظريتين المنطق الصوري والحجاج الاحتمالي كان السبيل الأوحد للفرار من سيطرة المنطق الأرسطي على شتى العلوم خاصّة العلوم الإنسانيّة، ونظريّة بلاغة الحجاج.

قدّم علماء الحجاج نظريّة المنطق اللاصوري بدلاً عن المنطق القديم ؛ والمنطق الجديد ذلك المنطق " المبني على تقديم الحجج التّأثيريّة المقبولة غير الملزمة"<sup>3</sup> والكامنة في الخطاب اللّغوي، لأنّ الخطيب من خلال هذا المنطق لا يكون مبرهنأ على فرضيات بينها على مقدّمات بديهية، إنّما هي رؤى عن الحياة الاجتماعيّة مستقاة من واقع النّاس، كالقيّم

<sup>1</sup> العناني عزالدين مقال (المنطق الطّبيعي والقاسم المشترك بين التّظريات الحجاجيّة)، ص164

<sup>2</sup> Jean-Michel GRANDCHAMP, *L'argumentation dans le traitement automatique de la langue*, Thèse de doctorat de l'Université Paris XI, Orsay, Soutenue le 16 janvier 1996, p67.

<sup>3</sup> لعناني عزالدين ، المنطق الطّبيعي والقاسم المشترك بين التّظريات الحجاجيّة، مجلة الممارسات اللّغوية، المجلد 08،

العدد 40، ص 164.

والقوانين والسياسة التي تمسّ كلّ فرد في المجتمع ، فيمكنه المشاركة فيها دون أي إرغام قسري بقبولها والعمل بها.

والمنطق الطبيعي أو اللاصوري هو منطق الواقع بعيداً عن الصّورنة النظرية المجردة التي اهتمّ بها المنطق الصّوري، فصارت عاجزة عن النزول إلى حقل التطبيق والتّجريب. أمّا المنطق الجديد فهو طبيعي غير نظري؛ إنّه منطق اللغة البشريّة الطبيعيّة، فكلّ لفظة داخل خطاب ما تحتل دلالات متغيرة لاعتبارات عدّة؛ منها السّياق الخارجي الذي قيل فيه الخطاب وثقافة الخطيب، وكذلك قابليّة المتلقّي وثقافته القرائيّة التي تتدخّل تلقائياً في تأويل كلّ لفظة جاءت في هذا الخطاب، وعندها يكون المتلقّي المقصود بالحجاج أمام خيارات لغويّة ومقاميّة عدّة تمكّنه من الخضوع للمعروض أو رفضه.

وفي السّياق المعرفي والتّاريخي نفس هـ، كان (ستيفن تولمين *Stephen E. Toulmin*)<sup>\*</sup> يبحث " عن حجاج غير منطقي؛ أي خارج نطاق الضّرورة و الصّورنة، لكنّه اصطلح على مشروعه بفكرة (إصلاح المنطق)، حتّى يصبح المنطق " علماً أكثر اتّساعاً من النّاحية الابستيمولوجيّة، وأكثر تأسيساً من النّاحية التّجريبية، وأكثر إحاطة بالعلم من النّاحية التّاريخيّة"<sup>1</sup>، لكنّ عمل تولمين لم يبقَ ضمن حقل المنطق وإنّما خرج متوجّهاً إلى حقل الحجاج.

يقول الفيلسوف البرتغالي مانويل ماريّا كاريلو : إنّ إبداع ستيفن تولمن في كتابه (*The use of argument*) قد تمّ خارج حقل المنطق، و ذلك بتوسيع الدّراسات حول تعدّديّة الممارسات الحجاجيّة وتحريرها من الصّبغة المنطقيّة<sup>2</sup>، وفي هذه الفكرة يلتقي

<sup>\*</sup> ستيفن تولمين فيلسوف انجليزي معاصر، اهتمّ بدراسة فلسفة اللغة والحجاج بعد أستاذه النّمساوي فيدجنشتاين

<sup>1</sup> مانويل ماريّا كاريلو، خطابات الحداثة، ترجمة إدريس كثير وعز الدين الخطابي، دار ما بعد الحداثة، ط1/2001م،

ص78

<sup>2</sup> ينظر مانويل ماريّا كاريلو، خطابات الحداثة، ص 78.

المشروعان : مشروع بيرلمان ومشروع تولمان. فبيرلمان رأى أنّ البلاغة الحجاجية الاحتمالية قادرة على احتواء ما استعصى على المنطق من قضايا المجتمع ( كالتّيم والأخلاق والقانون)، بيد أنّ تولمان رأى لزوم إصلاح نظرية المنطق وتوسيعها وعصرنتها لتواكب رهانات المجتمعات المعاصرة وفلسفاتها التعددية. فبيرلمان خرج من ضيق البِدلة المنطقية أمّا تولمان فحاول توسيع تلك البِدلة الضيقة. والظاهر في هذين العملين أنّ الذبوع والانتشار كان من نصيب نظرية البلاغة الجديدة لبيرلمان ، لأن الفلاسفة قد سئمو المنطق وقواعده النظرية الصّارمة فراحوا يبحثون عن نظريات جديدة بمصطلحات جديدة كالبلاغة الجديدة. التي وسعت ما لم تسعه الفلسفة ومنطقها الأرسطي.

قد اصطلح المنطق الطبيعي كذلك لأنّه منطق خاضع إلى قواعد التّفكير البشري بالدرجة الأولى، ويتجلّى هذا التّفكير المنطقي ، في قوالب اللّغة الطّبيعية<sup>1</sup> ، فيمكننا القول أنّ المنطق الطبيعي الكامن في اللّغات الطّبيعية هو عملية التّفكير التي تتمّ بواسطة اللّغة، أي تلك العلاقات القائمة بين الفكر البشري ولغة التّعبير عن الأفكار. ويستخدم هذا المنطق " في تعرّف الحجج وتحليلها وتقييمها، كما ترد في سياقات الحديث العادي ومداولاته اليومية؛ في المحادثات الشخصية ، والإعلانات، والجدل السّياسي والقضائي..."<sup>2</sup>، وقد كان تعليم المنطق الصّوري منحصراً في أمثلة مصنّعة وحجج نموذجية ليس لها صلة بواقع النّاس وخطاباتهم اليومية، ممّا قلّل انتفاع الطّلاب به، وعدم إمكانية تطبيقه على أرض الواقع، ممّا ألجأ الدّارسين إلى نسق منطقي جديد أكثر استجابة لحاجيات التّفكير الإنساني المعاصرة.

كانت هذه الانشغالات المعاصرة منطلقاً لازدهار المنطق غير الصّوري كنظرية بديلة تنزل إلى واقع النّاس المعيش، وتُعّين القضايا الرّاهنة والحجاج القائم فيها مؤيداً أو داحضاً لها. فكانت الانطلاقة من فكرة استبدال المنطق وصولاً إلى نظرية جديدة تقوم مقامه، عرفت

<sup>1</sup> Jean-Michel GRANDCHAMP, *L'argumentation dans le traitement automatique de la langue*, Thèse de doctorat de l'Université Paris XI, Orsay, Soutenue le 16 janvier 1996, p67

<sup>2</sup> عادل مصطفى، المغالطات اليومية، ص12.

بنظرية البلاغة الجديدة، نظرية خطابية وجدلية بمنطق آخر تُمكن المتعلم من استيعابها نظرياً وممارستها على الصعيد العلمي والتعامل اليومي.

وتوسعت نظرية المنطق غير الصوري من تقنية حجاجية كامنة في اللغات الطبيعية إلى منهج نقدي يتتبع الحجج الملقاة في الخطاب مع محاولة تحليلها وإخضاعها للنقد البلاغي. وتكاملت هذه النظرية المنطقية اللاصورية مع نظرية البلاغة الجديدة مع بيرلمان وتيتيكا اللذين وضعاً أسس نظرية الحجاج المعاصرة ووضعاً تقنياتها وآلياتها اعتماداً على المنطق اللاصوري؛ منطق المحتمل، ثم ازدهرت بعدهما كما تنوّعت على حسب الحقول التي تنضح منها؛ فظهر الحجاج اللغوي والبلاغي والمنطقي والجدلي، وأصبح الحجاج كفاية يتعلمها الخطباء والمحامون كما أصبح منهجاً نقدياً يتلقى الخطاب بالنقد والتحليل ومعرفة الحجاج المقبول فيه من السفسطة المرفوضة.

وقد تطرق الباحث رشيد الراضي إلى رصد بعض الفروق بين المنطق الصوري والمنطق الطبيعي (اللاصوري)، فذكر المقدمات الصورية التي تكون مستقلة عن بعضها البعض ثم تتألف بطريقة البرهان الصارم بغض النظر عن محتواها الداخلي، بينما المقدمات في الحجاج تتألف وفقاً لحوالاتها الدلالية الداخلية، وذلك تبعاً لارتباط الملفوظات مع بعضها نحوياً ثم دلالياً، أي بفلسفة لغوية تخلو من البرهان والاستدلال الرياضيين. وتُبنى القضية الصورية على مقدمتين كبيرى وصغرى ثم النتيجة البرهانية، ولا يقبل المنطق الصوري تعدد المقدمات للوصول إلى نتيجة واحدة ويعُدونه (تعدد المقدمات) من المغالطات، أما في المنطق الحجاجي فالمقدمات متعاضدة تخدم قضية واحدة ، تتعدّد وتتظافر لإقناع المتلقي بالقضية محلّ الحجاج.

و تختلف هذه المقدمات الحجاجية في طبيعتها منها اللغوية الصرفة الكامنة حجيتها في البرينة اللغوية، ومنها الحجة العقلية والبدئية، ومنها الاستشهاد بالحقائق والوقائع، ومنها

القياسات الظاهرة والمضمرة وما اتفق عليه الناس على سبيل الفطرة أو الشهرة والمتواتر من الأخبار... إلخ.

المنطق الصوري موضوعي نظري مستقل متحرر من الميولات الذاتية أو الأهواء البشرية التي يتلبس بها المنطق الطبيعي في الحجاج، لأن هذا الأخير يتم في سياق إنساني تداولي، والإنسان عقل وعاطفة ولا بد لكل منهما أن يؤثر في المنجزات اللغوية الحجاجية، فتظهر سمة العقل في الإنسان غالباً وأحياناً أخرى ترجح فيها كفة العاطفة خاصة في مخاطبة العامة. والفرق الأخير هو في إمكانية دحض القضايا الحجاجية نظراً لبنائها على مواضع احتمالية وهذا لا يمكن القيام به في المنطق الصوري<sup>1</sup>، لهذا كان الحجاج خاصاً بالمسائل التي تتقبل الرأي وضده ؛ الأمر الذي لا يمكن أن يستقيم في البرهنة المنطقية الصورية.

هكذا نستطيع بناء تصورنا حول مرجعية علمية أخرى قامت عليها نظرية البلاغة الجديدة، وهي المنطق الأرسطي الصوري الذي دفع الفلاسفة إلى البحث عن منطق آخر يمكنه مزاولة القضايا التي لا يمكن إخضاعها للتصورنة. فكان العمل والبحث المتواصل الذي دأب عليه كثير من العلماء بحثاً عن مخرج من هذا المأزق المعرفي سبيلاً إلى ظهور نظرية جديدة توازي المنطق الصوري وهي نظرية المحتمل الذي أصبح منطقاً خاصاً بنظرية الحجاج الجديدة؛ منطق يقبل تعدد الآراء ويناقش الرأي والرأي الآخر، فكان هذا التعدد سبيلاً قاد أوروبا وأمريكا إلى فلسفة عالمية جديدة تعتمد الديمقراطية الشاملة.

<sup>1</sup> ينظر العناني عز الدين، المنطق الطبيعي والقاسم المشترك بين النظريات الحجاجية، مجلة الممارسات اللغوية المجلد 08،

## المبحث الرابع

### روافد أخرى متعددة السياقات



### المبحث الرابع : روافد أخرى متعددة السياقات

#### تمهيد :

قد شكّلت مرجعيات البلاغة الجديدة - الآنفه الذكر - (البلاغة اليونانية والأزمة التي لحقت بالفلسفة الحديثة واستبدال المنطق الصوري بالمنطق الطبيعي) الروافد الكبرى لنظرية الحجاج الموسومة بالبلاغة الجديدة، ولعلّ هذه المرجعيات تكون الأبرز حسب ما تجلّى من خلال البحث، فكان لزاماً علينا الوقوف عليها بالتفصيل، كما أنّ هناك روافد أخرى قد أسهمت بدورها في ازدهار نظرية البلاغة الجديدة سنعرّج عليها باختصار في هذه الورقات المتبقية من الفصل الأوّل، وسنذكر ضمن هذا المبحث روافد مختلفة المشارب منها المعرفية ومنها الاجتماعية والذاتية والسياسية.

#### 1 روافد معرفية :

من الأسباب التي كانت معيناً عذباً في ازدهار البحث البلاغي في ستينات القرن الماضي ذلك الازدهار الذي مسّ مجالات البحث في اللّغة المتعدّدة<sup>1</sup>، فقد أحدث (فرديناند دي سوسير) ثورة علمية في البحث اللّغوي مع اللّسانيات الحديثة، كلّت بازدهار المناهج النّقديّة المعاصرة كالأسلوبية والتّداولية والسيميائيات، وكلّ حقل منها كان له نصيب من البلاغة القديمة، خطابية كانت أو شعرية.

ومنهم من يرجع هذا الازدهار البلاغي إلى الوعي اللّغوي للأدب مثل (غريماس *Algirdas Julien Greimas*) و(جوزيف كورتيس *J. Courte*)<sup>2</sup>. فقد ظهرت في الأدب نظرية تفصل بين الأجناس الأدبية الأمر أدّى إلى ازدهار المناهج النّقديّة وتعدّدها لتتناسب الأجناس الأدبية المعاصرة، فصارت الحاجة إلى بلاغة الحجاج ملحة لتحليل الخطابات

<sup>1</sup> ينظر محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق 2013، ص183.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص183.

المتعدّدة في هذا العصر ، خاصّة منها الخطابلات السياسيّة والقوميّة والعنصريّة، والخطاب القضائي والخطاب الإشهاري.

وقد فصل (هنريش بليت) في الرّوافد المعرفيّة التي ساهمت في انتعاش البلاغة من

جديد وانبعائها من رمادها؛ فيقول : " إن سبب هذه النهضة البلاغيّة يرجع - في مجال التّنظير - إلى الأهميّة المتزايدة للسانيات التّداوليّة، ونظريات التّواصل والسّمياتيات والنّقد الأيديولوجي، وكذا الشّعريّة اللّسانيّة في مجال وصف الخصائص الإقناعيّة في النّصوص وتقويمها"<sup>1</sup>، فاللسانيات الحديثة أعطت دفعة قويّة للبحث اللّغوي بصفة عامّة، ونتج عن ذلك تلاقح متعدّد بين الحقول المعرفيّة سواء في حقل اللّسانيات ذاتها أو مع حقول أخرى خارج هذا حقل اللّغة البشريّة؛ كعلم النّفس والطّب والاجتماع ممّا زاد في اتّساع البحث البلاغي بشكل لا يمكن إدراكه.

كما توجد عوامل أخرى - نعتبرها ذات بعد معرفي - دفعت بالبلاغة لتطفو من جديد على ساحة النّظريات النّقدية المعاصرة، منها الزّخم المعرفي الذي تراكم في سجلّ هذا العلم عبر العصور، " فقد أنشئت النّصوص المختلفة عبر التّاريخ حسب قواعدها (قواعد البلاغة)، فإذا استعملنا، بعد ذلك، المقولات البلاغيّة لتأويل تلك النّصوص فإننا سنساهم في كشف تركيبها الشكليّ القصدي"<sup>2</sup>. فالأدب الإنساني أنشئ وفق قواعد البلاغة القديمة؛ سواء من حيث الشكل الأسلوبي أو المضمون التّداولي الحجاجي، لذلك وجبت قراءة هذا التّراث وفق معايير البلاغة الشّعريّة والخطابيّة حتّى يتسنى للنّاقد الكشف عن جماليات وأسرار هذه النّصوص على المستوى الأدبي أو تأويلها على المستوى التّداولي. ولا يعني ذلك تحجير النّسق البلاغي في صنم البلاغة القديمة، إنّما النّقد المتواصل والاحتكاك والتّلاقح مع

<sup>1</sup> هنريش بليت، البلاغة والأسلوبيّة، تر محمد العمري، دار إفريقيا الشرق 1999. ص22.

<sup>2</sup> محمد العمري، أسئلة البلاغة في النّظرية والتّاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، ص184

النظريات المعرفية الجديدة من أهم الحوافز المنشطة للدرس البلاغي الذي نراه اليوم يبسط نفوذه لاستعادة زعامة الامبراطورية النقدية.

ومن عوامل ازدهار النقد البلاغي يوجد عامل نظري إجرائي آخر كان عماداً في انتعاش المقاربات البلاغية للخطابات المعاصرة، تمثل في مرونة وقابلية هذه المقاربة في التكيف مع النصوص المختلفة والمتجددة عبر العصور<sup>1</sup>، فالمنهج النقدي البلاغي يحلل الخطاب على مستويات عدة؛ أسلوبية وتداولية، حيث يبحث القارئ عن العلاقة بين الأسلوب والتداول، وأيهما المقصود الأول من الخطاب اللغوي الإنساني مختلف صورته الأدبية المعروفة. انتقلت البلاغة إلى تحليل الخطاب ودراسة خصوصياته مع بلاغيين معاصرين أمثال : بيرلمان، جيرار جينيت، تودوروف جون كوهن، ميشال ماير ، تودوروف<sup>2</sup>. فقد صارت مرونة المنهج النقدي في الوقت الراهن أهم عامل يهتم له الناقد نظراً للتناص والتواشج بين الأجناس الأدبية داخل الخطاب الواحد، كتداخل الخطابية والشعرية في متن أدبي واحد، فصرنا نرى قراءات حجاجية لنصوص شعرية، كما كانت تُقرأ النصوص الخطابية التي يقصد بها الإقناع أولاً بمقاربات شعرية أسلوبية.

وقد لخص (إيفانكوس *José María Pozuelo Yvancos*)\* أسباب ازدهار الدرس البلاغي وانبعاثه من ركودٍ قارب القرن من الزمان في نقاط أربعة<sup>3</sup> - لعلنا قد أوردناها في مواضع أخرى من هذا الفصل، ولا بأس من إعادتها منسوبة إلى صاحبها من باب الأمانة العلمية - وهي كما يلي :

<sup>1</sup> ينظر محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص184

<sup>2</sup> ينظر عبدالعالي قادا، بلاغة الإقناع، 29

\* خوسيه ماريا بوزويلو إيفانكوس (1952) هو منظر وناقد أدبي إسباني ، وأستاذ نظرية الأدب والأدب المقارن في جامعة مورسيا منذ عام 1983.

<sup>3</sup> ينظر محمد سالم الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، الكتاب الجديد، ص103

- الحاجة الإنسانية الملحة لإعادة بعث العلم الكلي وتشبيده من جديد؛ العلم الذي يختص بدراسة الخطابات اللغوية وتراكيبها، فالبلاغة تمثل الحلقة الرابطة بين كل العلوم والنظريات النقدية التي انبرت لتأويل الخطاب ومحاولة فهمه انطلاقاً من رؤى فلسفية ومعرفية متعددة. توسعت امبراطورية البلاغة لتطرق كل جوانب الخطاب الخطابية والشعرية والتأويلية والأسلوبية تأسيساً على البناء الصرفي والتركيبي والدلالي وصولاً إلى الغاية البلاغية من النص.
- التطور الذي نال حقل اللغويات في مطلع القرن العشرين من جراء لسانيات فرديناند دي سوسير، ثم التحول عن لسانيات اللسان إلى لغويات الكلام لدراسة العملية التواصلية بين طرفيها (المرسل والمتلقي)، مما أفرز النظرية التداولية للغة البشرية، وهو ما أفرز - بدوره - نظرية الحجاج اللغوي.
- أزمة الانتاج النقدي الرفيع التي سادت في السبعينات، فتبين أن الدرس البلاغي كفيل لاحتواء الأزمة وإثراء الساحة النقدية بصفة شاملة - كما كان على مدى عصور - وبديلاً مناسباً للنظريات النقدية التي كثرت في فترة السبعينات.
- كما عزا (إيفانكوس Yvancos) نجاح البلاغة إلى اهتمامها بوسائل الحجاج الكامنة في الخطاب، والتي فرضتها عدة أمور أدبية وفنية واجتماعية، وكذلك الثورة العالمية في مجال المعلوماتية المسخرة في مجال التواصل البشري في الوقت الراهن. وكذلك قدرة علم البلاغة على استيعاب النظريات اللغوية والأدبية الحاقّة به، وتحويلها إلى مكّون بلاغي جديد يتلاءم وفق المقام الآني للاستعمال اللغوي. وفي الأخير انتبه البلاغيون المعاصرون أن الحجاج هو الغاية الأولى للتواصل الإنساني الذي يقوم على المنفعة التي تقصد الإقناع والتأثير والتوجيه في معظم الأحيان؛ مما رشح نظرية الحجاج لريادة الدرس البلاغي المعاصر.

كما أصّل الباحث محمّد الأمين سالم الطّلبة أصليين نظريين آخرين كانا باعثاً في انتشار نظرية الحجاج الجديدة وأساساً لها ناتجين عن " تعاضد فكرتين جوهريتين : أولاهما وجودية ظاهراتية في آن، عمادها مقولة (هيدغر *Martin Heidegger* 1889م-1976م) التي اعتبر فيها اللّغة هي الوجود بكلّ أبعاده وأزمته، أمّا الثّانية فتأويلية (هرمينوطيقية) مفادها ضرورة الانطلاق من اللّغة المرسلة في مقام معيّن، ثمّ تفكيكها والغوص فيها للوصول إلى مكوناتها الأساسيّة وعلاقتها بالمتكلمين والمخاطبين ... تتلخّص في السّؤال عن الكيفيّة التي تحمل بها الكلمات المخاطبين إلى الفعل" <sup>1</sup>.

قد أوردنا كلام الباحث كما جاء في مصدره؛ إلّا أنّنا لم نجد له مرجعاً ي حيل إليه خاصّة في ما يخصّ العلاقة بين البلاغة الجديدة والظاهر اتية عند (هيدغر) فلم نجد لها تأصيلاً - بعد - عند باحثين آخرين. أمّا نظرية التأويل فهي عملية حجاجية عميقة يقوم بها فكر المخاطب حين تلقيه للخطاب، خاصّة إذا كان هذا المتلقّي من نخبة النّقاد والباحثين في نظريات الخطاب المعاصرة، فسيحتاج إلى الحجاج كعملية مؤيّدّة أو ردّ فعل تتمثّل في حجاج مضادّ. أمّا المتلقّي العادي (العامّي) فقد لا يأبه لما يطرح عليه من حجج أيحملها على جهل أو يردّها عناداً وتعسّفاً.

### 2- سياقات تاريخية سياسية :

بعدما ساد الأمن والاستقرار في أوروبا بعد الحرب العالميّة الثّانية، التفتت الدّول الأوروبيّة إلى إعادة إعمار ما هدمته الحرب من بنيّ تحتية ومؤسسات خدماتية وصناعية إنتاجية، وازدهرت النهضة الصناعيّة وتحركت عجلة الإنتاج بقوة مذهلة، ممّا سهّل حركة النّشاط التجاري الداخليّة والخارجيّة وازدادت المنافسة بين أرباب المال والشركات المصنّعة، فجاء دور علم التّسويق ليتولّى مهمّة التّرويج للمنتوج عن طريق الدّعاية والإشهار الذي

<sup>1</sup> محمّد الأمين سالم الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص105.

يعتمد أساساً على بلاغة الحجاج لإقناع المتلقّي بالشراء ولا يهّمه في ذلك الجودة أو أسعار المنتج.

وفي هذا السّياق الاقتصادي الجديد يقول الفيلسوف ورجل القانون البلجكي الذي يعدّ باعث نظريّة البلاغة الجديدة في خمسينات القرن العشرين، شايم بيرلمان : "... واتّسم هذا العصر بازدهار الدعاية والإعلان، فإنّ المناطق المحدثين قد أغفلوا هذا الجانب، ممّا يجعل نظريتنا (الحجاج) تقترب مرّة أخرى مبدئياً من شواغل عصر النهضة. ولذا فإننا نقدّمها باعتبارها بلاغة جديدة".<sup>1</sup> تكمن جدّة البلاغة الجديدة - إذن - في اهتمامها بتغيّر السّياقات في عالمنا المعاصر واهتمامها بهذا التّغيير الذي أهمله الفلاسفة الذين زادوا من تكريس المنطق الصّوري حتّى أصبح لا يقدر على التّطبيع مع شواغل عصرنا.

يصرّح رائد البلاغة الجديدة أنّه خصّ نظريته ببعث مبحث الحجاج من البلاغة القديمة لأنّ المنطقيين المعاصرين قد أهملوه، وقد صار السّياق العالمي في حاجة إليه نظراً للثورة الإعلاميّة والدعائيّة التي ازدهرت في مطلع القرن العشرين الذي يعدّ عصر نهضة صناعيّة كبرى توازيها النهضة التجاريّة بين دول العالم المنتجة والمستهلكة، وهذا ما زاد من حركة الإشهار والإعلانات التّسويقية للمنتجات الصناعيّة وغيرها، والعمل الإشهاري والدعائي هو عمل حجاجي إقناعي بامتياز يندرج تحت بلاغة الصّورة.

### 3 سياقات ذاتية واجتماعية :

ويرى الباحث (جورج فينو *Georges Vigneau*) أنّ مشروع بيرلمان في إعادة بعث البلاغة الجديدة يعود " إلى عوامل سياسيّة ارتبطت بتأثره الشّديد وهو اليهودي البلجكي، بالإبادة الجماعيّة التي تعرّض لها الشعب اليهودي خلال الحرب العالميّة الثانيّة، هذه الإبادة التي كانت تترجمها الخطب النّارية لخطيب مرعب هو (أدولف هتلر)، ممّا جعل بيرلمان

<sup>1</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص ص 68

يقتنع بأن الكلام غير المنضبط والكلام المستند إلى المطلق قد يقودان إلى اللأعقل وإلى التخريب والموت. هذه الحساسية لما كان يعتمل في أوروبا حدثت ببرلمان منذ 1934 إلى الكتابة عن عشوائية المعرفة؛ عشوائية القول وعشوائية الفكر والإيديولوجية<sup>1</sup>. فالأمر هنا لا يخلو من الأمور الذاتية (أو القومية) والوضع السياسي الذي فرض على الأقليات اليهودية في أوروبا كالتّهجير والإبادة إبان الحرب العالمية الثانية مما شجّع بيرلمان إلى الخوض في هذا النوع من الدراسات اللغوية التي تقبل الاختلاف في جوّ ديمقراطي متفهم.

وبعد الحرب ساد جوّ ديمقراطي أعطى كلّ الحوافز لازدهار الدراسات الحجاجية<sup>2</sup>، ولا يفوتنا هنا التذكير بالعامل الديمقراطي في قيام البلاغة اليونانية (الخطابة)، ففي القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، كان الأثينيون يقرّرون معاشهم داخل المؤسسات الثلاث (التّجمع الشعبي، المحكمة الإيلية، والمجلس الحاكم) بطريقة ديمقراطية<sup>3</sup>، وها هو السياق العالمي الجديد القائم بعد الحربين العالميتين والمنشطر إلى معسكرين رأسمالي ديمقراطي واشتراكي شيوعي يعيد السياق الأوّل الذي ظهرت فيه بلاغة الحجاج. وقد كان خطاب الأحزاب الشيوعية الأوروبية المهاجمة للديمقراطيات آنذاك مشحوناً بالغضب والعنف؛ ما دعا بيرلمان إلى الإعلان عن الإطار العامّ الدافع لتسويق مشروعه الحجاجي بغية الخروج من تلك المضايق التي تهدّد العالم، حيث يؤمن بيرلمان أنّ أكبر ما يهدّد العالم : هو قيمة العدل..<sup>4</sup> فيرى أنّ العدل من القيم التي يصعب تحديدها في العملية الديمقراطية لذا يجب

<sup>1</sup> محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج د ص 58

<sup>2</sup> ينظر عبد النبي ذاكر، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مجلة عالم الفكر ع 40، أكتوبر ديسمبر 2011

<sup>3</sup> ينظر محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، ضمن: البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1، 2014م ص 49. ينظر أيضا فيليب بروتون، تاريخ نظريات الحجاج.

<sup>4</sup> محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص 60

العودة إلى الحجاج الفعّال والبناء بين الأفراد، والذي يُبنى بالاتفاق على الأفكار والقيم التي ترتقي بالمجتمع وتحميه من الاستبداد بالرأي<sup>1</sup>، وتبعده عن كل أشكال العنف القولي والفعلي.

إنّ الحجاج عند بيرلمان " معقوليّة وحرية وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورّة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيداً عن الاعتباطيّة واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة وبعيداً عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل. ومعنى ذلك كلّهُ أنّ الحجاج عكس العنف بكلّ مظاهره " <sup>2</sup>. إنّ السياق التاريخي المليء بالحروب والعنصريّة الذي عايشه صاحب نظريّة الحجاج الجديدة كان عاملاً فاعلاً في خلق القابليّة لهذه النظريّة إذ وجدت البيئّة الحاضنة لنموها وانتشارها بين المفكرين والسياسيين العقلاء الذين ينبذون العنف السائد آنذاك في أوروبا

من أهمّ العوامل الاجتماعيّة التي سادت أوروبا في القرن الماضي هو مبدأ الحرية الذي صار هدف الأنظمة الجديدة هناك، ففتحت كلّ وسائلها وعملت على ترسيخها بشكل مذهل حتّى بلغت إلى حدّ غير معقول. فقد كانت مسألة الحرية حافزاً لانتعاش الممارسات الحجاجيّة كما أصبحت هدفاً وغاية من غايات نظريّة الحجاج الجديدة تصبو إلى تحقيقها وترسيخها في حياة الإنسان الأوروبي، " لأنّ الحجاج غير الملزم ( *Non contraignant*) وغير الاعتباطي هو القمين بأن يحقّق الحرية الإنسانيّة من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل، فإن تكون الحرية تسليماً اضطرارياً [إلزامياً] بنظام طبيعي معطى سلفاً معناه انعدام كلّ إمكان للاختيار"<sup>3</sup>. وبالفعل قد توصلوا إلى هدفهم هذا وتخلّصوا من كلّ أنواع الاستبداد في الرّأي والحكم والإدارة الأحاديّة حتّى داخل الأسرة الواحدة، واندثرت في هذا العصر كلّ النظريات الفلسفيّة التي تمجّد الأحاديّة والسيطرة على الآخرين بمنطق تأليه العقل.

<sup>1</sup> ينظر الدّفاع عن الأفكار (مرجع سابق)، ص60.

<sup>2</sup> عبدالله صوله، الحجاج أطره وتقنياته ومنطلقاته من خلال "مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا" ضمن

الحجاج في التقاليد الغربيّة إشراف حمادي صمود، ص298

<sup>3</sup> عبدالله صولة، في نظريّة الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص16



مع هذه السياقات التاريخية السياسية والذاتية الاجتماعية نكون قد وصلنا إلى ختام الفصل الأول من هذه الدراسة والذي خصصناه لمرجعيات البلاغة الجديدة، وقد وجدنا بعضها أساساً نظرياً ينبغي التوسع فيه كالبلاغة اليونانية والفلسفة اللغوية الحديثة التي سادت أوروبا في القرن الماضي، وكذلك دعوة الفلاسفة إلى استبدال النسق الفلسفي القديم بالبلاغة الجديدة وفلسفة اللغة، بالإضافة إلى أزمة المنطق الصوري في مزاولة القضايا القيمة كالأخلاق والمبادئ وضرورة إعادة توسعته ليتمكن من حلها. ومن المرجعيات ما وجدناه ثانوياً لا يستدعي توسعاً كبيراً كالظروف السياسية والاجتماعية التي سادت العالم في القرن الماضي.

# الفصل الثاني

## آليات البلاغة الجديدة

- المبحث الأول : آليات الحجاج المنطقي عند بيرلمان

- المبحث الثاني : آليات الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكرو

- المبحث الثالث : آليات الحجاج البلاغي

### 1. تمهيد :

نحاول في هذا الفصل البحث في طرق وآليات العمليات الحجاجية التي يمارسها الخطيب (المرسل) حين ممارسته للحجاج. وقد تعددت آليات الحجاج على حسب المدرسة التي تنضوي تحتها والنظرية التي تؤسس لها وتؤطرها. كما تعدّ النظرية الفلسفية التي ينطلق منها الباحثون في تأسيس النظريات اللغوية عاملاً أساساً في توجيه محور النظرية الحجاجية وآلياتها، فعلى سبيل المثال نذكر نظرية ( بيرلمان *Perelman*) الحجاجية التي ينطلق فيها من أسس منطقية تعود إلى نظرية أرسطو ال خطابية والمنطقية، لذلك عرفت نظريته بنظرية الحجاج المنطقي ، وكذلك نظرية (ديكرو *Ducrot* وأنسكومبر *Anscomber*) فقد اتكأ صاحبها على الجانب اللغوي في الخطاب، واستتبنا منه التقنيات الحجاجية ذات الصبغة اللغوية، فوضعا نظرية الحجاج اللغوي، ومن الباحثين من دخل إلى حقل الحجاج من زوايا أخرى كالفلسفة والتداولية.

كما تختلف النظريات الحجاجية باختلاف فهمها لطبيعة ( الحجة) وآليات تفعيلها في الخطاب، فليست الحجة عند بيرلمان بنفس المفهوم عند ديكرو، فهذا الأخير جعل من المتاحات اللغوية حججاً في ذاتها وآليات للحجاج. بيد أن بيرلمان مع أنه لم يخصص مبحثاً خاصاً لمفهوم الحجة لكنه جمع المواضيع التي تؤخذ منها الحجج تحت مفهوم ( مقدمات الحجاج)، وذكر من أنواع الحجج الوقائع والحقائق والقيم والمواضع..، وحسب ما نراه أن (الحجة) باعتبارها عماد العملية الحجاجية برمتها هي كل وسيلة أياً كان نوعها تدعم الرأي الذي يريده الخطيب وتعمل على توجيه المتلقي نحو تبني هذا الرأي، كما تعمل في الآن نفسه على دحض كلما من شأنه أن يعارض الرأي الأول أو يحاول التشكيك فيه. وفي فصلنا هذا رصد لأهم النظريات الحجاجية المعاصرة وآلياتها القريبة من نظرية البلاغة الجديدة عند بيرلمان في تحليل الخطاب الحجاجي.

كما يرجع تعدّد واختلاف النظريات الحجاجية إلى طرح معرفي مهمّ يخصّ مفهوم الحجّة في ذاتها ومدى الاختلاف بين الباحثين في تعريفها، وفي هذا الصّد يقول فيليب بروتون " إنّ كلّ نظرية من نظريات الحجاج، حتّى تلك المتقاربة والمتشابهة في التناول، تحوي تصوّراً، إلى حدّ ما، متفرداً وخاصّاً للحجّة، فلا يوجد تعريف واحد للحجّة، والموضوع الذي تتشارك في دراسته نظريات الحجاج لا يزال غير واضح كما ينبغي؛ ممّا يجعلها تظهر كصورة مبعثرة، فهي نظريات تتوزع على طيف واسع يجعل وحدتها أمراً بالغ الصّعوبة"<sup>1</sup>. فهذا عامل آخر أدّى إلى تعدّد نظريات الحجاج واتّساع الهوة بينها على رأي فيليب بروتون، فهو يرى في الأمر عسراً يختلج بلاغة الحجاج وليس تنوعاً معرفياً يخدم في الأخير الدرس البلاغي الحجاجي المعاصر. وهذا الاختلاف يجد الباحث أثره جلياً عند محاولته البحث عن المفهوم الصّحيح لنظرية الحجاج والتي يختلف الاصطلاح عليها من باحث لآخر ومن حقل إلى غيره من الحقول.

أمّا عن قوّة الحجاج فإنّها راجعة أولاً إلى قوّة الحجّة وطريقة اقتنائها وتوظيفها، فالحجّة المقبولة عند (بول ريكور) هي التي تُغني الخطيب عن التعليل والتفسير فلا يحتاج إلى الإكثار من (لأنّ) وآليات التفسير الأخرى، كما تغني المتلقّي عن كثرة الاستفسار<sup>2</sup>. إضافة إلى طبيعة الحجج فإنّ الحجاج ممارسة إنسانية تواصلية تعتمد اللّغة البشريّة خاصّة، وآليات أخرى ضمن سياق معيّن هو المرجع لهذه العملية<sup>3</sup>، ولكلّ مرجع تقنياته الخاصّة به والمرافقة له يستعين بها الخطيب لإيصال الأطرحة الحجاجية. ومن أهمّ سمات العمل الإنساني هو الجانب الفكري الذي يُعتمد فيه المنطق العقلي الذي يحاول اتّباع قواعد عقلية تشحن

<sup>1</sup> فيليب بروتون ، نظريات الحجاج، ص15

<sup>2</sup> Voir : Thierry HERMAN, *Le fil du discours : Analyse rhétorique et textuelle des messages de guerre du Général de Gaulle (1940-1945) Thèse présentée à la Faculté des Lettres de l'Université de Lausanne pour obtenir le grade de docteur ès lettres, Octobre 2005, p167*

<sup>3</sup> ينظر عبدالهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث الأردن 2010م، ص77

الخطاب اللغوي بشحنة حاجبفة إقناعبفة؁ فهذه العلاقات الفكرية لها فضل في هندسة الخطاب الحاجبي المؤببب. ومن منطلق نوعبفة الحببفة وتقنيات استعمالها تفرعت النظربفة الحاجبفة البببفة.

أما الخطاب اللغوي فينضببب وفق منطق لغوي خاصً مثاله في علوم العربية علم النحو والصرف وعلم المعاني من تقديم وتأخير وأسلوب الالتفات وأسلوب القصر والذكر والحذف. ولهذه الأساليب اللغوية دلالات حاجبفة تخدم وجهة إقناعبفة م دمجة في هذ المستويات اللغوية للخطاب؁ وعن هذا التصور تبلورت نظربفة الحاج اللغوي. أما الجانب السياقي فالمقصود به الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية الباعثة لقيام العملية الحاجبفة؁ فهذه الظروف تحمل الخطيب على توظيف صيغٍ وصورٍ بلاغية خاصة تنبعث من تلك الثقافة الاجتماعية موافقة لموقف إنتاج الخطاب؁ وهذا ما أنتج نظربفة حاجبفة بلاغية؁ بحببفة أن الصور البلاغية هي وليدة مقام معين ينحدر من ثقافة خاصة تؤدي عملاً حاجبباً في سياقها الخاص.

## 2. المفهوم العام للحجاج :

قسّم جاك موشلار و آن روبول الحجاج إلى قسمين : حجاج عامٌ وحجاج تقني؁ أما الحجاج العام ( *Argumentation ordinaire* ) فهو " مجموع الخطط الخطاببة المستعملة من قبل المخاطب لإقناع جمهوره ومتقبّله" <sup>1</sup>؛ وفيما يبدو أن الإنسان - أياً كان مستواه المعرفي- يمارس هذا الحجاج في تعاملاته اليومية؛ موظفاً الخطاب الحاجبي كأجراء واقعي إقناعي؁ بحيث لا يدري أنه يمارس تلك النظرية المعرفية التي تدرس على أعلى مقام علمي في الجامعات العالمية.

<sup>1</sup> عز الدين التاجح؁ العوامل الحاجبفة في اللغة العربية؁ ص26

المفهوم التقني : " إن المتكلم إذ يحاجُّ إنما يقدم قولاً أولاً (ق 1) أو مجموعة أقوال تقود إلى الإذعان والتسليم بقول آخر (ق 2) أو مجموعة من الأقوال الأخرى. ويمثل (ق 1) أو مجموعة الأقوال حجة منها يكون الانطلاق، ولو جاز لنا اقتراض مصطلحات تولمين؛ لقلنا إن (ق 1) يمثل المعطى و(ق 2) يمثل النتيجة، ويمكن أن يوازي (ق 1) أي الحجة عند (بيرلمان) قضايا الانطلاق *Les proposition du depart* ، فالقول أو الأقوال المنطلق تكون صريحة أما (ق2) أو النتيجة فتكون صريحة *Explicite* أو ضمنية *Implicite*، وأطرف الحجاج وأكثره إتقاناً ما كانت نتائجها ضمنية. والمركزي، بل والمفيد، من كل ذلك أن الحجاج هو ذلك الانتقال من (ق1) إلى (ق2) أي من المعطى إلى النتيجة على حدّ عبارة (تولمين) أو من المقدمات إلى الحقيقة باصطلاح بيرلمان.<sup>1</sup> وعليه فإنّ الحجاج في الاصطلاح هو الوصول إلى نتيجة معينة يسلمُ بها عند المتلقّي انطلاقاً ممّا يُعرض عليه من قضايا كمقدمات ومنطلقات حجاجية، بينما جعل (تولمن) الحجاج ذلك الانتقال بالفكر من الرّفص وصولاً إلى التسليم والإذعان عبر مراحل مهمّة هي الحجاج.

### 3. مقومات نجاح العملية الحجاجية :

يعود نجاح العملية الحجاجية إلى عوامل عدّة؛ اللغوية منها والمقامية والموضوعية، وأهمّها : الانسجام النصّي، الحياد والموضوعية، الاستدلال والتوجيه.<sup>2</sup>

- الانسجام النصّي : وهو ذلك الاتّحاد والتّضام الحاصل بين أفكار النصّ وأجزائه، وبين الخطاب والمخاطب، حيث إنّه يبتعد عن كلّ تناقض أو تفكُّك يشنّت ذهن المتلقّي وتركيّزه.

<sup>1</sup> عزّ الدين النّاجح، العوامل الحجاجية في اللّغة العربية، ص 27.

<sup>2</sup> ينظر خليفة عوشاش ، البنية الحجاجية للتناص، مجلة آفاق للعلوم، العدد الرابع 2016.

- الحياء والموضوعية : بحيث لا يفرض الإقناع على المتلقي فرضاً؛ إنما يكون في جو من الحرية يسمح له باتخاذ المواقف والقرارات بعد المحاجة الممارسة عليه، حرية وحياد يُبنى عليها الاقتناع الذاتي المنبعث من نفسية منفتحة متعقلة دونما إكراه أو تعسف في فرض التوجه على المتلقي ، لكننا نحسب أنّ تحقيق الحياء في المحاجة مستبعد لأنّ الخطيب ما كان ليحتاج عن فكرة لا يتبناها ولا يميل إليها . فقد يبدو الحياء للوهلة الأولى لكن سرعان ما تتضح الذاتية والنفعية مع تنامي الحجاج<sup>1</sup> . ولعلّ المقصود بالحياد هو ترك الحجاج بالمنطق الصوري الذي يلزم المتلقي ويسلبه حرية الرأي.

- الاستدلال : إنّ دفع أي متلقي عاقل للقبول بفكرة معينة لن يكون أمراً اعتبارياً دون أي استراتيجية إقناعية واضحة، بل يجب تتبّع استدلال عقلي أقرب ما يكون إلى البرهان، لكن لا يواطؤه مواطأة الحافر على الحافر، وقد علمنا أنّ الاستدلال الحجاجي احتمالي غير يقيني ولا يعتمد البرهان المنطقي والرياضي، لكنّ هذا لا ينافي العقلنة في هذا الاستدلال الحجاجي، والتنظيم المنطقي في طرح الحجج والأفكار وفق تسلسل سلسٍ ومعقول. ويسخر الخطيب في الاستدلال الحجاجي كلّ ما تتيحه أمامه الظروف من حجج متنوعة من الواقع إلى المنطق ومن الحجج اللغوية المتاحة كذلك.

أما أمثلة الاستدلال الحجاجي التي تجمع كلّ التقنيات المتاحة قد يحتاج سردها نصوصاً أو فقرات طويلة نستخرج منها بعض تلك الحجج المختلفة، ولا بأس أن نستشهد بآية واحدة ونحاول استخراج بعض الحجج منها. قال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ النساء.

لو ألقينا قراءة حجاجية في هذه الآية لرأينا القضية المقصودة بالاستدلال

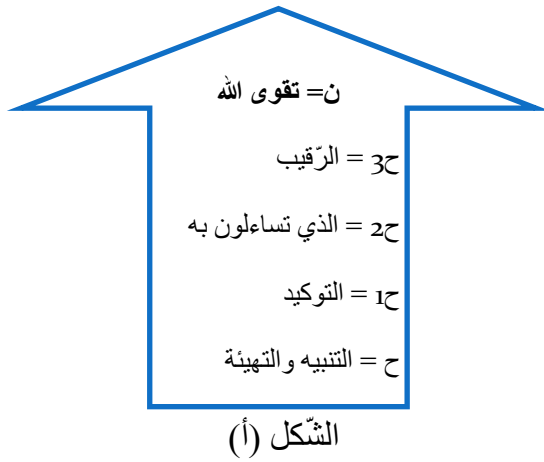
الحجاجي هي تحقيق (تقوى الله) ﷻ، وقد ذكرت التقوى بصيغة الفعل مرتان للتوكيد

<sup>1</sup> ينظر الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص 49.

عليها، والتوكيد عن طريق التكرار من الآليات الحجاجية اللغوية المستعملة كثيراً في الخطابات الحجاجية لأهميتها. ومن العوامل الحجاجية اللغوية في الآية أيضاً الأسلوب الإنشائي عن طريق النداء تنبيهاً للمتلقى وتبيته نفسياً لاستقبال الخطاب عن طريق حرف النداء (يا) وحرف التنبيه (الهاء) المتصل بالماندى، ثم يبدأ المولى - عز وجل - بذكر الحجج الواقعية المتنوعة والمتمثلة في النعم الإلهية؛ نعمة الخلق (خلقكم من نفس واحدة) وهي حجة صادقة واقعية لا يمكن إنكارها، ثم حجة واقعية أخرى وهي (وخلق منها زوجها).

ثم يأتي الحجاج عن طريق الصفات الإلهية ومكانة المولى ﷺ عند البشر في قوله (الذي تساءلون به)، فلولا مكانة الله في قلوب الناس لما تساءلوا به في قضاء الحوائج بينهم. ثم صفة (الرقيب) ويسمونها أصحاب الحجاج (بحجج السلطة) وهي التي تذكر المتلقي بمكانة الخطيب. إن الاستدلال الحجاجي في هذه الآية الكريمة قد سخر حُججا وأدلة مختلفة لتحقيق النتيجة

المقصودة (تقوى الله) التي تعدّ واجباً على كلّ البشر دون استثناء على ما تحقق من حجج تثبت عليهم هذا الواجب. وفي الشكل (أ) سنحاول ترتيب هذه الحجج حسب نظرية السّلام الحجاجية، ويكون الترتيب تصاعدياً من أضعف حجة إلى أقواها.



- التوجيه : توجيه الآراء نحو القيام بعمل ما إنما يكون بدقة وحسن الاختيار لكلّ من الألفاظ والجمل والأفكار الواردة في الخطاب، بحيث تخدم الهدف المنشود دون اعتباطية أو لفّ ودوران قد يبعدنا عن الهدف، فلا بدّ للعقل المحاجج أن يتمتع بقوة التركيز الباهرة



وملكة\* الاستحضار القويّة حتّى لا يدع شاردة ولا واردة تخدم قضيته إلاّ حشرها في حقله الحجاجي بغية توجيه المخاطب نحو الفكرة الهدف وفق ترتيب معقول يخدم استدلاله الحجاجي. والتّوجيه هو أسمى ما تسعى إليه العمليّة الحجاجية برمتها، لأنّ الخطيب قد حدّد مسبقاً الأهداف التي يرجو تحقيقها من أطروحته، ولا يمكن الحكم على نجاح تلك المحااجة إلاّ بعد النّظر في الدّعم الكافي التي حقّقه لدى الجمهور<sup>1</sup>، فإذا توصلّ الخطيب إلى توجيه فكر المتلقّي وفعله نحو القضية المقصودة بالمحااجة فقد حكم لفعله الحجاجي بالنّجاح.

---

\* الملكة : صفة راسخة في النّفس أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معيّنة بحذق ومهارة مثل الملكة العدديّة أو الملكة اللّغوية، ويرادفها القوة والقدرة والاستعداد الدائم. جميل صليبا المعجم الفلسفي، ص420.

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation, p64.*

## المبحث الأول :

آليات الحجاج المنطقي عند شاييم بيرلمان

### 1. تمهيد:

قد يتساءل القارئ تساؤلاً منهجياً حول غاية الابتداء في طرح آليات بلاغة الحجاج المعاصرة بآليات الحجاج المنطقي التي تخصّ نظرية الفيلسوف البلجيكي شايم بيرلمان؟ ولعلّ أقرب جواب عن هذا السؤال هو رجوع الفضل في بعث هذه النظرية إلى هذا الفيلسوف، فهو من أعاد بناء نظرية حجاجية بلاغية فلم يُخرج الحجاج من البيئة البلاغية التي وُلد وترعرع فيها أول مرة عند اليونان.

وفي هذا المقام يقول (ميشال مايير *Michel Meyer*) عن دور **بيرلمان** في بعث بلاغة الحجاج " إنّ الثورة الكبرى في الخطابة خلال هذا القرن قد تحققت، سواء أردنا ذلك أم لم نرد، على يد شايم بيرلمان. قد يعتقد أنّ هذا الكلام صادر عن تلميذ (...). مع ذلك، من الأكيد أنّ إسهام بيرلمان يشكّل تجديداً عظيماً لهذا العلم، وطريقة جديدة لفهم الخطابة وطبيعتها ومهمّتها، وسوف تبقى آثاره تقرأ في القرون المقبلة مثلما لا زالت آثار سيشرون وكنتيليان تقرأ"<sup>1</sup>

إنّ هذه الشّهادة من فيلسوف معاصر مثل (ميشال مايير) تعتبر تزكية قويّة لصالح بيرلمان يستحقّ بموجبها أن يُلقب بصاحب نظرية البلاغة الجديدة (أو الحجاج). وما البحوث المعاصرة في هذا الحقل العلمي إلا شاهد على صحّة ما ندّعيه ؛ إذ إنّ كلّ الباحثين في البلاغة المعاصرة غرباً كانوا أو عرباً ( بدرجة أقلّ) يولون الاهتمام الأكبر لنظرية بيرلمان في البلاغة الإقناعية كتواضع بينهم على السبق المعرفي الذي نالته مقارنة بباقي الأطروحات السابقة لها أو المعاصرة لها وحتى التي جاءت بعدها، وهذه الأخيرة ليست سوى عالة على عمل بيرلمان الجدير بالفضل والعرفان.

<sup>1</sup> الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص6

كما أننا ندرك أنّ إطلاق مصطلح ( الحجاج المنطقي ) على نظرية ( بيرلمان ) في البلاغة الجديدة سيواجه نوعاً من الجدل إنّ لم نقل الرّفص لدى بعض الباحثين، لذا ينبغي علينا تبيان سبب نسبة نظرية الحجاج إلى المنطق عند الفيلسو ف (بيرلمان) وزميلته (لوسي).

لا يخفي بيرلمان إنزال نظريته الحجاجية في إطارها الأرسطي<sup>1</sup>، بعكس نظرية أوزفالد ديكرود الذي حاول التّحرّر من المنطق والاعتناء بالبنى اللّغوية فقط. ولسنا نزعّم أنّ نظرية بيرلمان (منطقية صورية)، لكنّها تعتمد منطقاً خاصاً أوسع من منطق أرسطو الصّوري، يعرف بالمنطق الاحتمالي. وقد صرّح بيرلمان أنّه وجد نظريته في الحجاج في مبحث بلاغي قديم يقصد به الخطابة الأرسطية، وكان ذلك صدفة بينهما كان يحاول إيجاد قانون يضبط القيم<sup>2</sup>.

ونجده يؤكّد على منطقيّة الحجّة إذ يقول : " هل يمكن إذن أن نُقصي المنطق عن دراسة الحجج، وخاصّة تلك التي لا تتصوي بسهولة في صيغ ص وريّة صرفة؟ إنّ النتيجة التي يمكن أن تحصل من هذا الإقصاء هو أننا لن نفهم شيئاً من منطق المجادلة"<sup>3</sup>، فهذا دليل واضح من بيرلمان يؤيّد القول بمنطقيّة بلاغته الجديدة على اعتبار الاختلاف الطّارئ على المنطق المتّبع في هذه النّظرية من الصّورية إلى الاحتمالية، وقد سلف ذكره في الفصل الأوّل.

وقد أصبحت البلاغة الجديدة على يد (شاييم بيرلمان) وزميلته (أولبريخت لوسي تيتيكا) بلاغة انفتاحٍ وحرية دون ممارسة أي إكراه أو ضغوط على المتلقّي كما كان مع

<sup>1</sup> ينظر عبد الرزّاق بنور، الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته (القسم الثّاني)، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص350.

<sup>2</sup> ينظر الفصل الأوّل من هذه الدّراسة، ص65.

<sup>3</sup> عبد الرزّاق بنور، الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج، ص351.

الاستدلال البرهاني، وبعيدا عن الاعتباطية التي تغيب العقل وتحجبه من جهة أخرى<sup>1</sup>. وهذه عوامل كانت كافية لفسح المجال أمام هذه النظرية الجديدة في البلاغة لتحلّ المقدمّة بين النظريات الحجاجية القديمة والمعاصرة. وتتميّز نظرية الحجاج عند بيرلمان بملامح خاصّة أبرزها أنّ العملية الحجاجية توجّه إلى مستمع متوسّلة اللّغة البشريّة الطبيعيّة، بطرح مسلمات ومقدّمات احتماليّة مقبولة<sup>2</sup> تفنقر إلى الدقّة واليقينيّة، وبالتالي يمكن دحضها وردّها، كما لا يخضع تنامي العملية الحجاجية إلى الاستدلال المنطقي الصّارم؛ وعليه هفلا تكون نتائجه ملزمة بل احتماليّة غير حتميّة<sup>3</sup>. ولا يعني ذلك أنّها مجرد سفسطة أو هذر لا طائل من ورائه، بل تتناقش البلاغة الجديدة الأفكار الإنسانيّة القيّمة التي يحدث حولها الاختلاف في محاولة لتبئير الخلاف وتقليصه قدر الإمكان.

فصلّ الباحثان آليات نظريتهما في كتاب ضخم وسماه ب :

*(Traité de l'argumentation – La nouvelle rhétorique)* : وقد طبع هذا

الكتاب عدّة طبعات أولاها سنة 1958م ثمّ 1970م ثمّ 1976م ثمّ 1988م ثمّ 1992م، أمّا الطّبعة المعتمدة في بحثنا هذا فقد صدرت سنة 2008م عن مطبوعات الجامعة البلجيكية . وقد أورد المؤلفان فيه كلّ ما يخصّ نظريتهما بالتّفصيل؛ مركزين على العوامل الخطابية التي تعمل على الإقناع، كالحجج بأنواعها والرّوابط والسيّاق والعوامل النفسيّة والاجتماعيّة، بعيداً عن الضغوط والإقناع التّعسفي<sup>4</sup>. وهذا ما سنقف على ذكره في هذا المبحث . بإذن الله تعالى

<sup>1</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص12.

<sup>2</sup> ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص93.

<sup>3</sup> ينظر محمّد سالم الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص108

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص111.

كانت " الثورة التي فجرها بيرلمان تتمثل في التعديل الذي أحدثه في النظام الأرسطي وبالخصوص في التمييز بين الحجج المنطقية *logos* ، والحجج المرتبطة بطبائع الخطيب *ethos*، والمتلقي *pathos* وبين الأساليب الخطابية. لقد أدرج الفيلسوف الاستاجيري الحجج القائمة على المقارنة والتّمثيل والشّاهد ضمن مبحث الكتاب الأوّل من الخطابة وعاد في الكتاب الثّالث الذي كرّسه للأساليب لكي يتحدث عن الاستعارة ... هذا التّصوّر التّمييزي الذي احتفظت به كلّ البلاغة العتيقة بين المقوّمات الحجاجية والمقوّمات الأسلوبية الزائدة أو التّربينية هي التي تفرّغ لها شايم بيرلمان. لقد سهّل عليه المهمة تبنيه لأطروحة أساسية وهي تسليمه بأن كلّ المقوّمات التي اعتبرت عند المتقدمين مجرد محسّنات هي عنده مقوّمات حجاجية<sup>1</sup> ، حتّى صرنا نرى اليوم القراءات الحجاجية للتّصوّر البلاغية، حيث لم تعدّ الصّورة فناً أسلوبياً كما عدّت قديماً إنّما لها دور حجاجي مهمّ يهدف الإقناع الخطابي.

### 2. مقدّمات وتقنيات البلاغة الجديدة عند بيرلمان :

يتمركز مفهوم الحجاج (*L'argumentation*) عند بيرلمان وزميلته من خلال كتابهما حول مسألة جوهرية هي الإقناع. فالحجاج عندهما هو " دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التّسليم"<sup>2</sup>، أمّا التقنيات التي يعتمدها المحاجج فهي تقنيات الفصل والوصل والمنطلقات والتي تسمى بالمقدّمات الحجاجية وتنقسم بدورها إلى أشكال عدّة سنأتي على ذكرها لاحقاً. يتمّ التّسليم في الحجاج بتوظيف تقنيات عدّة في الخطاب تُعرف بالحجج الاحتمالية بعيداً عن البرهان الرياضي الملزم بالاقتناع في أغلب الأحيان. والحجاج ممارسة إنسانية خطابية تزداد مهارتها بمدى توفيقها وتمكّنها من حمل الجمهور على الإقناع بما يطرح عليه

<sup>1</sup> مصطفى الغرافي البلاغة بوصفها تفكيراً في قضايا الخطاب

<sup>2</sup> Chaïm Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, *Traité de l'argumentation*, p5.

من أفكار توّديّ به إلى تبنيها والعمل بها، وذلك مُشاهد في الحملات الانتخابية، فالتصويت لصالح الحزب (أ) لا يتمّ إلاّ بعد حملة انتخابية يكون الخطاب اللغوي (باستعمال كلّ الوسائل المُتاحة) هو سيّد الموقف في انتزاع تلك الأصوات من الناخبين بعد عملية حجاجية شاقّة يبذلها الخطيب أو المرشّح الناطق باسم الحزب.

يكون نجاح الحجاج - إذن - بتبني المتلقّي الأفكار التي تعرض عليه والعمل بها. وعوامل نجاح العملية الحجاجية متعدّدة متكافئة تبدأ من معقوليّة الفكرة ومصداقيتها مروراً بكفاءة الخطيب المحاجج وملكته الحجاجية واللغوية وتأثيراته النفسيّة وسمعته ومكانته بين النّاس (*Ethos*)، ثمّ تعتمد العمليّة النّاجحة اعتماداً كبيراً على الحجج (*Logos*) المقدّمة لدعم القضية المطروحة، كما يلعب المقام والسيّاق و طبيعة الجمهور (*Pathos*) دوراً ليس بالهين في نجاح الحجاج، ولو غاب أيّ عنصر من هذه العناصر المتعاضة المتكاملة يكون تغير المعادلة حتماً من النّجاح إلى سواه.

### 1.2 مقدّمات الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا *Les premises*

#### *del'argumentation*<sup>1</sup>

والمقصود بالمقدّمات (*prémises*) هي نقاط الانطلاق *Points de départ*

التي تؤسّس عليها العمليّة الحجاجية، وهي : الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم وهرمية القيم والمعاني أو المواضيع *Les lieux*<sup>2</sup>. ولهذه المقدّمات أهمية كبرى في انطلاق العمليّة الحجاجية ونجاحها، ولا بأس من التّبيه إلى أنّ أهمّ خاصية ينبغي توفرها في مقدّمات الحجاج هي قبولها والتّسليم بها بين طرفي الحجاج كما يقول دو غلاس (*Douglas*) : " لو دخلتُ أنا وأنت في حوار إقناع، فإنّ واجبي محاولة إقناعك بمقدّمات أنت تسلّم بها أو

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation*, p87.

<sup>2</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص24

تقبلها، وواجبك محاولة إقناعي برأيك انطلاقاً من مقدمات أنا أسلم بها أو أقبّلها"<sup>1</sup>، فالأفضل في عملية التّواصل الحجاجي تسخير قاعدة فكرية ومقدمات معروفة يقبلها المتلقّي - على الأقلّ - أو التي يسلم بها تسليماً وهذا أجود وأنفع.

إنّ العملية الحجاجية تنطلق ممّا اتفقنا عليه مسبقاً في محاولة تحقيق اتفاق حول أفكار جديدة لمّا نتفق عليها بعدُ، فإذا اختلف طرف العملية الحجاجية في المقدمات الأولية التي تضمّ المسلمات وبعض الأفكار المتوافق عليها فإنّه لا يمكن بناء حوار حجاجي سليم ونجاح إذ سيحكم على العملية بالفشل قبل انطلاقتها، فالحجاج الذي يقوم بين شخصين أحدهما (مؤمن) بوجود الله الواحد الأحد، والآخر ( ملحد) لا يؤمن بوجود أي إله أو بأيّ رسالة سماوية، فإنّ قاعدة الانطلاق في المحاجبة ستكون بتحييد كلّ الأفكار والمعتقدات التي يعتقدونها الرّجل المؤمن، لأنّ إقحام أيّ فكرة منقولة من القرآن الكريم أو الحديث الشّريف - مثلاً - ستكون مرفوضة من الطّرف الآخر دون أدنى شكّ، والعلة في ذلك أنّه يرفض أصلاً وجود الإله فأنتى له أن يصدّق بكلام ينسب لذلك الإله، وعليه فإنّ هذا النوع من المناظرات الحجاجية يعدّ من أعقد أنواع الحجاج لأنّ طرفيه غير متفقان على المنطلقات الحجاجية.

ليس الهدف من الحجاج الانطلاق من مقدمات مسلّم بها للبرهنة على صدق النتائج على طريقة البرهنة الصّوريّة، إنّما القصد من الحجاج نقل ذلك التّوافق الحاصل حول المقدمات إلى النتائج والتّسليم بها<sup>2</sup>. لذا ينبغي على الخطيب انتقاء المقدمات المتوافق عليها والنّاجعة لنجاح العملية الحجاجية. فإذا لم تكن هذه المقدمات ممّا يقبله المتلقّي ويسلم به فإنّ الخطيب سيقع فيما يسمّيه بيرلمان **المصادرة على المطلوب** (*Pétition de*<sup>3</sup>)

<sup>1</sup> بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداولية في الإرسالية الإشهارية العربية، مجلة المخبر ، العدد العاشر 2014، ص500

<sup>2</sup> ينظر الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، 42

<sup>3</sup> *Traité de l'argumentation*, p150/151.



*principe*) وهي من أكبر الأخطاء التي يقع فيها المحاجج<sup>1</sup> إذ يحسب أن المتلقي يقاسمه الاتفاق حول تلك المقدمات في حين هي من المختلف فيه، ويبقى مرادفاً له حتى ينتزع منه تسليماً مرتباً حول المقدمات التي سيقنع مرة أخرى في محاجة جديدة نحو فرض أفكاره بطريقة تعسفية وليست حجاجاً معقولاً يقبل الآراء المتناقضة كما أسس لذلك بيرلمان.

وقد ذكر أرسطو في بلاغته هذه المقدمات الحجاجية ضمن تقسيمه لمراحل العمل البلاغي إلى أربعة أقسام (مراحل) هي<sup>2</sup> : أ- الحجج (مؤسّسة الأدلة والابتكار)، ب- التصنيف : وضع الحجج وبنائها في الخطاب على النحو (الترتيب) المعقول الذي يؤتي الحجاج ثمرته ، ج - اللفظ : وضع الحجج في نسق لغوي أسلوبى يجعل له القبول في نفوس المتلقين، د- الإنجاز (الإلقاء) الفعلي للخطاب أمام الجمهور. أمّا موضع المقدمات الحجاجية التي نحن بصدد عرضها فتأتي في المرحلة الأولى من المراحل التي ذكرها أرسطو؛ وهي مرحلة ابتكار وتأسيس الحجج، وتحضيرها بشكل جيد وتمحيص دقيق يمنحها كفاءة حجاجية عالية أثناء طرحها على الجمهور، ويحول دون ردّها أو ازديادها خاصة مع المفكرين والمتقنين.

إنّ البداية البلاغية الموفقة عند (أرسطو) لازالت هي نفسها اليوم مع (بيرلمان) تعتمد نفس المنهج الحجاجي الذي جعل الحجّة المقنعة والاختيار الأمثل لها النواة المحرّكة للعمل الخطابي برمته. أمّا ما يتبع هذه المرحلة الأولى من مراحل أخر؛ هي عمليات تصنيفية منهجية تتجلى فيها الكفاءة المنطقية والفكرية للخطيب والمهارة (الموهبة) الكافية لإدارة المواقف. وهذه الموهبة ليست بالأمر ال هين الذي لا يؤبه له؛ إنّما عليها الحمل الأكبر في بناء نسق بلاغي فني، يهب الخطيب مرونة وسلاسة في الانتقال وحسن التخلّص من فكرة لأخرى والمناورة داخل هذا النسق الخطابي، يزرع فيه من الحجج ما يشاء وكيف ومتى وأين

<sup>1</sup> ينظر الحسين بنوهاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص41

<sup>2</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص46.

شاء دون الإخلال بالتسلسل الفكري المعقول ، في أسلوب بليغ يمنع الملل والكآبة من الزحف إلى فكر المتلقّي.

وليست العملية الحجاجية النّاجحة سوى عملية انتقاء لهذه المقدمات والقيم وطريقة عرضها ووصفها ولّغة المعبرة عنها <sup>1</sup>، مع سابق تخطيط لبناء استراتيجيّة إقناعيّة مُعينة تقصد إلى تبني نتائج مع دة مسبقاً؛ ليس بناء العملية الحجاجية بالاعتباطي إنّما يكون عن سابق تخطيط وتدبير حتّى لا يقع الخطيب في معارضة ذاتية لمبادئه أو معارضة مستمعيه لما قد تواضعت عليه الجماعة من الأفكار القبلية والمسلّمات ، كما أنّه لا مجال للموضوعيّة والحياد في الحجاج ، فكيف يكون الخطيب محايداً ولم يدّخر جهداً في سبيل تحقيق القبول الفكري والتّوجيه الفعلي لأطروحته من خلال الحجاج.

يعود اختيار المقدمات الحجاجية إلى ثقافة الخطيب ومدى اطلاعه على ثقافة الجمهور وأهوائه، فمعرفة الخصم وخلفياته الفكرية في هذه العملية يسهّل اختيار مقدمات معروفة مقبولة عند الجمهور لا يمكن أن يرفضها بحال من الأحوال لأنّها من معتقداته التي يسلّم بها سواء كانت دينيّة أو ثقافيّة أو من العادات والتقاليد أو القيم التي توافق عليها ذلك المجتمع. وتعود هذه المقدمات التي تبني العملية الحجاجية إلى مصدرين أساسيين هما: الواقع والأفضل لأنّهما موضع تسليم لدى المستمع ، أمّا مقدمات الواقع هي : الوقائع والحقائق والافتراضات ومقدمات الأفضل هي القيم وسلّمياتها .

### 1.1.2 الوقائع <sup>2</sup> Les faits :

لم يتطرّق بيرلمان إلى تعريف دقيق لمعنى الواقع لما قد يحتمله هذا المفهوم من تعدّد لدى الباحثين، لكنّه قارب المفهوم إلى كونه " جنس من الاتّفاقات المتعلقة بمعطيات معيّنة

<sup>1</sup> ينظر الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص49.

<sup>2</sup> *Traité de l'argumentation, p89.*

تلك التي تعود إلى حقيقة موضوعية<sup>1</sup>، كما تعود الوقائع إلى " ما هو ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس " <sup>2</sup>، وسمتها الشهرة بين الناس والتوافق عليها بين أطراف الخطاب. كما لا يمكن ردّها أو دحضها <sup>3</sup> من أيّ كان، لأنّها واقع م شهور بين العامة والخاصة فهي حينئذٍ تصلح لبداية الحجاج الموفق.

قد يأتي المتلقّي على دحض الوقائع بوقائع تماثلها وتعارضها في آن واحد، ممّا يُضعف موقف الخطيب ويوقعه في الارتباك. ولنضرب لذلك مثلاً من السنّة النبوية ؛ يريد الخطيب أن يبني حجاجه على واقعة من سيرة النبي ﷺ فيقول مثلاً : ( إنّ النبي ﷺ كان يشرب الماء قاعداً)، معتقداً أنّ هذه الواقعة من المسلّمات المتفق عليها بين المسلمين، ليحتج بعد ذلك بسنّة فعلها؛ فيردّ عليه أحد المستمعين : (... لكن ثبت في السنّة النبوية أن النبي ﷺ شرب قائماً)<sup>4</sup> ولو مرّة واحدة في حياته، وهذه مقدّمة من جنس الأولى ومعارضة لها وبالتالي تؤدّي الغرض في دحضها، وتصبح الأولى في مهبّ الرّيح من حيث قيمتها الحجاجية، ولا يمكن الاعتداد بها في بناء عملية حجاجية موفّقة.

يشترط بيرلمان ضرورة الاتّفاق الكوني حول مقدّمات الحجاج، فهي مجرد "استمالة المستمع نحو الواقعة، هي بالنسبة للشخص مجرد استجابة ذاتية إزاء شيء ما يفرض نفسه تلقائياً على الجميع."<sup>5</sup>، وهذه الاستجابة الآلية من المتلقّين نتيجة توافق المتلقّين وتسليمهم بها؛ وهذا ما يحتاجه الخطيب للبداية الحجاجية الموفّقة. ومصطلح الوقائع في اللّغة العربيّة يحيل على كلّ حدث وقع في الماضي القريب أو البعيد وعرف بين الناس واشتهر بحيث لا يفكر أحد في رفضه أو إنكاره، مثل الهجرة النبوية، والغزوات الإسلامية، أو ظاهرة

<sup>1</sup> Ibid, p89.

<sup>2</sup> عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص24

<sup>3</sup> ينظر محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، ص134

<sup>4</sup> ينظر محمّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الحديث 1637.

<sup>5</sup> نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، دراسة تقابليّة مقارنة، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف/2 ص113 .

اجتماعية... وهذا المصطلح لا يحتاج إلى كثير من الشرح والتفسير لأنه أمر جلي ظاهر للخاصّ والعامّ نظراً لدنوّه من حياة القّاس اليومية.

ومن أمثلة الحجاج بالوقائع في الخطابة العربية، ما فعله الحجاج بن يوسف النّفقي مع أهل العراق حين خطبهم بعد (دير الجماجم) \* زجراً لهم عن مواقفهم الدّنيئة التي طالما تكرّرت، فاحتجّ عليهم أن ذكرهم بالوقائع الماضية وما لقوه من هزائم يشهد بها التاريخ حيث قال : " يا أهل العراق، ألم تنهكم الموعظ؟ ألم تزجركم الوقائع؟! "<sup>1</sup>

### 2.1.2 الحقائق *Les vérités* <sup>2</sup>:

يحلينا مفهوم الحقيقة في المعاجم على مفاهيم عدّة، فقد " تطلق الحقيقة على الثّابت قطعاً وبقيناً"<sup>3</sup>، أي ما ثبت في الواقع للعين المشاهدة، مثل خلق الإنسان، وبعثة الأنبياء - عليهم السلام- والحروب المدوّنة في كتب التاريخ، فهذه وقائع وحقائق في نفس الوقت وتعدّ مقدّمات حجاجية ثابتة وقوية لبداية موقّفة في الحجاج. ويعمد الخطيب إلى الحقائق كوسيلة من وسائل الرّبط بين الوقائع، وقد تكون نظريات علمية أو ضوابط دينية <sup>4</sup> يصعب القدح فيها، وتوظيفها يزيد من قوة الارتباط بين الوقائع وسلامتها من الشكّ والقدح، فالحقيقة لا يمكن ردّها بحال من الأحوال لأنها أقوى من النّظرية، وصحّتها تُضارع الواقعة المعايينة إلاّ أن الواقعة تكون أشمل وأوسع من الحقيقة.

أمّا بالنسبة لردّ الحقائق ودحضها فيكون بنفس طريقة ردّ الوقائع؛ أي بالاستعانة بما يجانسها ويعارضها من الحقائق خاصّة إذا تعدّدت تلك الحقائق المعارضة في مقابل حقيقة

\* وقعة دير الجماجم كانت عام: 83 هـ / 702 م، في مكان بين الكوفة والبصرة يسمى دير الجماجم. قضى فيها الحجاج النّفقي على أعنف الثورات الخارجة على بني أمية بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث.  
<sup>1</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج2/ص95.

<sup>2</sup> *Traité de l'argumentation*, p89

<sup>3</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللّبناني، ج1/ص485.

<sup>4</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص24

واحدة يحاول الخطيب أن يبيّن عليها بداياته الحجاجية. والحقائق من حيث الصحة على ضربين منها ما التبس بالواقعة التاريخية فلا يمكن دحضه، ومنها ما تحقّق من خلال البحث والتقصّي العلمي، وهذه الأخيرة أقلّ يقينية من الأولى. كما يظهر أنّ الوقائع والحقائق ليس موثوقاً بها بشكل يقيني<sup>1</sup>، خاصّة في العلوم المعاصرة التي توصل إليها الغرب اليوم، لأنّها لا تصدر عن مصدر معصوم كما هو عند المسلمين الذين يأخذون علومهم من معين معصوم كالقرآن الكريم والسنة الصحيحة، فتبقى نسبة العلم البشري خاصيّة من ذات البشر، فلا ينبغي أن يغفل عنها أهل العلم مهما بلغ من دقّة وبرهنة رياضيّة. وقد حدث كذا مرّة أن أثبت العلم خطأه وعاد عنه باكتشافات ونظريات تخالف ما كان سابقاً حقيقة علمية.

### 3.1.2 الافتراضات *Les presumption*<sup>2</sup> :

الافتراضات من المقدمات الأقلّ يقينية وحظوة من الأولى؛ من الحقائق والوقائع، لكنّها قد تحظى بموافقة أقلّ لدى الجمهور<sup>3</sup>، ويمكن توطيدها بدعمها بحجج أخرى تزيد في متانتها ومقبوليتها بين الجماهير، تُقاس الافتراضات إلى معيار العادي ( *Le Normal* ) عند الناس، وهو منطق احتمالي يخضع لعقليات الناس وما يرونه سليماً مقبولاً لا بأس به. والافتراضات تُبنى أساساً على التّخمين لا على اليقين ويمكن الاستعانة بها لزرع الشكّ لدى الخصم حول أفكاره التي يتبنّاها<sup>4</sup>. كما يمكن توظيفها في محاولة لإيقاف ما يُخشى حدوثه في المستقبل القريب، فكثيراً ما يستعمله السياسيون في خطابات الحملة الانتخابية، مثاله : (إذا فاز التيار اليميني بالانتخابات فستحلّ المصائب على الاقتصاد الوطني، وستتهار كلّ علاقاتنا الدبلوماسية مع دول الجوار).

<sup>1</sup> ينظر الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص43

<sup>2</sup> *Traité de l'argumentation*, p93

<sup>3</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص 25

<sup>4</sup> محمّد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، تكوين ملكة الحجاج، ص143

وليسرت هذه النتيجة إلا عملية حجاجية احتمالية بامتياز قد بنيت على مقدمات افتراضية لا يمكن التأسيس عليها لبناء نتائج مؤكدة، كما يمكن أن تتجرّ هذه المحاجة إلى خانة السفسطة والمغالطة إذا واصل الخطيب توظيف الافتراضات المستقبلية التي يمكن أن لا تحدث أبداً إلا تخويفاً للجمهور، لذا ينبغي على الخطيب أن يستعين بمقدمات أخرى تكون أقوى من هذه الافتراضات كـ بعض الوقائع والحقائق كما سبق وأن ذكرنا، فيستعين مثلاً بسجلّ تاريخي يسرد فترة من فترات حكم ذلك التيار قد حدثت فيه تلك الافتراضات التي يتوقعها ويحاول أن يحاجج بها، مثلما حدث في النصف الأول من القرن العشرين أيام حكم الأنظمة العسكرية كالتأزمية والفاشية وما انجرّ عنها من حروب أدخلت أوروبا في مآسي لا تنسى، فمحاجة أصحاب هذه الأحزاب سيكون موقفاً بتوظيف الافتراضات المستقبلية نظراً لما يؤيدها من وقائع تاريخية.

ومهما يكن فإنّ نتائج المحاجة المبنية على الافتراضات ست تكون هشة ويسهل دحضها ببساطة فهي لا تغني من الحق شيئاً فمهما يحاول المرء أن يخمن المستقبل فلن يستطيع الوصول إلى قناعات تُشفي غليل السامع خاصة إذا كان المتلقّي من خاصّة العلماء والمتفّقين، ولعلّها تكون أجدى مع عامّة الناس الذين تسهل مغالطتهم على خطّ العواطف. أمّا عماد المحاجة الناجحة فيكون بتعاقد واجتماع كلّ هذه المقدمات حيث يُبَدُّ بعضها بعضاً، ولا يمكن بحال من الأحوال الاعتماد على جنس واحد من المقدمات التي ذكرنا.

### 4.1.2 القيم<sup>1</sup> *Les valeurs* :

يُقصد بالقيم في علم الأخلاق مدى مطابقة الفعل للخيرية فكّلما زادت مواطاته للخير كان أعظم قيمة<sup>2</sup>، وقد احتلّت القيم المكانة المقدّسة بين أفراد المجتمعات البشرية، حتّى أنّها

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation*, p99

<sup>2</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2/ص213.

لتكاد تكون محلّ تواضع بين كلّ المجتمعات؛ خاصّة تلك القيم التي تحمل صبغة خيرية تتواضع عليها الإنسانية كالحرية والعدل والصدق والأمانة، والشجاعة. وتتميز القيم بشحنات حاجية قوية جداً نظراً لما ذكرنا من المزايا التي ترسخت في عقول الناس عن مكانة هذه القيم في حياة المجتمع. والقيم يعول عليها المحاجج كثيراً؛ سواء كان سياسياً أو قاضياً أو محامياً لأنّ عليها مدار الحجاج كلّه.

لا تزال القيم ذات إجماع بين الخطباء والجمهور رغم خلوها من قواعد العلوم النظرية، إلا أنّها عماد الفلسفة والقانون والسياسة<sup>1</sup>. وما وصولنا إلى نظرية البلاغة الجديدة إلا بسبب البحث عن قانون عام يضبط هذه القيم والأخلاق الإنسانية وفق نسق لا يكون فيه نزاع بين القاضي والمحامي وبقية أفراد المجتمع وحتى المجرم الذي يدوس عليها لا يجادل في مصداقيتها؛ وهذا القانون القيمي هو ما بحث عنه الفيلسوف (بيرلمان) حتى ألقى نفسه يفتش في خطابة اليونان المنسية في طيات التاريخ.

وتنفرع هذه القيم إلى نوعين اثنين؛ محسوسة (*concrète*) ومجردة (*abstraites*)<sup>2</sup>:

القيم المحسوسة كالوطن والأرض والعلم والمساجد والمقابر، ويمكن توظيف هذه القيم المحسوسة بعلاقة رمزية (استعارية) توحى بها للتعبير عن القيم المجردة مجازاً، فتعبّر القبور عن قيمة الموت، والمساجد عن دين الإسلام. أمّا القيم المجردة وهي أكثر وزناً في عملية الحجاج من الأولى مثل: الحرية، العدل، الدين، العفة، الصدق... فلا يكاد يختلف حولها البشر مهما اختلفت الثقافات والملل، إلا أنّ بيرلمان يرى أنّ هذا التوافق الكوني حول القيم سرعان ما يختل حين محاولتنا تحديد هذه القيم بإنزالها على ظاهرة أو حادثة بعينها<sup>3</sup>، أو معالجتها من خلال الواقع المعيش، فحينئذٍ يظهر الاختلاف في ذلك التوافق الكوني الذي أحرزته قيمة ما كمعنى مجرد ونظري.

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation ,La nouvelle rhétorique,p100.*

<sup>2</sup> *Ibid, p103.*

<sup>3</sup> ينظر الحسين بنو هاشم ، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص45

قيمة الحرية من أسمى القيم التي يتوافق عليها المستمع الكوني كقيمة مجردة بعيداً عن الواقع، فإذا ما نزلنا إلى الحياة اليومية وأردنا تقييم الحرية صادفتنا مشاكل عدّة واختلافات كثيرة مرجعها إلى الثقافة المحليّة والتقاليد والعقيدة - فعلى سبيل المثال - نرى حرية الشاب بحياته الزوجية في المجتمعات الغربية أمر مقدّس لا بدّ منه، بداية من اختيار الشريكين إلى اقتناء المسكن الذي يقيم فيه أسرته الجديدة من أوّل يوم من زواجه، أمّا في مجتمعنا الجزائري -مثلاً- فلا زال الجيل الأوّل يعارض هذه الظاهرة بشدّة، فاستقلال الأولاد بعيشتهم بعيداً عن سكنى الوالدين يعدّ من الطابوهات في بعض المناطق، إلّا من غلب على أمره بسبب ضيق المسكن أو تعنّت الشباب ، وكثيراً ما أوردت المشاكل على العائلات الجزائرية من غير داعٍ معقول.

ويبقى الاتفاق الكوني حول القيم أمر مهمّ يجعل منها مقدّمات صلبة في العمليات الحجاجية نظراً لصعوبة اتّهامها أو ردّها<sup>1</sup>، لذا نرى الخطباء كثيراً ما يؤكّدون على مسألة القيم في خطاباتهم لا سيّما في المجتمعات المتديّنة أو المنغلقة على ثقافتها، فتجد الخطيب لدى المسلمين حين يعالج موضوع العقّة في المجتمع فإنّه يؤسّس لحجابه بمقدّمات واقعية من المجتمع الجاهلي، وذلك بداية (بقيمة الغيرة) عند الرّجل الجاهلي الذي كان يتعفّف عن حليلة الجار ويغضّ طرفه، مستشهداً بأبيات عنتر المشهورة :

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي \* \* \* حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَاوَاهَا<sup>2</sup>

ثمّ يتدرّج وفق هرمية القيم حتى يصل إلى غيرة النّبِي ﷺ ثمّ غيرة الله ﷻ وهي الأعلى هرمية، مستشهداً بالحديث المشهور: " قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسِّيفِ غَيْرَ مُصَفِّحٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لِأَنَّا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهِ

<sup>1</sup> ينظر محمّد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج، ص146

<sup>2</sup> ديوان عنتر بن شدّاد، دراسة وتحقيق محمد سعيد مولوي، دراسة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة سنة1964م، ص308.



أَغْيَرُ مِنِّي"<sup>1</sup>، فنلاحظ الخطيب يرتب قيمة الغيرة التي تؤسس للعفة وفق القيم المحسوسة، وفق هرمية تصاعدية من القيم الأضعف إلى الأقوى في ممارسة لنظرية السلميات الحجاجية وكذلك لنظرية هرمية القيم التي سنأتي على ذكرها بعد حين.

### 5.1.2 هرمية القيم : *Les hiérarchies du valeurs*

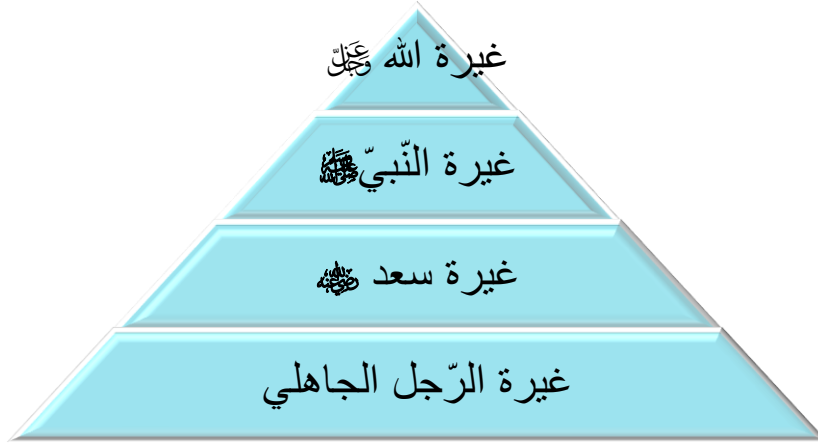
وهي عملية ترتيب القيم عبر سلمٍ درجيّ متفاوت الدرجات حسب مفهوم المجتمع، فليس الجميل كأجمل وليس الأجل كأشدّ جمالاً، وليست الوطنية كالجهرية، فهناك تفاوت بينها، والمصلحة العامة مقدّمة على المصلحة الخاصة. كما تقرّ المجتمعات بقيمة الحيوان إلا أنّ الإنسان دائماً أعلى قدراً من الحيوان، والإله الخالق أجلُّ شأنًا منهما<sup>2</sup> لأنّه صاحب الفضل عليهما في كلّ شيء - مع أنّنا نحن المسلمين نتورّع عن مقارنة ربّنا ﷻ بأيّ من مخلوقاته-. إذن هذه القيم المحسوسة تخضع لخاصية التّفاوت الهرمي من الأدنى إلى الأعلى. كما تخضع القيم المجرّدة لنفس المعيار كاعتبار العدل أفضل من النّافع<sup>3</sup>، والدين عند المسلمين أعلى قدراً من العادات والتقاليد ، مع أنّنا -أحياناً- نصادف تصادماً بين الدين والعادة لدى بعض المجتمعات الإسلامية المنغلقة على نفسها دون العقيدة الإسلامية الصحيحة.

وفيما يلي ترتيب للقيم المحسوسة في الشّكل (ب) كما أوردها خطيب المسلمين الذي يسعى لبناء خطاب حجاجي يؤسس فيه لقيمة العفة عند المسلمين كما ذكرناه في المثال آنفاً.

<sup>1</sup> محمّد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح محمّد زهير بن ناصر الناصر، دارطوق النّجاة، ط1/1422هـ ، ج7، ص35. (باب الغيرة)

<sup>2</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج ، ص 26

<sup>3</sup> ينظر محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار ص151



**الشكل (ب) :** هرمية القيم المؤسسة لخلق العفة في الإسلام

ويرى بيرلمان أنّ هرمية القيم أهمّ من القيم في ذاتها إذا أحسن الخطيب توظيفها وترتيبها في العملية الحجاجية<sup>1</sup>، لأنّ درجات الاقتناع عند الجمهور متفاوتة حسب تفاوت المستوى الثقافي واختلاف البيئة الاجتماعية، فلا ريب أنّ تتبّع سرد حجج القيم من الأدنى إلى الأعلى في هرمية متناسقة يكون له شحنة حجاجية جيّدة تعود على الخطيب بالفائدة المرجوة، لأنّه يتدرّج بالنفوس من درجة دنيا من المقبولية إلى درجة عليا مع سلاسة تسلب العقول دون أي انكسار في التدرّج الذي يحول دون نقل مقبولية القيم إلى مقبولية النتائج المرصودة من الحجاج.

الجانب الشكلي - إن - في ترتيب القيم/الحجج في الخطاب وفق نظرية هرمية القيم أمرٌ بالغ الأهمية ينمّ عن فطنة الخطيب وذكائه، ويغرس الثقة لدى السامعين. وتختلف الجماهير في الاقتناع بهرمية معينة للقيم، فالترتيب الذي يقنع جمهوراً ما قد يختلف عنه الترتيب الذي يقنع جمهوراً غيره<sup>2</sup>، وذلك راجع إلى اختلاف الثقافات من مجتمع إلى آخر. كما أنّ الانطلاق في عرض الحجج من الأضعف إلى الأقوى له دور جيّد في تهيئة الجمهور نفسياً وفكرياً لتلقّي ما هو أشدّ وقعاً على النفوس كلّما طال الخطاب وارتقى إلى ذروة الحجاج والإقناع الذي يصبو الخطيب إلى تحقيقه. أمّا إذا عدنا إلى ثقافتنا الإسلامية

<sup>1</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظرية الحجاج ، ص 26.

<sup>2</sup> ينظر محمّد بن سعد الدكّان، الدفاع عن الأفكار، ص151

فلاحظ أن النصّ القرآني لم يراعِ تراتبية الحجج وفق سلم البلاغة الجديدة في هرمية القيم بل قد يعكسها أحياناً رأساً على عقب.

وإذا ما أردنا أن نمثّل لهذه النقطة من القرآن الكريم فسناًخذ على سبيل المثال ترتيب القيم في الآية الأخيرة من سورة العصر، قال ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ سورة العصر (3). ذكر الله ﷻ أربع قيم متواليات هي الإيمان وهي قيمة معنوية، وقيمة العمل الصالح، وقيمة التواصي بالحق وقيمة التواصي بالصبر وهذه الثلاث الأخيرة قيم محسوسة، والقيم المعنوية أقوى من المحسوسة عند الجمهور خاصة فيما يخصّ العقائد والشعائر الإسلامية، ومن خلال النظر في هذه القيم الأربع وفي ترتيب سردها في الآية الكريمة فإننا ألفيناها لا تتوافق ونظرية هرمية القيم، كما لا تتوافق ونظرية السلميات الحجاجية، فقد بدأت الآية بأعلى قيمة (الإيمان) الواجب على كلّ مسلم، ثم تدرّجت نزولاً إلى (العمل الصالح) وهو واجب أيضاً لكن ليس بنفس درجة القيمة الأولى، ثم قيمة (الدعوة إلى الحق) وهي خاصة ببعض المسلمين (العلماء) فدرجتها أقلّ وجوبا من الأوليين، ثم قيمة (الصبر على الدعوة) وهي تابعة للقيمة التي قبلها.

فنظرية (هرمية القيم *Les hiérarchies du valeurs*) من خلال الآية الكريمة معكوسة عمّا جاء به (بيرلمان) في نظرية البلاغة الجديدة، كما أنّها تقلب نظرية السلم الحجاجية، وهذا إن دلّ إنّما يدلّ على أنّ القرآن العظيم أعظم من أن تحيط به النظريات الإنسانية، ونفس العوائق وُجدت قديماً مع النحو والبلاغة العربية عند قراءة الأساليب القرآنية؛ فقد تعارض القرآن مع قواعد النحو والبلاغة في مواطن كثيرة\*.

كما نلاحظ أنّ ترتيب القيم في الآية الكريمة : الإيمان والعمل الصالح والدعوة على الحق والصبر على الدعوة جاء مراعاة لأولوية القيمة من حيث الأهمية الشرعية، وليس من

\* للاستزادة يمكن مراجعة مقالنا (البيان القرآني وسلطة البلاغة القديمة) مجلّة الموروث، المجلد الثامن العدد الخاص الأول.

الأضعف إلى الأقوى. فجاءت قيمة الإيمان وهي أعلاها وأولاها في المرتبة الأولى لأن بقية القيم لا تساوي شيئاً دون الدخول في الإيمان، ثم العمل الصالح الذي يعدّ من ثمرات الإيمان، ثم تتدرج القيم حسب طبيعة الفرد المسلم؛ فالدعوة إلى الله خاصة بقوم دون آخرين، وكذلك الصبر على الدعوة لا يستطيعه إلا أقوى الناس إيماناً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. فجاءت بداية الهرم القيمي من الأعلى تدرجاً إلى الأدنى أي عكس طريقة البلاغيين الجدد. أما إذا أردنا ترتيباً باعتبار الناس المذكورة أحوالهم في الآية وليس حسب القيم المذكورة فإن الترتيب السلمي سيوافق نظرية السلميات الحاجية، لأن ترتيب الناس حسب الآية الكريمة جاء تصاعدياً على النحو الآتي :

- الخاسرون : وهم الذين لم يدخلوا في دائرة الإسلام.
- المسلمون : الذين وصفوا بالإيمان في الآية الكريمة.
- العاملون : المسلمون الذين تقيدوا بتعاليم الإسلام العملية بعد انعقاد عمل القلب.
- الدعاة : الذين آمنوا وعملوا وتعلموا الإسلام ثم دعوا بعلمهم إلى الدين الصحيح.
- الصابرون : الذين تحمّلوا الأذى وصبروا عليه في سبيل الدعوة إلى الله.

### 6.1.2 المواضع (أو المعاني): *Les lieux* <sup>1</sup> (*Topos*)

يرتكز الحجاج على مقدمات/حجج ظنيّة جاهزة<sup>2</sup> تسمّى المواضع " وهي مجموعة من القيم والمعايير والعلاقات المتميّزة بعلاقاتها الظنيّة واللايقينيّة والمؤسّسة على منطق الاحتمال، مع ذلك فإنّها تتمتع بشهرة ومقبوليّة لدى عامّة الناس نتيجة لتوافقها مع الحسّ المشترك"<sup>3</sup>. وتتفق المجتمعات البشريّة على هذه النظم والقوانين التي تُسيّر حياتها، ومع مرور الزمن تصير عقائد متمكّنة في الطّبيعة الإنسانيّة ولا يمكن جُودها إلا من المعاندين

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation*, p112.

<sup>2</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص79.

<sup>3</sup> الغنائي عزالدين المنطق الطّبيعي والقاسم المشترك بين النظريات الحاجيّة

والمتمردين. ويمكن للخطيب عند حاجته للناس من توظيف تلك المعاني المتواضع عليها حتى يوجّه ويفرض طرحه الذي يريد أن يقنع به جمهوره.

ونضرب لذلك مثلاً عن المجتمعات العربية في إقامتها لبعض الولائم الخاصة بالأفراح أو المآتم، فإنها تقام بطريقة لا ترضي الكثير من الأجيال المتأخرة إلا أنه لا يمكنهم الاعتراض عليها صراحة، لأنّ المعارض سيواجه الأغلبية التي تقدّس هذه العادات، هذه الأغلبية تمثلها العامة في أغلب الأحيان، وستوجّه إليه الاتّهامات الوهميّة من تمرد ووجود وتعصب... وقد أصبحت هذه العادات سنة مؤكّدة يجب القيام بها في مناسباتها ولو بشقّ الأنفس وتكليفها ما لا تطيق. وهي مثال عن المواضيع التي يستطيع الخطيب أن يوظّفها لصالح حاجه دونما اعتراض نظراً للقدسية التي اكتسبها المجتمع تجاهها مع مرور الزمن. وذلك كأن يقول الأب لأبنائه في مناسبة ما : (أتركون عادات الآباء والأجداد...؟)، وبعد هذا الموضوع حجة جاهزة طالما أتت أكلها في مجتمعنا دون مراجعة المتلقّي لقطعية هذه الحجة من يقينها.

المواضع مصطلح أتى به أرسطو عند تنظيره للخطابة والجدل وهما العلمان اللذان يعتمدان على منطق المحتمل ويقابله المنطق الصوري والرياضي (الرمزي) في الفلسفة والرياضيات. فقد رأى أرسطو انضباط الرياضيات على قوانين وقواعد قياسية لا تكاد تشدّ عنها قضية ما إذا ما كان الاستدلال والقياس صحيحين. أمّا الخطابة باعتبارها علماً يبحث في الرّاجح والمقبول وليس في الحقيقة والصواب ، فلم يجد لها الفلاسفة القوانين الملزمة التي يمكن أن تخضع لها كلّ القضايا محلّ الخلاف، فانتبه أرسطو إلى هذا المعضلة، فابتكر قوانين أخرى أقلّ صلابة من الأولى حيث تناسب منطق الاحتمال وما تهواه النفس البشريّة؛ هذه القوانين خصّص لها مؤلفاً خاصاً سمّاه (المواضع).

والمواضع تلك "المقدمات الذائعة التي يظنّها جميع الناس أو أكثرهم"<sup>1</sup> قد ذكرها أرسطو في كتابه ( الطوبيقا ) الذي ألفه من أجل " إيجاد طريقة تجعلنا قادرين انطلاقاً من مقدمات محتملة على إقامة الحجّة على كلّ مشكلّ معروض، وأن نتجنّب حين نسدّد حجّة ما أن يصدر عنّا أي قول يكون مناقضاً لها " <sup>2</sup>. سعى أرسطو من خلال كتابه (المواضع) إلى مساعدة الخطباء على إقامة حجاج سليم الاستدلال مبنيّ على مقدمات ممكنة، لأنّ العامّة لا تقبل إلاّ ما هو متواضع عليه في مجتمعها، فقد ترفض الصّواب لغرابته وتقبل بالحجّة الضعيفة لشهرتها بين الناس.

وعرّف ابن رشد المواضع في تلخيص الخطابة قائلاً: " المواضع أحوال وصفات عامّة وقوانين يُصار منها إلى استنباط الجزئية في قياس قياس. ويشير ابن سينا إلى أن معنى الموضوع حكمٌ من شأنه أن تتشعب منه أحكام كثيرة تجعل كلّ واحد منها جزء قياس " <sup>3</sup>. إلاّ أنّهما لم ينبّها على قضية الاحتمال ونسبية الحقيقة في نظرية المواضع، فبرى ابن رشد يسمّها بالقوانين، وهذا مصطلح خاصّ بالعلوم التجريبية وليس بالخطابة، والقانون يتعارض مع نظرية المحتمل ، فلعلّ مصطلح ( المواضع ) مشترك بين القياس البرهاني والقياس الخطابي، وإذا اعتمد هذا القياس على مواضع كاذبة ليست بمشهوره فينزله أرسطو إلى درجة المغالطة<sup>4</sup>.

والمواضع من المقدمات العامّة<sup>5</sup> في الحجاج فهي ترافق كلّ أنواع المقدمات الحجاجية التي ذكرناها آنفاً ، كما تعدّ المواضع "روافد للقيّم وهرميّتها عند عملية الإقناع التي يروم

<sup>1</sup> أرسطو طاليس، كتاب الطوبيقا، ضمن منطق أرسطو، تح عبد الرحمن بدوي، ص490.

<sup>2</sup> ليونيل بلونجر، الآليات الحجاجية للتواصل، ترجمة عبد الرّفيق بوركي، علامات 21، ص35.

<sup>3</sup> رشيد الرّاضي، مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو/ مجلة عالم الفكر العدد 2 المجلد 196، ص40، 2011

<sup>4</sup> أرسطو طاليس، كتاب الطوبيقا، ضمن منطق أرسطو، ص491.

<sup>5</sup> ينظر محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص156

المتكلم تحقيقها، فهي بمثابة المقدمات الثواني أو المعاني التي يركن إليها الخطيب، وبدونها لا يستمدُّ خطابه أي شرعية عند الجمهور<sup>1</sup>، خاصة إذا تحدثنا عن نوع معين من المواضع وهي مواضع (الكم والكيف) فهي دائماً حاضرة في اللغة البشرية وبدونها لا يمكن تمييز الأشياء المتجانسة والمتشابهة في حقل واحد، لأن مسألة القلة والكثرة والنوعية عامل رئيس في تمييز التفاضل بين الصفات المتجانسة والقيم المتشابهة. فإذا أراد المحامي إقناع القاضي بضرورة معاقبة الجاني استعان بالموضع : (إذا أنتم لم تعاقبوه عل جرمه، سيكون له مقلدون كثير)<sup>2</sup>، فاحتج المحامي بموضع الكم، لكن الأمر لا يعدو أن يكون احتمالياً فمسألة تقليد الجاني أمر غيبي ليس باليقين أبداً بالإضافة إلى أنه نادر مستبعد.

ويمكن أن نمثل للموضع بذلك السلوك الديني الذي تتوافق عليه مجموعة ما وتتواضع على العمل به ظناً منها برجحان صوابه، وحبّتهم في ذلك أنه صدر واشتهر عن عالم مشهود له بالخيرية والصّلاح حتّى ولو كان هذا العمل اجتهاداً خاصاً من ذلك العالم الذي لم يبلغه الدليل الشرعي الصّحيح، فيخالف اليقين والصّواب الشرعي - عن غير قصد - إلا أن مُريديه يجعلون من عمله هذا حجة راجحة عند أهل المذهب خاصة مع تقادم الزّمن وتباعد السياق الذي تمّ فيه ذلك الاجتهاد، فلا يستطيعون الرجوع إلى الصّواب إذا ما تبين لهم ولا يحاولون حتّى مناقشته مع المخالف.

فأصحاب المذاهب الأربعة مثلاً اتفقوا على أن أقوالهم إذا خالفت أقوال النبي ﷺ فإنهم يتبرّؤون منها وينسبون الخطأ إلى أنفسهم، مشدّدين على ضرورة تركها والأخذ بما صحّ في النقل الصّحيح، فهم يعلمون يقيناً أنّهم معرّضون للخطأ، لكن ما نراه في واقعنا اليوم يخالف ما أسس له أصحاب المذاهب، إذ صار هؤلاء العلماء -رحمهم الله- موضعاً حاجياً دون

<sup>1</sup> محمد بن سعد الدّكان، الدّفاع عن الأفكار، ص156

<sup>2</sup> أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص79.

مقارنته بالأصل الصحيح الذي ورد عن النبي ﷺ، فأهل المذهب يرفضون المناقشة فيما اشتهر عن علماء المذهب ولو ثبتت مخالفة ذلك القول أو الفعل للحديث الصحيح. وتسمى المواضع بمخازن الحجاج أو حجرات الحجاج<sup>1</sup> لأنها الزاد الحجاجي المهم الذي ينهل منه الخطيب عند محاولته إقامة الحجج الداحضة وإقناع الجمهور بأفكاره. ويشبهها أنسكومبر بالمسلّمات<sup>2</sup> في الرياضيات والمنطق (العلوم الرمزية) ووجه التشابه بينها درجة القبول بها والتسليم بصحتها دون إعادة نظر فيها، وذلك لأنها تبدو كالقوانين التي تصلح لتقوية الاستدلال وليست استدلالاً في ذاتها<sup>3</sup>. ومصادقية هذه المواضع مشاهدة في واقع الناس حيث لا يعترض عليها أحد حين استعمالها، ولا يفكر حتى في تدبر صحتها ومنطقيتها. فإذا ما استعمل الموضع "المصري" المعروف بقولهم (خير البر عاجله)، لا يلتفت السامع إلى هذه الحجة المطروحة في شكل موضع، ولا ينتبه إلى صحتها أو يقينيتها، ومحاولة إمعان الفكر بالتحليل والتدبر بل قد يعتبر مناقشتها من تحصيل حاصل الذي لا طائل من ورائه.

### 1.6.1.2 أنواع المواضع من حيث العموم والخصوص :

تنقسم هذه المواضع إلى أشكال مختلفة جمعها أرسطو من حياة الناس في كتابه المواضع أو كتاب الجدل<sup>4</sup>. وهي عنده على ضربين : عامة وخاصة :

أ - مواضع عامة :

تتشارك المواضع العامة بين جميع العلوم ولا تكاد تخلو منها خطاباتنا اليومية، ومثلها (الأكثر والأقل، والبداية والنهاية، والأول والأخير، والأكبر والأصغر...)، فهي

<sup>1</sup> ينظر محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، ص155.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص155

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص155.

<sup>4</sup> ينظر رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحججيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو/ مجلة عالم الفكر العدد 2 المجلد 2011، 40/ص196



"إثباتات عامة جداً تتعلق بما يفترض أنه أكثر قيمة في أيّ ميدان كان"<sup>1</sup>. ودور هذه المواضع إضافة قيمة حجاجية تدعم الحجج والمقدمات الحجاجية الأساسية؛ إذ يـ ستعين الخطيب بها في أيّ موضوع يحتاج فيه ولا تختصّ بموضوع بعينه لأنّها عامل عقلي وظاهرة لغويّة يشترك فيه جميع الناس. ومثال ذلك حجاج النبي ﷺ في عظمة قدر الصلاة حيث قال : " أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته..."<sup>2</sup>، من المواضع الحجاجية في هذا الحديث الشريف قوله ﷺ (أول) وقد أضفى هذا الموضوع حجة إضافية لمكانة الصلاة في الإسلام وهو ما أراد النبي ﷺ بيانه للمسلمين، وقد جاء الموضوع على صيغة التفضيل في الرتبة التي تضيف في العربية قيمة معيّنة لما تضاف إليه على سبيل التمييز عن طريق الترتيب والتفضيل.

إنّ المواضع العامة لا تختصّ بموضوع دون آخر أو خطابٍ خاصّ بل " تتعلق بجميع أنواع الأقيسة الإضماريّة المثبتة منها والمبطلّة، الظاهرة والحقيقيّة، بعبارة أخرى فإنّ هذه القواعد لا تختصّ بجنس خطابي دون آخر بل تمتدّ لتشمل كلّ الأجناس الخطابيّة، حيث نجد أرسطو - ضمن هذا النمط من المواضع - يدرج موضعي التداخل ومواضع الفصل التخييري وموضعي المقدم والتالي وموضع المخالفة وموضع الأكثر والأقلّ والمساوي"<sup>3</sup>، وتحافظ هذه المواضع على صبغتها الاحتمالية، فقولنا أنّ (الجيش الأمريكي أقوى جيش في العالم) حكم احتمالي بنيّ على معطيات معيّنة، ولم يثبت على أرض الواقع، وقد تكذبه كذلك بعض الحروب التي خاضها في الفيتنام وأفغانستان من الحروب غير المتكافئة التي خسر فيها الكثير من الجند والعتاد.

<sup>1</sup> الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص47

<sup>2</sup> أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ت 1420هـ، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1/ 1415 هـ - 1995م، ج3، ص334.

<sup>3</sup> رشيد الزاضي، مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو/ مجلة عالم الفكر العدد 2 المجلد 40، 2011، ص198.

### ب - مواضع خاصة :

وهي تلك المبادئ والأحكام العملية العامة التي تختص بالأجناس الخطابية الثلاثة؛ الاستشارية والمحفلية والقضائية، فمدار الحجاج في الأمور الاستشارية يدور في فلك الضار والنافع؛ أي المصالح والمفاسد التي تقوم عليها حياة الناس وتختص بهذا النوع من المواضع السلطات التشريعية التي تنتظر في وضع القوانين مراعاة لمستجدات الحياة. أمّا في المحافل فيكون حول الحسن والقبیح؛ أي ما ينبغي أن يكون وما لا ينبغي. بينما تتلخص المواضع في حقل القضاء على مسألة العدل والظلم<sup>1</sup>.

من المواضع القضائية التي صارت قوانيناً صارمة في أوروبا اليوم هي أنه ليس من العدل أن يضرب الوالد ولده وهذا فعل قبيح مستنكر ، وقد اتفقت الهيئات القضائية على معاقبة من يتجرأ على ذلك وقد يُنتزع الولد من كفالة الوالد ، مع أن هذا القانون ليس صائباً في جميع حالاته إلا أنهم جعلوه موضعاً للعدل، فإذا ما دخلت قضية ما إلى المحكمة وكان طرفي النزاع فيها الأولاد والآباء؛ تجد المحاجج عن الأطفال سواء كان المحامي أو القاضي يضغط بالموضع الذي يختص بحقوق الطفل، وبهذا الموضع يستطيع كسب رهان المحاججة والانتصار لصالح الجهة التي شرعت هذا القانون مهما كانت حجج الطرف الآخر.

على عكس المواضع العامة؛ فإن " المواضع الخاصة تتعلّق بما هو أفضل في مجالات خاصة"<sup>2</sup> دون سواها؛ فما كان أحسن وأفضل في مقام معين أو حقل علمي ما قد لا يكون كذلك في سواه. ومن أشهر المواضع الخاصة في النقد الأدبي العربي - مثلاً - وهي خاصة بهذا العلم دون غيره قولهم: (إنّ الشعر يغني عن صدقه كذبه)، وليس ذلك إلا في الشعر كما هو معلوم لأنّ الكذب لم يكن يوماً أفضل من الصدق، وفي هذا المقام لا يفكر

<sup>1</sup> ينظر رشيد الرّاضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومير وديكرو/ مجلة عالم الفكر العدد 2

المجلد 2011، 40/ص197

<sup>2</sup> الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص47

المتلقّي في ردّ هذا الموضوع أو مناقشة صحّته بمعايير أخلاقية نظراً لما يحظى به من توافق بين النقاد العرب القدماء والمحدثين في مجالهم الأدبي . وقولهم أيضاً أنّه (يجوز للشاعر ما لا يجوز للنّاثر)، فهذا الموضوع المتّفق عليه في مجال النّقد الأدبي يمكن الاحتجاج به لنظرية معيّنة في هذا المجال من الأدب؛ كالقفز على قواعد النّحو والصّرف والعروض ، لكن لا يمكن الاعتبار به في مسائل أخرى خارج الشّعر، كالكتابة النثرية مثلاً، كما لا يفسّح المجال للاحتجاج ضدّ هذا الموضوع المشهور في ميدانه.

### 2.6.1.2 مواضع الكمّ والكيف عند بيرلمان : قسم بيرلمان المواضع بمعيّار الكمّ

#### والكيف إلى قسمين:

#### أ - مواضع الكمّ<sup>1</sup> *Lieux de quantité*

يقصد بيرلمان بمواضع الكمّ تلك التي تثبت أفضليّة شيءٍ بالنسبة لشيءٍ آخر لسبب الكميّة<sup>2</sup> لا غير، إذ تميّز الأمور من حيث الكمّ؛ فالكثير خيرٌ من القليل، والزيادة خير من النقصان\* والاجتماع خير من الفرقة •، والدائم خير من الزائل، فالعدل والعفة عند أرسطو خير من الشّجاعة لأنّ الحاجة إلى هذه الأخيرة ليست دائمّة إنّما يحتاج إليها في ظروف معيّنة<sup>3</sup>، هذا على اعتبار موضع الدائم والزائل ، فهو يرى أنّ الحاجة إلى العدل والعفة أدم من الحاجة إلى الشّجاعة، لكن الأمر لا يبدو لنا كذلك، فكما أنّه للعدل مواقف خاصّة فكذلك للشّجاعة مواقف خاصّة بها.

ولعلّنا نلاحظ أنّ مواضع الكمّ والكيف أبسط من حيث مفهومها وكثرة استعمالها

والقبول بها في الخطابات. فعدد المصوّتين بنعم في انتخابات تعديل الدّستور يكون أفضل

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation, p.115*

<sup>2</sup> *Ibid,115.*

\* (الزيادة خير من النقصان ) : هذا الموضوع مستعمل كثيراً في المجتمع الجزائري.

\* (الاجتماع خير من الفرقة) وهذا موضع مستنبط من التجربة الإنسانيّة كما يعضده الحديث النبوي الشريف {إنّما يأكل الذئب من الغنم القاصيّة}

<sup>3</sup> ينظر عبد الله صولة في نظرية الحجاج، ص28

كلّما كثر؛ إذ يحكم على نجاح العملية الانتخابية بحسب عدد المصوّتين، وكذلك جمع التبرّعات في المحافل الشعبيّة يحكم بنجاحها بالنسبة إلى الكمّ المحصّل منها، وكذلك نسبة الناجحين في شهادة البكالوريا كلّما ارتفعت النسبة كانت المؤسسة الأحسن ترتيباً بين المؤسسات. لكنّ مواضع الكمّ يسهل كسر حجّيتها بالنظر إلى مواضع الكيف التي ينظر من خلالها إلى الجودة والإتقان في تخصصات كثيرة.

### ب - مواضع الكيف: <sup>1</sup> *Lieux de qualité* :

تعدّ (مواضع الكيف) من أهمّ مقدّمات الحجاج <sup>2</sup>. كما تعدّ مسألة الكيف في الأمور كلّها عاملاً جوهرياً في تقييم الإنجازات البشريّة، وتأتي في مرتبة أولى تسبق موضع الكمّ، لأنّ الأشياء تقاس بجودتها أولاً قبل كثرتها، لأنّ العمل الكثير بدون إتقان لا يساوي شيئاً مقابل العمل اليسير المتقن والمنظّم والدائم. وكثيراً ما يصادفنا الحجاج بمواضع الكمّ والكيف في القرآن الكريم، فتجد المشركين يعتزون بقوتهم وكثرة عددهم وعتادهم ويحتجون بذلك على قلة المؤمنين، ولطالما حجّهم الله ﷻ في مواطن كثيرة من القصص القرآني حيث ينتصر الضعفاء رغم قلّتهم، وذلك بتوفيق الله لهم جزاء بإيمانهم. ومثال توظيف موضع الكمّ في قصة صاحب الجنّتين في سورة الكهف حين قال لصاحبه في قوله ﷻ ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ الكهف 34. فاحتجّ الرجل على صاحبه مستعيناً بموضع الكمّ في قوله (أكثر) و(أعز)، لكنّ هذين الموضعين لم يغزبا عنه شيئاً لأنّه كفر بالله الذي أنعم عليه. فموازين الكمّ التي يحتجّ بها البشر ليست لموازين الله ﷻ.

ولطالما ذمّ القرآن الكريم الكثرة الكافرة ومدح القلة المؤمنة، ف يتحوّل الحجاج من مواضع الكمّ إلى مواضع الكيف فتوجح حجّة الكيف. وهذه مسألة م قبولاً بالنسبة للعقول

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation, p. 119*

<sup>2</sup> ينظر عبد الله صولة في نظرية الحجاج، ص28.

السليمة، ففي الشريعة الإسلامية يكون الاعتبار بالعبادة القليلة الدائمة الموافقة للهدى النبوي وليس الاعتبار بالعبادة الكثيرة المنقطعة أو المخالفة لهدى النبي ﷺ. وقد تتجلى مسألة (موضع الكيف) في مجال العمران مثلاً، فقد تبني الدولة الكثير من مشاريع الإسكان لكن غياب الإتقان والجودة يُفقد تلك المشاريع قيمتها لدى المستفيدين منها، وكثيراً ما نرى تدمرهم واستيائهم من هشاشة هذه البنايات والعيوب التي تلحقها.

### 2.2 تقنيات الحجاج عند بيرلمان<sup>1</sup> :

خصّص بيرلمان القسم الثالث من كتابه (مصنّف في الحجاج) للحديث عن تقنيات الحجاج، وقصد بالتقنيات تلك الآليات والحجج الموظّفة في الخطاب من حيث بنيتها. كما قسم بيرلمان تقنيات الحجاج إلى قسمين رئيسيين هما تقنيات الوصل *Procédés de liaison* وطرق تقنيات الفصل<sup>2</sup> *Procédés de dissociation*. وخصّ كل نوع بمبحث خاصّ، فكانت خمسة مباحث :

1- الحجج الشبه منطقية (*Les arguments quasi logiques*)

2- الحجج المؤسّسة على بنية الواقع (*Les arguments bases sur la structure du réel*)

3- والحجج المؤسّسة لبنية الواقع (*Les Arguments qui fondent la structure de*

*reel* 4- طرائق الفصل بين المفاهيم (*La dissociation des notions*)

5- تفاعل الحجج (*L'interaction des arguments*)

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation*, p249.

<sup>2</sup> ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص80

### 1.2.2 طرائق الوصل : *Procédés de liaison*

أما طرائق الوصل فهي " ما يتم به فهم الخطط التي تقرب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بواسطة الأخرى سلباً أو إيجاباً".<sup>1</sup> كما تعمل تقنيات الوصل على نقل الاتفاق الموجود في المقدمات إلى النتائج<sup>2</sup>؛ وذلك بجعل التسليم الموجود بين الخطيب وجمهوره حول المقدمات التي سيبنى عليها فعله الحجاجي، يتمشى في عملية ذهنية سلسلة وصولاً إلى أذهان المتلقين بنفس درجة المقبولية التي كان عليها في البداية في المقدمات الحجاجية، وتلعب تقنيات الوصل دور الرابطة الناقل بين التسليم الأول المتواضع عليه والتسليم الآخر بالنتائج<sup>3</sup>؛ فيمكن اعتبارها قنوات ضامنة تمرّ عبرها العملية الحجاجية من الطرف الباطن إلى الطرف المتلقي، وحين وص لها على أكمل وجه أو أقرب إلى ذلك، يمكننا الحكم على نجاح الفعل الحجاجي.

وفرع بيرلمان هذه طرائق الوصل إلى ثلاثة أنواع هي : " الحجج والأدلة الشبه منطقية *Argument quasi logique* والحجج المؤسسة على بنية الواقع *Argument basés sur la structure de réel*، والحجج المؤسسة لبنية الواقع *Argument qui fondent la structure de réel*"<sup>4</sup>

#### 1.1.2.2 الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية<sup>5</sup>

وسميت هذه الحجج بالشبه منطقية لأنها تزارع قواعد المنطق من حيث الصياغة والفكر الصوري<sup>6</sup>، وتلك المشابهة بينها وبين البنى المنطقية أكسبتها قوة إقناعية بطابع

<sup>1</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي ، ص80.

<sup>2</sup> ينظر نورالدين زناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ص117.

<sup>3</sup> ينظر محمّد الأمين سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص130.

<sup>4</sup> عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، ص 41.

<sup>5</sup> *Traité de l'argumentation*, p259.

<sup>6</sup> ينظر نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ص118

الاستدلال المنطقي<sup>1</sup> لكنه ليست إلزامية مثله؛ وبالتالي صارت أنسب بحقل الحجج من المنطق، وقد علمنا منطق الاحتمالي الذي حاول أصحابه تنزيهه عن الصّورنة والإلزامية المنطقية ابتعاداً عن فرض الخضوع والاستلاب على المتلقي. وذكر بيرلمان لهذه الحجج أنواعاً ومزايا:

### أ - التناقض وعدم الاتفاق (contradiction et incompatibilité)<sup>2</sup> :

إنّ المقدمات الصّورية (المنطقية) ترفض أيّ تناقضٍ في قضاياها وهذا ما يميّزها عن شبيهتها الموظفة في الحجج. فقد يقع المحاجج في التناقض وعدم الاتفاق - كما يقول بيرلمان - : " حينما نثبت قاعدة ما أونؤكد أطروحة أو موقفاً ملتزماً يؤدي - دون أن نرغب في ذلك - إلى نزاع مع أطروحة أو قاعدة سبق إثباتها، أو مع قاعدة يسلم بها العموم، والتي يفترض أن يأخذ بها كلّ الأطراف المنتسبين إلى مجموعة ما " <sup>3</sup>. وهذا المبدأ معلوم في العقل البشري إذ لا تقبل عقولنا فكرتين متعارضتين بحيث تخدم كلاهما نتيجة واحدة، فيكون هذا المبدأ حجة على من يطرح قضيتين متناقضتين في آن واحد، أو يقع فيما يناقض الواقع المشهور، فينتبه إلى ذلك خصمه ويدحض أفكاره بهذا المبدأ، لتتقلب عليه حججه.

وقد يستتبط الخصم مبدأ التناقض من مقارنة المقام والمقال، ويطرح أدلته - وفق مبدأ التناقض وعدم الاتفاق - على أنّ كلام خصمه الذي يعارض فكره السياسي - مثلاً - أو فعله وتصرفاته المعروفة والمشهورة. والوقوع في التناقض يعرض صاحبه للسخرية لذا يجب عليه الحذر من هذا الأمر واجتنابه قدر المستطاع؛ وليس بالأمر السهل خاصة إذا طالت المحاججة وتعقدت أطرافها. كما يستفيد المحاجج من مبدأ التناقض والتعارض لصالحه إذا وظّفه لما يخدم فكرته ضدّ الأفكار الأخرى باستحضار ما يناقضها عقلاً أو واقعاً. ولعلنا

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation*, p259

<sup>2</sup> *Traité de l'argumentation*, p262

<sup>3</sup> نورالدين بوزناشة، الحجج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ص119/120.

نستشهد بقول الشاعر في هذا المقام : (لا تته عن منكر وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم)، فليس يُقبل الأمر بفعلٍ معيّن والقيام بضدّه وهذا ما ترفضه الفطر الصّحيحة والعقول الصّريحة.

ب - التّمائل والحدّ : " التّمائل التّام مداره على التّعريف (*Définition*) من حيث هو تعبير عن التّمائل بين المعرّف *Le définien* والمعرّف *Le definien dum*، وليس المعرّف تمام التّعريف على الحقيقة"<sup>1</sup>. ويعمد الخطيب في حجاجه إلى هذه الطّريقة بإيراد تعريفات لبعض الأشياء بتكرير ألفاظها المعروفة بها في الأصل ولا يقدّم أي إضافات على ما هو مشهور بين النّاس كقولنا (الماء هو الماء)؛ فهو لم يعرّف ولم يفسّر، إنّما يحاول التّلاعب بالأفكار ويترك التّأويل للمتلقّي ليفهم ما يشاء ليصرفه عمّا هو أهم في هذه العمليّة الحجاجيّة، أو أن يكون على اتّفاق مسبق بينه وبين جمهوره فيحاول تشفير خطابه بهذه الحجج المتماثلة. وكثيراً ما تحدث هذه الأمور في ا لخطابات السّياسيّة والذي صار يعرف اليوم بالجواب الدبلوماسي الذي وجده أهل السّياسة مشجّباً يعلقون عليه زلّاتهم. وقد اعتبرت هذه الطّريقة في الحجاج من تحصيل الحاصل أو الحشو (*Tautologie*)، كما أنّ دلالتها خاطئة لأنّها قد حدّدت مسبقاً، والعلاقة بين اللفظين هي نفسها مثل قولهم : (المرأة هي المرأة)، فانتهى الأمر بهذه الحجج المتماثلة الألفاظ إلى أن صارت حكماً تذكر في مقام بعينه، ولا تتعدّى حجيتها ذلك المقام الخاصّ<sup>2</sup>.

ت - الحجج القائمة على العلاقة التّبادليّة *Argument de réciprocité* وعلى قاعدة العدل :

وتعتمد هذه الحجج على وضع الخصم في نفس وضع الطّرف الآخر، وذلك بأن تُردّ عليه حججه التي احتجّ بها، كقولنا : (ضع نفسك مكاني) فأنت تجعل خصمك في نفس

<sup>1</sup> عبدالله صولة ، في نظريّة الحجاج، ص44

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه ، ص 45/44



المأزق الذي حاول أن يزجك فيه. وأمّا قاعدة العدل فيستعمل المحاجج مسألة العلاقة التبادلية أو العكسية<sup>1</sup>، مثل قوله ﷺ: **(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۖ)** الكافرون (6). فقاعدة العدل تقتضي أنه كما لكم دينكم الذي لم يجبركم أحدٌ على اعتناقه أو تركه، فكذلك العدل يقتضي أن للنبي ﷺ دينه الذي اختاره له ربّه لن يجبره أحدٌ على تركه. ومثال حجة العدل أيضاً قول النبي ﷺ: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)**<sup>2</sup>، فهوى في هذا الحديث النبوي علاقة العدل قائمة وظاهرة جلية على أنها هي أساس العملية الحجاجية، فلا تثبت قضية (الإيمان) إلا بالحجة القائمة على العدل وهي (أن نحب لغيرنا ما نحب لأنفسنا).

### ث - حجج التعدية : *Arguments de transitivité*

وهي حجج شبه منطقية مؤسّسة على البنى المنطقية التي تعتمد علاقة التعدّي<sup>3</sup>. وتنقل علاقة التعدّي الحكم المشترك بين قضيتين إلى قضية ثالثة إذا اشتركت إحدى القضيتين الأوليين بنفس هذا الحكم مع القضية الثالثة، فيعمد المحاجج إلى توظيف قيمة عنصر ثالث كطرف وسيط بين القضيتين ينقل عبره الحكم من الأولى إلى الآخرة، كقولهم: (عدو عدوي صديقي) وهذا ناتج الشبه منطقي أن: (صديق عدوي عدوي)<sup>4</sup>. ويستعان بهذه التقية الشبه منطقية في الحالات التي لا يمكن فيها الجمع بين قضيتين أو مقابلتها ومواجهتهما مباشرة<sup>5</sup>، ويتعسّر إيجاد العلاقة/الحجة المناسبة بينهما. وتحمل حجج التعدية صبغة منطقية لكنها ليست كذلك في الخطاب الحجاجي لأنّ دحضها ممكن، مثال ذلك قولنا: (إذا كان محمد أخاً لعلي، وعلي أخٌ لزيد، فمحمد أخٌ لزيد

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صوله، في نظرية الحجاج، ص46

<sup>2</sup> صحيح البخاري، الحديث 13 / ج1، ص13.

<sup>3</sup> ينظر عبد الله صوله، في نظرية الحجاج، ص 46

<sup>4</sup> ينظر محمد تالأمين سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص129

<sup>5</sup> ينظر نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ص121.

بعلاقة التّعدي، لكنّ هذا القضية ليست صادقة دائماً، لأن أخوة محمّد وعلي قد تكون من الأب فقط، وتكون أخوة علي وزيد أخوة من الأم فقط، ومن ثمّ فإنّ زيداً ليس أخاً لمحمّد). لكنّ هذه العلاقة (التّعدي) قد يتمكّن المحاجج أن يحتجّ بها لقضايا احتمالية وليست منطقية محضة وهذا هو المنطق الاستدلالي في الحجاج. ومن أهمّ الوجوه التي تظهر في علاقة التّعدي علاقة التضمّن<sup>1</sup>؛ وهي احتواء قضية ما على قضية أخرى متضمّنة فيها وتستتبط منها بعد النظر، ومثاله قولنا ( كلّ كائن حي يموت، وزيد كائن حي، إذن فزيد ميتٌ لأنه إنسان، والإنسان كائن حي). فالقضية ( زيد ميت) متضمّنة في القضية (كلّ كائن حي يموت لأنّ زيداً كائن حي).

ج - الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية :

والمقصود بالعلاقات الرياضية؛ تلك العلاقات التي تحمل بناءً يعتمد المنطق الرمزي الرياضي، كعلاقة الجزء بالكلّ وعلاقة الأكبر بالأصغر<sup>2</sup> والنسب المئوية، حيث يمكن الاحتجاج بهذه الحجج الرياضية على أنّها وجه إحصائي دقيق للقضية المطروحة للتّحاجج، فالمتلقّي قد لا ينتبه إلى مسألة الرّمز الرياضي ومدى مطابقته للواقع بقدر ما يتعلق وينبهر بمنهج الإحصاء في ذاته، الأمر الذي قد يفوت عليه إمعان النّظر في الحجج وسبر صحتّها.

ح - إدماج الجزء في الكلّ : ( *Argument d'inclusion* )<sup>3</sup> : في هذا المقام يصدر

المحاجج أحكاماً على مسائل جزئية ، ويحتجّ لهذه الأحكام بإدماج هذه المسائل في أصولها الكلية ؛ أي إنّهُ يعتمد موضع الكمية<sup>4</sup>، فما هو سارٍ على بعض الأفراد سينسحب تلقائياً على الكلّ بحجّة أنّ الجزء داخل في الكلّ بعلاقة التضمّن، وهي طريقة شبه مقلوبة لما يجري الاستقراء المنطقي. ومثال ذلك، (الحكم على زيد بأنّه إفريقي) لأنّه (جزائري) ومعلوم أنّ

<sup>1</sup> ينظر عبدالله صولة ، في نظرية الحجاج، ص47

<sup>2</sup> ينظر محمّد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص128

<sup>3</sup> *Traité de l'agumentation*,p311.

<sup>4</sup> ينظر عبد الله صوله، في نظرية الحجاج، ص48

الجزائر كلها بلد إفريقي، فكلّ جزء من الجزائر سينسحب عليه حكم الكلّ (الجزائر إفريقية) فقد تمّ (إدماج الجزء في الكلّ)، لكنّ هذه الحجّة تبقى احتمالية صدقها متفاوت لا يبلغ درجة اليقين. فالجزائري حكم قد يُكتسبُ بالعرق كما قد يُكتسبُ بقانون التّجنيس، فيمكن تجنيس فرد غير إفريقي عرقاً بجنسية جزائرية، فيشذّب هذا الحكم الجزئي عن الحكم الكلّي ولا تفلح حينئذٍ حجّة (إدماج الجزء في الكلّ).

خ -تقسيم الكلّ إلى أجزاء تكوّنه : *(La division de tout en ses parties)*<sup>1</sup>

وتقوم هذه التّفنّيّة على عكس المنطق في التّفنّيّة التي سبقتها؛ إدماج الجزء في الكلّ، فإذا كانت هذه الأخيرة تدمج الأجزاء في الكلّ ليشملها حكم الكلّ، فإنّ حجة التّقسيم فتجزئ الكلّ إلى أجزائه والاحتجاج بما نال هذه الأجزاء من أحكام لتقويّة الحجاج الكلّي الذي يخدم القضية الكبرى (الكلّيّة). " إنّ الغاية الأساسيّة - من الاحتجاج - بالتّقسيم حسب بيرلمان البرهنة على وجود المجموع ومن ثمّة تقويّة الحضور *Augmenter la présence* بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التّقسيم من خلال التّصريح بوجود أجزائه، فعلى سبيل المثال برهنتنا لشخص ما أن مدينة بحالها قد هدّمت وهو ينفي هدمها، يكون بتعداد الأحياء المتضرّرة تعداداً شاملاً. لكنّ تعدادنا هذا لا يكون لغاية البرهنة على صحّة تضرّر المدينة إذا كان المخاطب لا ينكر خبر الضّرر، وإنّما يكون حسب بيرلمان لغاية حجاجيّة أخرى هي حضور الأشياء *La présence*<sup>2</sup>.

وحضور كلّ العناصر أو معظمها هو ما يزيد إثبات الأمر بكلّيته وليس جزءاً منه فقط. أو كالذي يريد إثبات أنّ (كلّ الملوك ظلمة)، ويبيني قياسه على أجزاء من هذه القضية؛ فيحصي عدداً كثيراً من الشّواهد المؤيّدّة لقضيّته - وهذا أمر موجود فعلاً - لكنّه لا يفتضري صحّة القضية (كلّ الملوك ظلمة) لأننا سنجد حتماً ما ينقض هذه القضية ولو كان شاهداً

<sup>1</sup> *Traité de l'agumentation, p315.*

<sup>2</sup> عبدالله صولة في نظريّة الحجاج، ص48

واحدًا، حينئذ يستعين الخطيب المحاجج بالموضع (الشاذ لا يقاس عليه)، لكن الحقيقة أنّ هذا الموضع قد ينقض قضيته؛ فللشاذ هذا قد نقض القضية التي يريد صاحبها تعميم حكم جزئي على الكل.

والأمر الذي يظهر من خلال كلام (بيرلمان) عن الاحتجاج بطريقة تقسيم الكل إلى أجزاء هو مدى القوة التي تكسبها الحجة من خلال تعداد أجزائها خاصة عندما يرتفع عدد تلك الأجزاء حتى يشمل الكل الذي تكوّنهُ . فحضور أعضاء البرلمان للتصويت على قانون المالية الجديد أمر في غاية الأهمية حيث تكسب الحكومة مصداقية ذلك القانون بتصويت أعضاء البرلمان، فإذا كان التصويت بالموافقة فستفاوت حجة هذه الموافقة بحسب حضور أعضاء البرلمان، فحضور عدد قليل منهم قد يفقد تلك الموافقة مصداقيتها التي تكسبها في حال حضور جميع الأعضاء، الأمر الذي يُكسب الحكومة حجة قوية لتطبيق قانونها الجديد، ونفس الأمر يكون بحضور كل الكتل والأحزاب السياسية التي يتشكل منها ذلك البرلمان مؤيدة للحكومة كانت أو معارضة.

### 2.1.2.2 الحجج المؤسّسة على بنية الواقع ( Les arguments basée sur la

structure du reel)<sup>1</sup>:

يعتمد بيرلمان في نظريته على الواقع كثيراً، فيرى قوة ونجاعة توظيف "الحجج القائمة على بنية الواقع [التي] تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلّم أ بها، وذلك بجعل الأحكام المسلّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصر تنتمي إلى كلّ واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلم بالآخر، ومن هنا جاء وصفها بكونها حججاً اتصالية أو قائمة

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation*, p351.

على الاتّصال<sup>1</sup> من حيث كونها قناة صلة بين القضايا المسلّم بصحتها والقضايا المزمع إثباتها.

يرى (بيرلمان) في واقع النّاس وما تواضعوا عليه قاعدة متينة لتأسيس عملية حجاجية ناجحة، لأنّ انطلاق الحجاج من قضايا واقعية يسلم بها المستمع عبر علاقات شبه منطقيّة تنقل ذلك التّوافق من حجج مبنية على الواقع المسلّم به إلى القضايا المراد توجيه المتلقّي إليها وإقناعه بما ترمي إليه من أفكار يريد المحاجج تأسيسها؛ تتوفر على نسبة قبول جيّدة يصعب ردها أو دحضها.

يقول بيرلمان في هذا المقام: " بمجرد ما يتمّ الجمع بين عناصر من الواقع في علاقة معترف بها، يصبح من الممكن أن نؤسّس عليها حجاجاً يسمح بالمرور ممّا هو مقبول إلى ما نسعى إلى جعله مقبولاً"<sup>2</sup>؛ بالمرور من المقدّمات إلى إثبات القضايا موضوع الحجاج باعتماد الحجج المبنية على الواقع. وهذا في الحقيقة تعريف لنظرية الحجاج باعتبارها انتقال فكري لتوافق قبلي إلى فكرة أخرى مختلف حولها يسعى الخطاب إلى تأسيس التّوافق عليها. وتعتمد حجج الاتصال (الوصل) على توظيف المقدّمات الحجاجية التي ذكرناها من وقائع وحقائق وافتراضات، ومن أنواع حجج الاتصال؛ حجج الاتّصال التّتابعي وحجج الاتّصال التّواجدي<sup>3</sup>، وهي كالاتي :

### أ - حجج الاتصال (الوصل) التّتابعي (*Les liaisons de succession*):<sup>4</sup>

وتعتمد هذه الحجج على منطق السببية، حيث يكون لكلّ ظاهرة سببٌ ما، كما أنّ لكلّ سبب نتائج معينة<sup>5</sup>. في هذا النوع من المواقف الحجاجية يعتمد الخطيب على الاحتجاج

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص49

<sup>2</sup> نوالدين بوزناشة، الحجاج بين الدري البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، أطروحة دكتوراه، ص124

<sup>3</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص49

<sup>4</sup> *Traité de l'argumentation*, p354.

<sup>5</sup> ينظر عبد الله صولة في نظريو الحجاج، ص49.

لأمر ما بأن يأتي بنفس أسباب الظاهرة التي أدت إلى حدوث نفس النتائج، ولا يهّمه أطراد تلك الظاهرة من عدمه. فالذي يرفض فكرة الإضرابات العمالية والاحتجاجات الشعبية على الأنظمة الفاسدة سينتقي أمثلة عن بعض الدول التي انهارت أمنياً واقتصادياً بسبب تلك الاحتجاجات، وسيحاول أن يجعل من تلك العيّنات التي يختارها في حجاجه نتائج حتمية تهدد كلّ من تسوّّل له نفس بولج تلك المسالك غير الآمنة . كما ينتاسي - أو يحاول أن ينتاسي - في نفس الوقت أنّ هناك مجتمعات حضارية تعتمد نفس الطرق للتغيير نحو الأحسن وتكون نتائجها إيجابية. ويمكن لمن يرفض الرأى الأوّل بالاحتجاج بالرأى الثاني ومن ثمة تصبح قضية عدم جدوى الإضرابات والاحتجاجات أمر فيه نظر ولبس. وقسم بيرلمان حجج الاتصال التتبعي إلى :

أ.1- حجج الوصل السببي (*Le lien causal*): وهي التي تعتمد أساساً على مبدأ السببية، أو ما يُعرف في المنطق بالقضية الشرطية<sup>1</sup> التي نتائج القضية (ب) بوجود القضية (أ)، كقولنا : فلان مجتهد فسينجح؛ بطريقة أسلوب الشرط في البلاغة العربية. فالظاهرة ترجع إلى أسباب معينة، واجتماع الأسباب المعهودة تؤدي إلى نتائج مماثلة معهودة، والعكس أيضاً صحيح، إلا أنّ الأمر يبقى احتمالياً أكثر منه يقينياً فالحوادث قد تؤدي إليها أسباب تستحيل ملاحظتها أو إخضاعها للتجربة المخبرية، ولنعرض أيّ حادثة تاريخية لهذا التحليل؛ كاحتلال فرنسا للجزائر العاصمة سنة 1830م، ولنفرض توفّر كلّ الظروف والأسباب القائمة آنذاك هل سيؤدي الأمر إلى النتيجة نفسها، وقبل هذا هل يمكن توفير نفس الظروف؟ لهذا الأمر تبقى قضايا الحجاج وحججه ونتائجه أموراً احتمالية إلى أبعد الحدود لكنّها ناجعة في تقريب الرّؤى والأفكار والحدّ من فجوات الاختلاف.

<sup>1</sup> ينظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (باب القاف)، ج2/ص195

أ.2- حجج التّنبير<sup>1</sup> (*Arguments de gaspillage*) : وتكون في الحثّ على العمل الذي شرع فيه من مدّة، ولكن لم تظهر له أيّ نتائج إيجابية على أرض الواقع، فتُعتمد حجّة التّنبير للحثّ على مواصلة الجدّ والعمل وعدم التّفكير بالتّراجع نظراً لما قد بُذل من جُهد ووقت ومال لإنجاز هذا العمل، و لا ينبغي التّراجع عنه لأنّ التّراجع يعني ضياع كلّ هذه الجهود<sup>2</sup>. وتعتمد هذه الحجّة على عدّة عوامل منها قيمة العمل قيد الإنجاز، ونسبة النّجاح المتوقّعة مستقبلاً والتي يحاول المحاجج إثباتها بكلّ الوسائل المتاحة. في مقابل هذا أيضاً: ما قيمة الخسارة التي يتكبّدها أصحاب المشروع إذا عزموا التّراجع؟ خاصّة إذا رجحت كفة المؤيدين للتّراجع على كفة من يؤيّدون التّقدّم فيه.

ومسألة اليأس والتّراجع عن الأهداف المسطّرة كثيراً ما تواجهنا في مشاريعنا، فطالب الدّكتوراه كثيراً ما يتقاعس عن إتمام مشروعه نظراً للعراقيل المختلفة والصّعاب التي يواجهها، فتجد الأساتذة والزّملاء يشدّون على يديه ويحتجّون عليه (بحجّة التّنبير) : (أبعدا بذلت كلّ هذه الجهود في سبيل تحصيل العلم تتنازل عن هدفك الأخير؟)؛ إذ لا ينبغي التّراجع في هذه المرحلة من الدّراسات العليا فقد بذل أشواطاً طويلة من عمره حتّى بلغ هذه الدّرجة فليس العاقل من يضيّع تلك الجهود بموقف سرعان ما يزول.

أ.3- حجّة الاتّجاه (*Argument de la direction*)<sup>3</sup>: وهي التّحذير من سلوك طريق قد تبيّن أنّه لا يصل بصاحبه إلى خير، فالذي يتنازل في المرّة الأولى سيضطر إلى التّنازل في كلّ مرّة<sup>4</sup>، إمّا حياءً أو تقيّةً أو ضعفاً، ممّا قد يوصله إلى ما لا يحمد عقباه. كالمسلم الذي يتنازل عن مبادئه إرضاءً للنّاس وقد نسي أن أهواء النّاس لا يمكن إدراكها، فالأولى له الثّبات على مبادئه التي يعتقد سلامتها شرعاً وعرفاً، وتفادي المداهنة والملاينة للآخرين

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation, p375.*

<sup>2</sup> ينظر الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص74.

<sup>3</sup> *Traité de l'argumentation, p379.*

<sup>4</sup> ينظر عبدالله صوله، ص51

على حساب دينه وخلقه ومبادئه، فإن كانت المداراة تتفع أحياناً فلا يتخذها الإنسان ديدنه أبد الدهر، بحجة أنّ هذا الاتجاه (أي مبدأ التنازل) ليس سليماً أصلاً ومآله إلى خسران . ومثاله قول إبراهيم بن أدهم\* وهو يصوّر حال التنازل عن مبادئ الدين لحساب كسب الدنيا الزائلة : (نرّع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرّع)

ب - حجج الاتصال التّواجدي<sup>1</sup> : وهذه ترجمة (عبد الله صولة) - رحمه الله - للمصطلح الفرنسي (*Les liaisons de coexistence*)<sup>2</sup>، وترجمها الباحث (حسين بنو هاشم) ترجمة مباشرة بـ: (علاقات التّعايش)<sup>3</sup>. وتعتمد هذه العلاقات على طبيعة الشّخص (الخطيب) وما هو عليه في الواقع، أي كيف كان وجوده بين النّاس بأعماله وأخلاقه ومكانته في المجتمع وهذا ما عُرف بالإيتوس عند أرسطو. وتنقسم هذه الحجج عند (بيرلمان) إلى :

ب.1- الشّخص وأعماله<sup>4</sup> (*La personne et ses actes*): وكثيراً ما تستعمل هذه الحجج في القضاء، حيث يحاول المحامي الدّفاع عن المذنب من خلال سجلّ أعماله المعروف بالخلق الطيّب والاعتدال والابتعاد عن رفقة السّوء وعدم تورّطه في قضايا سابقة، محاولاً إيجاد مسوّغ ومخرج من الخطيئة التي ارتكبها، أو أنّها ليست من شيمه وعاداته إنّما حملة عليها القلق والغضب أو أمور نفسية خارجة عن إرادته. وهكذا يحتجّ المحامي لموكّله من خلال أعماله المشهورة عنه<sup>5</sup>. كما تعين المحاجج معرفته بأعمال مستمعيه وأخلاقهم وطبائعهم في توجيه حجاجه وجهة تخدم عمله الإقناعي والتكهن بالنتائج التي يريها<sup>6</sup>،

\* هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العجلي البلخي ، يكنى أبا إسحاق. روى عن الثّوري، والأوزاعي، ويحيى بن سعيد الأنصاري. توفي سنة اثنتين وستين ومائة. وقيل: سنة ثلاث.

<sup>1</sup> عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص51.

<sup>2</sup> *Traité de l'argumentation*, p394.

<sup>3</sup> الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص76.

<sup>4</sup> *Traité de l'argumentation*, p394.

<sup>5</sup> ينظر عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج، ص 51.

<sup>6</sup> ينظر نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرّي البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ص128.



وذلك عند إدراك مواطن التأثير في أنفسهم ويحاول العزف على هذا الوتر لتوجيههم إلى القبول والعمل بعد إيقاع الإقناع.

ب.2- حجة السلطة (*Argument d'autorité*)<sup>1</sup>: وتعتمد هذه الحجج على المكانة التي

يمثلها الخطيب في مجتمعه، وأهمها السلطة السياسيّة والدينيّة. ففي المجتمعات الإسلاميّة مثلاً يكون العالم بالشريعة ذا سلطة قويّة على الناس قد تفوق سلطة السياسي نظراً لما تحتله مكانة الشريعة في قلوب المسلمين، فهي لا تعترف بالحدود الجغرافيّة كما هو الحال بالنسبة للسلطة السياسيّة، كما أنّها لا تعترف بالحدود الزمكانيّة، فترى سلطة العالم الرّباني تمتدّ عبر الأزمنة والأمكنة. والسلطة حجة في ذاتها يمارس من خلالها الخطيب حواجه على الناس ويتمكّن من توجيه المتلقّي الوجهة التي يرغبها، ولا يتمكّن من دحض هذا الحجاج إلا سلطة أقوى منها أو اجتماع عدّة خصوم تكون لهم نفس السلطة فيبقى التّركيز على حجج أخرى تقوم بحسم الموازين وتُلغى حجج السلطة. كما تتعدّد أنواع السلّطات إلى سلطة الكتب السماويّة كالقرآن عند المسلمين والسنة النبويّة الشريفة، وسلطة العقيدة والتوجّه الإيديولوجي وسلطة رجال الدّين والعلماء والفلاسفة<sup>2</sup> والسياسيين ورجال الإدارة والشهرة... إلخ

وقد اعتمد الحجاج بن يوسف التّقفي (حجة السلطة) على أهل الكوفي حينما خطبهم

في المسجد يبلغهم سلام أمير المؤمنين، فلم يردّوا السّلام، فاستشاط غضباً ونهر وزجر وحملهم على ردّ السّلام مستخدماً سلطته ومنصبه الذي ولّاه إياه الخليفة على العراق مع التهديد والوعيد قائلاً: " أسلمّ عليكم أمير المؤمنين، فلم تردّوا عليه شيئاً؟! هذا أدب ابن نهيّة، أما والله لأؤدّبكم غير هذا الأدب أو لتستقيمن"<sup>3</sup>. وكان أن أدّت هذه السلّطة فعلها فضجّ المسجد بارتفاع الأصوات تردّ السّلام على عبد الملك بن مروان.

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation, p410.*

<sup>2</sup> ينظر نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي. ص128

<sup>3</sup> أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد، الكامل في اللّغة والأدب، دار الفكر العربي القاهرة، ط1/ ج1/ ص299

### أ - الاتصال الرمزي (*Liaison symbolique*)<sup>1</sup> :

ويقصد بيرلمان بالرمز تلك العلامات والأشياء التي اكتسبت دلالة معينة في ثقافة ما، فأصبحت تحيل إليها مباشرة عند رؤيتها دون الحاجة إلى تأويل أو تفسير لأحد من أهل تلك الثقافة التي ينتمي إليها ذلك الرمز، وتكون إحالة الرمز إلى المرموز إليه بواسطة علاقة التبرير والتشارك الاجتماعي والثقافي؛ فقد وضعت هذه الرموز قصداً لتحيل على مراجع خاصة بمجتمعاتها تعتمد تأويلات سيميائية متواضع عليها بعلاقة مقصودة معلومة وليست اعتباطية كما هي بين الدال والمدلول في اللسانيات<sup>2</sup> و الدراسات اللغوية.

ومن أمثلة تلك الرموز الأعلام الوطنية التي تتخذ من الهلال والنجمة رموزاً لها فهي تحيل على أن البلد بلد إسلامي. ومن الرموز الإسلامية أيضاً الكعبة المشرفة. وعند النصارى الصليب...، ويكون العمل الحجاجي بتوظيف الرموز على أنها تحيل الجمهور من خلال الرمز إلى الدلالات التي يحملها في عملية تأويلية تفرض المساءلة الذاتية على فكر المتلقي، فقول الخطيب : (لقد دُئس العلم الوطني) \* حجة على إهانة وطنه بأكمله بما يحمله من عزة وكرامة وقيم ومقدسات ذلك المجتمع؛ فذكره لعلامة واحدة (العلم) إيجازاً يحيله إلى عدة دلالات وتكسب العملية الحجاجية طاقة قوية في توجيه الجمهور، عقلاً ووجداناً، إلى ما يرغبه الخطيب. وما يخص حجة الرمز هو أنها خاصة بجماعة ما دون بقية العالم لأنها أمر ثقافي اجتماعي يختلف من مجتمع لآخر على حسب ما تواطأت عليه الجماعة. وهنا نلاحظ تلك العلاقة الوفيعة والتداخل الكائن بين نظرية الحجاج وبين علم العلامات السيميائيات (*Sémiotique*) وكذلك التأويلية (*Herméneutique*) من خلال توظيف بعض تقنيات هذه النظريات في نظرية الحجاج.

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation*, p446.

<sup>2</sup> ينظر نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي ص128.

\* وهذه من أمثلة بلاغة الصورة، فالرمز صورة بلاغية أدت دوراً حجاجياً مهماً إضافة إلى الجانب البلاغي الجمالي.

3.1.2.2 الحجج المؤسسة لبنية الواقع ( *Les liaisons qui fondent la* )

*(structure du réel)*<sup>1</sup>:

فرع بيرلمان هذه الحجج إلى أنواع عدة نذكر منها ما يبدو مهماً:

أ - **المثل (L'exemple)**: الاحتجاج بالمثل أو المثال كثير معروف في اللغات الطبيعية،

خاصة في المقام التعليمي، فالمثال له مهمة توضيح الغامض والقياس على ما سبق، وتوكيد القاعدة محلّ الحجاج. وكثيراً ما يؤتى بالمثل في الحالات التي ليس فيها مقدمات *Des premises*<sup>2</sup>. وقد ضرب أرسطو بعض الأمثلة عندما حاول أن يحتج لقاعدته القائمة على أنّ (الملوك الظلمة يستعينون بحراسة شخصيّة)<sup>3</sup> وضرب لذلك مثالين رغبة في تأكيد وترسيخ هذه القاعدة في ذهن المتلقي.

ب - **الشاهد (L'illustration)**: غالباً ما يستعين المحاجج بالشواهد لأنّ " الاستشهاد

من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضّح القول الطّابع العام"<sup>4</sup>. وإن كان المثل يؤتى به تأسيساً لقاعدة ما، فإنّ الشاهد يستأنس به لتقوية تلك القاعدة وتوضيحها؛ يقول بيرلمان في هذا الصّدّد: " إنّ بعض الشواهد لا تستعمل لأجل البرهنة، وإنّما لأجل التّوضيح"<sup>5</sup>، ومن باب الاستئناس بها لزيادة درجة الإقناع والتّسليم من المتلقي، ومعلوم بداهة أنّ كثرة الاستشهادات لمسألة ما ستؤدي حتماً إلى ترسيخها.

ت - **النّموذج و ضدّ النّموذج (Le modèle et l'antimodèle)**: ويحتاج المحاجج

أحيان أن يستعين في عملية المحاججة بالنّموذج؛ ويكون باستدعاء شخصيّة ما تكون

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation*, p.471

<sup>2</sup> ينظر عبد الله صوله، في نظرية الحجاج، ص54

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص54

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص55

<sup>5</sup> نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ص132.

القوة العليا في هذه المسألة ، خاصة عندما يختص الأمر بالأخلاق والعلم والتضحية في سبيل الدين والوطن، ففي هذا المقام يكثر الخطيب من الاستعانة بالنماذج الإنسانية البارزة والتأجحة حتى يسهل عليه إقناع جمهوره بقضيته وتوجيهه إلى الالتزام بها. أما اختيار النماذج فيكون بحسب فطنة الخطيب وحسن انتقائه لتلك النماذج التي توافق فكر الجمهور وأصوله وعاداته وأهواءه . كما يحتاج الخطيب أحيانا إلى ضد النموذج المطروح من دحض القضايا التي يحاجج الخصم لأجلها، والخصم لا يكون دائما شخصا حقيقيا فقد يتخذ الخطيب من الجمهور خصمه الافتراضي، أو يجعل من نفسه الخصم والحكم في آن واحد.

### ث - الاستدلال بواسطة التمثيل البلاغي: (*Le raisonnement par analogie*)

التمثيل في البلاغة العربية فرع عن التشبيه ويعدّ من " الحجج القائمة على الاتصال المؤسس لبنية الواقع"<sup>1</sup>. ويرى فيه بيرلمان أنّه من الوسائل المهمة في الحجاج "باعتباره أداة برهنة فهو ذو قيمة حجاجية، وتظهر قيمته الحجاجية هذه حين ننظر إليه على أنّه تماثل قائم بين البنى"<sup>2</sup>. ويكمن هذا التماثل في العلاقات القائمة بين أطراف التمثيل المتعددة، وهذه العلاقة بين أطراف التمثيل هي ما يعرف بوجه الشبه الذي ينتزع من متعدّد في التمثيل، إلا أنّ التمثيل تكمن بلاغته وقوته الحجاجية في تشابه العلاقة بين أطرافه المتعددة وليست علاقة تشابه بينها؛ ممّا يحفز المتلقّي على إعمال الفكر لاستنباط القصد الحجاجي من توظيف صور التمثيل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الله صوله، في نظرية الحجاج، ص56.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص56

<sup>3</sup> ينظر محمّد الأمين سالم الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص132.

ويضرب عبد الله صولة مثالا<sup>1</sup> على تشبيه التمثيل من القرآن الكريم وهو قوله ﷻ

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت 41. ذكرت الآية أربعة أطراف بينها علاقات؛ هي (أ = المشركين) و(ب = أولياؤهم) وهذا هو الطرف الأول، و(ج = العنكبوت) و(د = بيتها) .

أما الغاية الحجاجية من هذا التمثيل فلا تكمن في العلاقة بين (أ) و(ب) وليست في العلاقة بين (ج) و(د) إنما مدار الطاقة الحجاجية في تماثل العلاقة القائمة بين (أ) و(ب) من جهة مع العلاقة القائمة بين (ج) و(د) من جهة ثانية؛ وهي وجه الشبه الذي جعله الله ﷻ رابطة الضعف والتلاشي وعدم الاستقرار التي يتصف بها بيت العنكبوت فكذلك هي العلاقة بين المشركين مع ما اتخذوه من أولياء ليزدادوا بهم عزة وقوة وما يزيدونهم غير ذل ومهانة ، كما أنّ بيت العنكبوت لا تحميها شيئا من الأخطار الممكن وقوعها .

وكأنّي بالتشبيه الحاصل في الآية يحيلنا إلى فائدة جليلة مفادها ذلك السّفه الحاصل في عقول المشركين وسذاجة تفكيرهم وانحطاط منطقتهم؛ إذ كان مبلغهم من العلم مبلغ الحشرة الصغيرة التي ظنّت أنها اتخذت بيتا يقبها الحرّ والقرّ، فكذلك المشركون يظنون أنهم اتخذوا ركناً شديداً يلجأون إليه وليس بنافعهم أو ضارهم شيئاً

ويؤسّس (بيرلمان) في الحجاج بالتمثيل على مسألة جوهرية تتمثل في اختلاف ميدان كلّ من عناصر [الموضوع : أ - ب] عن ميدان عناصر [المحمول : ج - د]، لكن إذا اتحد ميدانها كانت المحاجة "، فموضوع الطرف الأول (المشبه) في التمثيل يختلف تماماً عن موضوع الطرف الثاني (المشبه به) من هذه الصّورة، إنّما يكون الاحتجاج بواسطة العلاقة القائمة في بين عناصر كلّ طرف (وهو ما يعرف بوجه الشبه المنتزع من متعدد في البيان العربي). وهكذا يكون الحجاج استدلالاً بواسطة المثل *L'exemple* أو الاستشهاد

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج ص57

*L'illustration*<sup>1</sup> فيؤتى بالمحمول لتوكيد الموضوع ودعمه حاجياً من خلال النظر في العلاقة الكامنة بين طرفيها، وهما علاقة الشّرك (بين المشاركين وأوليائهم) وعلاقة الوهن بين العنكبوت وبيتها استدلالاً على أنّ الشّرك من أضعف وأسفه العلاقات التي يقيمها الإنسان في حياته أبد الدّهر، فليس بعد هذا السّفه شرٌّ أعظم منه فمآله الخسران المبين.

### 2.2.2 طرائق الفصل بين المفاهيم (أو التفكيك) (*Dissociation des notion*):<sup>2</sup>

تعمل تقنيات الفصل بعكس تقنيات الوصل فإذا كانت هذه الأخيرة تعمل على جمع المتباعدات من الحجج فإنّ " تقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع [تفكيك] العناصر التي تعدّ كلاً واحداً، أو على الأقلّ مجموعة متّحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"<sup>3</sup>. وتعتمد أساساً على مبدأ تفكيك التماسك الموجود في مفاهيم المقدمات والحجج التي يعتمدها المرحّاج ، وجعلها تتناقض في ما بينها؛ فتحدّث بذلك " انفصاماً داخل المفهوم الواحد أو الأجزاء المتضامّة عن طريق ملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكوّنة له، وهذا هو المقصود بالفصل"<sup>4</sup>، ويعتمد الخطيب هذه التقنيات في تفكيك الحجج والبراهين التي يخشى أن يؤتى من قبلها حاجه<sup>5</sup>، وهو قيد التّحضير لخطابه الحجاجي يدخل في محاجة ذاتية أو افتراضية يتنبأ لكلّ ما قد يفاجئه به المتلقّي من حجج مضادّة قد تفسد عليه ما يحتاج لأجل تحقيقه.

وتقوم هذه الطرائق باللّعب على ثنائية (الظاهر/الواقع)<sup>6</sup> إذ يقوم الخطيب ب فصل المفهوم الواحد إلى شطرين، أحدهما ظاهر والآخر واقع، بحيث يخالف الظاهر الواقع،

<sup>1</sup> عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج، ص58.

<sup>2</sup> *Traité de l'argumentation, p550.*

<sup>3</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص80

<sup>4</sup> نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ص118

<sup>5</sup> ينظر محمّد الأمين سالم الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص127

<sup>6</sup> *Traité de l'argumentation, p.556*

والظاهر من الأثنياء والمفاهيم هو ما يخطر بالذهن وتدركه العقول بالبداهة والمألوف، فتجعل طرق الفصل الظاهر من القول مناقضاً لما هو عليه واقعه أو حقيقته<sup>1</sup>. ويلجأ المحاجج إلى هذه الطرائق - طرائق الفصل - ليدهض مقدّمات أو حجج خصمه أو حجج مضادّة لفكره يفترضها هو في خطابه لجمهوره. ويحاول في ردّه أن يجعل من تلك الحجج المناهضة لتوجّهه كلّ حجّة منها شطرين اثنين، يدهض واقعها ظاهرها، وبالتالي يتمكّن من دحضها وردّها على صاحبها ثمّ القفز عليها لفرض فكرته بعد إخلاء ميدان الحجاج من مناقضات أفكاره.

ويحاول الخطيب من خلال توظيف هذه الطّرق الحجاجيّة إلى إحداث زعزعة في المفاهيم التي تبدو مألوفة معروفة في ذهن المتلقّي، فيلجأ إلى عبارات لغويّة كثيراً ما ترد في حواراتنا اليوميّة وهي من طرق الفصل، ومثالها قولنا : ( هذا فيما يبدو للنّاس! - لكنّ العلم ينفي هذه النظريّة - الجمل الاعتراضيّة كقولهم : زعم الرّجل كذا - ولنفرض جدلاً - إلاّ أنّ واقع الأمر يخالف ... )<sup>2</sup>، وتوظيف أفعال الشكّ مثل : ( يتوهّم، يشكّ، يزعم ، يظنّ ، يخال... )<sup>3</sup>، وكلّها عبارات مقلقة للحجاج المضاد إذ تتبّه المستمع على ما لم ينتبه له ممّا أُخفي عنه من مغالطات كامنة في الحجج المعروضة عليه.

فإذا حاولنا - مثلاً - دحض نظريّة (صعود الإنسان إلى القمر) بطرق الفصل الحجاجيّة، يقول الخطيب : (...لكنّ صور الفيديو تظهر خضوع العلم الأمريكي لقانون الجاذبية الأرضية؟! ) (مُظهرًا حالة من التّعجب والتساؤل) . ممّا يؤدي إلى حالة من التريث والمساءلة حول هذه النظريّة عند المتلقّي، ويعيد ترتيب معلوماته بالعودة إلى الواقعة المصوّرة بالفيديو والتّدقيق فيها جيّداً.

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظريّة الحجاج، ص61

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص63

<sup>3</sup> ينظر محمّد سالم الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص133.

كذلك نحاول دحض مقدمات أو حجج من يثني على بعض الجماعات الإسلامية المسلحة كقوله : (هي جماعة تأمر بالمعروف!) - على أسلوب المدح الذي يتجلى عبر التّخيم في مخارج الأصوات- فيقول خصمه: (... هي جماعات تدّعي ذلك، لكنّ الواقع يشهد ضدّها! إنّها تعيث في الأرض فساداً!). فالألفاظ : (تدّعي/ الواقع/ تعيثر/ فسادا) ستفكك المفاهيم المسبقة حول هذه الجماعات شطرين متخالفين ينتميان إلى حقلَي الظاهر/الواقع؛ فالظاهر تمثله لفظة (تدّعي) والواقع تبيّنه الألفاظ (الواقع/ تعيثر/ فسادا). فيتشكّل في ذهن المتلقّي مفهوم موازٍ ل هذه الجماعات غير بعيد عنها بل مشتقٌّ من واقعها المخالف لظاهرها ، فيحاول المحاجج أن يزعزع في أذهان الجمهور تلك المفاهيم العاديّة المشهورة والتي لا تُعرض للمناقشة غالباً ، فيشتقّ منها مفاهيم تتناقضها محاولاً لفت انتباه السامع إلى هذه المفاهيم الجديدة التي فصلها عن المفاهيم العاديّة.

وتزداد قوّة الحجاج بالفصل ونجاعته عندما يستحضر الخطيب حججا مساعدة لهذه التّفنيات تقويها ويشدُّ بعضها بعضاً، ويكون ذلك عن طريق ذكر الشواهد والأمثلة والنماذج المأخوذة من تاريخ هذه الجماعات، كالأعمال التخريبية لطالبان الأفغانية أو جماعة بوكو حرام النيجيرية، فإنّ هذه الحجج/النماذج القائمة على الوصل بين الحجّة النقيض ومثالها تدعم ما قامت به طرائق الفصل من هدم للمفاهيم المسبقة لدى المتلقّي.

كما يستعمل أهل اللّغة - مثلاً - طرائق الفصل أيضاً عندما يحاولون التّصل من الخطأ الذي يقعون فيه أحيانا، فإذا ما أتاهم التّقدّم من هو أعلم بتلك المسألة فيردّون بقولهم عن طريق توظيف الموضع الشّهير عندهم : (خطأ مشهور خير من صحيح مهجور)، وهم يحاولون بذلك أن يحتجّوا ويؤسّسوا لأمر يحميهم من الخطأ دون أن يلتزموا بالعودة عن الخطأ، وهذه طريقة حجاجية تقوم على الفصل حينما تحدث زعزعة لدى الطلابة في معتقدتهم أنّ الخطأ خطأ مهما كان، فيبدوون شيئاً فشيئاً في تقبل بعض الأخطاء التي اظتشرت



وشاع استعمالها وتغاضى الناس عن مخالفتها. إن طرائق الوصل وسائل حجاجية احتمالية كثيراً ما تتجح في إقناع المتلقي.

لا يخفى على الباحث في نظرية ( بيرلمان ) الحجاجية أن أنواع الحجج التي نظر لها بيرلمان كثيرة بوجه يُعجز الممارس عن الإلمام بها فهماً واستحضاراً حال الخطاب، كما أنها كثيراً ما تتداخل فيما بينها مثل حجج الشاهد والمثال والنموذج. كما أننا ندرك أن الممارسة الحجاجية لا يمكن أن تخلو من أي نوع من هذه الحجج لكن دون وعي من الخطيب بخطة ترتيبها وهندستها داخل الخطاب، فالكلام الخطبي غالباً ما يكون إلقاءً يجزّ بعضه بعضاً فيصعب السير على خطة محكمة معدة مسبقاً. كما أن هذه الحجج التي ذكرها بيرلمان تقوى أحياناً حتى تبلغ الذروة بولوجها إلى ساحة المنطق الضروري، وتضعف أحياناً كثيرة نزولاً بساحة المغالطة أو السفسطة بسبب المبالغة في توظيف الحجج الاحتمالية مما يوهن صلابة الخطابة وقوة الفكرة.

وبعد الإقدام على إنهاء عرض مقدمات الحجاج وتقنياته التي وضعها بيرلمان لنظريته (الحجاج المنطقي)؛ وسميت كذلك لاستعانتها بكثير من تقنيات المنطق الأرسطي أو ما يشبه تلك التقنيات، نقول : وجب علينا في نهاية المطاف أن ننبه على أن نجاح العملية الحجاجية لا يكفي بمعرفة المقدمات والتقنيات وعرضها على المتلقي دون الاهتمام بعامل الأسلوب اللغوي الذي يساير الجانب الحجاجي جنباً إلى جنب في سبيل نجاح العملية الإقناعية برمتها، لأن نظرية البلاغة الجديدة تُعنى كذلك " بثنائية بلاغة الحجة وبلاغة أسلوبها معاً كشرطين متلازمين لتحقيق الخطاب ونفاذه، ولكي لا تقع التضحية - عند طغيان بعض الجوانب البراجماتية - ببعض الأهداف والأسس البنائية للفكرة على حساب الفهم والاستيعاب"<sup>1</sup>. فلا يمكن بحال من الأحوال أن ينجح الخطاب الحجاجي وقد رجحت

<sup>1</sup> محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد، ص106.

إحدى كفتيه على الأخرى، فالعناية بالحجة والأسلوب في آنٍ واحد باعتبارهما وجهان لعملة واحدة فعل أساسي في الوصول إلى الغاية الإقناعية والإمتاعية أيضاً.

ولعلّ المطلّع على الخطباء النّاجحين عبر تاريخ الخطابة العربية كالحجاج بن يوسف وواصل بن عطاء، وسحبان سيلحظ للوهلة الأولى أنّ سبب نجاح الخطيب راجع بالمرتبة الأولى إلى العُدّة اللّغوية التي يمتلكها ؛ من فصاحة وبلاغة وإلمام بالمعجم العربي وقواعد النّحو والصّرف؛ وهي آليات إقناعيّة أسلوبية كامنة في اللّغة تُمدُّ صاحبها بمداد حجاجي لا يضاهي. بالإضافة على أمور خارجية تخصُّ شخصية الخطيب وأخلاقه، وكذلك اعتقاده بصدق قضيته، وكذلك مستوى المخاطبين الفكري والثّقافي، فعوامل الإقناع متعدّدة متنوعة، والذي تعنى به نظرية الحجاج عند بيرلمان تلك الميكانيزمات الإقناعية المبنوثة في الخطاب.

وقد نبّه بيرلمان إلى الجوانب الحاقّة المساعدة على نجاح العمليّة الحجاجيّة؛ خاصّة

وعى الخطباء بعلو قدر العمليّة الحجاجيّة وانتمائها إلى حقل العلم والمعرفة ( *Domaine savant*)، الذي لا يتاح لأيّ كان، كما أنّها ليست شيئاً من التّسلية والتّلاعب بالكلمات، فينبغي على الخطباء التّحلّي بكلّ صفات النّفة والقناعة التّامة بقيمة العمل الذي يؤدّيه<sup>1</sup>، وبقيمة الفكرة التي يحاججون عنها ومدى صلابتها وقوّة احتمالها عند التّصادم مع آراء المخاطبين، والتّحضير الجيّد تمحيصاً وكتابةً وإلقاءً لأفكارهم؛ وعياً منهم بكيفيّة التّواصل الجيّد مع الآخرين، تحقيقاً لنجاح العمليّة الإقناعية. كما حذّر بيرلمان من الانفعال والمزايمة التي قد تنعكس سلباً على موقف الخطيب<sup>2</sup>، فيستغلّها الخصم لإضعاف الأفكار الموجّهة إليه.

<sup>1</sup> ينظر محمّد الأمين سالم الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص125

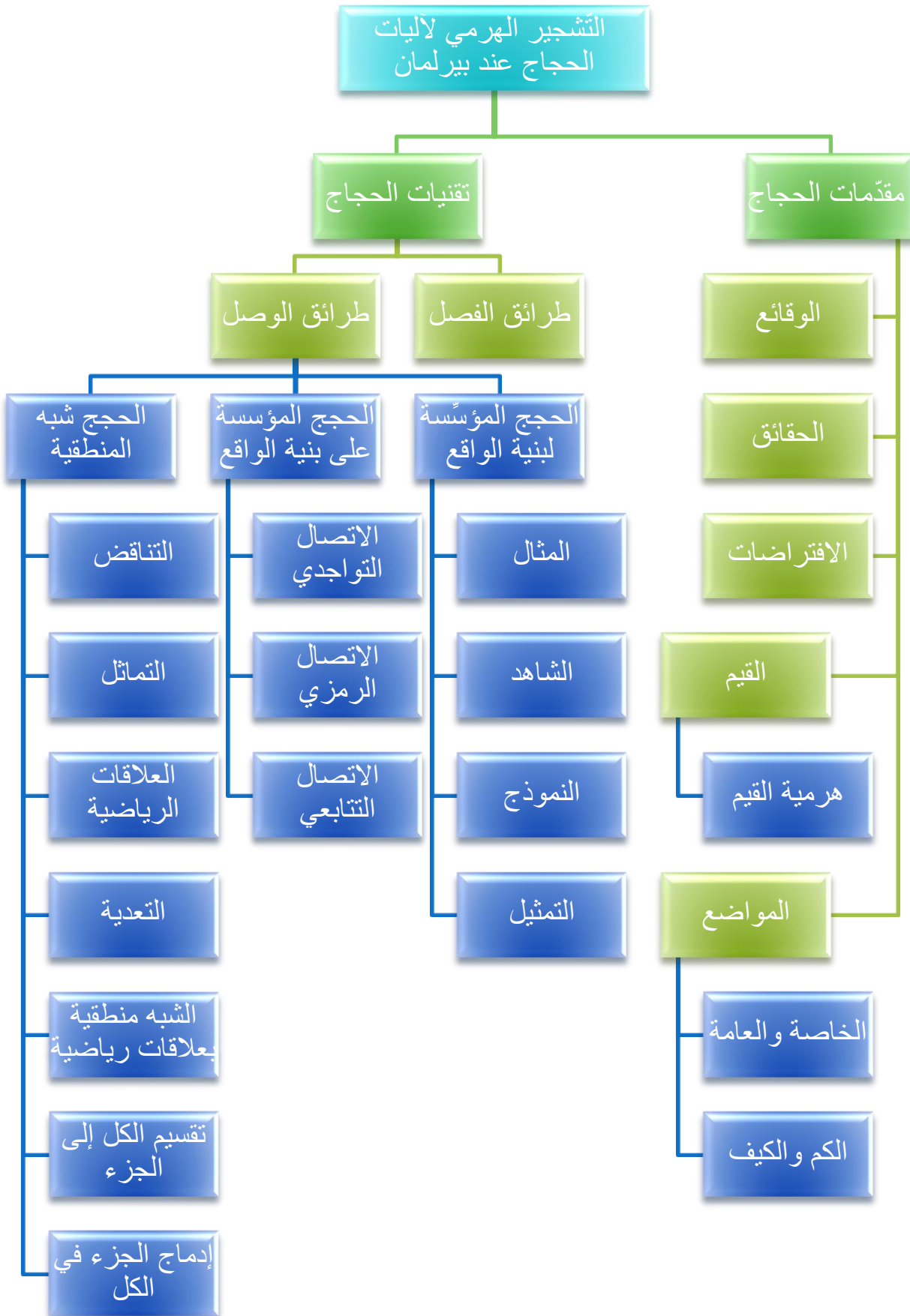
<sup>2</sup> ينظر ، المرجع نفسه، ص124

ويركز بيرلمان على ضرورة الاطلاع على أفق انتظار المخاطبين والخلفيات الثقافية المؤطرة لتلك الشبكة الاجتماعية؛ لغةً وأدباً ونقداً وفكراً؛ مما يفرض على الخطيب امتلاك حمولة ثقافية كونية واسعة<sup>1</sup>. كما تعدُّ قضية الكفاءة الثقافية للمجتمع (المستمع) مسألة جوهرية في إعداد العملية الحجاجية الموصوفة بالعلمية والنجاح؛ لأنَّ المستمع (*Auditoire*) يعدُّ عنصراً فاعلاً إيجابياً في إدارة العملية الحجاجية من خلال تجاوبه مع الأفكار والحجج المطروحة مع إمكانية مناقشتها بعقلانية وحرية تتوافق وروح الحوار الإنساني الرّاقى، بعيداً عن التّحريض والعنف والالتفات والتّساخر والتّجسيد كما قرّر ذلك أوليفي ريبول<sup>2</sup>.

أكثر بيرلمان في التّظير لآليات نظريته الحجاجية ممّا يتعب الباحث والنّاقّد في إحصائها بله الخطيب الذي لا ينتبه كنه الحجج وترتيبها كما أورده بيرلمان بقدر اهتمامه باستحضار الأفكار وترتيبها، وللتّخفيف من هذا التعقيد رأينا اتّخاذ مخطّط هرمي يصنّف مقدّمات الحجاج وآلياته كما جاء بها بيرلمان.

<sup>1</sup> ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة (مرجع سابق)، ص.124.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 123/124.



المبحث الثاني :

آيات الحجاج اللغوي

عند أوزفالد ديكرو

و

جان كلود أنسكومبر

1. مفهوم نظرية الحجاج اللغوي *L'Argumentation dans la langue*

تمخّضت اللسانيات التداوليّة *Pragmatique* علي يد أوستين (*Austin*) وسيرل (*Searl*) عن نظريّة أفعال الكلام والتي استتبط (ديكرو وأنسكومبر) من خلالها نظريّة الحجاج في اللّغة، وهي تتسبب إلى أصلها أيضاً : الحجاج التداولي. وعماد نظريّة أوستين على أنّ الأفعال اللّغوية ذوات المعنى هي ما أحال على عمل محسوس في الواقع، وسماها بالفعل الأدائي، في مقابل الفعل الإخباري وهو ما لا ينتج عنه فعل ما<sup>1</sup>. وقد بسط ديكرو تفاصيل نظريته الحجاج في اللّغة في كتابه (*L'argumentation dans la langue*)<sup>2</sup>.

طوّر (أوزفالد ديكرو *Ozward ducrot*) وزميله نظريتهما انطلاقاً من " نظريّة الأفعال اللّغوية التي وضع أسسها أوستين وسيرل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح - في هذا الإطار - إضافة فعلين لغويين هما : فعل الاقتضاء وفعل الحجاج"<sup>3</sup>، ومن فعل الحجاج انتبه الباحثان إلى الوظيفة الحجاجيّة التي تؤدّيها اللّغة البشريّة إضافة إلى الوظيفة الإبلاغيّة والتواصليّة. فقرّر هذا اللّغوي الفرنسي البحث في هذا الجانب اللّغوي فكانت نتائج أبحاثه نظريّة (الحجاج في اللّغة)، وهي نظريّة تختلف كلياً من حيث المنطلق عن النظريات الحجاجيّة الأخرى<sup>4</sup>، كنظريّة الحجاج المنطقي عند بيرلمان (البلاغة الجديدة) أو نظريّة الحجاج البلاغي؛ إنّها " نظريّة لسانية تُعنى بالوسائل اللّغوية الحجاجيّة التي تتضمنها اللّغات الطّبيعيّة، مع دراسة الأهداف الحجاجيّة ورصد تأثيرها التداولي على

<sup>1</sup> محمد سالم الطّلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ص182.

<sup>2</sup> *Anscombe Jean-Claude, Ducrot Oswald. L'argumentation dans la langue. In: Langages, 10e année, n°42, 1976.*

<sup>3</sup> عبدالهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص78

<sup>4</sup> ينظر عمر بوقمرة، نظريّة الحجاج في اللّغة في الدراسات العربيّة المعاصرة : الاستيعاب والممارسة، مجلة العاصمة المجلد التاسع / ص1672017

المستمع<sup>1</sup>؛ الفعل الحجاجي في نظر الباحثان كامن ومدمج في العناصر اللغوية ولا يخرج عن ما هو لغوي، حتى أنهما أدمجا المقام الخارجي لسياق الكلام داخل العناصر اللغوية.

إن نظرية الحجاج في اللغة تهتم بالدور الحجاجي الذي يؤديه النسق اللغوي (المكونات اللغوية) في ذاته من أسماء وأفعال وحروف وطرائق توظيفها في الكلام بانتحاء الوجوه النحوية والصيغ الصرفية المعلومة. اللغة البشرية - إن - عنصر حجاجي بذاته (*Intrinsèque*)<sup>2</sup>، وعليه فهذه النظرية تقدم القصدية التأثيرية للغة على الوظيفة التواصلية الإخبارية؛ أو لسنا نتكلم لنؤثر في المتلقي؟ مهما اختلفت درجة هذا التأثير، بل جعل أصحاب هذه النظرية من الغاية الحجاجية للغة أهم من الغاية التواصلية<sup>3</sup>، وجعلوا الحجاج عملاً لغوياً لا خطابياً<sup>4</sup>، بل بالغ موشلار في الأمر أكثر من ذلك حيث يقول: "إن اللغة حجاج محض، وإن الحجاج توجيهه صرف"<sup>5</sup>، وعليه تكون الغاية النهائية من اللغة - حسب - توجيه أفكار وأفعال المتلقي نحو أمر مقصود.

إن نظرية الحجاج اللغوي "التي وضع أسسها اللغوي الفرنسي أوزفالد ديكرو *O. Ducrot* منذ سنة 1973م نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: إننا نتكلم عامة بقصد التأثير".<sup>6</sup> والتأثير - هنا - يقصد به الإقناع الذي يؤثر في المتلقي ويغير فكره

<sup>1</sup> جميل حمداوي ، من البلاغة الجديدة إلى الحجاج، ص36

<sup>2</sup> ينظر عمر بوقمرة، نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة: الاستيعاب والممارسة، مجلة العاصمة المجلد التاسع / ص2017/167

<sup>3</sup> ينظر جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، ص35

<sup>4</sup> ينظر عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص30

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص31.

<sup>6</sup> أبو بكر عزوي، الحجاج في اللغة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته ، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص57

ويوجّه عمله وفق ما يرومه الخطيب. وقد تمكّن الباحثان من اتّباع تقنيات تحليل الخطابات حجاجيا من الجهة اللغوية فقط؛ بفحص العناصر اللسانية الفاعلة حجاجياً لا غير، وحققت هذه النظرية انتشاراً باهراً في أواخر القرن العشرين.

ويصبو ديكرو وزميله من خلال نظريتهما الحجاجية إلى إثبات الغاية الحجاجية الكامنة في اللغة البشرية بتتويجها (أي الغاية الحجاجية) مقصداً أولياً من التّواصل اللغوي البشري؛ تواصل يخضع للاستدلال الحجاجي، حيث إنّ التّرابط بين الأقوال في اللغة " لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنّما هو حجاجي لأنّه مسجّل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجّه القول وجهة أخرى، وتفرض ربطه بقول دون آخر. فموضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوّة حجاجية تمثّل مكوناً أساسياً لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلّم - في اللحظة التي يتكلّم فيها - يوجّه قوله وجهة حجاجية ما" <sup>1</sup>، قد اندمجت آلياتها في الأبنية اللغوية للمنجز الكلامي <sup>2</sup>، إنّ الحجاج اللغوي لا يخضع لقوانين الحجاج المنطقي واستدلالاته بل هو استدلال نحوي كامن في قواعد اللغة البشرية . أما نقد هذه النظرة قد يختلف من نظرية إلى أخرى ومن حقل معرفي لآخر، فنتبقى مجرد نظرية تطفو أحيانا وتغوص أخرى.

لعلّ أهمّ ميزة اتّصفت بها نظرية الحجاج اللغوي هي ذلك التّعارض " مع مجموعة من النظريات الحجاجية الكلاسيكية التي تنتمي إلى البلاغة الكلاسيكية كما عند أرسطو، أو التي تنتمي إلى البلاغة الحديثة كما عند بيرلمان، وأولبريخت تيتيكا، وميشال مايبير...، أو التي تنتمي إلى المنطق الطبيعي كما عند جان بليز غرايس... <sup>3</sup>؛ فهذه النظريات الحجاجية

<sup>1</sup> شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، إشراف حمادي صمود،

ص352

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص352

<sup>3</sup> جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، ص36/35.



كلها تعدّ نظريات كلاسيكية بالنظر إلى مرجعياتها المعرفية وأسسها الفلسفية، في حين تعود فيه نظرية الحجاج في اللغة إلى أفكار حديثة لعلّ أقدمها اللسانيات التداولية وهي فرع عن اللسانيات الحديثة، فلا تتكئ هذه النظرية في مقاربتها للخطاب على تقوي الآليات المنطقية والحجج المختلفة لإثبات الجانب الحجاجي في النصوص بل تكتفي بنسق الخطاب اللغوي والدور الذي يؤديه للتأثير في المتلقي.

وترى (روث أموسي *Amossy*) أنّ " السمة الحجاجية متأصلة في الكلام"<sup>1</sup> موافقة لنظرية الحجاج في اللغة، وعليه فإنّ اللغة الطبيعية تعدّ الحقل الذي ينطلق منه الاختلاف وإليه يعود من أجل التوصل إلى رؤية موحدة تضيق المسافة بين أفراد المجتمع الواحد. وقد استطاع الباحثان حصر نظريتهما الحجاجية داخل اللغة من خلال محاولتهما في التخلص من قيود المقام أو السياق الخارجي المنتج للخطاب، فكان لهما ذلك من خلال ابتكار نظرية التداولية المدمجة التي قضت على نظرية السياق الخارجي من خلال إدماجه في النسق اللساني للخطاب.

### 2. التداولية المدمجة في نظرية الحجاج اللغوي (اللساني) :

عول ديكرو وأنسكومبر على مسألة جوهرية أخرى تخصّ الحجاج في اللغة ، حيث رأوا أنّ الوقائع والمقام والسيّاق الخطابي ليست إلاّ مكونات خارجية انصهرت في الشكل اللساني للخطاب؛ ويعني هذا " أنّ التّمايز بين هذه الوقائع وصياغاتها اللسانية غير موجود أصلاً لأنّ اللغة في أصلها إنّ هي إلاّ ترجمة للوقائع في سيّاق حركية حجاجية متّصلة، أو بعبارة أخرى تحويل *Transposition* حجاجي للواقع، بحيث يكون كلّ استعمال للغة هو في حدّ ذاته حجاجاً بغضّ النظر عن السيّاق الخارجي لهذا الاستعمال وأغراضه

<sup>1</sup> Irit Sholomon Kornblit , *La diversite culturelle dans tous ses etas : analyse, discursive, rhetorique et argumentative d'une formule. (Unpublished PHD thesis).. Departement de Francais, Universite Bar-Ilan 2019, p14*

المخصوصة مادام الحجاج مؤصلاً في الأنسجة القاعدية للغة<sup>1</sup> ، وهذا ما عُرف بالتداولية المدمجة في نظرية الحجاج اللغوي؛ أي أنّ سياق الخطاب قد أُدمج في لغته، وهذا الأمر يخفف العبء عن الدّارس للخطاب الحجاجي لغوياً لأنه ليس مجبراً. وفق هذه النظريّة بالرجوع إلى المؤثرات الخارجيّة (المقاميّة) في الخطاب اللغوي. من هذا المنطلق جعل ديكرود من نظرية التداولية المدمجة قناة تنقل السيّاق من الخارج وتكرّسه داخل الأبنية اللغوية، حيث صار السيّاق والمقام متحرراً من المحتوى الخبري<sup>2</sup> متضمناً في السيّاق اللغوي لا غير.

لكنّ التسليم المطلق بنظرية التداولية المدمجة ليس سهلاً كما تصوّره لنا نظرية التداوليات المدمجة، لأنّ التحرّر من قيود السيّاق والظروف المنتجة للخطاب أمر عسير جداً فكلّ خطاب وليد سياق معيّن، وليست كلّ الخطابات تضرر سياقاتها في أبنيتها اللغوية، وبوجه خاص دوافع الخطيب الشخصية كالذّافع النفسي والاجتماعي والسياسي ممّا يصعب إدراكه دون العودة إلى مراجع مساعدة، وليس من السهل تجاهل دور تلك السياقات في بلورة الخطاب دلاليّاً. وقد وُجّهت انتقادات لهذه النظريّة من فلاسفة آخرين منهم : بورديو *P.Bourdieu*: الذي يرى أنّ كلّ محاولة لدراسة الخطاب دون العودة إلى سلطة الإصدار وسياقات الإنتاج له ستبوء بالفشل، وانتقد بكلامه هذا نظرية أوستين الذي لم يولّ - في رأيه - أهميّة للسياقات الحاقة بالخطاب.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> رشيد الرّاضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرود/ مجلة عالم الفكر العدد 2 المجلد 40، 2011، ص194

<sup>2</sup> شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة ، إشراف حمادي صمود، ص252

<sup>3</sup> ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة ص 190/191.

### 3. مبادئ وآليات نظرية الحجاج اللغوي :

إذا كانت اللغة كائناً حجاجياً بذاته كما رآها أصحاب نظرية الحجاج في اللغة، فما هي الآليات التي يؤدي الفعل الحجاجي من خلالها؟

إجابة عن هذا الإشكال سنعرض ضمن تقنيات نظرية الحجاج اللغوي الوسائل النظرية والإجرائية التي اهتم بها ديكرود في نظريته (الحجاج في اللغة). فقد بنى صرح نظريته على " وصف الشواهد اللغوية أو النصية في ضوء رؤية لغوية حجاجية تركيباً ودلالة وتداولاً، من خلال التركيز على مجموعة من المفاهيم الإجرائية؛ مثل: الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، والمبادئ والعلاقات الحجاجية، والسلم الحجاجي، والأدلة الممكنة والمحتملة، والإبطال والدليل الأقوى، والسياق والمقصديّة، ومراتب السلم الحجاجي، والنتائج والقوة الحجاجية، والاستعارة الحجاجية التي تشير إلى أنّ الأقوال الاستعارية أعلى حجاجية من الأقوال العادية.<sup>1</sup>، وسنحاول عرض أهمّ هذه الإجراءات الحجاجية اللغوية فيها يلي :

#### 1.3 التوجيه (L'Orientation):

يُقصد بالتوجيه دفع المتلقي نحو فعل لغوي ناشئ عن الخطاب الحجاجي، و يعدُّ هذا المبدأ " جوهر نظرية الحجاج في اللغة " <sup>2</sup>. جعل ديكرود وزميله أنسكومبر من مفهوم التوجيه مركزاً أساسياً ترتكز حوله نظريتهما (الحجاج في اللغة)، حيث يقوم المتكلم بتوجيه ذهن المخاطب وفكره نحو مسألة معينة يقصد من وراء ذلك إقناعه لتبنيها أو تركها، حتّى وهو يوظف في كلامه أساليب خبرية توحى في بادئ الأمر أنّ القصد منها هو الإخبار الخالص، والواقع أنّ الأمر من وراء توظيف هذه الأساليب الخبرية إنّما هو الحجاج بتوظيف التوجيه، فقولك لصديقك الأوروبي على مواقع التواصل : (الصّحراء الجزائرية من أجمل بقاع العالم

<sup>1</sup> جميل حمداوي، من البلاغة الجديدة إلى الحجاج، ص42/43.

<sup>2</sup> عمر بوقمرة، نظرية الحجاج في اللغة في الدراسات العربية المعاصرة : الاستيعاب والممارسة، مجلة العاصمة المجلد

السياحية، وتعدّ قبة هامة للسياح الأوروبيين)؛ فظاهر القول هو الإخبار والوصف، إلا أن هذا الأمر يأتي في المرتبة الثانية، والقصد الأول هو إقناع الصديق بضرورة زيارة الصحراء الجزائرية وتوجيهه نحوها وإقناعه بذلك بدلاً من وجهات أخرى؛ وعليه فليق توجيه هذا السائح نحو وجهة معينة هو عملية حاجية بامتياز استعمل فيها المتكلم اللغة الطبيعية في أبسط صورها النحوية والصرفية والدلالية.

ولقد رأينا في الفصل الأول من هذا البحث أنهن من بواعث نظرية الحجاج اللغوية هي تلك الدراسات اللسانية التداولية التي تبلورت على يد عدة فلاسفة ولسانيين لعل أهمهم في مقامنا هو (أوستين)، صاحب نظرية (أفعال الكلام)، وهي عنده على ثلاث مراتب إجابة عن السؤال: (بأي معنى يمكن أن يكون قول شيء إنجازاً له تماماً) <sup>1</sup>؛ ومعنى هذا السؤال هو حول الكيفية التي يواطئ بها الفعل القول. فكان الجواب على المراتب الثلاث للأفعال الكلامية <sup>2</sup>:

1- القول في حد ذاته *Acte locutoire*، 2- القول الفاعل *Acte illocutoire*؛ وهو الذي ننجزه أثناء القول ونؤكد به بالقوة البلاغية، 3- الفعل التأثيري (غير المباشر) *Acte perlocutoire*؛ وهو الأثر الذي يتحقق عن الفعل في الواقع. فإذا حاولنا رصد العلاقة بين ديكر و أوستين وجدنا نظريتهما: الحجاج في اللغة والأفعال الكلامية سليلتي نظرة فلسفية واحدة هي التأثير. قد ركزت كلاهما على أمر مهم مشترك بينهما؛ التوجيه عند ديكر والفعل الإنجازي عند أوستين؛ إذ الغاية من الكلام عندهما الإنجاز والتوجيه في المقام الأول، ليس بينهما فرق كبير فالتوجيه مآله إلى الإنجاز، فتلعل ديكر حاول أن يتميز بهذا المصطلح الذي يقع قبيل الإنجاز. وليس التوجيه خاصاً بالحجاج اللغوي فقط بل كان مبعثاً للنظريات الحجاجية منذ عهد اليونان من خلال توجيه الرأي الذي كان محلّه المحاكم آنذاك.

<sup>1</sup> محمد الأمين سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 183

<sup>2</sup> ينظر نفسه، ص 183

الفعل الإنجازي من الكلام هو ما يحدثه الخطيب من أثرٍ في المتلقّي يحمله على عملٍ معين، أو اتّخاذ موقف ما اتّجاه رأي أو فكرة مطروحة، ومسألة إنجاز الأفعال الكلاميّة من قبل المتلقّي في حدّها ليست سوى عمليّة حاجيّة<sup>1</sup> تُؤوّل خلالها لغة الخطاب مع معرفة بسياقات إنتاجها وثقافة المؤسسة الاجتماعيّة المنجزة خلالها، ممّا يفتح الأفق للخطيب إلى إقناع مستمعيه بجوهر العمليّة الحاجيّة وهو التّوجيه **Orientation** الذي يسعى إلى إنجازها على الواقع. أمّا السّياق الخارجي فلم يول له ديكر و أهميّة بالغة ليس إهمالاً منه ، إنّما بتخريج فلسفي آخر وسمه بالتّداوليّة المدمجة.

### 2.3 الموضع عند ديكر و أنسكومبر :

قد رأينا مصطلح (الموضع *Topoi*) الذي وضعه أرسطو في كتابه "الطّوبيقا"؛ فهو مصطلح أرسطي انتعش مع نظريّة الحجاج المنطقي عند بيرلمان في بلاغته الجديدة، وهو ليس بمكون لغوي، فسنحاول أن نقنفي أثر الموضع في نظريّة الحجاج اللّساني وما طرأ عليه من المفاهيم الجديدة. وقد دافع ديكر و أنسكومبر عن فكرتهما القائمة على الخاصية الحاجية التي "تخترق اللّغة في جميع أبعادها التركيبيّة والمعجمية والدّلالية والتي تؤدي فيها المواضع الدّور الحاسم"<sup>2</sup>. فما مفهوم الموضع عند ديكر و مادوه في العمليّة الحاجية اللّغوية.

يقول ديكر و أنسكومبر: " إذا كنّا نستنتج من ملفوظ (م) ملفوظاً (ف)، فإنّ ذلك ليس لأنّ (م) يشير إلى واقعة (ل) و(ف) يشير إلى واقعة (ق)، وأنّ حدوث (ل) يجعل من وقوع (ق) أمراً محقّقاً، بل لأنّ (م) يعرض (ل) بوجه يجعل من المشروع أعمال الموضع (أو سلسلة من المواضع) تقودنا إلى الملفوظ (ف) الذي يمكن أن نرى فيه إقناعاً لسانياً لـ (ق)"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 186

<sup>2</sup> رشيد الرّاضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللّسانيّة لأنسكومبر وديكر، ص 199.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 200.

إذا حاولنا أن نضرب مثلاً لهذا الكلام الذي يبدو شائكاً سنقول : (تلبّدت السماء بالغمام ونزل الغيث وانتعشت الحقول المزروعة)؛ فالملفوظ (م) هو (تلبّدت السماء بالغيوم)، والملفوظ (ف) هو (نزل الغيث). فالعلاقة بين (م) و(ف) هي السببية وهي قرينة حالية غير لغوية لكن الباحثان يردّان الاستنتاج (الدالي) المستنبط من هذا التركيب النحوي (وهو الملفوظ (ق) : (انتعشت الحقول) إلى وشائج لغوية تكمن داخل العلاقات اللغوية على اختلافها (معجمية، تركيبية، دلالية)، ويرمي هذا التركيب إلى الإقناع بالنتيجة في الملفوظ (ق)، وتوجيه المتلقّي إلى هذه النتيجة دون غيرها ولو لم تستدعِ حدوث كلّ المقدمات الأساسية لوقوعها (كالحرث والزرع والعناية اللازمة بالمزروعات).

ولا يفوتنا التنبية إلى أنّ كلّ الملفوظات المذكورة لها إحالات مقامية تحيل على حقائق خارج اللغة لكنّ أصحاب نظرية التداولية المدمجة يجعلون هذه الوقائع أمراً لغوياً صرفاً بعدما تكفّلت الأساليب اللغوية باحتوائها ووصفها وصفاً يغني السامع عن حالها في الواقع ، ويبدو الأمر ممكناً في هذه العبارات لأتّها وصف لما وقع من ظروف الخطاب ممّا لا يحتاج السامع إلى معاینته من اجل تأويل الملفوظات.

والانتقال من (م) إلى (ق) حصل بفضل رابط لغوي ثالث وهو (ف) شبيه بما يسميه تولمين بـ (الضامن *warrant*)<sup>1</sup>، ويسميه ديكر بـ (الموضع)<sup>2</sup>. ومن هنا يمكن أن نفهم أنّ الموضع في نظرية الحجاج اللساني عبارة عن ظرف مقامي ظاهر في اللغة لا يحتاج تفسيراً آخر يوضّحه؛ (كعلاقة فعل الشرط وجوابه أو السبب ومسببه) وقد أدمج في التراكيب اللغوية فصار مفهوماً من خلالها دون العودة إلى الموضع في أصل الواقع.

<sup>1</sup> ينظر رشيد الرّاضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو ص200

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص200

### 1.2.3 الموضع اللساني والمقدمة القياسية :

يتبادر للوهلة الأولى أنّ الموضع اللساني هو نفسه المقدمة الكبرى في القياس البرهاني أو يشبهه إلى حدّ ما، وليس الواقع كذلك؛ فالمقدمة الكبرى في القياس تخضع للضرورة والبداهة واليقين؛ كقولنا : (كلّ إنسان فان) فدرجة اليقين في هذه المقدمة ستفرض الفناء على كلّ إنسان ضرورة دون منازعة في الأمر.

أمّا الموضع في الحجاج اللساني يختلف عن المقدمة الكبرى في عنصر اليقين والضرورة، و "ما ينبغي تأكيده هو أنّ هذا التشابه ظاهريّ فقط، فالنقطة التي يتيحها الموضع تختلف عن تلك التي تفرضها قواعد القياس، والفرق الحاسم ينطوي في درجة اليقين التي تنطوي عليها هذه النقطة " <sup>1</sup>. فعندما نقول لشابّ : (إنّ أباك كان رجلاً كريماً)؛ تحيلنا هذه العبارة إلى شحنة حجاجية تحيل على نتيجة مضمرة مفادها (كُنْ كريماً مثل والدك)، وتستنبط هذه النتيجة من الوسائل اللغوية (إنّ، أباك، كان، الكرم)، إلا أنّ الاستنباط هنا ليس على قاعدة القياس، فالأمر ليس ضرورياً، فليس كلّ كريم يكون ابنه كريم، وإنّما هي قاعدة يتواضع عليها الناس فيما بينهم حتّى يحافظ الخلف على سير السلف، وليست النتيجة مطّردة في جميع القضايا المتشابهة، لكنّها محتملة وممكنة من جهة كما يمكن إبطالها ورفضها من جهة أخرى.

وهكذا يكون أساس الانتقال من المقدمات الحجاجية إلى النتائج المتوخّاة عبر استدلال يخضع لقانون المواضع التي أسستها الثقافة الجماعية بأرائها المشتركة <sup>2</sup>، وهذه النظم الاجتماعية التي تقبع في اللاوعي البشري لمجتمع ما تكاد ترتقي إلى مراتب المقدمات القياسية من حيث اليقين والضرورة والبداهة. ويشترك جميع البشر في هذه المواضع نظراً

<sup>1</sup> رشيد الزاضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحججيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو ص203

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 204

للطبيعة الاجتماعية التي يحملها الإنسان في فطرته، كما تختلف سلطة هذه المواضع من مجتمع إلى آخر، فتزداد سلطتها في المجتمعات البدائية والمحافظة، وتقل حجيتها في المجتمعات المنفتحة على الآخر والمختلطة أجناسها وثقافتها.

### 3.3 نظرية العامل الحجاجي في اللغة :

العوامل الحجاجية هي تلك العناصر الصّرفية التي تعطي للإنجاز اللغوي (الجملة) توجيهها حجاجيا يروم الوصول إلى نتيجة مقصودة<sup>1</sup>. وقد اعتبرها موشلر "علامات لسانية تنتمي إلى مقولات نحوية مختلفة مثل أدوات العطف، الأسماء الموصولة، الظروف، عبارات تفيد العطف"<sup>2</sup>. ويرى (رودولف فيقلون *R.Ghiglione*) أنه "يوجد عناصر في اللغة يمكن تسميتها ب(العوامل *Operateurs*) تساعد على تحقيق إحدى وظائف اللغة وإتمام اللعبة الحجاجية " كما يقول أيضاً: " يمكن اعتبار كلّ خطاب ذا مدى تأثيري تضمّنه أدوات لغوية تساعد المتقبلي على اكتشاف ما يعتبره الباث واقعياً وصحيحاً "<sup>3</sup>، ويقصد بالأدوات العوامل الحجاجية.

كما يعتبر أنّ العامل الحجاجي اللغوي هو عماد العملية الحجاجية الإقناعية. وجعل (فيقلون) العوامل الحجاجية على أربعة أنواع؛ الدلالية والإعرابية والمنطقية والحجاجية<sup>4</sup>، وكلها تعمل على إقامة نسق حجاجي ناجح؛ وذلك بأدائها دور الإقناع المباشر في العملية التخاطبية. أمّا (روث أموسي) فقد جعلت للعوامل الحجاجية مهمة تتناسق الخطاب وترابطه، كما توجهنا إلى اكتشاف الأبعاد الحجاجية ضمن نسق الخطاب البنيوي (اللساني)<sup>5</sup>، ولعلّ

<sup>1</sup> ينظر عزالدين النّاجح ، العوامل الحجاجية ص31

<sup>2</sup> خليفة الميساوي، الوسائل الحجاجية في المقاربات الحجاجية الغربية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010م، ج 1 ص278.

<sup>3</sup> عز الدين النّاجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين ، صفاقس، 2011، ص16

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص17.

<sup>5</sup> ينظر المرجع نفسه، ص33



أموسي تجمع بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، بيد أنّ بينهما فروق ينبغي الإشارة إليها.

### 1.3.3 العامل والرباط الحجاجي :

صنّف بعض الدارسين العوامل الحجاجية إلى نوعين : الروابط الحجاجية ( *Les*

*Les operateurs* ) والعوامل الحجاجية ( *conecteurs argumentatif* )

*argumentatif* ). و تعرف العوامل الحجاجية على أنّها " تدخل على قضية واحدة مثل : (ما، إلا، إنّ، ربّما، تقريبا، كاد، قليلا...)، وتقوم هذه العوامل بحشد الطاقات الحجاجية وتكثيفها داخل الملفوظ الحجاجي<sup>1</sup> الواحد أي داخل قضية بذاتها ، ولا تربط بين متغيّرات حجاجية<sup>2</sup> تخدم أكثر من قضية ، وإنّما ينحصر دورها الحجاجي داخل القول الواحد أي القضية الواحدة. أمّا الروابط الحجاجية فتدخل على أكثر من قضية، أو " هي ما به تحدّد القضية الكبرى"<sup>3</sup>، وتقوم الروابط الحجاجية بالربط بين الحجج والأقوال في العملية الحجاجية<sup>4</sup> ، والربط بين المقدمات ومن هذه الروابط في اللغة العربية : (بل، لكن، حتّى، لاسيّما، إذن...)

وصنّف جاك موشلار وأن روبول الروابط الحجاجية انطلاقاً من عملها الحجاجي

في الخطاب إلى أصناف أربعة : الروابط الحجاجية المؤيدة؛ وهي ما يؤيد حجة ما مثل (لأنّ، أيضاً، من أجل ذلك)، والروابط الحجاجية المضادة للحجة مثل (لكن، إلا، رغم ذلك)، والروابط الاستنتاجية مثل (إذن، أخيراً، وعليه..)، وروابط إعادة التّقويم مثل (صفوة القول،

<sup>1</sup> ينظر جميل حمداوي، من البلاغة الجديدة إلى الحجاج، ص39

<sup>2</sup> ينظر مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكيّة، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، ط1/2015م، ص102.

<sup>3</sup> عزالدين النّاجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص22

<sup>4</sup> ينظر جميل حمداوي، من البلاغة الجديدة إلى الحجاج، ص39

في الختام ، وعليه، على كلِّ حال...<sup>1</sup> . والملاحظ في هذا التّصنيف وما استخدم فيه من المصطلحات عدم تفريق الباحثين بين الروابط والعوامل الحجاجية، بل استخدموا مصطلح الرّوابط بالمعنى العامّ. وتقوم تلك الرّوابط/العوامل الحجاجية بوظائف منها : الوصل بين الوحدات اللّسانية في الخطاب وهذا نحسه خاصّاً بالرّوابط. وكذلك التّوصّل إلى نتائج لا يمكن التّوصّل إليها بدون هذه الرّوابط<sup>2</sup>، وهذا ما تختصّ بأدائه العوامل الحجاجية . كما لهذه الرّوابط وظائف نصّية أخرى غير حجاجية لعلّ أهمّها تحديد السّمة النّصية للخطاب.

جعل الباحث جان كارون ( Jean Caron ) الرّوابط على ضربين حجاجية ومنطقية<sup>3</sup>. فجعل مهمّة الرّوابط الخطابية تعديل الخطاب أو التّوجيه نحو نتائج معيّنة يرمي إليها الخطيب، وفعل التّوجيه أساس في الخطاب الحجاجي كما مرّ بنا، ولا بدّ لهذا التّوجيه من قنوات لغوية يعالج ضمنها، فنستنتج أنّ تلك القنوات المعالجة للتّوجيه الحجاجي هي العوامل الحجاجية، إذ يستعملها الخطيب في توجيه خطابه نحو النّتائج المحدّدة مسبقاً. الرّابط الحجاجي عند كارون يقوم بتعديل وتوجيه الخطاب فمسؤوليته تركيب وتحويل الوضعيات الخطابية من قضايا ومقدّمات متوافق عليها إلى نتائج متبناة فكرياً وعملاً. أمّا استعمالها في الخطاب فيكون للصنفين معاً يتعاقدان لخدمة الإقناع والتّوجيه الحجاجيين.

في حين أنّ مصطلح الرّوابط المنطقية فيحيلنا إلى حقل المنطق واللّغات الرّمزية ممّا لا يعيننا في هذا المقام. ودور الرّوابط المنطقية - حسب كارون - عمل منطقي يقوم بحساب القضايا بآليات شبه رياضية<sup>4</sup>، وقد رأينا بعض تلك النّقنيات شبه المنطقية في نظرية الحجاج المنطقي.

<sup>1</sup> ينظر عزالدين الماجح، العوامل الحجاجية في اللّغة العربيّة، ص22

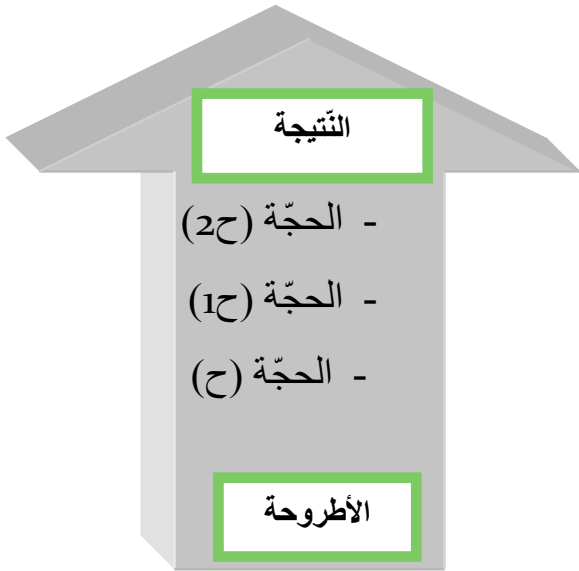
<sup>2</sup> ينظر خليفة الميساوي، الوسائل الحجاجية في المقاربات الحجاجية الغربية، ص278/279.

<sup>3</sup> ينظر عزالدين الماجح، العوامل الحجاجية في اللّغة العربيّة ، ص24.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص24.

نريد الخلوص إلى فصل نظري يميّز بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية على اعتبار أثرها في الفعل الحجاجي، والظاهر من كلام الباحثين أنّ تلك الأداة اللغوية التي لا تترك أثراً أو تُحدث تغييراً في منحنى الخطاب الحجاجي تسمّى رابطاً حجاجياً ، وتبقى مهمّة هذه الروابط نصّية فقط من خلال خلق الاتساق بين مكونات الخطاب الحجاجية من مقدّمات كبرى وصغرى ظاهرة أو مضمرة وبين النتائج. ومن هذه الروابط في اللّغة العربية حروف العطف وحروف الجرّ. أمّا العامل الحجاجي فهو أداة لغوية لها الأثر البارز في تحويل وجهة الحجاج من نقطة إلى أخرى، وكسر الوتيرة الأفقية في نمطية الخطاب. فتؤثر في أفكار الخطاب وتحوّل حال النتيجة بين الرّفص والقبول، وتجعل من الحجّة الدّاحضة داعمة. ومن أمثلتها في العربية حروف وصيغ التوكيد، وحروف الاستدراك والاعتراض، وحروف الجزاء والشّرط. فدور العامل أساسي يعمل في خلق فعل التوجيه الحجاجي.

### 4.3 السّلام الحجاجيّة<sup>1</sup> (*Les échelles argumentatives*):



الشكل (أ)

بنى (ديكرو) فكرته عن السّلام الحجاجيّة انطلاقاً من قوّة الحجج الواردة في الخطاب؛ فالحجج التي تخدم نتيجة واحدة تتفاوت في قوّتها الحجاجيّة في سبيل تحقيق النتيجة نفسها، وهذا الاختلاف والتفاوت أدّى إلى ترتيبها من الأضعف إلى الأقوى وتسمّى هذه العلاقة التراتبيّة بالسّلم الحجاجي، ويعرّفه ديكرو بقوله : " نسمي القسم الحجاجي الذي يقوم على علاقة

<sup>1</sup> Anscombe Jean-Claude, Ducrot Oswald. *L'argumentation dans la langue*. In: *Langages*, 10e année, n°42, 1976. p 5.

تراتبية : السلم الحجاجي، واختصاره هو (س.ح) (E .A)<sup>1</sup>. أما كون هذه الحجج المرتبة في سلم حجاجي واحد مرجعه إلى خدمة نتيجة واحدة - كما ذكرنا - وهذا ما يسمّيه ديكرو بالقسم الحجاجي؛ ويعرّفه بأنّه ملفوظين أو أكثر يقودان بالمحاجة إلى نتيجة واحدة<sup>2</sup> إذ لا يمكن الجمع بين الحجج التي تخدم نتائج متفرّعة على سلم حجاجي واحد . ويمكن التمثيل للسلم الحجاجي بالشكل الآتي : إذا كانت لدينا القضية الحجاجية تقصد إلى تحقيق النتيجة (ن)، من خلال توظيف الحجج (ح، ح1، ح2) كما يظهر في الشكل (أ)

وقد رأى (ديكرو وأنسكومبر) منهجا ناجعا في سرد الحجج في الخطاب حيث إنه يبدأ بالحجة الأضعف ثم المتوسطة ثم الأقوى، حتى يكون التمكن من فكر السامع تدريجياً فإذا صدع الخطيب بالحجة الأقوى لم يجد المتلقي سبيلاً غير الاقتناع والتسليم.

إذا أراد أحد الأساتذة مدح طالبٍ محتهدٍ في تخصّصه العلمي، بدأ بذكر مؤهلاته العلمية كحجج على كفاءته، وذلك بداية من أوّل شهادة جامعية تحصّل عليها خلال مساره؛ فيقول : (ح) = تحصّل على شهادة الليسانس، ثم واصل تعليمه حتى (ح 1) = تحصّل على الماجستير ثم واصل تعليمه إلى أن (ح 2) حصل شهادة الدكتوراه. فهذا ترتيب حجاجي يخضع لتراتبية السلم الحجاجي التي أقرّها ديكرو<sup>3</sup>. وإذا ما التفتنا إلى حجاجية الروابط (حتى / إلى أن / حصل بصيغة فعل التي تدلّ على زيادة في الجدّ والكثّ) ، ألفينا هذه الروابط والعوامل الحجاجية تدفع المتلقي إلى نفس النتيجة : ن = الأستاذ متمكّن ، ذكي، مجدّد، ذو كفاءة علمية في ميدانه المعرفي. ويكون ترتيب الحجج - وهي حجج غير لغوية- وفق السلم الحجاجي : ينظر الشكل (أ).

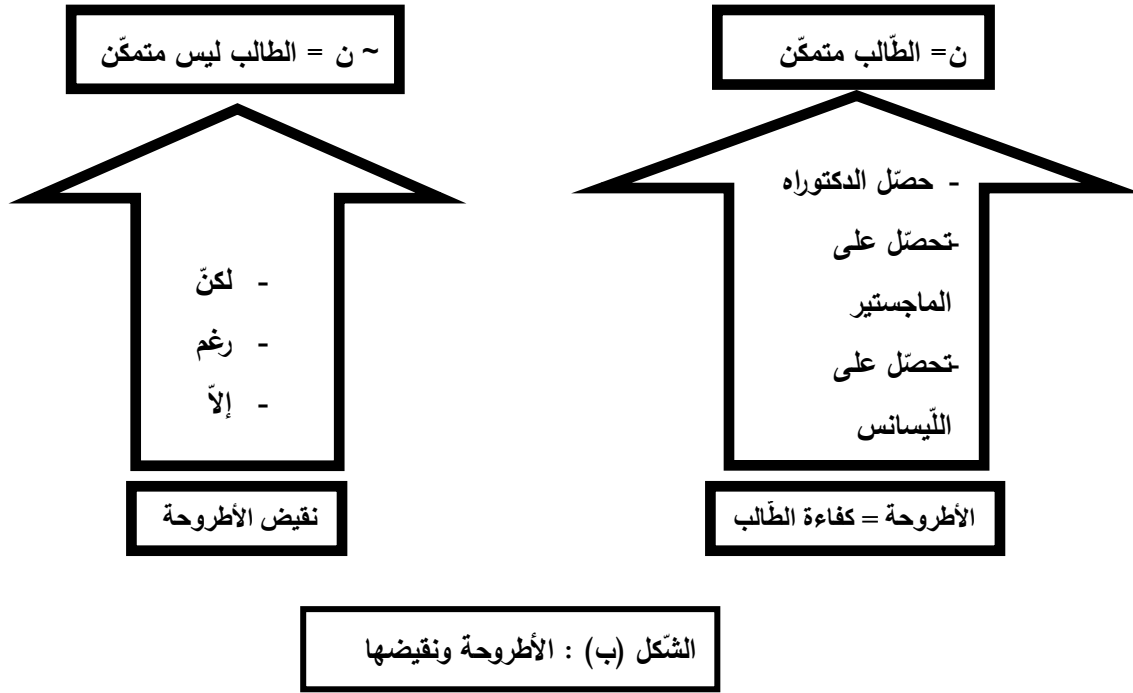
<sup>1</sup> بوسلاح فايضة، السلاّم الحجاجية في القصص القرآني (مقاربة تداولية)، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2014/2015.

ص115

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص118.

<sup>3</sup>نظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص84.

وإذا اعترض أحد الحاضرين على القضية المطروحة = (كفاءة الطالب)، فإنه يتدخل مستدركاً بالعوامل الحجاجية (لكن... رغم... إلّا) قائلاً : ( لكن معدّلات شهاداته كان متوسطة، و رغم الدّعم الذي تلقّاه في مساره إلّا أنّه لم يحتلّ المراتب الأولى...). فهذه العوامل الحجاجية تدحض (ن) إلى ضدّها إلى النّتيجة (- ن) (حسب تصنيف موشلار وروبول)؛ فهذا الفعل الحجاجي لا يخدم (ن) إنّما يدحضها وبالتالي فهو يبني نتيجة أخرى هي (- ن) ويوجّه المتلقّي توجيهاً حجاجياً نحوها. وحينئذٍ لا يكون السّم الحجاجي بنفس الطريقة الأولى حيث اتحدت كلّ الحجج (ح، ح 1، ح2) لخدمة (ن)، وعلى هذا نرى السّم الحجاجي بالعوامل الدّاحضة على الشكل الآتي (ب) :



ومما يمكن توجيهه لنظريّة السّلام الحجاجيّة عند ديكرو هي أنّ الحجاج اللّغوي عبارة عن عوامل وقرائن لغويّة تعمل على توجيه الخطاب توجيهاً حجاجياً وليست حججاً يمكن ترتيبها سلميًّا بعد إدراك قوتها في الخطاب ؛ فإذا لم يكن من التّرتيب بدُّ فسيكون بترتيب العوامل والرّوابط الحجاجيّة وليس للحجج حتّى يكون سلباً حجاجياً لغوياً بمعنى الكلمة ، ولا

يمكن ترتيب العوامل دون إضافتها إلى حججها الواردة معها في الخطاب . فحينئذ فإن ترتيب الحجج المنطقية وشبهها والواقعية فلا ينضوي تحت لواء الحجاج اللغوي إنما تحت حجاج من نوع آخر . كما أن نظرية السلام الحجاجية تتشابه كثيراً مع نظرية (هرمية القيم) عند (بيرلمان) إن لم تكن ذات الفكرة أعاد ديكر و بلورتها بمصطلح السّلام.

#### 4. قراءة حجاجية في ضوء نظرية الحجاج اللغوي :

مما لا يُختلفُ فيه أنّ ظاهرة الحجاج اللغوي موجودة في اللغات الطبيعية، فاللغة العربية -على سبيل المثال- غنيّة جداً بآليات الحجاج اللغوي من خلال معجمها الواسع مقارنة ببقية اللغات، فمن نماذج هذه الآليات حروف التوكيد وصيغه المختلفة، وحروف الاستدراك (لكن، إلا أنه)، حروف السببية والتعليل، صيغ الجزاء والاستنتاج. وكثيراً ما يتجلى الحجاج اللغوي في القرآن الكريم باعتباره الحجة الدامغة على البشر، والكتاب المنزه عن الخطأ، فالاستعمال اللغوي في القرآن الكريم منوال جيد للنظر فيما جاءت به النظريات اللغوية المختلفة. وسنحاول تحت هذا العنصر إسقاط معطيات نظرية الحجاج اللغوي على آية قرآنية كريمة، وننظر إلى مواطن الحجاج اللغوي فيها وما هي الروابط والعوامل الحجاجية وكذلك القرائن اللغوية الأخرى مما تتيحه اللغة من آليات الحجاج اللغوي.

قال الله ﷻ رداً على اليهود الذين اتهموه سبحانه بالفقر في قوله: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ آل عمران 181، بأن لهم عذاب الحريق بما قالوا، فكانت نتيجة إفكهم العذاب، كما قدم لهم - سبحانه - حجته على تعذيبه لهم في الآية الموالية حيث قال ﷻ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ آل عمران 182.

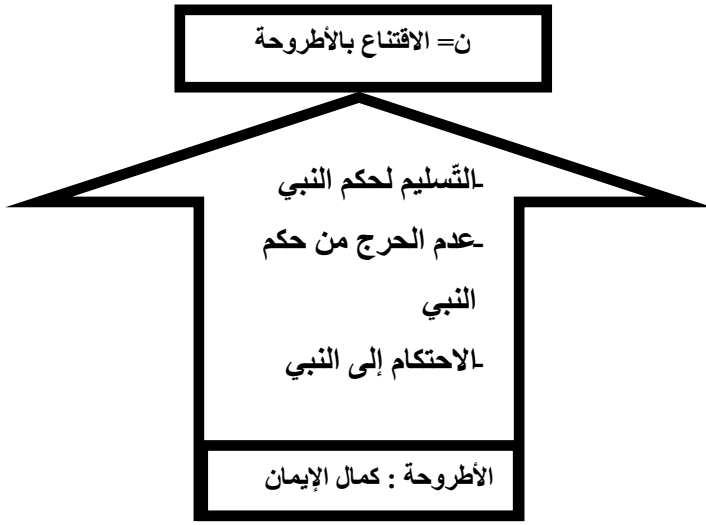
أشار المولى ﷺ إلى النتيجة المحتومة لفعلتهم باسم الإشارة في قوله : (ذلك = ن) ،  
وسرد عدة حجج تدعم هذه النتيجة منها الحجج الواقعية والتي أشار إليها قوله ﷺ (بما  
قدّمت أيديكم) وقوله وأنّ الله ليس بظلام للعبيد وهذه ليست حججاً لغويةً. وفي الجملة الأخيرة  
تأسيس لقضية حجاجية أخرى مفادها (ن 2)=(الله عادل غير ظالم) وقد ورد الاحتجاج  
اللغوي للقضية (ن2) بقرائن حجاجية لغوية نحاول تقصيها فيما يلي:

الجملة التي وردت فيها (ن 2) كالاتي (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)، افتتحت الجملة  
بحرف التوكيد (أَنَّ) وهو من أكثر طرق التوكيد المستعملة في العربية، والتوكيد غايته  
الحجاج غالباً على المنكرين صفة العدل في ذات الله ﷻ، ثم النفي بالعامل (ليس) الذي  
ينفي الظلم عنه سبحانه، فأسلوب النفي كذلك وسيلة حجاجية لغوية تدحض (-ن) = الظلم  
إلى (ن2)= العدل. ثم جيء بحرف الجرّ الزائد (الباء) والحروف إن كانت زائدة نحواً فإن لها  
دورا وأثراً في الدلالة فيؤتى بها لغرض التوكيد فهي كذلك عامل حجاجي آخر على طريقة  
التوكيد في صورة حرف الجرّ الزائد يدعم (ن2).

ثم تأتي صيغة المبالغة (ظلام) على وزن فعّال عوض اسم الفاعل (ظالم) وإنّ تأويل  
استعمال صيغة المبالغة حجاجيا ظاهر فهي من طرق التوكيد أيضاً حيث تفيد الإكثار من  
الفعل والزيادة فيه، فإنّ الإتيان بها في سياق النفي لا يعني أنّه قد يقع منه الفعل قليلا، أبدأً،  
فإنّه ﷻ لا يظلم مثقال ذرة، إنّما أضافت صيغة المبالغة زيادة في النفي ومبالغة. واستبدال  
صيغة صرفية بأخرى أقوى منها يعدّ من تقنيات الحجاج اللغوي التي تقع على المستوى  
الصّرفي، فاستعمال صيغة المبالغة أقوى حجة من الصّفة المشبهة ومن اسم الفاعل ومن  
الفعل أيضاً<sup>1</sup>. ثم تأتي لفظة العبيد عوضاً للعباد، والعبيد جمع للعبد المملوك -كما علم -  
أنّهم أضعف الخلق الذين لا يقدرّون على شيء؛ فقد خاطبهم المولى ﷻ وهم في أدلّ

<sup>1</sup> ينظر فايضة بوسلاح، السلاّم الحجاجية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، إشراف د. عبدالحليم بن عيسى، جامعة وهران،  
2015/2014م، ص130.

صورة، فإذا كان الندّ من العبيد فقد يسهل على خصمه ظلمه والتجبرّ عليه ممّا لا يمكن فعله لو المظلوم من العباد وليس ما العبيد، وفي هذا تمام عدله وكماله سبحانه، حتّى مع أضعف النّاس وهم العبيد فإنّه عدل لا يظلم ألبتّة وما كان في حقّه ذلك. وقد انزاح التّعبير القرآني عن لفظة (العباد) لأنّها لخاصّة المؤمنين دون غيرهم ممّن لم يؤمن بدعوة الإسلام الحنيف.



الشكل (ج)

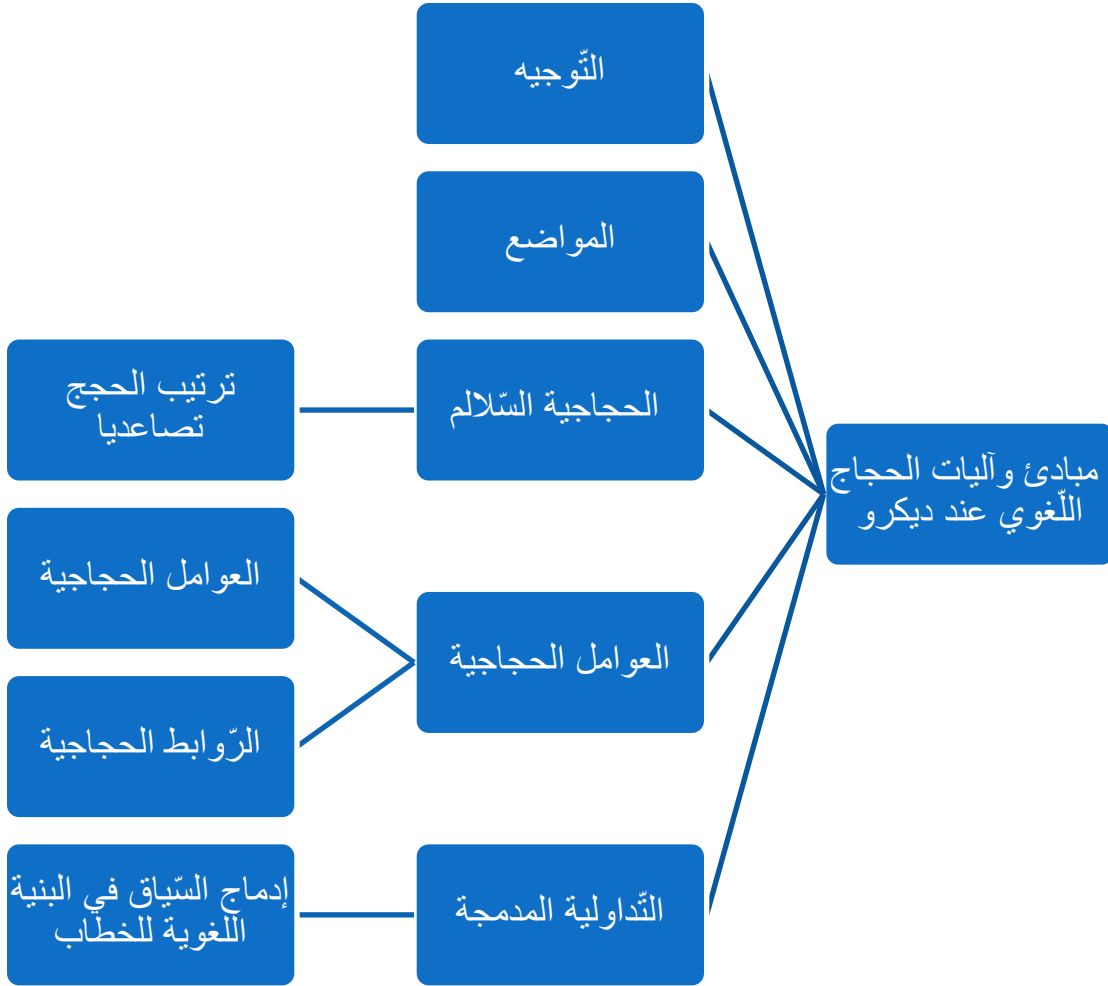
ومن صور الحجاج القرآني وفق ما جاءت به نظرية السّلام الحجاجية قوله ﷺ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٦٥﴾ سورة النساء .65

فالأطروحة القائمة في هذه الآية الكريمة (كمال الإيمان في قلوب

أتباع النّبِيِّ ﷺ) ، فقد وضع المولى عزّ وجلّ شروطاً تدلّ على كمال الإيمان في القلب، وهذه الشّروط هي الحجج والأدلة الدّالة على صحّة الأطروحة (كمال الإيمان)، وقد جاءت مرتّبة وفق تدرّج سلّمي من الأدنى إلى الأعلى موافقة لنظرية السّلام الحجاجية على النّحو الآتي: تحكيم النّبِيِّ ﷺ، عدم الحرج من قضائه، التّسليم والإذعان لقضائه. (انظر الشّكل ج). وهذا تدرّج ينتقل بالمؤمنين من أقلّ درجات الإيمان إلى أعلاها ومعها يستحقّ المسلمون حقّ المؤمنين حقاً، فقد أقسم المولى ﷺ على ذلك في قوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ومعلوم أنّ الربّ سبحانه لا يقسم إلّا على أمر عظيم.



5. التشجير الهرمي لآليات الحجاج اللغوي



## المبحث الثالث :

### نظريّة

### الحجاج البلاغي

### 1. تمهيد:

مرّ بنا الحديث عن بعض النظريات الحجاجية فقد ذكرنا نظرية الحجاج المنطقي المنسوبة إلى بيرلمان، وقد وُسمت بالمنطقية لكثرة ما ضارعت قواعد المنطق وطرائق المنطقيين في معالجة قضاياهم، فصاحبها فيلسوف ومنطقي ورجل قانون، فعالج قضية الحجاج من وجهة نظره وتخصّصه المعرفي. أمّا النظرية الثانية نظرية الحجاج اللغوي فتنسب إلى ديكر و زميله أنسكومبر اللذين طوّرا نظرية أفعال الكلام التداولية وخصّصا بحثهما بالفعل الإنجازي من نظرية أفعال الكلام، واستتبطا منه الفعل الحجاجي، وقد حصر الباحثان نظريتهما الجانب اللغوي من الخطاب بحجّة إدماج التداول في اللغة. وهكذا تعدّدت النظريات الحجاجية بحسب مشارب أصحابها الفلسفية وتوجّهاتهم المعرفية، وسنضيف إلى ما سلف من النظريات نظرية أخرى موسومة بـ(الحجاج البلاغي) فما هي آليات هذه النظرية الحجاجية؟

### 2. نظرية الحجاج البلاغي :

نقصد بالحجاج البلاغي تلك النظرية الحجاجية التي تبحث عن مواطن الإقناع ويؤرّ الحجاج عبر الصّورة البلاغية، وهذا النوع من الحجاج يتّخذ " من البلاغة مجالا له، ويتّخذها أداة من أدواته الحجاجية؛ وذلك لاعتمادها الاستمالة والتأثير بالصّور البيانية، والأساليب الجمالية"<sup>1</sup>. تعتمد نظرية الحجاج البلاغي عند المقاربة الحجاجية للخطاب على دور الصورة البلاغية بالمفهوم القديم في أداء فعل حجاجي، " أي إقناع المتلقّي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معاً، حتّى يتقبّل القضية أو الفعل موضوع الخطاب "<sup>2</sup>، فيكون الخطاب موجّهاً إلى الفكر بحجج يستوعبها ويقبل بها كأنواع الحجج السالف ذكرها، أمّا الوجدان فتوجّه إليه حجج تشاكلة أيضاً تعمل على التأثير العاطفي أكثر من العقلي مثلما تعمل الصّورة البلاغية.

<sup>1</sup> مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، منشورات الاختلاف، ط1/2015، ص47.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص47.

وللصورة البلاغة فعلاً هاماً في الخطاب الحجاجي من خلال اعتمادها على " إجراءات بلاغية تمنح القيمة البرهانية حصانةً من الهذر، كما تمنح منتج الخطاب التعبير القوي عن نفسه وعن الأشياء"<sup>1</sup>. ومن خلال هذا التعريف يتضح لنا علة اتخاذ بلاغة الصور والأساليب بلاغة حجاجية، وهي اشتراكها مع النظريات الحجاجية في قضية التأثير، فطالما كان الخطاب يرمي إلى التأثير في المتلقي واستمالته بغية توجيهه وجهة مقصودة عبر خطاب حجاجي، وذلك بغض النظر عن الوسائل الموظفة في هذا الحجاج، فالخطيب حرٌ يقتني من المتاحات اللغوية وغير اللغوية ما يشاء ممّا يخدم تحقيق غايته الحجاجية.

وقد طال الخلاف بين المختصين عن حقيقة حجية الصورة البلاغية؛ هل تُعتمد الصورة في الكلام لغاية جمالية أسلوبية أم لحاجة إقناع المتلقي بفكرة معينة. والظاهر أنّ الإشكال جدٌ معقد لا يمكن الفصل فيه بسهولة؛ ويقوم هذا الإشكال إلى السؤال التالي " لماذا حين يريد المتكلم القول بأنّ (س) هي (ب) يقول (س) هي (ج)"<sup>2</sup>، والإجابة عن هذا الإشكال ليست بالأمر اليسير إذ لا يمكن الوصول إلى نفسية الخطيب وفكره حين اتّخذ سبيل التعبير المجازي أو الاستعاري أو التمثيلي وسيلة لإيصال أفكاره ومشاعره وحاد عن التعبير الوضعي، وتتحكّم في هذه الظاهرة البلاغية عوامل عدّة على رأسها المستوى النفسي والثقافي والفكري واللغوي والجانب الحضاري. ومن الصور البلاغية ما تظهر فيها الغاية الإقناعية أكثر ومنها ما تظهر فيها الصبغة التخيلية أكثر من الحجاج بحسب الموضوع الوارد في الخطاب.

### 3. الحجاج بواسطة الأساليب البلاغية :

تعدّ فنون البلاغة القديمة قنوات حجاجية مهمة تعين الخطيب على بسط حججه في خطابه عبرها، بعدما كانت علوم المعاني والبيان والبديع رأس سنام علم البلاغة القديمة؛ ها

<sup>1</sup> مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص47.

<sup>2</sup> عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص116.

هي نفسها اليوم تنتقل من الشعريّة القديمة والأسلوبية الحديثة إلى حقل الحجاج ليكتمل الدّور المنوط بها، والذي غاب عنها لمدة طويلة من الزّمن. وليس بعيداً عنّا فنون علم المعاني (الأسلوب) في البلاغة العربيّة فكّلها وضعت بمراعاة مقتضى الحال ومناسبة المقال للمقام (وهو ما يعرف اليوم بنظريّة المقام والسياق والتّداول)، فالاهتمام بمقتضى الحال هو الحجاج عينه، فالمتكلم لا يرسل حُجَجَه إلاّ وفق ضامن يضمن مرورها بسلام إلى ذهن المتلقّي ونفسه، وهذا الضّامن هو مقتضى الحال؛ أي حال السّامع وسياقات الخطاب التي تستدعي الإرسال، فالخطيب يحاجج، والمعلّم يحاجج والقاضي كذلك والحاكم... وكلّهم يراعي مقتضى الحال الذي نعدّه أيضا من مثيرات الحجاج وبواعثه.

فلو رجعنا إلى أسلوب التّكرار ألفيناه عاملا حجاجياً بامتياز من حيث توكيده للمعنى المقصود وقيماً للحجاج المطروح؛ فمن "طرائق عرض الخطاب عرضاً حجاجياً اعتماد التّكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها، وكذلك التّشديد على بعض مقاطع الخطاب"<sup>1</sup> سواء على اللفظ المكرّر أو غيره. كما أنّ للتّكرار أثراً نفسياً لدى المتلقّي الفطن الذي ينتبه إلى الرّسائل المشفّرة التي يبعثها المرسل معتمداً تقنيّة التّكرار البلاغي، كما يعتمد الخطيب من خلال التّكرار إلى تنبيه المتلقّي وحبسه دون الشروود حال الإلقاء. كما تؤدّي تقنيّة التّكرار دوراً محورياً في تأكيد الفكرة وترسيخها الأمر الذي يخدم الحجاج مباشرة.

وكلّ الأساليب في علم المعاني قد تؤدّي دوراً حجاجياً كان يعرف عند القدماء بالبلاغة. فالمقصود ببلاغة أسلوب القصر - مثلاً - هو الدّور الأساس والمعنى المخصوص الذي يقصد إليه المتكلم بهذا الأسلوب، إذ لم يكتف بالتعبير ب الأسلوب المباشر المعهود كالجملّة الخبريّة أو الاسميّة العاديّة جداً والتي تكفي بعناصر الإسناد فقط ، وانزاح عنه إلى تركيب بلاغي جديد. فقولنا : (اللّه إله) ليس لها نفس القصد في الكلام مثل قولنا (لا إله إلاّ

<sup>1</sup> عبدالله صولة ، في نظريّة الحجاج، ص35

الله)، فالأولى عملية إسنادية من مبتدأ وخبره ؛ أسندت فيها الألوهية إلى الله ﷻ، وقد خلت من التوكيد أو التثبيته إلى معنى مخصوص دون المعنى العام للجملة.

أما في العملية الإسنادية الثانية (لا إله إلا الله) فهو أسلوب قصر حقيقي ، حيث قصرنا الألوهية على الله ﷻ عن طريق النفي ب (لا النافية للجنس) التي تنفي الحكم عن اسمها بالإطلاق، ثم تلاها الاستثناء ب (إلا) الذي جعل من المولى ﷻ مستثنى من حكم (لا النافية للجنس) فهو الإله المستحق لذلك وحده لا شريك له. فكل معنى إضافي أضافه أسلوب القصر للمنجز اللغوي البلاغي هو مقصد حاجي بالدرجة الأولى؛ لأن الناطق بكلمة التوحيد على هذا الأسلوب إنما يحتج على المتلقي بضرورة استحقاق العبادة لله وحده دونما سواه حيث نفاها ب (لا) نفيًا مطلقاً وأثبتها ب(إلا) للمولى - جل شأنه-

ونفس القصد نجده في تعدد أضرب الخبر لغايات حاجية، أو لنقل غايات تداولية تضم تحت لوائها الغاية الحاجية، فقد صنف البلاغيون القدماء الخبر إلى أوجه ثلاثة، وكل وجه منها له ما يوافقه في الواقع بالنظر في حال المتلقي، وهو نفس ما تعنتي به نظرية التداولية ونظرية الحجاج إذ إن حال المتلقي يحمل الخطيب على إلقاء كلامه على وجه مخصوص دون سواه. فالمتلقي المتردد والمنكر يفرض على الخطيب استعمال أسلوب التوكيد بدرجات متفاوتة من حال لأخرى، وقد علم فيما مضى من البحث أن التوكيد بمختلف طرقه من تقنيات الحجاج اللغوي لما يحدثه في نفس المتلقي من الرضى والقبول بالآراء والأفكار.

وقد تقرر في البلاغة القديمة دور أسلوب التوكيد في الاحتجاج إذ أورده أبو هلال العسكري في قوله : " وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأت ي بمعنى ثم

تؤكدده بمعنى آخر يجرى مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته<sup>1</sup>. وهذا تأسيس صريح من أقدم البلاغيين على أهمية التوكيد في الحجاج، وعليه نرى اشتراك هذا الأسلوب البلاغي بين الحجاج اللغوي وبين الحجاج البلاغي، وكثير من الأساليب البلاغية فيها ما فيها من الحجاج نظراً لطبيعتها التداولية التي أسست عليها بادئ الأمر.

### 4. بلاغة الحجاج في الصور البيانية :

عدت فنون البلاغة المعروفة بعلم البيان أو الصور البيانية لردح طويل من الزمن جواهر البلاغة نظراً لما اكتسبته من اهتمام البلاغيين القدماء والمحدثين. وقد انتبه رواد البلاغة الجديدة إلى الدور الذي تؤديه هذه الصور في شحن الخطاب بطاقات حجاجية لا حصر لها عن طريق تكثيف المعنى وتقريبه بآليات التشخيص أو تجريده وتجسيد الصورة، ولفت انتباه القارئ وإثارة فضوله بالتخييل والإمتاع لاستكشاف معاني الصورة وجمالها.

ويرى الباحث محمد مشبال أن **شايم بيرلمان** " أول من أشار إلى العلاقة بين الصورة والحجة مؤسساً بذلك اتجاهاً في البحث استمر بعده"<sup>2</sup>، فقد ذكر **بيرلمان** في مصنفه الاستعارة والتمثيل وبين دورهما في الخطاب الحجاجي، لكنه لم يفرّد للصور البلاغية مبحثاً مستقلاً بخصوص أثرها الحجاجي، لكن تحدث عن الأهمية الحجاجية التي ينبغي الانتباه لها عند التعامل مع الصورة البلاغية. يري **بيرلمان** أن الأشكال البلاغية لم يتم اختراعها كزخرفة خطابية فقط<sup>3</sup>؛ إنما لها دور أهم من الزخرفة المنسوبة إليها في البلاغة الشعرية. فالصورة البلاغية عبارة مكثفة وموجزة للمعاني الحجاجية وهذه السمة مستمدة من طريقة إلقاء المعنى في انزياح مقصود عن التعبير العادي محملاً بعلاقات تأويلية عدة تحتكم إلى التداول والثقافة والمنطق في اختيار العلاقة بين التعبير الحقيقي والتعبير التصويري.

<sup>1</sup> أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، ص416.

<sup>2</sup> محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وأفاق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب ص110.

<sup>3</sup> *Traité de l'argumentation*, p226.

جاء تصنيف بيرلمان للصور البلاغية مفرقاً في مصنفه حسب أنواع الحجج التي اختارها، فجعل الاستعارة والتّمثيل ضمن الحجج المؤسّسة لبنية الواقع تحت عنوان فرعي (الاستدلال بواسطة التّمثيل / *Le raisonnement par analpgie*)<sup>1</sup> وذلك على حسب العلاقات التي تتأسّس عليها هذه الصور، إذ يراها أقرب إلى العلاقات الرياضيّة باعتبار تصنيفها تحت مسمّى (الاستدلال)؛ من خلال النّظر في العلاقة القائمة بين التّعبير الحقيقي وما اختاره الخطيب من تعبير بلاغيّ منزاح عن التّعبير العادي، فالعلاقة بينهما قد تكون ثقافية اجتماعية أو تداولية. لذلك رأى أنّ حاجية التّمثيل كامنة في تشابه العلاقة بين طرفي التّمثيل وليس في تشابه أطرافه، وقد سبق ذكره. وهذا النوع من الاستدلال خطابي يتصلّ من المنطق الرياضيّ إلى الاحتمال.

ولعلّ بيرلمان قد عدّ التّمثيل من الأوجه الاستدلالية في الحجاج بالنّظر إلى المنحى الاستدلاليّ الذي تتيحه الصّورة البلاغية للخطيب من خلال تخيّر العلاقة في الانتقال من المعنى العادي إلى المعنى المجازي، وكيفية الدّلالة على المعنى بصورة بديعة غير مألوفة. فهل يقع التّأثير بواسطة الصّورة من خلال الفعل الاستدلاليّ وتخيّر العلاقة؟ أم أنّه ناجم عن التّصوير الجماليّ الذي يهزّ النّفس ويرغّبها؟ والظاهر في الإجابة عن هذا الإشكال أنّ أثر الصّورة الحجاجي فعل مزدوج بين الاستدلال والتّأثير العاطفيّ إذ يتكامل الوجهان لتمرير الفعل الحجاجي، دون انتباه المتلقي أو محاولته الفصل بين العمليّتين البلاغيّتين.

قد تختلف فنون البلاغة العربيّة عن البلاغة العربيّة إلّا أنّنا قد نلاحظ بعض التّشابه بينهما، مثل بلاغة الاستعارة / *métaphore*، ويقصد بها عند الغرب بلاغة المجاز بشكل أوسع من الاستعارة العربيّة، أمّا المبالغة وتجاوز الحدّ فطرقها متنوّعة في البلاغة العربيّة، فتأتي على سبيل التّشبيه البليغ والتّشبيه المقلوب كما تأتي في الاستعارة. كما نلاحظ اختلاف بعض المصطلحات الغربيّة عن مصطلحات مدوّنتنا البلاغيّة. أمّا الملاحظ الأهمّ هو تقسيم

<sup>1</sup> *Ibid*, p499.



بيرلمان وتوزيع هفنون البلاغة على أصناف الحجج ومنطلقات الحجاج التي وضعها ضمن نظريته، وقد سبق ورأيها ضمن المبحث الأول من هذا الفصل. وهذا ما دعا ببعض الباحثين إلى القول بأن بيرلمان لم يول اهتماماً للحجاج البلاغي التصويري، لأنه جعله تابعاً لأنواع أخرى من حجاجه المنطقي.

وقد صرح بيرلمان في مصنفه عن طريقة توزيعه لبعض الصور البلاغية تحت عناوين أخرى لا تضم الصور فقط؛ بل كان تصنيفه على اعتبارات أخرى. يقول بيرلمان " سنتساءل بخصوص هذا الإجراء الحجاجي أو ذلك، إذا ما كانت بعض الصور بطبيعتها تضطلع بالوظيفة المقررة لهذا الإجراء، وإذا ما كنا نستطيع اعتبارها أحد تجلياته. وبناء على هذه النظرة ستتعرض الصور بشكل من الأشكال ليس فقط أن تتوزع على فصول عدة من دراستنا، بل أن نجد أمثلة للصورة نفسها في فصول مختلفة. إن هذا التمزيق ذاته هو ما نعتقد أنه يبرز الدلالة الحجاجية للصور" <sup>1</sup>. هكذا كانت رؤيته للأثر الحجاجي المتعدد للصورة البلاغية الواحدة، فلا ضير أن نلفي الصورة ضمن الحجج الشبه منطقية كالقياس عن طريق التشبيه، وقد نجدها أيضاً تحت الحجج المؤسسة على بنية الواقع؛ لأن معيار التصنيف عنده عن معيار البلاغيين القدماء.

قام بيرلمان - من خلال كلامه هذا - بإعادة دراسة الصور البلاغية بمنهج حجاجي إقناعي وإعادة تصنيفها وتبويبها وفق هذا المنهج، متجاوزاً الطريقة البلاغية القديمة في تصنيفها للصور البلاغية وفق منهج أسلوبية : (علم المعاني)، أو تخيلي تصويري: (علم البيان) ، أو تزييني إمتاعي: (علم البديع) . وعلى هذا المنهج الدراسي الجديد سنلفي تغييراً جذرياً في خارطة توزيع الصور وأبوابها البلاغية المعلومة إلى خارطة حجاجية جديدة تتوزع فيها الصور إلى حجج شبه منطقية وحجج مؤسسة على بنية الواقع وحجج مؤسسة لبنية الواقع ، وحجج الفصل وحجج الوصل، لذا قال بيرلمان أنه يمكننا مصادفة نفس الصورة

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation, p232.*

البلاغية كالأستعارة مثلا في عدة مواضع من التصنيف الحجاجي الجديد للحجج من زاوية الإقناع وليس الإمتاع.

" لقد انطلق بـيرلمان في بناء تصوّره للصوّر من إثبات أنّها ليست عوامل لتزيين الأسلوب، بل هي تجليات حجاجية. وقد برهن على تصوّره الحجاجي بتحليله لتعريف قديم لصورة من صور الأسلوب اصطلح عليها بالوصف المؤثر (*l'hypotypose*)<sup>1</sup> يفيد بأنّها (عرض للأشياء وكأنّها تجري أمام الأعين)، مستنتجا بأنّ هذا التعريف يقوم على إظهار البعد الحجاجي للصورة؛ أي أنّ الصورة هنا ليست سوى " طريقة في وصف الأحداث على نحو يجعلها حاضرة في وعينا : فهل يمكننا إنكار وظيفتها البارزة باعتبارها عاملا في الإقناع؟ إذا أهملنا هذه الوظيفة الحجاجية للصوّر، فإنّ دراستها ستبدو مضيعة للوقت [...]"<sup>2</sup>، وهكذا يتجلّى الهدف والمعيار المتّبع عند بيرلمان في دراسة الصوّر البلاغية، لذا فإنّ الباحث إذا لم ينتبه لحجاجية الصوّر عبر العلاقات الاستدلالية فقد فوّت على نفسه وقرّائه فرصة الوصول إلى تأويل حيثيات الخطاب القارّة عميقاً تحت البنية السطحية للخطاب.

كما لاحظ (كريستيان بلانتان *Christian Plantin*) نفس الرّأي تقريباً في إعادة بناء خارطة بلاغية جديدة للصوّر تعتمد مبادئ نظرية الحجاج التي أعاد تأسيسها بيرلمان، وعليه " فإنّ مجموعات من الصوّر التي أعيد تحديدها بوصفها استراتيجيات للخطاب ذات صلة وطيدة بصيغة البناء الحجاجي للموضوعات ولا صلة لها بالرّخرف..."<sup>3</sup>، لكن بيرلمان لم نجده يلغي الدور الجمالي للصوّر، إنّما غرضه اعتماد منهج بلاغي جديد في مقارنة الصوّر البلاغية زيادة على المناهج القديمة ، فرأيه هو أنّ الصوّر ليست للتزيين والأسلوب فقط؛ إنّما دورها الرّئيس هو الإقناع من خلال تكثيف وتأكيد المعاني.

<sup>1</sup> *Ibid*, p226.

<sup>2</sup> محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب ص.111

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص129

تعددت المناهج البلاغية في تصنيف الصّور البلاغية، انطلاقاً من الزاوية أو من الحقل العلمي الذي ينتسب إليه الباحث الناقد، وقد أشار إلى هذا الأمر كريستيان بلانتان؛ فقد تكون مرجعية التحليل قائمة على (الصّور التي تحيل إلى الحالة الشعورية للمتكلّم أي الجانب النفسي له، وصور ترتبط بالحوارية، وصور ذات بعد خطابي ترتبط بالإيتوس أو الباتوس...) والباحث في هذا الحقل ملزم بتحديد منهجه في دراسته منذ البداية حتّى لا تختلط عليه الأمور نظراً لشدة اتّساع حقل الدراسات البلاغية وغيرها للصورة. وقد اعتمدت روث أموسي منجهاً حجاجياً في إعادة تصنيف وتوزيع الصّور في كتابها (الحجاج في الخطاب)<sup>1</sup>

يرى ريبول أن بيرلمان بإعادة تصنيفه للصّور البلاغية بمنهج حجاجي محض قد أقصى الدور الأسلوبي من المهام الحجاجية التي يؤديها<sup>2</sup>، حيث يقوم الأسلوب بتمرير الحجج في قالب الإمتاع، ذلك الإمتاع الذي يستولي على انتباه المستمع ويتخذ من وجدانه معبراً نحو التّوصّل إلى مناطق الفكر والإدراك ليفسح المجال واسعا أمام الحجّة لتأخذ مأخذها من فكر المتلقّي، بعدما تربّعت الصّورة البلاغية على خياله ووجدانه. كما يعتقد ريبول أنّ الصّورة تقوم بمهمة تكثيف وضغط الحجّة وعليه فهو يرى أنّ الصّورة البلاغية تبقى أقوى من الحجّة<sup>3</sup>، ممّا يرشّح البعد الحجاجي للتّقدّم على حساب البعد الإمتاعي، وهو ما يخدم نظرية الغاية الحجاجية من اللّغة البشرية كما رأيناها عند أنسكومبر وديكرو.

وما ينبغي استدراكه على هذه الفكرة كون الصّورة أقوى من الحجّة فإنّ الأمر يحتاج عرضاً وتشریحاً مباشراً على الحجّة والصّورة، فمن الحجج المنطقية التي نعتقد أنّها أقوى أنواع الحجج ما لا تستطيع الصّورة بلوغ درجتها إلّا إذا أسست على العلاقات المنطقية

<sup>1</sup> ينظر محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب، ص129.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 111.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه ص112.

وشبهها كما ذهب إليه بيرلمانفي حديثه عن الاستدلال بواسطة التمثيل. فإطلاق القول في المقارنة بين الحجج غير محمودة نتائجها لأنّ الحجج تتفاوت ولو كانت من نفس الجنس وكذلك تتفاوت الصّور البلاغية من حيث كثافتها الإقناعية، فمن الاستعارات ما يقصد بها التّخيل لذاته ومنها ما يقصد بها الحجاج والتّخيل في نفس الآن. ولعلّ أقوى الحجج في النّقافة العربية الإسلامية ما عُرف بالحجج غير الصّناعية (الجاهزة)، وهي الاستشهادات من الوحيين ثمّ من كلام العلماء. أمّا إذا وقع الحجاج في غير المسائل الشّرعية فتبقى الوقائع والحقائق أقوى الحجج كما جاء ترتيبها عند بيرلمان في مصنّفه.

يقرّ بيرلمان أنّه قد استبعد في دراسته للحجاج بعض الصّور البلاغية والأسلوبية التي لا تخضع لمنهجه في التّحليل الحجاجي للخطاب إذ يقول " نحن نعرف أنّ بعض طرق التّعبير يمكنها أن تنتج أثراً جمالياً مرتبطاً بالتّناغم والإيقاع وصفات شكلية أخرى، والتي يمكنها أن تكون ذات تأثير حجاجيّ بواسطة خلق الإعجاب والسّرور والرّاحة والإثارة... دون أن تكون هذه العناصر قابلة للتّحليل بمعطيات الحجاج. إنّنا نستبعد من دراستنا الحالية للحجاج مع ذلك دراسة هذه الآليات على الرّغم من أهميّتها غير القابلة للجدل في الفعل الخطابي"<sup>1</sup>. هذا موقف بيرلمان من الدّراسة الحجاجية للصّور فلم يهملها بل أكّد على دورها في الفعل الحجاجي، وتقادى دراستها لعدم نجاعة الآليات الحجاجية المتوقّرة لديه لدراسة تلك الصّور حجاجياً. وفي هذا بيان الباحثين الذين يرون أنّ بيرلمان قد أهمل الجانب البلاغي الإمتاعي في دراسته للحجاج، وليس لهم البيّنة في زعمهم هذا، فالرجل يدرك الأهميّة الحجاجية التي تؤدّيها صّور الإيقاع (السّجع، الجناس) والمحسّنات الأخرى للكلام، لكنّه استبعدها من دراسته لالتزامه بمنهج المنطقي في الحجاج.

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentatin, p192.*

وحسبُه أن هذا النمط من الصّور البلاغيّة (البدعيّة خاصّة) لا يمكن إخضاعها لتحليل حجاجي وفق المنهج العقلي الذي اتّبعه في دراسته لأنّها تحمل سمة نفسية وجدانية وليست عقلية منطقيّة، والأمور النفسية يصعب إخضاعها لقانون منطقي معقول. ولعلّ المتفحص في الحجاج بواسطة الصّور البلاغيّة سيدرك تماماً أنّ هذا النوع من الحجاج يهدف أولاً إلى التأثير الوجداني وتحريك العواطف والمشاعر تحت سياق الانفعال والحماس<sup>1</sup>، ثمّ يحاول الوصول إلى الفكر بطريقة غير بريئة، فالتأثير على الفكر الإنساني عبر قناة العاطفة وحجب قنوات العقل قد يُنهم فيه الباطن بالمرأوة والمغالطة، كما أنّ فعالية هذا الإقناع لا تدوم طويلاً حيث ينتبه المتلقّي بعد برهة من الزّمن أنّ الأمر ليس بالمجدي إنّما هو تلاعب وشحن للعواطف فقط، وإذا أجدى الحجاج الوجداني نفعاً فقد تكون عواقبه وخيمة على المستمع، كما نراه من خلال الحجاج الحماسي لدى الجماعات المتطرّفة، إذ تتحكّم في جماهيرها عبر الحماس المنافي للعقل فتصل إلى إحداث المصائب.

يرى أوليفي ريبول أن الرّسائل اللّغوية المكتوبة والمسموعة والمرئية وما تحويه من مكونات هي "حجّة في ذاتها، حتّى الاستعارة التي هي استدلال قائم على المقايسة المكثّفة... وبالمثل، فالبلاغة تعدّ لباساً خارجياً للحجاج بل إنّها تنتمي إلى بنيته الخاصّة"<sup>2</sup>، فالبلاغة عنده لا تميّز بين الفكر والوجدان<sup>3</sup>؛ فهذا الأخير هو ما يهتدّ للحجاج وصولاً إلى الفكر. لم يميّز أوليفي ريبول بين بلاغة حجاجية وأخرى إمتاعية، فالبلاغة عنده واحدة إذ لا تفرّق بين الوجدان والعقل فكلاهما مقصود سويّاً بالبلاغة صوراً وأساليب وبديع، ولعلّ موقفه هذا يخرج من منطقة الخلاف بين وجود بلاغتين من عدمهما، وهو الأقرب إلى العقل والمنطق لأنّ

<sup>1</sup> ينظر محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب ص122.

<sup>2</sup> محمّد سالم الأمين الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص108

<sup>3</sup> ينظر محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب ص112

الكائن البشري في ذاته يستحيل أن يفصل هاتين الملكتين الموجودتين بداخله؛ العقل والوجدان.

يقول الباحث **جميل عبد المجيد** عن البلاغة كونها " الإبلاغ المؤثر المفهم إفهاماً وتأثيراً من شأنها تحقيق الإقناع والاستمالة"<sup>1</sup>، ومعلوم أنّ المؤثر في البلاغة جانب التّخيل الذي يمارس على النفس تحفيزاً سيكولوجياً يدعوها للاستجابة اللّارادية للهدف المقصود الوصول إليه؛ فهذه عملية حاجية صرفة تتوسّل التأثير النفسي بدل الإقناع العقلي وسبيلها إليه الجانب الجمالي والأسلوبي في اللّغة الطّبيعية. فالاستدلال في الحجاج البلاغي يغلب عليه الاستدلال الخطابي أكثر منه الاستدلال العقلي المنطقي الذي يحشد الحجج العقلية الشّبه منطقية أكثر من أيّ عامل حجاجي آخر ، ممّا يقربه إلى نطاق المنطق ويبعده عن ساحة البلاغة.

### 5. التّحليل الحجاجي للصّور البلاغية :

نقصد بالتّحليل الحجاجي للصّورة تلك الآليات التي تُنجزُ فعلاً حجاجيا بتوظيف الصّورة البلاغية. و"يقوم التّحليل البلاغي الحجاجي للصّور بشكل عامّ على تحليل وظيفتها الإقناعية وتأثيرها في المتلقّي بتدعيم أو بتغيير معتقداته و قناعاته، وتأثيرها في قدرته على اتّخاذ القرارات الملائمة لدعوى الخطاب. تحلّل الصّور البلاغية في هذا المنظور بوصفها جزءاً منصهراً في سياق تواصلية؛ أي ليست الصّورة هنا جليقة لتحسين المعنى، ولا تعبيراً عن ذاتية المتكلّم ورؤيته التّخيلية للعالم، ولا هي مكّون في البناء الجمالي للنصّ"<sup>2</sup>. لذا يروم القارئ للنصّ البلاغي استقراء الصّور البلاغية وتحليلها بحيث يقف على مكن الحجاج فيها وتأثيرها على فكر المتلقّي وخياله، تأثيراً يجعله يتّخذ موقفاً خاصاً إزاء قضية ما طرحت في

<sup>1</sup> مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التّداولي والبلاغي، ص48.

<sup>2</sup> محمد مشبال، بلاغة صّور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن (البلاغة والخطاب) إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1/2014/ص106.

ثانياً الكلام يقصد الخطيب دعمها أو دحضها بواسطة حشد مجموعة من الصّور تكثّف المعنى وتوجّهه احتجاجاً للقضيّة الهدف.

ويهدف التّحليل الحجاجي للصّور البلاغيّة إلى " تحليل نجاعتها أو الكشف عن العوامل التي تُسهم في بناء فعاليتها. يروم المحلّل البلاغي في هذه المقاربة الإجابة عن الأسئلة الآتية : لماذا كان التّعبير بالصّورة أبلغ من التّعبير العادي؟ ولماذا اكتسب هذه المزيّة؟ ولماذا أثر في المتلقّي؟ وكيف حصل الإقناع؟ يراعي التّحليل البلاغي الحجاجي للصّور مقام القول، والتّفاعل بين أطرافه، والغاية منه، وكيفية أدائه. على هذا النّحو انشغل البلاغيون بالكشف عن العوامل التي تُظهر حاجيّة الصّور<sup>1</sup>. تنثير هذه التّساؤلات العديد من التّفاعلات اللّغوية والمقاميّة وصولاً إلى الأثر الحجاجي، فالاستعمال المجازي يثير العقل المتلقّي ليستفهم عن نجاعة استعمال المجاز بدل الحقيقة، وترك الذّكر بالحذف، وتقديم ما حقّه التّأخير فكّلها صور وأساليب تدعو القارئ للتأمّل وقوفاً على مغزى البلاغة في الكلام. كما نرى نظريّة التّداول حاضرة في التّحليل الحجاجي اعتناء بمقام الكلام ومقتضى الحال الذي نعتبره أساساً في استعمال أسلوب تعبيرى ما دون آخر واللّجوء إلى صورة دون أخرى.

لم يغفل البلاغيون القدماء عن هذه التّساؤلات : "... لماذا تعدّ هذه الصّور أبلغ من الإفصاح أو التّصريح أو الحقيقة أو الكلام المتروك على ظاهره؟"<sup>2</sup>. ويجيب **عبد القاهر الجرجاني** عن هذه الأسئلة محاولاً إثبات مزيّة التّعبير بالصّور عوضاً عن التّعبير المباشر حيث يقول في دلائله "... إذا قلنا (إنّ الكناية أبلغ من التّصريح) : أنك لما كُنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأكد وأشدّ"<sup>3</sup>. هذا الذي

<sup>1</sup> محمد مشبال، بلاغة صّور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ص113

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص.120

<sup>3</sup> عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص71.

يتحدّث عنه الجرجاني من كثافة المعنى وغزارته بوسيلة الصّور البلاغية هو الذي يريده المعاصرون بلالأثر الحجاجي للصّور البلاغية، وقد عرف عند القدامي ببلاغة الصّورة مع زيادة وتوسّع عند المحدثين. كما تزيد حجّية الكناية مع ألقتها في المجتمع<sup>1</sup>، وتتقص عند ورودها من ثقافة أخرى، ويعني هذا أنّ الصّورة البلاغة بصفة عامّة تحمل طابعاً اجتماعياً ثقافياً ممّا يجعل منها حجّة توجّه إلى مستمع خاصّ ( *Auditoire Particulier* ) وليس للمستمع العالمي (*Auditoire Universel*).

واليك قراءة الجرجاني لبلاغة الكناية وأثرها الحجاجي في الكلام: "فليست المزيّة في قولهم: (جمُّ الرّماد)، أنّه دلّ على قرى أكثر، بل أنّك أثبتّ له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشدّ، وادّعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتّها أوثق"<sup>2</sup> وليس ذلك إلاّ على سبيل الحجاج والإقناع للمتلقّي أنّ الرّجل شديد الكرم قد فاق ال قوم في الكرم. فإنّ مبلغ هذه الكناية عميق في إدراك المتلقّي إذ لا يمكنه التردّد في قبول هذا الخبر مع تصوّر لا يضاهاى عن صفة الكرم لدى الممدوح الذي قد صنّف في ذهن المتلقّي بالأكثر عطاء مقارنة مع من يتّصف بمثل صفته.

وإذا ما نظرنا إلى الاستعارة / *Métaphore* فهي تعدّ عماداً من أعمدة البلاغة الجماليّة قديماً وحديثاً، كما أصبحت عماداً في بلاغة الحجاج المعاصرة " فلا يسع الحجاج التخلّي عنها؛ فهو محتاج إلى بلوغ غاياته ومقاصده الحجاجيّة، لما تمتلكه من خصائص تخييليّة تبعث في المتلقّي تساؤلات من شأنها الكشف عن العلائق الموجودة بين أطراف الاستعارة"<sup>3</sup>. كما أنّ المزيّة الإمتاعية والإقناعية تتجلّى أكثر من خلال استعمال اللفظ

<sup>1</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص149.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص71

<sup>3</sup> زوبير بوزاغو، الاستعارة بين الوظيفة الإمتاعية والإقناعية، مجلة الباحث المجلّد الرابع/ العدد السادس عشر، 2018.



استعمالاً استعارياً أكثر من استعماله في الحقيقة الوضعية<sup>1</sup>، كما يتحقق الفعل الحجاجي بتحقق الإنزياح الأسلوبي والمعجمي. و ممّا يمكن قولُه في بلاغة الاستعارة الحجاجية هي جعل التخيل مطية أولى بغية التدرّج بسلاسة نحو الفعل الحجاجي المقصود أخيراً عن طريق الاستدلال الخطابي الذي يعتمد طريقة القياس بين المستعار له والمستعار منه.

وأما عن حجّة التصوير الاستعاري؛ فقولهم (رأيت أسداً) فليس غرضه المساواة بين الطرف الأول (الشجاع) والطرف الثاني الأسد في شجاعته؛ فليس الأمر مساواة رياضية مثل المعادلة:  $\frac{\text{المشبه}}{\text{المستعار له}} = \frac{\text{المشبه بالمستعار منه}}{\text{المستعار منه}}$ ، وإنما مدار الأمر على زيادة معنى الشجاعة في المشبه (المستعار له) تأكيداً وتشديداً وقوة<sup>2</sup>، وما هذه الأمور إلا من تقنيات الحجاج في الخطاب، فالمتكلم بهذه الاستعارة يقصد تكثيف المعنى على سبيل المبالغة التي تدعي المطابقة بين الطرفين احتمالاً لا يقيناً، ممّا يضع المتلقّي أمام صورة من الشجاعة هي أقرب إلى الواقع منها إلى الخيال، في إغفال صارخ للتعبير المجازي، وإضمار لأركان العملية القياسية، وبهذا يؤثر في عقل المتلقّي عبر وجدانه، ويتمكّن من البلوغ بمعناه إلى مقصده ومغزاه، وهو الإقناع أولاً وأخيراً.

من الأفكار التي تراود الباحث في المجاز؛ كون الصّور المجازية تحمل الحقيقة في طبيعتها عكس ما ذهب إليه القد ماء والمعاصرون في قضية التخيل عن طريق المجاز والاستعارة خاصّة، فإذا أردنا البحث عن خيط الحقيقة الكامنة في هذه الصّور فلنقلّب الصّورة على وجوه عدّة حتّى نكتشف المناسبة بين الأصل والصّورة، "فإنّ تقنع يعني أنّ تنهض لغوياً بما يضمن تحديد أشكال الإقناع والتأثير، بحسب مقصد المتكلم ومقتضيات المقام، عن طريق المجاز الذي يؤدي فعالية حجاجية أعمق، والمجاز عند ما يبر هو الذي

<sup>1</sup> ينظر زويبر بوزاغو، الاستعارة بين الوظيفة الإمتاعية والإقناعية، مجلة الباحث المجلد الرابع/ العدد السادس عشر، 2018، ص 76.

<sup>2</sup> ينظر عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 71.

يخلق المعنى ويصدم كل من لا يشاطر المتكلم وجهة نظره، وهو بذلك طريقة للتعبير عن الأهواء والانفعالات والمشاعر التي هي صورة من الإنسان مثلما تكون الاستعارة صورة من الأسلوب للتأثير والإقناع"<sup>1</sup>

إنّ المهارة في اختيار الصّورة المجازية يتأسس على مهارة أخرى تكمن في حسن اختيار العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فسنرى أنّ هذه العلاقة حقيقة محضّة لا يشوبها تخييل أو كذب كما هي عليه النظريات البلاغية القديمة. فقولهم (أنشبت المنية أظفارها) فإننا نرى أنّ العلاقة بين التعبير المجازي والتعبير الأصلي هي مسألة الفتك والمصير المحتوم الذي لا مفرّ منه، والذي يلحق الإنسان عندما يحين الأجل (الموت) في التعبير الأصلي، وحتميته أيضا على الفريسة بين مخالب السباع في التعبير المجازي ؛ فالحتمية إذن واحدة في الحالين. أمّا استعارة اللفظ (أنشبت) للمنية فهي في الأصل تشبيه يقرب المعنى المجرد البعيد عن طريق المحسوس القريب. فإن قيل : أنّ نسبة الفعل (أنشبت للمنية) من التخييل، قلنا هذا على مستوى اللفظ فقط، أمّا على مستوى المعاني فإنّ الموت مفترس حقيقي كالسبع أو أشدّ، ولا يعقل أن يستعمل المتحدث استعارة دون وجود الحقيقة في طبيعتها، تلك الحقيقة التي تفرضها العلاقة بين التعبير الحقيقي والمجازي ، بين افتراس السباع وافتراس المنية، فلي غابت العلاقة بين طرفي الصّورة أصبحت ضرباً من الشطط الذي لا يمكن أن يفهم.

تقول (جويل غارد تامين *Joelle Gardes Tamine*): " جميع الصّور لها أهداف

مماثلة بدرجات متفاوتة ؛ خلق الرّؤية لترسيخ الخطاب في ذاكرة المتلقين، وتجسيد الحجج المجردة، وتحسين الخطاب للإمتاع، وتقويته للتأثير..."<sup>2</sup> . وليس كلامها هذا سوي استنساخ لما قاله بلاغيونا القدماء. ولسنا نبالغ إن ادّعينا سبق البلاغة العربيّة في تقصي هذه المعاني

<sup>1</sup> عبد السلام عشير عندما نتواصل نغير ، ص121

<sup>2</sup> محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب ص112.

الدقيقة والدرر النفيسة التي يجدها القارئ حجيتها في الخطاب البليغ المطرز بأنواع البيان؛ الخطاب الذي يهزّ المتلقي ويؤرّزه إلى تبني الأفكار الماثورة فيه، ويتعدى تأثير الخطاب الجانب النفسي بالأسلوب والتخييل إلى التأثير الفكري بالحجاج والإقناع.

يقول **عبد القاهر الجرجاني** عن بلاغة التمثيل في إثراء المعاني : "... إذا كان مدحاً كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم.... وإن كان حجاجاً\*، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر..."<sup>1</sup>، حاجية التمثيل والبيان عامة عند البلاغيين العرب القدماء لم يكن بالأمر الغائب عن الأذهان والبصائر، إلا أن المنحى المنطقي والتعلّيمي للدرس البلاغي العربي المتأخّر كان له قصب السبق بالاعتناء والحفاوة لدى المتأخّرين، بسبب تغيّر القرائح واندثار الذائقة الأدبية التي كانت عند عبد القاهر وأمثاله.

وتقول **جويل** - أيضاً - عن الصورة البلاغية أنها " ليست منغلقة على ذاتها؛ فهي لا تجد معناها أو حتى وجودها إلا بفضل مجموع النصّ المرتبط بموقف معيّن، وبايتوس من ينتجها وبايتوس من يتلقاها"<sup>2</sup>. ولهذا يجد الناقد صعوبة في تأويل بعض الصّور التي عفا عليها الزمن، واجتثت من سياقها الذي أنشئت فيه، فالصّور ذات صبغة تداولية تحي 1 في بيئتها مع ثقافة الخطيب والمتلقي. أما إذا انتهى زمنها صارت استعارات ميّنة لابتعادها عن التداول. ودليل ذلك ما نجده اليوم من صعوبة عند محاولة تأويل بعض الكنايات العربية القديمة، ولا يمكننا ذلك إلا من خلال معرفة مناسبة وسياق قولها وشرح ذلك للمتعلّم. فقولهم (طويل التجاد رفيع العماد) لا يمكن تأويلها اليوم تأويلاً منعزلاً عن سياقها الأصلي لأنّ المفاهيم اللغوية التي بُنيت بها هذه الكناية لم يعد لها مرجع تقال وتوول من خلاله، فالصورة

\* جاءت هذه اللفظة في طبعة الرسالة (حجابا) ورأينا أنها لا توافق المعنى والسياق، فاقترحنا بدلها (حجاجا) لتكون أنسب لسياق الكلام - والله أعلم-، وقد وجدناها كذلك في نسخة من تحقيق المستشرق ه. ريتز. طبعة وزارة المعارف استانبول 1954م

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، الرسالة، ط1/ص88.

<sup>2</sup> محمد مشبال، بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب ص122.

تداولية في ذاتها حيث أنشئت وأولت، لذا لم يعد المتلقي العربي المعاصر قادراً على تذوق الصّور القديمة وتأويلها.

ولعلنا من خلال المأزق التأويلي الذي ينشأ عند تفسير الصّورة البلاغية بعيداً عن التّداول؛ نلاحظ أنّ ما جاء به ديكر في نظرية التّداولية المدمجة صعب المنال بعيد المرام، إذ لا يمكن بحال من الأحوال تحليل الصّورة وفق نظرية الحجاج اللّغوي لعجز اللّغة الطّبيعية عن كشف الوشائج القائمة بين كلّ صورة ومقامها التّداولي. ولو أمكن تحليل الصّورة وفق التّداولية المدمجة لأمكنا نقل وترجمة الصور من لغة إلى أخرى دون الحاجة إلى ثقافة المجتمع الذي أُلقت فيه الصورة. وليس مثلاً أدلّ على هذا المأزق التأويلي ممّا يحدث في الخطابات والرّسائل المتداولة في وسائل التّواصل المعاصرة، وما ينتج عنها من سوء فهم تكشفه لنا تعليقات الجمهور الذي غابت عنه الكثير من ملبسات الخطاب أو ما يعرف اليوم بالتّداول.

أمّا ميشال مايبير " ففيما يتعلق ببنية الصّورة البلاغية نجده يعطيها دوراً كبيراً في جذب السّامع وتحريك خياله حتّى يستوعب الأفكار والصّور المقدّمة إليه. ومن أهمّ هذه الصّور البلاغية عنده : المجاز؛ إذ هو الذي يخلق المعني ويصدم كلّ من لا يشاطر المتكلّم وجهة نظره، وهو إلى ذلك طريقة التّعبير عن الأهواء والانفعالات التي هي صور من الإنسان، مثلما يكون المجاز صورة من الأسلوب"<sup>1</sup>، لا يختلف مايبير عمّن سبقوه في دور الصّورة الوجداني، فليست -حسبه- حجة مقنعة للفكر مباشرة إنّما تمرّ إليه عبر تحريك العاطفة من خلال جمالية الأسلوب اللّغوي. والحقيقة أنّ بعض الصور على غرار التّمثيل تزخر بعلاقات شبه منطقية تستهدف الفكر لكنّ جمالية المظهر (الأسلوب) قد أغرت البلاغيين وصرفتهم عن تلكم العلاقات الاستدلالية القارّة في باطن الصّورة البلاغية.

<sup>1</sup> محمد سالم الطّلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة 136

### 6. نظريات حجاجية أخرى :

#### 1.6 البلاغة العامة عند أوليفي ريبول :

يرى (أوليفي ريبول Olivier Reboul) أن البلاغة مساحة شاسعة لا ينبغي اختزالها في زاوية معينة كالأسلوب أو التخييل أو الصّور أو الحجاج كما شاع في السنوات الأخيرة في أوروبا ، حيث يأتي كلّ باحث بنظرية بلاغية يدّعي أنها هي البلاغة الأصل. يقول أوليفي ريبول " إننا لن نبحث عن جوهر البلاغة لا في الأسلوب ولا في الحجاج ، بل في المنطقة التي يتقاطعان فيها"<sup>1</sup>، لم تكن البلاغة الأرسطية تعترف بالتقاطع بين الخطابية والشعري؛ فما الحرب التي قامت بين السفطائيين وخصومهم الفلاسفة إلا بسبب هذا التقاطع، فالفلاسفة كانوا يرفضون الاستعمالات الشعريّة في الإقناع، وانتهى الأمر بفصل فنّ الإقناع عن فنّ الشعر على يد أرسطو.

لكنّ ريبول في نظره يمكن الجمع بين الحقلين المتنافرين فالخطاب البلاغي عنده هو " كلّ خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب، كلّ خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث المتعة والتعليم والإثارة مجتمعة متعاضدة، كلّ خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج"<sup>2</sup>. يريد ريبول فتح المجال أما ما كان بالأمس محضورا من إدماج بلاغة الإقناع مع بلاغة الأسلوبية والتصوير. وعرفت هذه النظريّة **بالبلاغة العامة** حيث لا يفصل فيها بين الأسلوب والحجاج إنّما هما عمليتان متداخلتان يعضد أحدهما الآخر ويسيران في الخطاب البلاغي سوية.

<sup>1</sup> مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي 47

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 48/47.

### 2.6 نظرية الحجاج عند ميشال مايير :

إنّ البلاغة الفضلى عند بيرلمان هي التي تعمل على إقناع مستمع كوني قادرٍ على التحليل والمناقشة والنقض ، فللحجاج المنطوي يعتبره بيرلمان نداءً للعقل البشري لمناقشة مستجدّات العصر وما تحمل من تعقيدات لأن عصر البدهة قد ولى وجاء عصر الحجاج في عصر الدعاية والإشهار لتأخذ بلاغة الحجاج دورها القانوني المنوط بها<sup>1</sup>. إنّ حكم بيرلمان حول الحجاج الأفضل يبيّن لنا أنّه لم يتخلّص من الفلسفة بل يسعى دائماً لإيجاد الحلول للبشر وهذا ما ترمي إليه الفلسفة، وعلى دربه سار تلميذه ميشال مايير الذي يرى الحجاج الجيد ما كان في خدمة الفلسفة وحلّ مشكلاتها.

حاول مايير أن يؤسس " تصوّره لبلاغة الحجاج على هذه المعطيات الفلسفية اللغوية، ليؤكد - على الرّغم من تبنّيه لرأي أستاذه بيرلمان - منزعه الفلسفي المعرفي البحث ، وليربط في الوقت ذاته الحجاج المعاصر بالقضايا التي تثيرها الفلسفة الرّاهنة؛ فالיום (... يجب أن تكون الخطابة - بما تعبّر عنه من حجاج وتختزله من بلاغة - في خدمة الفلسفة لا العكس، ويجب أن تحدّد الفلسفة موضوع الأسئلة قبل أن نأمل في إيجاد أجوبة لها"<sup>2</sup>. ولهذا يسم نظريته البلاغية ( بنظرية المساءلة *Problématologie* ) لأنّها في رأيه محاولات لفضّ الإشكالات الفلسفية عن طريق الحجاج خدمة للفلسفة المعاصرة.

يبني مايير أسس نظريته على ( السّؤال ) الذي يستقرّ المتلقي ويلجئه إلى التحليل والتأويل أو الإنشاء. يقول ميشيل مايير عن السّؤال والمشكلة : "... وبصفة عامّة فإنّ السّؤال والمشكل يتماهيان، وإذا رغبتم في تعريف بسلوكي قلنا إنّ كلّ سؤال هو حاجز أو صعوبة أو ضرورة اختيار، وبالتالي فهو نداء إلى اتخاذ قرار"<sup>3</sup>، فيتّضح لنا الطابع

<sup>1</sup> ينظر العناني عزالدين المنطق الطبيعي والقاسم المشترك بين النظريات الحجاجية

<sup>2</sup> محمد سالم الطّلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، 138

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 135.

الفلسفي لنظرية المساءلة عند مايبير. ويكون السؤال عنده موجّهاً نفسياً للمتلقّي من أجل اتخاذ القرار وتحديد المواقف بعد تلقيه المشكل وتحمله عناء تأويله. ولا ريب أنّ كلّ عملية تأويلية تحتاج إلى إسناد حاجي يدعمها ويؤيّدّها ضدّ الرّفص، وبالتالي يدخل المتلقّي في حاجة ذاتية تتجاذبها مكتسباته القبلية مع الموقف/المشكل الجديد الذي أثارته المساءلة.

وبحضرنا في هذا المقام أسلوب الاستفهام في البلاغة العربية، فكثيراً ما يُستعمل

الاستفهام في العربية في غير غرضه الأصلي، فيخرج إلى غرض آخر تفرضه تداولية المقام. فالاستفهام البلاغي هو ما يُبطن إجابة مضمرة يتحاشى الخطيب إلقاءها في صيغة الخبر، فيأتي بالاستفهام البلاغي ليفتح المجال واسعاً أمام فكر المتلقّي ويقمّمه في حاجة ذاتية تعرض عليه خيارات عدّة يختار منها ما يقنعه وترتاح إليه نفسه.

إذا أراد خطيب الجمعة أن يطمئن المسلمين عن مصيرهم الأخرى، يلجأ إلى

الإقناع عن طرق الاستفهام البلاغي لما له من جدوى حاجية تفضّل الخطاب الخبري المباشر، فيقول مثلاً : (يا عبد الله لم أنت خائف؟ وممّ تخاف؟... [يكرّر هذا السؤال في ثنايا خطابه]... يا عبد الله ألسنت مؤمناً؟... ألسنت توحّد الله؟... فلماذا تخاف؟... ألسنت محافظاً على صلواتك؟ ألسنت تصوم رمضان؟... فلماذا أنت خائف؟... أليست الأقدار بيد الله؟ أليس رزقك بيد الله؟... [ثمّ يختم هذه السلسلة الاستفهامية بالنتيجة الحتمية]... إذن! لا داعي للخوف).

تعمل هذه المساءلة على إحالة فكر المصلّين إلى متواليات كثيرة من الأجوبة المضمرة يحتاج خلالها المتلقّي إلى مراجعة نفسه، والتفكّر ملياً في أسئلة الخطيب، فكلّ سؤال ممّا قال تتجرّ تحته أسئلة مضمرة متشعبة، أسئلة أخرى تحاول متعاضدة مع أسلوب النداء وبقية الحجج والصّور إلى إحالة المؤمنين إلى نتيجة واحدة مفادها أنّ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وصلّوا وصاموا... إنّ تلك المحاجة الذاتية التي تثيرها المساءلة -

حسب ماير - فعل حجاجي جيد يحيل المخاطبين إلى تأويل النتيجة المضمرة في الخطاب والافتناع بها، فكلّ ما ينجز من قول وفعل فهو فرع عن المساءلة الأولى<sup>1</sup>.

ختام القول عن النظريات الحجاجية وتنوعها، فإنّ لكلّ نظرية مرجعية فلسفية تؤطّر على منوالها حسب تخصصّ أعلامها، فنظرية الحجاج المنطقي لبييرلمان أخذت توجهاً فلسفياً منطقياً ترجع علته إلى تكوين الرّجل وتوجهه العلمي والفلسفي، والأمر نفسه بالنسبة للساني الفرنسي أوزفالد ديكرود الذي سار في تأسيس نظريته الحجاجية على طريقة اللسانيين المعاصرين اليم عكفوا على دراسة النّسق اللّغوي البنيوي، فدرسوا اللّغة لذاتها دون النّظر إلى خارج البنية اللّغوية، ومنهم من رأى الحجاج في الصور والأسلوب. كما اختلفت النظريات البلاغية الجديدة حسب مفهوم كلّ جماعة للحجّة، فمنهم من رأى الحجّة المنقطية أو منهم من قال بالحجّة اللّغوية، ومنهم من وجد الحجّة في الصّورة البلاغية.

واتّفت هذه النظريات البلاغية الجديدة كلّها حول مسألة الإقناع القائم على التّأثير والتّوجيه دون تعنيف أو إلزام. وهذا الاختلاف النظري اختلاف تنوع يخدم البلاغة المعاصرة، ويتيح أمام النّقاد العديد من الميكانيزمات والمقاربات التي يلج بها إلى الخطاب المعاصر والمتعدّد بغيّة قراءته وتأويله بصورة أوضح وأكمل.

<sup>1</sup> قوادي عيشوش فاطمة الزّهاء، آليات البلاغة والحجاج من منظور نظرية المساءلة، مجلة الباحث ع 17، ص 124.





■ القسم الثاني من الدراسة: قراءة في تحولات الدرس البلاغي العربي.

■ الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

- المبحث الأول : دواعي تجديد الدرس البلاغي العربي
- المبحث الثاني : مشروع بلاغة الحجاج لدى العرب المعاصرين.
- المبحث الثالث : مشروع البلاغة العامة لدى العرب المعاصرين

### المبحث الأول : دواعي تجديد الدرس البلاغي العربي :

#### 1. تميد:

إنّ حركيّة الحياة البشريّة على هذه البسيطة تفرض قوانين التّجدّد والتّغيّر من حال إلى أخرى، وتؤثّر هذه التّغيّرات في الإنسان فهو محور دورانها ومركزها وأهمّ أسبابها؛ إذ حُمِلَ أمانة العقل والعلم والدين، فإنّ كانت سنن الكون ثابتةً على قدر قدرها عليه خالقها، فإنّ تفاصيل الحياة ومجرياتها بالنسبة للبشر تتجدّد وتتبدّل حتّى لا يصيب الإنسان الملل والجمود. وممّا لا ريب فيه أنّ أولي النهى من العلماء والحكماء قد انتبهوا إلى طبيعة سيرورة هذا الكون وتحوّله، فكان منهم التأمّل والنظر، والاستقراء والتّحليل في كلّ ما يخصّ حياة النّاس، وأهمّها المجال العلمي الذي لا يستغني عنه العالم، فهو مفتاح الوجود وسرّ بقائه.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

تتأثر النظريات العلمية كثيراً بتغير الزمان والمكان، إذ تحتاج لمواكبة متطلبات العصر وحاجيات أهله الذين سرعان ما يزهدون في القديم ويثوقون للإبداع، فلا ينبغي الاكتفاء بالتراث والتحجر عليه بل السعي الحثيث إلى التجديد؛ ولا يكون التجديد "إلا بالبناء على آخر ما أنجز في الموضوع، والبناء يعني الإضافة في نفس الاتجاه، ويعني التعديل أو التفكيك وإعادة التركيب بزيادة اعتبار، بل يعني أيضاً الهدم والتجاوز عن بيئة"<sup>1</sup>. وقد شهد تاريخ العلم محطات تاريخية فاصلة ما زال العلماء ينهلون منها ويتقيدون بكثير من مرجعياتها الكبرى، فلا زالت الفلسفة اليونانية تدرس في الجامعات، وكذا البلاغة والمنطق، والعلوم الإسلامية على كثرتها واختلافها، والعلوم التي ظهرت في أوروبا النهضة، فكُلها منصات قديمة للبعث ببناء جديد، وما انفك العلم في تجدد وتطور إلى عصرنا هذا في سلسلة متصلة الحلقات.

قد لا يتغير العلم جملة واحدة بزوال أصوله الأولى وقواعده الكبرى، لكنّ مناهج البحث العلميّة هي أكثر ما يحتاج إلى مواكبة العصر الجديد ومتطلّباته، والنظر من زوايا جديدة يبتدعها أهله، ولا مرأى في أنّ تغير المناهج سيأتي بما لم يأت به المنهج القديم.

وعلم البلاغة من بين العلوم التي شهدت تطورات منهجية ونظرية في العصر الحديث في طبعته الغربية أو العربية، فليس هذا العلم بمنأى عن نفحات التجديد العلمي، أمّا البلاغة العربية وإن طال (سبّاتها) بسبّات أهلها، فإنّ النبهاء من علماء العربية قد سارعوا إلى تبرئة هذا العلم العتيد من التّهم المنسوبة إليه زوراً. وقد نال شرف حمل لواء تجديد البلاغة العربية في العصر الحديث ثلّة من العلماء نذكر منهم (أمين الخولي، سلامة موسى، والزيّات وأحمد الشّايب...) فكلّ قد أدلى بدلوه ولم يتوان عن تقديم يد العون للنّهوض بأمجاد الأمة في ميدان العلم.

ولعلّنا نحسب أنّ دواعي تجديد علم البلاغة ليست تخفى علينا، إذ كانت من دواعي نهضة الأمة قاطبة في جميع المجالات، لما تعانیه أمام الهيمنة الغربيّة المتسلّطة على العالم منذ قرون، وليس يتسنّى لهم ذلك إلا بالعلم، ولسنا نتوهم أنّ بوادر النهضة تكمن في غير هذا الباب؛ باب العلم.

وبعد هذه التّوطئة التي مهّدتنا بها للقسم الثاني من هذه الدّراسة، سنحاول استقصاء بعض دواعي تجديد علم البلاغة العربيّة، نذكرها في تراتبية حسب أهميّتها وأثرها في الجديد.

<sup>1</sup> محمّد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة، دار إفريقيا الشرق 2017م، ص64.

### 2. دواعي تجديد الدرس البلاغي العربي:

تعددت دواعي تجديد الدرس البلاغي في الزمن المعاصر سنحاول سردها فيما يلي :

أ- إنّ أهمّ داعٍ إلى تجديد البلاغة العربيّة هو النهضة العلميّة التي يشهدها العالم على مختلف الأصعدة، فإنّ " فكرة التّقدّم والرّقي تعني أنّ وسائل البحث والدراسة الماضيّة لا بدّ وأن تصبح قاصرة تحتاج إلى تصويب"<sup>1</sup>، فلا يمكن أن يعيش الإنسان عصره بلوازم الأجيال الماضيّة في أبسط صوّرها من مأكّل ومشرب وملبس ومركب، و تسري مظاهر التّغيير على ميدان العلم والمعرفة، فلا يمكن الباحث اليوم أن يؤسّس لنظريات جديدة بالمناهج الباليّة، ولذا قد شهدنا في مطلع القرن التّاسع عشر ثورة على المناهج السيّاقية والتّاريخية، واستبدالها بمناهج جديدة نسقيّة وصفية خاصّة في العلوم الإنسانيّة، وذلك رغبة في استقلال البحوث العلميّة عن المناهج التّاريخية والبحاث المبتذلة التي تفتّش في دهاليز التّاريخ تقديساً للتّراث، ممّا لا يمكن الجزم به والاحتجاج له بالأدلة المنطقيّة المقبولة.

ب- و ممّا أسهم في الدّعوة إلى تجديد البلاغة العربيّة تلك النّمطيّة التي سار عليها الدرس البلاغي من القواعد التّعليميّة التي ضبطت مع شروح المفتاح في قواعد وشواهد مدرسيّة لا يكاد يخرج عنها المعلّم والمتعلّم. فلم يجدّ عن هذا النّمط سوى مشروع (حازم القرطاجنيّ ت684هـ) الذي لم يلقَ الرّواج الذي حظي به مشروع (السّكاكي ت626هـ). ويرى شيخ المجدّدين (أمين الخولي) أنّ هذه القواعد البلاغيّة المنطقيّة قد أفقدت البلاغة فنّيّتها الأدبيّة<sup>2</sup>، وروحها الحيّاتيّة التي تُلهم الكتاب والشّعراء والنقاد ، فتنبّطت هذه النّمطيّة المبدع والإبداع، نظراً للهفة القدماء وعكوفهم على ضبط البلاغة بقيود ثابتة نظراً لازدهر الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.

تأثّر القدماء بالفلسفة اليونانيّة والمنطق الأرسطي بعد ترجمة فنّ الخطابة وفنّ الشّعْر، فظهرت آثار هذه التّرجمات في العلوم العربيّة على غرار علم الكلام وعلم الأصول، والنحو والبلاغة. يقول أمين الخولي محاولاً فصل علم البلاغة عن طرائق الفلسفة والمنطق التي لحقتها : " فكانت محاولتي الأولى في سبيل البلاغة متّجهة إلى تخليص البلاغة من برائن تلك الفلسفة، وإبعادها عن الميدان النّظري والتّناول العقلي، وإقرارها في ساحة الفنّ وباحة الوجدان، والأخذ في درسها بأسباب الحكم الفنّي... وبعبارة أخصر: كانت محاولتي الأولى في سبيل البلاغة هي تحقيق فنّيّة البلاغة"<sup>3</sup>، فطريقة السّكاكي ت623هـ طريقة منطقيّة كما رآها الخولي- لأنها تقصد التّحديد والتّعريف

<sup>1</sup> صلاح فضل، مقدّمة كتاب (فنّ القول) لأمين الخولي، دار الكتب المصريّة، 1996م، ص6.

<sup>2</sup> ينظر أمين الخولي ، فنّ القول، ص73.

<sup>3</sup> ينظر نوال جاسم محمّد، جهود أمين الخولي في تجديد البلاغة العربيّة، مجلة كئيّة التّربّيّة الأساسيّة، جامعة بابل، 14ع، كانون أول2013م (عن أمين الخولي ، مناهج التّجديد في النّحو والبلاغة ص266)

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

والتبويب والتقسيم، دون تحكيم الجوانب الفنيّة والدوّقيّة في البلاغة ممّا زاد في تعقيد هذا العلم على متناوليه.

وعُرف هذا التوجّه في تجديد البلاغة بالتوجّه الأدبي، لأنّ أصحابه يدعون إلى إعادة البلاغة إلى ميدان الأدب وفصلها عن الفلسفة والمنطق، لما أحدثته من تعقيد للبلاغة بتلك النظرة الفلسفيّة والقواعد المنطقيّة، والجدل العقيم<sup>1</sup>، فينبغي إعادة البحث البلاغي إلى الدراسة الفنيّة الأدبيّة للأساليب والصّور، بعيداً عن التقيّد الصّارم بقواعد البلاغة التّعليميّة التي سادت بعد القزويني.

ت- أصبح علم البلاغة العربيّة في القرون المتأخّرة حبيس سجّلات الكتب، شبيهاً بالحيّ الذي يُحبس في تابوت الأموات، فلا يقدر على شيء رغم تلك الحياة التي تتدفّق في شرايينه، كذلك هو علم البلاغة، علم يصدح بالحياة، لكنّ القيود المنطقيّة تحول دون نزوله إلى حياة النّاس ليمارس دوره الحقيقي، ومن هنا ينبغي تدارك ذلك المفهوم السائد بين النّخبة، إذ حجروا علم البلاغة على البحث في فلسفة الكلام الأدبي، و في وسائل تعليميّة البلاغة، بيد أنّ حقيقة البلاغة وسيلة الحياة اليوميّة\* التي دافع عنها (أمين الخولي)، فجعل لها "غايات جديدة تصلها بالحياة العمليّة، وتجعلها حاجة عامّة لكلّ أفراد المجتمع وجماعاته"، فالحاكم يخاطب قومه بالبلاغة، والمظلوم يرفع مظلمته بقول بليغ يفصح به عن دعواه، والقاضي يفصل بالقول الحسن البليغ الذي يقيم به الحجة على حكمه، وكذا خطباء المنابر، وكلّ ما يمارسه النّاس في حياتهم العمليّة، هذا فضلاً عن الأدباء والشّعراء، فالبلاغة إذن علم اجتماعي تجدر إعادته إلى أهله نظراً وعملاً.

ث- ومن دواعي تجديد الدرس البلاغي ذلك الإعراض الذي خيم على أذهان الطّلبة، فجعلهم يعزفون عن مزاولة الدرس البلاغي والانقطاع عنه، وعلّة هذا الأمر راجع ابتعاد البلاغيين والنّقاد عن الجانب العملي الإجرائي في تحليل النّصوص وتدوّقها، والوقوف على جمالياتها البلاغيّة، والاكتفاء بتعليم البلاغة وفق قواعدها وشواهد المعهودة والمتكرّرة من القرآن الكريم والشعر والنثر، لأنّ " المهمة التحليليّة مهمّة بالغة في الدقّة والصّعوبة، تعتمد قبل تحصيل العلم على ملكة في التّدوّق عاليّة الحساسيّة في الوصول إلى أسرار البيان، يأتي بعدها العلم كاشفاً وصاقلاً، وداعماً تقويمها، وتأتي الدّربة في تمرّس النّصوص مختبرة لصحّتها وفاحصة لقدرتها التّمييزيّة."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> ينظر لقاء عادل حسين، عقيد خالد عزّاوي، حركة التّجديد وتحديث مناهج البلاغة العربيّة، المؤتمر العلمي الأكاديمي الدولي التّاسع : (الاتجاهات المعاصرة في العلوم الاجتماعيّة، الإنسانيّة، والطّبيعيّة) 17-18 جويليّة 2018م، اسطنبول تركيا. <file:///C:/Users/USER/Downloads/133-265-1-SM.pdf>

\* وإذا عدنا إلى أسس قيام الدرس البلاغي قديماً لوجدنا للجانب الدّيني أثرًا رئيساً فيما عُرف بفضيّة الإعجاز، أما وقد علمنا أنّ الدّين الإسلامي أسلوب حياة يسوس أمور النّاس في جميع أحوالهم، فإنّ نشأة البلاغة استمداداً من القرآن الكريم يجعل لها صلة أوثق بحياة النّاس الواقعيّة ولا يجعلها حكراً على العلماء والأدباء، بل تتجاوزهم إلى العامّة الذين هم بحاجة إلى البلاغة كأداة لإنشاءاتهم اليوميّة في تعاملاتهم حتّى تسير أمورهم على أحسن الأحوال.

<sup>2</sup> عبدالله عبدالرحمن أحمد بانقيب، مناهج التّحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرّماني إلى عبد القاهر الجرجاني، أطروحة دكتوراه، إشراف : د. محمود توفيق محمّد سعد، كليّة اللّغة العربيّة، جامعة أمّ القرى - 2008/2007م، ص20.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

ولهذا السبب يندر النبوغ بين النقاد، إذ يتعسر على من درس هذه العلوم بقواعدها وقوانينها أن يبدع في ميدان النقد الأدبي، لأنّ الأمر لا يتعلّق بالقواعد والمعايير فقط، إنّما هي استعداد فطري ملكة في الطّبع تنمو مع الدّربة والتّعليم والممارسة، وعدم تمكّن النّاس منها يزهدهم في طلب هذا العلم والانصراف عنه، أو الاقتصار على تعلّمه وتعليمه في المدارس لا غير.

فإذا كان تعليم البلاغة لأجل حفظ فنونها بشواهدها في تصانيفها بأسماء علمائها، من غير الاجتهاد في محاكاتها إنشاءً وتداولاً، فلا جدوى منه، فإنّ تعسر ذلك على الكثيرين لغياب الملكة والطّبع، ممّا لا يُدرك كلّه فلا يترك جلّه، فوجب حينئذٍ الاجتهاد في قراءة النّصوص بتدبّر بلاغتها، فوجود آلة البلاغة قد وُجد بعد النّصوص، ثمّ جاءت ثانياً لأنّ " تكون أداة تقليب لهذا النّص، وأداة تفتيش وتحليل، وحفر في اللّغة لاستخراج الدّفائن"<sup>1</sup>، وليس تعلّمها للمناظرات والمفاخرات بكثرة حفظ وإطّلاع، حتّى أصبح البلاغي (دارس البلاغة) لا يحسن من البلاغة إلاّ الكلام في أنواع التّشبيه وأنواع الاستعارة وفنون البديع، وليس هذا - على أهميته - ما وُجدت لأجله، بل أصبح عائقاً دون ازدهار الدّرس البلاغي ومواكبته للعصر وثقافته.

ج- ويرى أمين الخولي أنّ البلاغة العربيّة القديمة كانت بلاغة جملة<sup>2</sup> ولم تهتمّ ببلاغة النّص باعتباره بنية واحدة، وهذا أمر يحتاج إلى إعادة نظرٍ ودراسةٍ وإتمامٍ لمسار البلاغة القديمة من الجملة نحو النّص. إنّها ملاحظة مهمّة جداً، فالواقع يشهد أنّ البلاغيين القدماء لم يتجاوزوا دراسة الجملة إلى النّص، بل وقفوا عند أدنى من الجملة أحياناً، فقد كانوا يقصدون الصّورة البلاغيّة التي يريدونها باجتزائها مباشرة من سياقها، دون النّظر إلى ما جاورها من أساليب وتراكيب، وهذا الاجتزاء قد يغيّر التّوجيه البلاغي الذي يطلق عليها مجتزأة، وقد وقعت عدّة مزالق بلاغيّة نتيجة التّحليل القسري الذي لحق الصّور البلاغيّة في القرآن الكريم، وعليه فإنّ تجديد الدّرس البلاغي يدعو إلى شموليّة البلاغة العربيّة<sup>3</sup>، وذلك بقراءة الصّورة على اعتبارها لبنة في بناء متكامل دون الإخلال بروابط التّراكيب والمعاني والموضوع.

ح- وممّا نرى له أهميّة بالغة نحو إعادة ضبط منهجيّة الدّرس البلاغي وتحيينها؛ هو ما غفل عنه البلاغيون القدماء من خصوصيّة النّصوص وطبيعتها المتميّزة عن بعضها، فالقرآن الكريم يختلف عن النّصّ الشعري، والنّصّ الخطابي يختلف عنهما، وكلّها تختلف عن القصّة والرّسالة، إلى غير ذلك ممّا يُعرف اليوم بالأجناس (الأنواع) الأدبيّة المتنوّعة،

<sup>1</sup> محمّد محمّد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، مكتبة وهبة القاهرة، ط 4/2012م، ص16

<sup>2</sup> ينظر، نوال جاسم محمّد، جهود أمين الخولي في تجديد البلاغة العربيّة، مجلة كئيبة التّربيّة الأساسيّة، جامعة بابل، ع14، كانون أول 2013م

<sup>3</sup> ينظر لطروش الشارف، (قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربيّة)، مجلة حوليات التّراث، ع16/2016م، جامعة مستغانم/ص101.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

فلكلّ منها مزايا تميّزها عن بقية الأجناس الأدبية<sup>1</sup>. أمّا البلاغة العربية القديمة فقد تشكلت على منوال بلاغي واحد هو بلاغة الشعر، رغم تعدّد مرجعياتها (القرآنية والخطابية والشعرية)، فإذا بالبلاغة الشعرية تُتخذ المثال المحتذى في بيان جماليات الكلام العربي؛ حيث استنبطوا منه فناً بلاغياً وأحكاماً جمالية كثيرة، وراحوا يقيسون بها درجة بلاغة النصوص الأخرى ومكمنها، وهذا التعميم لا يتماشى مع جميع الأجناس الأدبية، وعليه فإنّ الكثير من النقاد العرب المعاصرين يبحثون في هذه المسألة؛ بلاغة الأجناس الأدبية التي تراعي في فنونها وقواعدها تلك الخصوصية التي تفصل نصّاً ما عن النصوص الأخرى.

خ- كما ساهم بشكل واسع في إعادة بعث الدرس البلاغي العربي ذلك الوعي القومي بضرورة العودة إلى التراث قصد إحيائه والمحافظة عليه ونشره بين الأمم، ويعود هذا الوعي إلى الحملات الاستعمارية الأوروبية على الأمة العربية في العصر الحديث، فكانت النهضة الأدبية في مصر نتيجة حملة نابليون على مصر (1798)، إذ حاول طمس القوانين الشرعية واستبدالها بأخرى وضعيّة تخالف الدين الحنيف<sup>2</sup>، ومن هنا اتّجهت جهود النخبة إلى إحياء علوم اللغة العربية؛ معجماً وصرفاً ونحواً وبلاغة وأدباً، باعتبار اللغة مقوماً أساسياً من مقومات الهوية العربية، تلك الهوية التي يجب الحفاظ عليها في صدّ حملات التغريب والتّنصير، وقد أثمرت هذا الجهود نهضة أدبية في مصر الحديثة، لم تعهد الأمة مثيلاً لها منذ قرون.

د- ازدهرت فنون التربية والتعليم في القرن الماضي لما حظي به قطاع التعليم من عناية في كلّ دول العالم، بغية محاربة الجهل ومحو الأميّة لمواكبة قطار العلم الذي يُعدّ سبيل ازدهار المجتمعات المعاصرة، فتغيّرت المناهج التعليمية واستجدت وتنوّعت نظرياتها، الأمر الذي ألقى بظلاله على طرق تدريس البلاغة العربية، إذ أصبح تجديد هذه الطرق أمراً ملحاً، لأنّ البلاغة تنطلق من الوجدان والشعور، باعتبارها " فنّ أدبي يُنضج الدوق، ويصقل العاطفة، وينمي الذائقة الفنيّة"<sup>3</sup>، والفنّ يستعصي على القواعد المنطقية والمفاهيم الفلسفية كما استقرت عليه البلاغة العربية، واستقرّ عليه تدريسها.

إنّ تعليمية البلاغة وفق ما هي عليه من تعريفات للفنون البلاغية وقواعدها، مع شواهد مبثورة من متونها أخرج البلاغة عن جمالها الفنّي في صورة شواهد، تنفّر القارئ من النصّ أكثر ممّا تقرّبه<sup>4</sup>، فأصبح الطالب يتضجّر في حفظ هذا القوالب وشواهدها، ويوم

<sup>1</sup> ينظر نوال جاسم محمّد، جهود أمين الخولي في تجديد البلاغة العربية، مجلة كآبة التربية الأساسية، جامعة بابل، 14ع، كانون أول 2013م

<sup>2</sup> ينظر عثمانى عمّار، ملامح تجديد البلاغة العربية في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمّد الولي، أطروحة دكتوراه، كآبة اللغة العربية وآدابها والفنون، جامعة وهران، 2015م/2016م، ص 2 و3.

<sup>3</sup> عمر عروي، تعليمية البلاغة العربية بين التجريد والفنّ في ضوء النصّ الأدبي، مقاربة تعليمية، مجلة الباحث، العدد 09/ أفريل 2012م، ص 71.

<sup>4</sup> ينظر عثمانى عمّار، ملامح تجديد البلاغة العربية في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمّد عبد المطلب، ص 139.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الامتحان قد لا يوفّق في تحديدها بوجه دقيق، حتّى كادت تلحق بعلم النحو في هذه الجزئية، الأمر الذي استدعى الباحثين إلى النظر في تيسير النحو على المتعلّمين وطرق تلقينه، وليس الدرس البلاغي ببعيد عن هذه الرؤية التعليمية الجديدة. وهو داع مهمّ إلى تجديد البلاغة العربيّة وتعليميّتها في عصرنا.

ذ- دأبت المقولات البلاغيّة العربيّة على قراءة نمط معيّن من الأدب العربي، تمثّل في الشّعر العربي المنشأ وفق نظريّة (عمود الشّعر)، وعمّمت هذه المقولات على النثر وأنواعه، ولم يسلم القرآن الكريم من هذه القراءات البلاغيّة<sup>1</sup>، دون النّظر في الفوارق البيّنة بين الخطابات الثلاثة. أمّا العصر الحديث فقد دخلته ثقافات غريبة عن النّقافة العربيّة، ودخلت معها أنماط أدبيّة جديدة من شعر ونثر، فأصبح الأدب مذاهب ومدارس شتى. فينشئ الأديب تحت أثر النّزعة الأدبية. ولم يكن الأديب العربي في العصر الحديث بمعزل عن هذه الحركات الأدبيّة العالميّة، فانفلت الشّعر من قيود العمود، ووظّف الشّعراء الرّمز والأسطورة، والتّزموا بقضايا التّحرّر، وأبدعوا في الشّعر الرومانسي، كما ظهرت الرواية العربيّة وازدهرت أيّما ازدهار.

أصبح الإبداع الأدبي الجديد والغريب عن إبداع القدماء واقعا مفروضا على النّقاد والقراء، رغم كلّ الرّفص الذي واجهه في البداية (مثلما وقع مع القصيدة النثريّة)<sup>2</sup>، وممّ لا مرأى فيه أنّ النّقد والبلاغة يسيران حيث سار ظلّ الأدب، فباشّر النّقاد والبلاغيون قراءاتهم في الأدب المعاصر بشتى أطرافه فاصطدموا بالهوّ الشاسعة بين عدّتهم النّقدية والبلاغيّة القديمة وبين الأدب الجديد، إذ لم تتمكّن المقولات (الفنون) البلاغيّة القديمة من فكّ شفرات الخطاب الأدبي الجديد، فأصبحت الاستعارة والمجاز والكنائيّة والتشبيه، كالواقف على الهامش أمام الرّمز والأسطورة، والمبالغة في الغموض، وانصرفت الأغراض الشّعريّة القديمة إلى حال سبيلها أمام الشّعر الكلاسيكي، والرومانسي والواقعي والرّمزي.

أصبح انغلاق النّص الأدبي المعاصر أمام آليات النّقد والبلاغة عاملاً موضوعياً نحو تجديد الدرس البلاغي العربي لمواكبة الحداثة، واختصار المسافات بين المبدع والقارئ، " فيجدر بنا فتح أبواب البلاغة لتدخل رياح التّحديث، فنستنتب بها ما نراه صالحاً للعيش، ونترك ما عفا عليه الزّمن"<sup>3</sup>، فنأخذ من القديم ما يناسب عصرنا مع إجراء ما يلزم من تحديث في المنهج والمصطلح، ونذر ما اتّسم بسمة (الأنية) التي تزول بزوال سياقاتها وتبلى بتغيّر الأحوال والظّروف.

<sup>1</sup> ينظر أحمد يوسف، بنية الخطاب البلاغي وسلطة النّص الغائب (القراءة بالمماثلة)، دراسات سيميائية لسانية أدبية، ديسمبر 1992، المغرب.

<sup>2</sup> ينظر عبد الكريم عبّاس حسين كريجي الرّبيدي، القصيدة الحرة عند شعراء العراق الرّواد في الخطاب النّقدي العراقي، رسالة ماجستير، إشراف د. فليح كريم خضير الرّكابي، جامعة بغداد كليّة الآداب، قسم اللّغة العربيّة، 2004م/ ص 45/44

<sup>3</sup> محمّد كريم الكوّار، المصطلح والنّشأة والتّجديد، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2006م، ص261.



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

تعددت الأسباب وتضافرت حين تغيرت الظروف وتهيأت للبت من جديد في علم البلاغة العتيدي، علم لم يشبع منه أهل زمان مع اجتهادهم، ولم تنفذ مباحثه على باستنفاد أعمارهم، وكيف تحسب أيها السائر في بحر البلاغة أن تدرك شطآنه في الأمد القريب، وتحصل ما لم يحصله أسلافك على هذا الدرب<sup>1</sup>. إن علم البلاغة تميّز عن بقية العلوم بحكم تخصصه الفريد في توصيف أعظم نعمة خصّ بها الإنسان دون غيره من الخلائق، إنها صفة الكلام؛ الآية العجيبة التي ما انفكّ الحكماء يدقّون النظر فيها كلّ حين، والبلاغة باعتبارها العلم الذي ينظر في كلام الإنسان وصفاً جمالياً وتعليماً وممارسة استحقتّ بذل الجهود العظيمة من العلماء رغبة في تحصيلها والنهوض بها.

ولا يخلو زمنٌ ولا مصرٌ من العلماء الذين يسعون إلى تحيين الدرس البلاغي وفق ما أتيح لهم من مناهج وآليات زمنهم، فقد أحدث (ابن المعتز ت296هـ) في البلاغة ما لم يُعهد عند الجاحظ، وأحدث بعده الجرجاني ما لم يكن قبله، ثم السكاكي وحازم القرطاجني، فقد أحدث هؤلاء العلماء منعرجاً جلياً في مسار البلاغة العربيّة، كلّ يجتهد بحسب ما هُيئ له من ظروف وما تتطلّبه بيئته، دون الاستغناء الكلّي عن ميراث أسلافه، وليس حالنا اليوم بدعا من أحوال سلفنا؛ إذ نلحظ البلاغة العربيّة تتحلّى بزيّها الجديد الذي لم يكن من قبل، بناءً جديداً هيأت له الأسباب والظروف، وقد ذكرنا منها ما بدا لنا داعياً كافياً في عصرنة هذا العلم، اتكأ على تراث أسلافنا واستعانة بما حصله العلم المعاصر من نظريات بلاغيّة جديدة، ومناهج بحث حديثة.

<sup>1</sup> ينظر حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص27.

المبحث الثاني : مشروع بلاغة الحجاج  
لدى المعاصرين

### المبحث الثاني : مشروع بلاغة الحجاج لدى المعاصرين

#### 1. تمهيد :

عادت نظرية الحجاج اليونانية إلى ساحة البلاغة الرّحبة كما رأينا في البلاغة الغربيّة المعاصرة، وذاع صيتها كثيراً وانتعشت في أوروبا خاصّة وأمريكا. أمّا حال الوطن العربي - فكرياً وأدبياً - حينئذٍ معلوم لدى القاصي والداني؛ إذ لم يستطع الفكر العربي أن يخرج عن طوق التقليد والتعلّق بالتراث في شتى مجالات الحياة، وليس ميدان الأدب والتّقدّ بدعاً من تلكم الحال التي لم يكذّ يخلو منها مجال، مع بعض المبادرات في مسانيرة النهضة العالميّة في مطلع القرن العشرين التي اقتصرّت على بعض الأمصار، أمّا بقية البلدان العربيّة فأغلبها كان تحت سطوة الاستعمار، فلم يكن أبنائها من النّخبة يفكّرون في غير العمل السّياسي والتحرّري.

فإذا تحدّثنا عن البلاغة العربيّة ومنجزات أهلها في العصر الحديث والمعاصر أفيناها - إن لم نبالغ- إمّا اجتراراً لما أنجزه البلاغيون القدماء كما استقرّت عليه على يد (أبي يعقوب السّكاكي ت 623هـ)، أو نجدها نسخة عن مثيلتها الغربيّة وما حدث فيها من ثورة نقدية معاصرة. وعليه سنحاول في هذا الفصل من الدّراسة استكشاف واستقراء مسارات البلاغة العربيّة المعاصرة من خلال بعض أعلامها ومنجزاتهم النّقدية، وسنقتصر على علمين بارزين من أصحاب المشاريع والمنجزات البارزة في البحث البلاغي المعاصر؛ وهما محمّد العمري وعبد الله صولة -رحمه الله-، وليس هذا الاقتصار هضماً لحقوق بقية الباحثين، إمّا مدار الأمر منهجي خالص، فالنّخطيط المنهجي المحكم والواضح عامل أساس في اجتناب الخلط والحشو والتكرار نظراً لتشابه المنجزات بحكم أنّ مصدرها النظري موحد هو البلاغة الغربيّة المعاصرة، كما أنّه يتعدّر حصر ما أُلّف في نظريات البلاغة الجديدة لكثرتها.

أمّا تصنيف مباحث هذا القسم من الدّراسة سيكون وفق النّظريات البلاغية، ولم نصنّفه حسب الأعلام الباحثين في هذا المجال، لأنّ هذا التّصنيف سينجم عنه خلط وتداخل بين النّظريات، لأنّ النّقاد المعاصرين قد استلهموا واشتغلوا على عدّة نظريات معاصرة وحاولوا خلعها على الأدب العربي والبلاغة القديمة، فنّجد النّاقّد قد اشتغل على الأسلوبية والتداولية والحجاج ولسانيات النّص، لذا نرى أنّ توجيه البحث في تصنيف مباحثه يكون حسب النّظريات البلاغية المعاصرة أوضح وأنسب للمتلقّي، ويغني الباحث عن الأخذ في كلّ الأعمال البلاغية التي كثيراً ما تواطأت واتّفقت في مضامينها.

نظريّة الحجاج هي نظريّة يونانية قديمة أسهمت الطّروف آنذاك في بنائها بسبب الحروب التي قامت، واسترداد الحقوق والدّفاع عن المظلومين في المحاكم، وانتشار الفكر

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الديمقراطي في السّاحات العامّة؛ فقد قامت هذه البلاغة أساساً على فكرة جوهرية هي : الإقناع؛ ويقصد به في البلاغة الغربية كيفية الوصول بالمتلقّي إلى تبني فكرة ما والقبول بها ومن ثمة العمل بها.

أمّا البلاغة العربية فظلت في العصر الحديث تعاني الرّكود والجمود الذي أضى سمة بارزة لشتّى العلوم العربية في هذا العصر، فقد كانت محاولات تجديد البلاغة العربية تسير على قدم وساق نحو مستقبل أفضل حافل بالجديد، ولا اعتبارات عدّة، فكان عامل التّأثير والتّأثر بالآخر العامل الأهمّ والأساس في بناء درس بلاغي عربي جديد يستمدّ من بلاغة القدماء موظفاً معطيات النّقد المعاصر ونظريّاته الوافدة من أوروبا وأمريكا.

ذاع صيت نظرية الحجاج في أوروبا في خمسينات القرن الماضي وهرع البلاغيون العرب إلى البحث عن هذا الشّطر المنسيّ في بلاغتنا العربية، فكان يلزم عن ذلك قراءة جديدة للبلاغة العربية القديمة في مهدها الأوّل والنّظر في أسباب قيامها وتأسيسها، ولعلنا - في هذا المبحث- نعثر على خيط يدلّنا إلى فكرة الحجاج عند القدماء؛ فكرة أو نظرة قديمة تكون أساساً تبنى عليه نظرية حجاجية تضاهي تلك التي عند الغرب، بحلّة عربية أصيلة.

نذكر بعض الأعلام البلاغيين العرب المعاصرين الذين رفعوا التّحدّي لبعث الدرس البلاغي العربي، وكان لهم السّبق في تجديد البلاغة العربية، ألفينا رواد المدرسة المغربية في طليعة هؤلاء أمثال : (عبد السلام المسدي) و(حمّادي صمود) و(محمد العمري) و(عبد الله صولة، رحمه الله)، أمّا عند المشاركة فلم يكن الدرس البلاغي تجديدياً بنكهة غربية كما حدث عند المغاربة، فظلت الدّراسات البلاغية عندهم تقليدية إلى أبعد الحدود، حيث ازدهرت الدّراسات التّعليمية، والدّراسات التّاريخية -بوجه خاصّ - للبلاغة العربية عند شوقي ضيف، ما عدا عمل صلاح فضل عن (علم النصّ وبلاغة الخطاب).

### 2. بناء نظرية الحجاج : الحجر الأساس : كتاب : (في بلاغة الخطاب

#### الإقناعي) لمحمد العمري:

يبدأ الباحث المغربي محمد العمري مساره العلمي والبحثي مع البلاغة العربية القديمة وفق دراسة منهجية معاصرة في مؤلّفه (في بلاغة الخطاب الإقناعي)\* في منتصف ثمانينات القرن الماضي، أين فتح نافذة جديدة تُجَاه مبحث مفقود ومنسيّ في البلاغة العربية القديمة؛ هو مبحث الحجاج الذي يعده العمري شطر البلاغة بجوار الشعريّة. بلاغة الحجاج أو الإقناع في نظر العمري قد أهملت مع أنّها وُجدت قديماً عند البلاغيين العرب أمثال الرّماني والباقلاني اللّذين أشارا إلى " قضية الاحتجاج وصحة البرهان مع حسن التّعليل"<sup>1</sup>، وقد

\* طبع هذا الكتاب أوّل مرّة سنة 1985 م

<sup>1</sup> بو عافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، من خلال مشروع محمد العمري، رسالة ماجستير، إشراف د. عبد الغني بارة، جامعة محمد لمين دباغين 2/ 2014/2015م

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

تحدّث الجاحظ أيضاً عن جانب الحجاج في إثبات حجج النبوة<sup>1</sup>، لكنّ البلاغيين المتأخّرين قد غفلوا عن هذا المبحث البلاغي الأصيل وبالغوا في العناية بفنون البلاغة الأسلوبية.

ينبغي أن نشير أن كتاب الأستاذ محمّد العمري (في بلاغة الخطاب الإقناعي) يعدّ أوّل مؤلّف في بلاغة الحجاج في عصرنا، فقد نبّه الباحث بكتابه بقيّة البلاغيين المعاصرين إلى ضرورة بعث النّظرية الحجاجية العربية، وبالفعل فقد أوقد شمعة أنارت الدرس البلاغي المعاصر بتوالي البحث والتّأليف في هذا المجال أثرت المكتبة العربية بكمّ لا بأس به يستأنس إليه الباحث، إضافة إلى ترجمة العديد من الأعمال الغربية، وقد رأينا أن نجعل من هذا المؤلّف علامة مرجعية نعود إليه لتقصّي التّحوّلات المعرفية في الدرس البلاغي العربي المعاصر، وهذه غايتنا من هذا البحث.

### 1.2 على خطى نظرية البلاغة الجديدة (الحجاج) :

يتّخذ العمري من نظرية البلاغة الجديدة الغربية منهاجاً له في تفحص مكامن الحجاج في البلاغة العربية القديمة، مسترشداً بالطابع العامّ لخطابة اليونان مع مراعاة خصائص اللّغة العربية وبلاغتها<sup>2</sup>، حيث يرجع إلى كتاب بيرلمان " البلاغة الجديدة " ليؤسّس على منواله نظرية عربية في نفس الحقل البلاغي المغيب منذ زمن بعيد<sup>3</sup>. عودة بيرلمان الفيلسوف البلجيكي إلى بلاغة أفلاطون وأرسطو ليؤسّس نظريته الجديدة في بلاغة الإقناع، اتّخذها العمري منوالاً ليتحمّل عناء التّقيب في الثّراث العربي القديم رغبة في لملمة شتات البلاغة الحجاجية في هذا الثّراث الذي بدأ - حسب رأيه - تداولياً حجاجياً في علم البيان وانتهى شعرياً تخييلياً مع علم البديع.

وإضافة إلى أعمال بيرلمان فقد أبدى الباحث محمّد العمري اهتماماً بالغاً بالنّظريات البلاغية الغربية المعاصرة، تجسّد ذلك من خلال ترجمته لأعمال عدّة لنفاد غربيين مثل " جان كوهين 1986، هنريش بليت 1989م، وكيببيدي فاركا 1992م، ومارسيلو داسكال 1997م"<sup>4</sup>، فقد استجمع الباحث رؤية نقدية واسعة الأفق من خلال الاحتكاك الدائم بمستجدات الدرس البلاغي الغربي.

وعلى خطى نظرية الحجاج عند الغرب يبني الباحث نظرية الحجاج العربية منقّبة عن آثارها في الثّراث العربي في أوّل مؤلّف عربي في هذا الحقل؛ حقل الحجاج الموسوم بـ (في بلاغة الخطاب الإقناعي)، إذ عدّ الباحث مؤلّفه هذا سابقاً لأوانه متفرداً في موضوعه،

<sup>1</sup> ينظر المرجع نفسه والصفحة.

<sup>2</sup> ينظر محمّد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأوّل نموذجاً، دار إفريقيا الشرق، ط2002/2م/ص21

<sup>3</sup> ينظر نفس المرجع ، ص14

<sup>4</sup> رمضان يوسف، مقال البلاغة الجديدة في الدراسات العربية الحديثة (حمادي صمود ومحمّد العمري نموذجاً)، مجلة التعليميّة المجلّد الرابع العدد9 جانفي 2017م، جامعة معسكر، ص8.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

وقد أرجع دواعي تأليفه إلى تلك المعالجة النقدية التي تُمارَس على النصّ الخطابي وتماتلها في إجراءاتها مع تلك التي تعالج بها النصوص الشعرية<sup>1</sup> مما يُنافي طبيعة المتن مع المنهج النقدي المسلط عليه قسراً؛ الأمر الذي يخرج بالدراسة عن المسار المنهجي السليم، والنتائج الموضوعية للقراءة البلاغية.

تنبّه البلاغيون العرب القدماء لطبيعة النصوص الخطابية " فحرصوا على التفريق بين طبيعة الشعر الذي يهدف إلى التخيل وطبيعة الخطابة الهادفة إلى التصديق حسب الأحوال والاحتمال"<sup>2</sup>، وقد ذكر العمري من هؤلاء : قدامة وابن رشيق وحازم القرطاجني، وابن وهب. وقد عزا الباحث توجّه البلاغيين في التفريق بين الشعر والخطابة إلى تأثرهم بكتب أرسطو في الخطابية والشعرية والمترجمة إلى العربية<sup>3</sup>، ومن ذلك قول (القرطاجني) في خصوصية الشعر والخطابة : "... وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتَي التخيل والإقناع ... وكان القصد في التخيل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده"<sup>4</sup> وهذا التفصيل يُبين عن استفادة البلاغيين العرب من النظرية الأرسطوية في البلاغة، ومحاكاتها إلى أبعد حدّ ممكن .

### 2.2 الكتاب : الموضوع والمنهج :

لاحظ الباحث عوزاً في المكتبات العربية في مجال البلاغة الجديدة، وفي بلاغة الحجاج بوجه خاص<sup>5</sup>، فكان دافعاً محفزاً للتأليف في هذا الميدان رغبة في إعانة الطلبة الجامعيين والأساتذة الباحثين، وإثراء للمكتبة العربية بمؤلفات متخصصة ودراسات معمّقة في نظرية الحجاج تكون حجرة أساسها مؤلفات محمد العمري، ومشروعه العلمي في البلاغة الجديدة، وتسخير هذه الجهود بغية إحياء شطر البلاغة الذي تلاشى بين دهاليز الدراسات الشعرية، مع افتتان البلاغيين العرب بها وسعيهم إلى التحصيل فيها والتّعيد لها.

وزّع العمري كتابه ( في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) على فصول خمسة، جاء أولها بعنوان " الموضوع والمنهج"، والثاني بعنوان "مقام الخطاب في القرن الأوّل الهجري، أمّا الفصل الثالث "صوّر الحجاج" والرّابع "الأسلوب"، والفصل الأخير بعنوان " ترتيب أجزاء القول"<sup>6</sup>، وألحق كتابه بالمتن المدروس والذي خصّصه للخطابة الإسلامية في عصرها الذهبي من القرن الأوّل الهجري.

<sup>1</sup> ينظر محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مقدّمة الطبعة الأولى، ص 7.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص7.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص7.

<sup>4</sup> حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن ت 684هـ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، المكتبة الشاملة، ص4 (الكتاب مرقيم آلياً غير موافق للمطبوع)

<sup>5</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2/2002م، ص5.

<sup>6</sup> ينظر المرجع نفسه (الفهرس).

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

جاءت خطة البحث وفق تسلسل منطقي حسب ما تقتضيه الدراسة الأكاديمية، حيث بدأ الباحث كتابه بأهم خطوة علمية تمثلت في وضع الدراسة في إطارها الموضوعي والمنهجي إذ خص الموضوع ومنهجه بفصل مستقل في مطلع الكتاب عنونه بـ " الموضوع والمنهج"<sup>1</sup>، ماعدا ملحق المتن المدروس لم يوضع المحلّ الذي تقتضيه منهجية البحث العلمي في كون الملاحق تأتي في آخر البحث، إذ تُلحق بالبحث وليست من صلب متنه، ويكون موقعها قبيل الفهارس.

بدأ الباحث حديثه عن موضوع البحث انطلاقاً من الضربات القاسية التي تلقّتها الخطابة عبر التاريخ بدءاً بخطابية اليونان وصولاً إلى الخطابة العربية مع البلاغيين العرب القدماء<sup>2</sup>، أين أصبحت الخطابة متهمة بالزيف والتضليل والفراغ الذي لا يُجدي أصحابه نفعاً لميدان العلم<sup>3</sup>. ومع حلول القرن العشرين بدأ الاهتمام المفاجئ بهذا الفنّ المقبور في قبو التاريخ الأدبي الإنساني عامّة؛ حنين ورجوع إلى فنّ الخطابة رافق النظام العالمي الجديد؛ رجوع له دوافع عديدة<sup>4</sup> تخدم الأنظمة الديمقراطية، والدعاية التجارية والنهضة العلمية والصّحة الدينيّة.

زعم فلاسفة اليونان أنّ الفلسفة هي العلم الوحيد المتوسّل إلى المعرفة والحقيّة، أمّا الخطابة فهي الأعبى الزيف والكذب والمراوغة ومحاولين بذلك دحضها لحساب الفلسفة؛ هذا الصّراع بين الخصوم الفلاسفة والخطباء عدّه الباحث (محمد العمري) شهادة على مكانة الخطابة في المجتمع اليوناني إذ كانت تنافس العلم العتيد؛ علم الفلسفة<sup>5</sup> أو لغة الحكمة. هذا التّنافس بين الفريقين حمل سقراط ومن بعده إلى شتّى حرب ضروس على السّفسطائيين خطباء اليونان، وانتهى الصّراع بازدهار الفلسفة وأقول الخطابة.

ثمّ ينتقل الباحث إلى مفاهيم الخطابة في المعجم والمصطلح عند العرب القدماء، فذكر تعريف ابن وهب للخطابة منطلقاً من المعنى المعجمي نحو المفهوم الاصطلاحي الذي عزاه إلى إلقاء الكلام في الأمور ذات الخطب الجلل<sup>6</sup>، فذكر مناسبات استعمال الخطابة ومواضيعها لكنّ ابن وهب - حسب الباحث- لم يذكر مسألة الإقناع والحجاج وعلاقتها بالخطابة. لكنّ ابن وهب قد تحدّث عن الاحتجاج الذي قد يقع في الترسّل<sup>7</sup>، والإقناع كذلك

<sup>1</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق)، ص 11.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 13

<sup>3</sup> ينظر محمد العمري، (البلاغة العامّة في حوار الرصد والتّظهير من الشّعر إلى الخطاب)، ضمن البلاغة والخطاب،

إعداد وتنسيق محمد العمري، ص 26/27

<sup>4</sup> ينظر بحثنا هذا في الفصل الأوّل (مرجعيّات البلاغة الجديدة)

<sup>5</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 14

<sup>6</sup> أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان (نشر من قبل باسم نقد النثر لقدامة بن

جعفر، تح د. حفني محمد شرف) (أستاذ البلاغة، والتّقد الأدبي المساعد - كليّة دار العلوم، جامعة القاهرة)، مكتبة الشباب

(القاهرة) - مطبعة الرسالة 1389 هـ - 1969، ص 151.

<sup>7</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 150.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

لكنه لم يجعل من الاحتجاج والإقناع نوعاً نثرياً خاصاً، كأن يقفه على الخطابة دون غيرها من الأنواع النثرية، بل نحسب أنّ النثر قد وُجد للإقناع عكس الشعر الذي وُجد للتخييل.

ذكر الباحث تعريفات أخرى للخطابة عند أبي إسحاق (لم يذكر من هو أبو إسحاق؟ ولعله يقصد ابن وهب الكاتب)، وعند أبي هلال العسكري صاحب الصناعتين، وجاءت تعريفاتهم شكلية، فقد عرّفوا الخطابة من حيث شكلها اللغوي أو وظيفتها أو مواضيعها<sup>1</sup>، باعتبارها من الفنون النثرية، وهذه التعريفات تنطبق على الممارسة الخطبية، أمّا بلاغة الخطابة فأمر أدقّ يرجع إلى المنطق الذي تقوم عليه؛ منطق الحجاج والإقناع في المحتمل والممكن كالقيّم والعدل وسنّ قوانين بناء الدولة. فيبدو لنا أنّ بين مصطلح الخطابة وفنّ الخطابة (أو الخطابية) فرق كالفرق بين الممارسة والنظرية، أو كالذي بين العلم وفلسفته.

جاء تعريف أرسطو لفنّ الخطابة أقرب لما هي عليه بلاغة الخطابة في حقيقتها وطبيعتها؛ تعريفٌ علميٌّ لا يزال متداولاً في الدراسات المعاصرة حتّى أضحي هذا الفيلسوف أستاذ بلاغة الخطابة والإقناع<sup>2</sup> لأنّ تعريفه للخطابة مؤسسٌ على كنه بلاغة الإقناع وجوهرها العلمي، متجاوزاً بذلك تعريف العرب للخطابة باعتبارها ممارسة خطابية أدبية بغضّ النظر عن المنطق العلمي الذي قامت عليه.

ثمّ ذكر الباحث محمّد العمري أسس بلاغة الإقناع عند أرسطو: الأسلوب ووسائل الإقناع وترتيب أجزاء القول<sup>3</sup>، منبهاً أنّ هذه الأسس عامّة في كلّ أنواع الخطاب الإنساني، ولا يخصّ حضارةً دون أخرى مع تفاوت في الاهتمام بعنصر دون آخر، كما اهتمّ العرب بجمال العبارة وأناقة الأسلوب لتعلّقهم بالشعر أكثر من أي نوع أدبيّ آخر، أمّا المواضيع فتستدعيها المناسبات والأحوال.

ومما ينبغي ذكره في هذا المقام حول عقلية العرب الفكرية في تراثهم الأدبي؛ فقد اعتقد بعض النقاد على أنّ بلاغة الإقناع عند العرب عالية على سابقتها اليونانية، وحجّتهم في ذلك أنّ الأمر واضح في كتب الفلاسفة والنقاد العرب الذين تأثروا بكتابي أرسطو في الخطابة والشعر، والظاهر في هذه المسألة أنّ العرب قوم فصحاء بلغاء منذ الجاهلية، وصحة المنطق عندهم اقتضت صحة العقل وسلامة التفكير وتجلى ذلك في قوّة احتجاجهم على المعنى المقصود، وصحة برهانهم كذلك، ودليل ذلك هذا القول الأعرابية توصي ابنها (أي بُنيّ إِيّاك والنّميّة! فإنّها تزرع الضّغينة وتفرّق بين المحبّين، وإيّاك والتّعرض للعيون فننخذ غرضاً، وخليقٌ ألاّ يثبت الغرض مع كثرة السّهام...)4، فالمرأة إذ تعظ ابنها في اجتناب النّميّة تردف

<sup>1</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص18

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص19.

<sup>3</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص21

<sup>4</sup> ناصر بن فالح السعدي، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1426 هـ، ص25.



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

قولها بالحجة الظاهرة في بيان مفاصد ذلك الخلق الذميمة من ضغائن في المجتمع وفرقة للأحباب، ونفس الأمر لاجتناب ألاحظ البشر فإن حجتها في ذلك أنه مجلبة للمصائب على اختلافها.

إن مسألة الاحتجاج العقلي عند العرب كان ممارسة يومية ولهذا الغرض اتخذوا لأنفسهم الخطابة ميداناً لتعليم أبنائهم كما حرصوا على تعليمهم الشعر، واشتهر قس بني ساعدة في الخطابة، كما اشتهر النابغة الذبياني في المحاكمات الشعرية لقوة حجته وحسن تعليقه في نقده للأشعار<sup>1</sup>. ومسألة الاحتجاج العقلي عند العرب أكثر من أن يتسع لها المقام فنوجه القارئ إلى بحث أكاديمي قيم يثري معارفه في هذه المسألة بعنوان (الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي) للباحث ناصر بن فالح السعيد من جامعة أم القرى.

وخلاصة القول في مسألة الاحتجاج العقلي عند العرب أنه كان ظاهرة لغوية عقلية وتداولية تمارس يومياً حسب متطلبات الحياة، وليس لليونان في هذا فضل تعليم أو اكتساب سوى مسألة التنظير لبلاغة الإقناع من تعريف وتقسيم وتبويب وتأليف نظري لا غير. وهذا بغض النظر عن فتح باب حول إعادة التحقيق فيما تواطأ عليه النقاد مما نسب إلى أرسطو من معرفة بالخطابة وأصولها.

ويصرح الباحث في مبحثه هذا عن طبيعة المنهج المتبع في دراسته لبلاغة الخطاب الإقناعي العربي القديم، مسترشداً في منهجه " بالهيكل العام لبلاغة الخطاب عند أرسطو لشموليتها"<sup>2</sup>؛ لأن أرسطو وضع الخطوط العريضة لدراسة الخطاب الإقناعي مؤكداً على الحجج وأنواعها والفعالية التي تؤدّيها في ممارسة الإقناع على المخاطبين، إضافة إلى أخلاق الخطيب ونفسية المتلقي، وبراعة الأسلوب اللغوي الحامل للحجج المؤسسة للخطاب.

لكنّ التقيّد بمنهج البلاغة الأرسطوية في دراسة المتون العربية لا يعني - في نظر الباحث- الانسلاخ من خصوصيات لغتنا وطبيعتنا الثقافية، بل ينبغي المحافظة على خصوصيات الهوية الأدبية والثقافية عند تحليل النصوص العربية؛ " فنحتفظ لأنفسنا حقّ التعامل مع النصوص العربية بما فيها من خصوصيات"<sup>3</sup>، ولعلّ التعامل مع نصوص عربية بمناهج غربية من أشدّ التحديات التي يواجهها الباحثون العرب في عصرنا، فمنهم من غالى في الانصياع والخضوع للمنهج الغربي بكافة خصوصياته الثقافية ومرجعياته الفكرية، وآخرون لم يستوعبوا مكانزمات المنهج الإجرائية فنراهم يخبطون خبط عشواء في خلط واضح بين المناهج والاسترسال في الكلام الذي لا يروي القارئ من ظمًا.

<sup>1</sup> ناصر بن فالح السعيد، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي، أطروحة دكتوراه، 1426 هـ، ص 25

<sup>2</sup> العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 21.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 21.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

وقد أبلى الباحث حسناً في حديثه عن المصطلحات العلميّة التي وجدها في البلاغة الأرسطيّة محاولاً مواءمتها مع نظريته، مستعيناً بما جادت به البلاغة العربيّة من زخم مصطلحي ثريّ. وباعتبار المصطلحات مفاتيح للعلوم تُوطئ المجال فسيحاً أمام الباحثين لولوج ساحة العلم بثقة تامّة ونظرة علميّة شموليّة تدلّل الكثير من العقبات التي نعانيها اليوم، كما أنّ الخلط المصطلحي يُسلم العلم إلى الشطط والتفكك والغموض بين النظر والمنهج، ويلاحظ الباحث الأمر جلياً في بعض النظريات الغربيّة التي لم يستوعبها المترجمون والباحثون العرب، فتجدهم يتحدثون بكلام بدون أي معنى علمي مؤسس.

لم يفصل البلاغيون العرب القدماء في طبائع الخطباء والمتلقين النفسيّة كما هو عند اليونان، فوضع العمري كلّ ما يخصّ العلاقة بين الخطيب والمتلقّي في البلاغة الأرسطيّة تحت المصطلح البلاغي العربي (المقام ومقتضى الحال)؛ "فالبلاغيون العرب وإن لم يهتموا كثيراً بالدراسة النفسيّة والأخلاقيّة للمرسل والمتلقّي، حاولوا أن يدرجوا تحت عنوان : المقام والحال؛ ملاحظات كثيرة فيما ينبغي للخطيب أن يكون عليه، أو يراعيه من أحوال المستمعين"<sup>1</sup>، فقد قالوا لكلّ مقام مقال يقصدون مراعاة الكلام لسياقاته الحاليّة والنفسيّة حتّى يواطئ الخطيب غايته ويؤثر مقالته في مستمعيه، ويثمر الإقناع المنشود، فإنّ مصطلح المقام ومراعاة الأحوال شامل لكلّ ما ظهر في الدراسات الغربية حول طبعة النفس البشرية والاجتماعية.

### 3.2 أنواع الحجج ودورها في عمليّة الإقناع:

يضيف الباحث في مبحثه هذا دراسةً تخصّ أهمّ عنصر من عناصر العملية الإقناعية ومحورها المتمثّل في الحجّة. واعتمد الباحث في تقديم هذه النقطة على نصّ مطوّل وضعه أرسطو في كتابه الخطابة، فقد جعل أرسطو الحجج نوعين: صناعيّة وغير صناعيّة، كما اصطلح عليها بـ(التّصديقات) وهي الحجج التي يستعان بها على إثبات الدّعوى أو إبطالها<sup>2</sup>، ولا مشاحة في هذا الاصطلاح لأنّه ينطلق من سمة مميّزة للحجج في كونها تبني التّصديق بالقضيّة لدى المستمعين؛ فقد جعل أرسطو التّصديق بمثابة الاقتناع.

ولا نختلف في الدّور الأساس الذي تؤدّيه الحجج في تحقيق الإقناع، فعليها مدار الأمر جيّله ونجاح العمليّة الحجاجيّة برمتها، ونخصّ في هذا الأمر الحجج الجاهزة التي يصطلح عليها أرسطو بالتّصديقات غير الصّناعيّة التي لم يبذل الخطيب جهداً في بنائها؛ كالشّهود والوثائق والاعترافات؛ وتكتسب هذه الحجج قوتها من عدم القدرة على نقضها أو الطعن فيها نظراً لثبوتها واقعاً ووضوحها للمخاطبين بحكم مصدرها. وما على الخطيب إلّا حسن الاختيار وسلامة التّرتيب بينها في أسلوب لغوي متين، ومعاضدتها بأنواع الحجج الأخرى.

<sup>1</sup> في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 21.

<sup>2</sup> ينظر أرسطو، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت، 1979م، ص 244.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

أما الحجج (التّصديقات) الصّناعيّة فهي من بناء الخطيب صناعته وتحتاج منه المهارة والذكاء، إذ يؤلّف بين الأحداث والمشاهد ليستنبط ما يمكن استعماله كحجّة لصالحه، ويكثرُ هذا النوع من الحجج في الخطابة القضائيّة حيث يجتهد المحامون في صناعة الحجج المؤيِّدة والدّاحضة، وتعتمد الحجج الصّناعيّة كثيراً على سمعة الخطيب الأخلاقيّة كالأمانة والثّقة والمكانة التي يحظى بها لدى مخاطبيّه، وكذلك فطنته ودهاؤه واستعداده الفكري، وسرعة بديهته في الاستنباط والتّأليف ثمّ الاحتجاج المحتمل المقبول.

وإذا بحثنا في ثقافتنا العربيّة الإسلاميّة عن بعض نماذج التّصديقات الجاهزة في الخطابة الدّينيّة، ألفينا خطباءنا يستدعونها من الكتاب العزيز؛ آيات محكمات بيّنا لا يمكن الطّعن في ثبوتيّتها أو في قوّتها الحجاجيّة، وكذلك الاستشهاد بالأحاديث الصّحيحة المشهورة التي لا سبيل إلى ردّها، وكذلك أقوال الصّحابة الكرام، والعلماء المعترين. فهذه الحجج تعدّ العدة التقليديّة لخطباء الإسلام التي لا غنى لهم عنها.

أما عن التّصديقات غير الجاهزة فنجد الفقهاء خاصّة يجمعون الكثير من الأقوال والأحوال الظّاهرة والخفيّة للاحتجاج لحرمة أو جِلّ أمر معيّن، عن طريق مقابلة الأدلّة وتعزيد بعضها ببعض، وكذا بالقياس على مسائل أخرى ثابتت حكمها بنصّ محكم؛ كمسألة تحريم أيّ مادة مخدّرة للعقل فنُقاس بالخمير مثلاً، وتخضع لحكمه بعد استيفاء النّصوص القاطعة، والعلل المشتركة بين الخمر والمادّة التي تعمل عمله في ذهاب العقل. وهذا قياس خطابي لأنّ مقدّمات تحريم المخدّرات ليس صادقة بذاتها بل استنسخت صدقها من صدق مقدّمات قضية تحريم أخرى قامت على قياس برهاني مثل تحريم الخمر. وتقوم المحاجة على نقل التّوافق<sup>1</sup> من المقدّمات المتمثّلة في حرمة الخمر إلى النّتيجة المتمثّلة في تحريم الموادّ المخدّرة.

إنّ الحجج المبنوثة في الخطاب على اختلاف أنواعها تدرج عند أرسطو تحت التّقسيم الثلاثي (إيتوس، لوغوس، باتوس)<sup>2</sup>. أمّا مفهوم (اللّوغوس) الذي أحد ثلاثة ركائز في الخطابة فيقصد به الحجج المبنوثة في الخطاب. وذكر أرسطو من عوامل التّصديقات شخصيّة الخطيب وأخلاقه وسمعته لدى مخاطبيّه<sup>3</sup>، فالسمعة الحسنه والسيرة الطّيبة كفيّلة بتهيئة نفوس الجمهور لتلقي الحجج الواردة في الرّسالة اللّغوية الموجّهة بحكم معرفة السّابقة بمن يخاطبهم، والعكس كذلك؛ فالسمعة السيّئة كافيّة وحدها لنفور نفوس السّامعين وعدم قبولهم لأيّ حجّة يأتي بها ولو كانت صادقة. وخالصة القول أنّ شخصيّة الخطيب حجّة بذاتها يمكن أن تخدم الرّسالة الحجاجيّة إلى حدّ بعيد. وهذا ما عرف عند أرسطو (بالإيتوس).

<sup>1</sup> ينظر الحسين بنوهاشم، نظريّة الحجاج عند بيرلمان، ص41

<sup>2</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص75/76.

<sup>3</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص24/25.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

أما عن نماذج هذه الحجج المتعلقة بشخصية الخطيب في الخطابة الدينية عند المسلمين فكثيرة جداً لا يمكن حصرها، فللخطيب عند المسلمين مقام خاصٌ إذ يحظى بالتقدير والاحترام بين عامة الناس الذين يحضرون خطبه ودروسه في المساجد. ويكفي في هذا المقام مثال واحدٌ هو نبينا - عليه الصلاة والسلام- إذ يعدّ أفصح من نطق بالضاد، وخطبه العصماء لا زالت إلى يوم الناس هذا منوالاً يُحتذى، ونبراساً ينير الطريق أمام الخطباء، فكلّ الخطب الدينية تبنى وفق المنهج الذي اتّبعه - عليه الصلاة والسلام - في خطبه، وكان إذا خطب أسمع وأقنع بلا خلاف، لاعتبارات عدّة كسيرته العطرة قبل البعثة وبعدها، وحججه الربانية المقتبسة من مشكاة القرآن العظيم. وقد ذكر بيرلمان حجة السّلطة التي تقترب من حجج أخلاق الخطيب عند أرسطو وإن لم تواطئها، فالمكانة الأخلاقية بين الناس تهب لصاحبها سلطة ليس لغيره أن يكسبها.

وثالث عامل في التصديقات التي تبعث الاقتناع لدى الجمهور هي طبيعة هؤلاء الناس المقصودين بالخطاب وحالتهم النفسية وثقافتهم ومستواهم التعليمي ومرجعيتهم الدينية والإيديولوجية، وقد عرّفها أرسطو بـ(الباتوس). فالمتلقّي حالة الانبساط والسرور يكون أكثر استعداد لتلقي الخطاب والتصديق بما يحمله من حجج بمختلف أنواعها، أما في حالة الغضب أو الخوف أو انقباض النفس فيتعسر على الخطيب أن يمرر رسالته إلا بشقّ الأنفس.

والعوامل الثلاثة الأخرى الخاصة بطبيعة الجمهور من حيث الثقافة والتعليم والإيديولوجية فنحصرها جميعاً تحت مسمى (الهوية) التي تجمع طبائع الجمهور الدينية والثقافية والتاريخية، فهوية الجمهور عامل أساس لا بدّ من مراعاته عند إلقاء الخطاب، فإذا خطب الرئيس الأمريكي الشعوب العربية محاولاً إقناعهم بدور أمريكا في تحقيق السلام الشامل بين العرب واليهود فلن يأبه لخطابه أحد من الناس، ولن يذعن أبسط المستمعين لحججه مهما كانت قوتها وتصديقاتها.

### 4.2 الفصل الثاني: في أهمية المقام في الخطابة العربية :

اختار محمّد العمري (الخطابة العربية في القرن الأوّل الهجري) متناً لإجراء دراسته (في بلاغة الخطاب الإقناعي) في البلاغة العربية، فبدأ في الفصل الثاني من البحث ببيان أهمية المقام والحال لدى الخطباء العرب، فقد انتبه النقاد إلى هذه المسألة وتحدثوا فيها كثيراً تحت مسمى (مقتضى الحال)، وقد استشهد العمري بنماذج من البيان والتبيين للجاحظ<sup>2</sup> للدلالة على الاهتمام البالغ من الخطباء والنقاد بهذه المسألة ممارسة وتنظيراً.

<sup>1</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص25

<sup>2</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص31.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

والمقام عندهم هو سياق الخطاب غير اللغوي الذي يحمل المتكلم على إلقاء كلامه على وجه مخصوص؛ فبمراعاته للمقام ومقتضى الحال يحوز كلامه سمة البلاغة المنشودة<sup>1</sup>، "فيجب على الخطيب أن يعرف الأحوال العاطفية لمستمعيه ... حتى يمكنه الوصول إلى قناعاتهم"<sup>2</sup>. فلا ينبغي الإيجاز في الكلام في مقام الوعظ والتّعليم مثلاً، كما يتنافى الإطناب مع بلاغة الكلام في الرّسائل الدّيوانيّة وخطب الحروب، وأشهر مثال على ذلك من تاريخ الخطابة الحربيّة الإسلاميّة خطبة طارق بن زياد عند وقوفه على سواحل الأندلس.

اعتنى البلاغيون العرب بأهميّة المقام ومطابقتها لمقتضى الحال فتجلّى في باب علم المعاني؛ عندما عالجوا أضرب الخبر على حسب ذهن المتلقّي وموقفه من الخطاب. فقد ذكر الخطيب القزويني أضرب الخبر حسب أحوال المتلقّي تحت عنوان (أحوال الإسناد الخبري)، فجعله على أضرب ثلاثة؛ ابتدائي وطلبي وإنكاري، فالأوّل للمتلقّي خالي الذّهن من الخبر، والثّاني للمتردّد في قبول الخبر، فيحتاج المتكلم لتوكيده مؤكّداً واحداً، والثّالث للمنكر الجاحد للخبر فيضطرّ الخطيب إلى توكيد خبره بأكثر من مؤكّد<sup>3</sup>.

تعليقاً على طريقة الباحث في عرض هذا المبحث الخاصّ بمقامات الخطاب عند العرب القدماء، تجدر الإشارة إلى أنّ الباحث راح يسرد أقوالاً كثيرة في نصوص طويلة للبلاغيين والنّقاد والمناطقّة القدماء، مستهلاًّ كلامه بأقوال أرسطو اليوناني حول طبيعة المستمعين وأقدارهم ولزوم العناية بهم كلّاً حسب مكانته، ثمّ ذكر آراء الجاحظ وبشر بن المعتمر، وابن وهب وابن رشد وابن القيم... والملاحظ أنّ الباحث لم يحمل عناء النّدق والتّحليل لتلك الآراء، ودون تمييز بين حقولها الدّراسيّة؛ المنطق والبلاغة والفلسفة.

جاء سرد الباحث لهذه الآراء استقرائياً مباشراً من أصولها، مع تذبذب بيّن في وضع بعض المصطلحات دون تمييز بين خصوصيّة كلّ مصطلح، حيث نجده يستعمل مصطلح السّلفي مرادفاً لمصطلح الأصولي في قوله: "وقد أدّت دراسة الخطاب حسب أحوال الجمهور إلى الاختلاف بين دارسي الخطاب القرآني من الفلاسفة المتأثرين بالفلسفة اليونانيّة، والسّلفيين (الأصوليين) المسلمين"<sup>4</sup>؛ يقصد اختلاف المفاهيم بين من تأثر بالفلسفة اليونانيّة، وبين من إتبع طريقة أهل الأثر من علماء المسلمين. فوضعه لمصطلح الأصوليين بين قوسين بعد مصطلح السّلفيين\* يوحي للقارئ بالتّرادف بينهما، وهذا وهمٌ جليٌّ، وقد ضرب لذلك مثالا بابن القيم -رحمه الله تعالى- فهو سلفي وليس بأصولي. فالسّلفي أوسع من

<sup>1</sup> ينظر الخطيب القزويني، تلخيص المفتاح، مكتبة البشري باكستان، الطبعة الأولى 2010، ص10.

<sup>2</sup> العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص31

<sup>3</sup> القزويني، تلخيص المفتاح، ص14/13

<sup>4</sup> العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص36/35

\* السّلفيون : أهل الأثر أي أهل النّقل الذين يتخذون الوحيين؛ الكتاب والسّنّة أساساً مهمّاً في تلقي علوم الشريعة، أمّا الأصوليون فهم العلماء الذين يشتغلون بعلم أصول الفقه، والمصطلحان مختلفان تماماً.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الأصولي، كما لا يعتقد أن يكون كلّ أصولي سلفياً، فالسلفي كلّ متّبع للأثر أما الأصولي فهو العالم المشتغل بعلم الأصول.

ومما يستحسن ذكره والتعليق عليه هو انتباه العمري عند حديثه عن " الأسس المقاميّة لتصنيف الخطاب"<sup>1</sup> في الخطابة العربيّة ، حيث قرّر صعوبة تصنيف الخطاب فيها بحسب مقامها مثل خطابة اليونان؛ خطابة قضائيّة أو احتفاليّة أو تشاوريّة، وذلك راجع – حسبه- إلى طبيعة الدّين الإسلامي الذي لا يفرق بين ما هو سياسي واجتماعي وديني، فالإسلام لا يفرق فيه بين الدولة والدين<sup>2</sup>، لذلك جاءت معظم خطابة القرن الأوّل الهجري دينيّة؛ فالأحكام الاجتماعيّة دينيّة، والسياسيّة والقضائيّة، والمعاملات وحياة الفرد وحياة المجتمع كلّها لها مصدر قانوني واحد يتمثّل في شريعة نبيّنا محمّد p.

ورغم ذلك حاول الباحث مجتهداً تصنيف مقامات الخطابة تصنيفاً موضوعياً فقط، ولم يتطرّق فيه إلى بنية الخطابة اللّغوية أو جنسها الأدبي، أو المنهج الحجاجي المتّبع أو طبيعة الحجج الموظّفة فيها. وقد جعلها مقامات ثلاثة رئيسة، تتفرّع عنها مقامات أخرى ثانويّة : المقام الأوّل (مقام الخطابة الدينيّة) ويندرج تحته؛ مقام الوعظ والتّعليم والمناظرات المذهبيّة، و(مقام الخطابة السياسيّة) ويندرج تحته ؛ الحوار بين الأنداد والحوار بين الرّاعي والرّعيّة. والمقام الأخير؛ مقام الخطابة الاجتماعيّة وشؤون الحياة الذي تفرّع تحته مقام ( في التّنظيم الاجتماعي) ومقام ( في المشاركة الوجدانيّة)\*<sup>3</sup>. وهذا تقسيم يشبه إلى حدّ ما تقسيم أرسطو لأنواع الخطابة عند اليونان<sup>4</sup>، لكنّه أغفل مقامات خطابية أخرى وجدت عند المسلمين كالخطابة القضائيّة والحربية والتراسلية.

صنّف الباحث محمّد العمري الخطابة العربيّة في القرن الأوّل الهجري تصنيفاً موضوعياً، وضرب صفحاً عن المعايير الأخرى التي يمكن أن تكون أساساً لتصنيف آخر، كبنية الخطاب اللّسانيّة، والحجج المستعملة للإقناع ...، والتصنيف الموضوعي لأنواع الخطابة منهج قديم اتّبعه أرسطو كما ذكرنا آنفاً، وقد تعدّد هذا المعيار كما مثلنا لذلك أيضاً.

جعل أرسطو الخطابة ثلاثة أنواع بحسب موضوعاتها ومقاماتها، ونفس المعايير اتّبعته في تصنيف الشّعر العربي بحسب الأغراض التي تُظم لأجلها، وأغراض الشّعر هي موضوعاته المعلومة. وقد يصعب ابتداءً منهج آخر لتصنيف الخطابة العربيّة خاصّة؛ فشكل الخطاب اللّغوي سنّة متواترة بين الخطباء من عهد النّبّي – صلى الله عليه وسلّم-، حيث تبدأ

<sup>1</sup> في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص37

<sup>2</sup> ينظر نفسه، ص40

\* يقصد بالمشاركة الوجدانيّة مشاركة الخطيب جمهوره في عواطفهم في الحزن والفرح كثناء الموتى ... ويكون الخطيب حينئذٍ أقرب إلى الشّعر من الخطابة نظراً لما ينتابه من هيجان مشاعره تجاه المقام الحامل للخطاب.

<sup>3</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، من الصّفحة 40 إلى الصّفحة67

<sup>4</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص74/72.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الخطبة بمقدّمة ثمّ عرض وخاتمة\*. ولعلّ اقتصار العمري على الأنواع الثلاثة كافٍ لتفادي كثرة التقسيم، وتُجعلُ بقية الأنواع ثانوية تتشعب تحت الأنواع الثلاث.

### 5.2 الفصل الثالث: صور الحجج، القياس، المثال، الشاهد

قدّم الباحث في هذا الفصل أنواعاً من الحجج الخطيبية المستخدمة في الخطابة منذ القدم، وجعلها أنواعاً ثلاثة : القياس الخطابي، والاستعانة بالمثال، واستحضار الشواهد التي تخدم القضية من الخارج. وتعمل هذه الحجج على انسجام العقل مع منطق التفكير السليم المقبول، فالقياس والمثال يحققان الانسجام الداخلي في الخطبة وفق مبدأ التوافق وعدم التناقض<sup>1</sup>، مع تواطؤ الناس عليها، وتصويرها للواقع المراد تغييره إلى تأسيس واقع جديد. فتكسو هذه الحجج الخطاب انسجاماً وتآلفاً بين أفكاره وحججه التي تخدم قضية جوهرية وتحتاج لإثباتها أو نفيها.

أمّا الشواهد -حسب الباحث محمّد العمري<sup>2</sup>- فهي ما يسمّيه أرسطو التصديقات غير الصناعيّة<sup>3</sup> التي يأتي بها الخطيب جاهزة ليستعين بها في حجاجه كالشهود، والسّنن (القوانين)، والعقود، والأيمان، والتّعذيب: (ويقصد به أرسطو الشهادات المنتزعة بالتّعذيب)<sup>4</sup>. لكنّ الحجج غير الصناعية عند أرسطو أوسع ممّا ذكر العمري بأنّها الشواهد فقط، فالشواهد جزء من الحجج غير الصناعيّة قد تندرج تحت القوانين والشهادات. ويكمن دور الحجج الجاهزة في تحقيق الانسجام الخارجي بين فحوى الخطاب وما يؤيّد دعواه في الواقع من حقائق وشواهد تاريخية واقتباسات قرآنية وأحاديث نبويّة، واختيار الشاهد (الحجّة الجاهزة) يقوم على اعتبارات عدّة، مؤسّسة تأسيساً علمياً بحيث لا تسمح هذه الحجج للمتلقّي أن يردّها بأيّ نقض، نظراً لانسجامها مع الموضوع والتّحامها مع بعضها.

استعمل الخطباء العرب كلّ نوع من الحجج المذكورة؛ من قياس خطابي ومثل بلاغي، وشواهد جاهزة، وتتراوح قوة هذه الحجج بين الاحتمال إلى اليقين، ولا يشترط فيها القطع اليقيني؛ حتّى في الاقتباسات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف التي لا يردّها أحد لكنّ توظيفها على وجه معيّن هو ما يثبت طاقتها الحجاجيّة، ولطالما لجأ الخطباء الذين يوجّهون المتلقّي نحو إيديولوجيا معيّنة إلى الاستشهاد بما يُصدّق القضية ويغضون الطرف عمّا ينفضها من نفس جنس الحجّة المؤيدة ونفس مصدرها. فليست الخطابة دائماً تنشد العدل والحقّ إنّما هي أداة يستعملها صاحبها على الوجه الذي يريد.

\* فالمقدّمة تخصّص بعد البسملة وحمد الله -عزّ وجلّ- والثناء عليه، ثم الصلاة والسلام على نبيّه - صلى الله عليه وسلّم - ثمّ تمهيد وجيز يلجّ بهده الخطيب إلى عرض موضوع خطبته، وبعد عرض الموضوع عرضاً مفصّلاً، ينتهي بخلاصة يجمع فيها أفكار موضوعه مختصرة وبيان الغرض من الخطبة.

<sup>1</sup> ينظر محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص71

<sup>2</sup> ينظر محمّد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص90

<sup>3</sup> ينظر أرسطو طاليس، الخطابة، تح عبد الرحمن بدوي، ص71.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص71.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

ذكر الباحث عدّة نماذج للحجج الخطابيّة في الخطابة العربيّة فلا ضير أن نسرد بعضها بوجه مختصر:

أ- **القياس الخطابي** : القياس في المنطق الأرسطي يتأسس على مقدّمتين كبرى وصغرى ونتيجة حتمية لا مناص منها؛ حيث يُسحب الحكم الذي يخصّ المجموعة على كلّ جزء منها ضرورة لا مناص عنها<sup>1</sup>؛ مثاله قولنا : (سكان المدينة كلّهم مسلمون) = قضية كبرى، (محمّد من سكان المدينة) = قضية صغرى، النتيجة = (محمّد مسلم). كما تصحّ المقدمات المنطقية في نفسها دون إسناد لها بمقدمات أخرى. أما القياس الخطابي احتمالي لا يخضع للبداهة والضرورة المنطقية، بل يكفي بالأراء التي تستحسن في معالجة الأمور، ويسميه أرسطو بالقياس المضمّر<sup>2</sup>، ويكمن الفرق بين القياسين في قوّة المقدمات وصدقها، فالمقدمات الخطابيّة ليست بتلك المتانة التي تشترط في المقدمات المنطقية.

يعتمد القياس الخطابي على مبادئ عدّة عند أرسطو، اختار منها بيرلمان مبدئين أساسيين هما الكمّ والكيف، كالأقلّ والأكثر والأفضل والأحسن...، وكلّها تعتمد على القبول الذي تحظى به عند الجمهور، فالأكثر (الأكثر) عند الناس دائماً أحسن من (الأقلّ) وهذا حكم احتمالي\* لا يسلم من الخطأ، فالعمل القليل المتقن يفضل الكثير المغشوش، والإخلاص في القليل خير من الرياء في الكثير مثلما يفعل الخوارج إذ قال فيهم النبي  $p$  «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْزُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقَدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ»<sup>3</sup>، فالحديث الشريف يحذر من كثرة العمل على غير علم وعلى غير إخلاص، والإخلاص أمر نوعي وليس كمّي، فالعمل تبع للإخلاص، وتبقى مواضع الكمّ تابعة لمواضع الكيف. وسميت هذه الأنواع من الحجج في البلاغة الحجاجية بالمواضع<sup>4</sup> (عند بيرلمان). وقد تختلف أهميتها وطاقتها الحجاجية من مجتمع لآخر، ومن زمن لآخر.

ب- **مبدأ التّعارض**: ومن نماذج القياس الخطابي في الخطابة العربيّة : مبدأ التّعارض والتّضاد. واستخدمه الحجاج بن يوسف في قوله : " قد زعمتم أنّي ساحر، وقال Y (لا يفلح الساحر حيث أتى)، وقد أفلحت<sup>5</sup> . القضية الأولى ( زعمتم أنّي ساحر)، والثانية (وقد

<sup>1</sup> ينظر السيد صادق الحسيني الشيرازي، الموجز في المنطق، تحقيق مازن شاكر التميمي، إخراج وتنضيد كمبيوتر النور، ط 1/ ص 147

<sup>2</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 71

\* وكثيراً ما استشهد علماء الإسلام بذمّ الكثرة ومدح القلّة بشواهد قطعية من آي الكتاب العزيز.

<sup>3</sup> محمّد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج 6، ص 197. رقم الحديث 5058.

<sup>4</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 72. (وقد أتينا على ذكرها في الفصل الثّاني من الدراسة)

<sup>5</sup> منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الأبي (المتوفى: 421هـ) نثر الدر في المحاضرات، تح خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط 1، 1424 هـ - 2004 م، ج 5/ ص 22. (عبارة وقد أفلحت غير موجودة في المصدر كما ذكرها العمري)



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

أفلحت)، وفي كتاب ربّنا : (لا يفلح السّاحر)؛ فالنتيجة (لست بساحر وقد كذّبتُم) ، اعتمد الحجاج على مبدأ التناقض بين القضيتين ليخرج بنتيجة تخدم قضيته في الانتصار لنفسه. وقد استشهد بمصدر أوثق من مصدرهم، فالقرآن أوثق الشواهد عند المسلمين بلا منازع، إلا أن يحاول المحاجج أن يلعب على وتر الاختلاف في التأويل، فيؤوّل على الوجه الذي يريد ولو على حساب صريح النصّ.

ويُعتمد مبدأ التّضاد في البلاغة العربيّة كثيراً لتبيان المعاني من خلال معارضتها بأضدادها ويظهر ذلك في المحسنات المعنويّة خاصّة الطّباق والمقابلة، فبيان قيمة الأمن والسّلام يظهر بعرض مساوئ الرّعب والهلع الذي تخلفه الحروب. ولا تكاد تخلو حواراتنا اليوميّة من قاعدة التّضاد، فيها نعرف الحسن من القبيح والنّفيس من الزّهيد والحقّ من الباطل ..، وكلّ القيم الإنسانيّة التي نحى بها، والتي وُجدت بلاغة الحجاج للفصل فيها. وتظهر في تقنية الحجاج بالتّضاد الفائدة البلاغة للمحسنات التي تعتمد هذا المظهر كالتّطابق والمقابلة فينتسج أثرها من التّسعين المعنوي إلى الحجاج البلاغي.

ت- المثل : ومن الحجج الخطابيّة عند العرب استخدام المثل (المثال) أو ما يعرف في البلاغة بالتّشبيه والتّمثيل والاستعارة، وقد وجدت هذه الحجّة عند أرسطو وبييرلمان كما سلف ذكره. والمثل في القياس الخطابي هو كلّ ما يأتي به الخطيب من قضايا مشابهة لقضيته "على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما"<sup>1</sup>؛ يقوّي بها قضيته ويدعم بها حججه. ويقصد الخطيب عند توظيفه قضية مشابهة لقضيته الوصول إلى نتائج مشابهة للقضية المثل مع علمه بنتائج القضية التي استند إليها مثالا لقضيته، ويمتد المثل في الخطابة على مجال الاحتمال من الصّورة التّخييليّة (الأضعف يقينا) حتّى يقارب القياس المنطقي في اليقين.

استشهد الباحث على كلامه بمثال من القرآن الكريم حيث استخدم القياس الخطابي في صورة من صور المثل وهي التّشبيه، في قوله Y : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥٩ آل عمران 59).

في الآية قياس مضمّر لم تظهر نتيجته كفاية بنتيجة القضية التي شُبهت بها، فقد شُبه خلق عيسى ن بخلق آدم ن، وتلك فائدة التّشبيه حيث يغني المتكلّم عن ذكر نتيجة قضيته. والنتيجة المضمرة مفادها أنّ عيسى ن ليس سوى بشرٍ مرسلٍ مخلوق كغيره من البشر، وإذا استصعبتم – الخطاب موجّه لمن ادّعي ألوهيّة عيسى ن خلقه من غير أبٍ فكذلك خلق الله Y آدم ن من ترابٍ حيث لا يُتخيّل الخلق ولا يُتوقّع عند البشر، فما بالكم استغربتم خلق عيسى من أمٍّ دون أبٍ، والأولى استغراب أول خلق من ترابٍ. فاستفاد المتلقّي حكماً واحداً من

<sup>1</sup> عيد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص 93.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

القضيتين؛ المشكلة والمثل، الخلق من التراب ممكن؛ إذن كذلك الخلق من غير أبٍ ممكن بل هو أهون على الله سبحانه وتعالى عما يصفون.

لكننا لا نرى القياس في هذه الآية قياساً خطابياً لما يحويه من بدهاة تلزم بني إسرائيل بالاعتناع دون جدال، فهو قياس منطقي نظراً لنتائجه الضرورية، وإن أضمرت نتائجها بطريقة خطابية، وهذه من قوة التعبير القرآني إذ لا يذكر فيه ما هو ظاهر بين كنتيجة هذا القياس، وخلق هذا القياس من الاحتمال في نتائجه يخرج من دائرة الخطابة - والله أعلم - ، فربنا سبحانه أغنى الأغنياء من أن يحتج لقوله بالاحتمال. كما أن القرن الكريم يخلو من الحشو أي (تحصيل حاصل) ولنا نرى التصريح بالنتيجة المضمرة سوى حشواً يتنافى مع بلاغة القرآن الكريم.

جعل الباحث محمد العمري المثل (التمثيل) في الخطابة بمثابة الاستقراء في المنطق<sup>1</sup>، إلا الأمر ليس كذلك فالاستقراء والتمثيل من الأقيسة الخطابية التي توجد نظائرها في المنطق باعتباره مصطلحاتها مع اختلاف مفهومها بين الحقلين المعرفيين؛ فالاستقراء في المنطق : " هو الاستدلال من حال الجزئيات على حال الكليات"<sup>2</sup> أي إصدار الحكم على الكل بتتبع جزئياته فإذا ثبت نفس الحكم على الجزئيات يعمم على الكل، وعلّة التعميم الاشتراك في الحكم الواحد، كالحكم على كل الطيور بأنها تبيض بعد استقراء عينات كثيرة وثبت عليها الحكم ومن ثمة جاز تعميمه على الكل، إلا أن أحكام الاستقراء ليست قطعية بل احتمالية فقد يُستثنى عنصر أو أكثر من الحكم الكلي، كاستثناء طير الخفاش من الطيور التي تبيض.

أما التمثيل فهو " الاستدلال من الجزئي على حال جزئي آخر"<sup>3</sup>، وعلّة نقل الحكم من الجزئي الأول إلى الثاني هي المشابهة، فاشتراكهما في صفة معينة يجمعهما تحت حكم واحد، مثل قولنا : (المخدرات مثل الخمر)؛ فهذا التشبيه يجرّ الحكم الشرعي للخمر على المخدرات كنتيجة لقياس أضمر تحت التشبيه، وعلّة المشابهة بينهما هي السكر وذهاب العقل؛ أو ما يعرف في بلاغتنا بوجه الشبه، مما يؤدي إلى نتيجة واحدة من حيث حكمها الشرعي المتمثل في التحريم. لكن الباحث خلط بين المفاهيم حيث جعل المثل في الخطابة بمثابة الاستقراء في المنطق لعلّة المشابهة بين العناصر في القضيتين، ثم أورد تعريف المثل<sup>4</sup>، فوجدناه تعريفاً يخالف تعريف الاستقراء المنطقي، فالاستقراء يُبنى على استخراج سمة مشتركة في مجموعة من العناصر تمثل مجموعة نوعية، أما التمثيل فيقوم على علّة المشابهة الموجودة في المقدمتين الكبرى والصغرى؛ في القضية محلّ الحجاج والقضية

<sup>1</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 82

<sup>2</sup> السيد صادق الحسيني الشيرازي، الموجز في المنطق، تحقيق مازن شاكر التميمي، إخراج وتنضيد كمبيوتر النور، ط 1/ ص 147

<sup>3</sup> السيد صادق الحسيني الشيرازي، الموجز في المنطق، تحقيق مازن شاكر التميمي، إخراج وتنضيد كمبيوتر النور، ط 1/ ص 147.

<sup>4</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 82

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

المثال المقيس عليها، ومن ثمة الخروج بنتيجة واحدة تنسحب من المقدّمة الكبرى على القضية الصّغرى محلّ القياس.

تعدّدت أنواع المثل - كما ذكر الباحث- في تقسيم أرسطو للمثل فجعله تاريخياً ومصطنعاً<sup>1</sup>، فالمثل التاريخي يكون باستحضار وقائع تاريخية مشابهة في مشاهدتها ونتائجها للقضية محلّ الحجاج، كالذي يطرح تغيير مقرّ العاصمة الجزائرية إلى المناطق الداخليّة بحجة أنّ موقع العاصمة في الواجهة البحرية عرضة للأعداء والغزاة، ويستشهد على فكرته بما حدث في 1830م عندما احتلّ المستدمر الفرنسي الجزائر العاصمة بدون عنف، ولعلّ هذا الاستشهاد بالمثال التاريخي أن يكون له وقع قويّ في نفوس الوطنيين، باعتباره حجة قوية يصعب دحضها.

أمّا المثل الاصطناعي فيكون على نوعين، أولاً : الاستشهاد بمثال يقوي فكرة الخطيب يقوم على المشابهة، وثانياً : مثال خرافي يكون مختلفاً في الآداب الإنسانية كالقصص على لسان الحيوانات والشخصيات الأسطورية<sup>2</sup>؛ التي يبتدعها الخيال الإنساني ليعالج بها مظاهر اجتماعية معيّنة على سبيل المحاكاة دون التعرّض للمشكلة مباشرة خشية أمر معيّن كالخوف من الملوك، وتقادي التجريح.

يؤدّي المثل دوراً إقناعياً فعّالاً في الخطاب، لأنّه يُمكن الخطيب من تمرير أفكاره وإثباتها بقوة عجيبة، فإذا أخذنا مقام التعليم مثلاً عن الخطاب الحجاجي ، فإنّ المعلمين يعتمدون بنسبة كبيرة في تلقين طلبتهم عن طريق ضرب الأمثلة، فكلّ مفهوم علمي عدّة أمثلة تعزز الفهم والإقناع في المسائل العلمية الخلافية خاصّة كالنظريات العلمية التي لا تسلم من النّقد والمناقشة بين أهل العلم. وقد عرض محمّد العمري آراء بعض البلاغيين القدماء عن أهميّة التشبيه والتمثيل، من أهمّها ما قاله الزركشي عن المثل فإنّه " يستعمل لإخراج ما لا يعلم ببديهية العقل إلى ما يعلم بالبديهية، وما لم تجر به العادة وما لا قوّة له من الصّفة إلى ما له قوّة"<sup>3</sup>؛ وهذا الذي نسميه في البلاغة بتجسيد المعاني المجردة التي يبعد منأها عن العقول فتصوّر عن طريق التشبيه في صورة المعنى القريب المحسوس.

وأحسن ما قيل عن القوّة الحجاجية للمثل ما قاله الرّازي: " وَدَلِكْ لِأَنَّ التَّشْبِيهَ يُؤَثِّرُ فِي النَّفْسِ تَأْثِيرًا مِثْلَ تَأْثِيرِ الدَّلِيلِ"<sup>4</sup>، والدليل عندهم هو الحجّة؛ فجعل الاستشهاد بالمثال كالاستدلال بالدليل نظراً للأثر الحجاجي الذي يحدثه في نفس السّامع، بعد أن يقرب المعاني ويجليها ويكشف عن حقيقتها ويؤكد ثبوتها من عدمه. واستشهد لذلك بحال الذي يغتاب النّاس

<sup>1</sup> ينظر المرجع نفسه، ص82.

<sup>2</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص82.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص84

<sup>4</sup> أبو عبد الله فخر الدين الرّازي (ت 606هـ) مفاتيح الغيب التفسير الكبير، دار إحياء الثّراث العربي - بيروت، ط الثالثة - 1420 هـ، ج25/ص58.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

فحالُه كحال الذي يأكل لحم الميت، إذ لا يقدر هذا الأخير دفاعاً عن نفسه فكذلك الغائب لا يستطيع الردّ على افتراء المغتاب<sup>1</sup>، وفيه تشنيع عظيم لهذا الفعل لا يعقله إلا أولو العلم. وقد كثر هذا التّصوير البياني في القرآن الكريم، وفي الأدب العربي القديم بصورة لا يمكن حصرها، فقد كان العربي لا يستغني عن التشبيه للتعبير عن المعاني الكامنة في النفس.

### 6.2 الفصل الرابع : الأسلوب

بدأ الباحث (محمد العمري) فصله الرابع المعنون بـ(الأسلوب) بتمهيد حول موقعه في البلاغة العربيّة مقارنة باليونانيّة، فلم يهتمّ اليونان كثيراً بالطّابع الأسلوبي للخطابة بالقدر الذي اعتنى به المسلمون في البلاغة العربيّة<sup>2</sup>. فليس الأسلوب في كلام العرب بالأمر الثانوي إنّما يعدّ من أسس الكلام البليغ الذي يؤدّي المعاني الأنيفة في أساليب توازيها في الأناقة، لأنّ ضعف الأسلوب وركاكته يؤثّر على المعنى الشّريف بحيث لا تظهر قيمته للسامع بسبب الصّورة الأسلوبية التي حملته إليه، وقد نبهوا كثيراً على عيوب النّطق، والفصاحة و بلاغة الكلام وخلوه من التّعقيد، ومناسبة الأسلوب للمقام، فيختلف الأسلوب الخبري أو الإنشائي بحسب ظروفه وأحواله وطبائع الجمهور.

والعلّة التي جعلت أرسطو يجعل من الأسلوب أمراً ثانوياً في الحجاج كونه يؤثّر في السّامعين من ناحية العواطف والمشاعر، ويلهيمهم عن مصداقية الحجاج الواردة فيه؛ فلا ينتبه عقل المتلقّي إلى طبيعة الحجّة إنّ كانت تعتمد أقيسة خطابية سليمة أم تتخذ المغالطة وسيلة لتحقيق غاية الإقناع، وفي هذا الأمر شيء من الصّواب لأنّ النفس البشريّة تتأثّر بالكلام الفصيح البليغ والأسلوب الأنيق ممّا يغمرها بشيء من المتعة والنّشوة تُنسي العقل جوهر الموضوع ومصداقيته، وتصرفه عن معاينة ما يعرض عليه من قضايا تحتمل الصّدق وضده.

اهتمام العرب بالأسلوب يرجع - كما يرى الباحث - إلى ثقافته الأدبيّة، فقد نبغت العرب في قول الشّعر؛ فهو ديوانهم الذي أرخوا فيه أخبارهم وأنسابهم ومغازيهم، فلم يتركوا شاردة ولا واردة إلاّ أحصوها في ديوانهم هذا. والشّعر بطبيعته فنّ يعتمد مقاييس الجمال في كلّ جزئياته انطلاقاً من الإيقاع مروراً بالمعجم والأسلوب والموضوع... فأدمن العرب على الجمال الأسلوبي الشّعري له أثر بالغ في امتداد العناية بالأساليب إلى فنّ الخطابة<sup>3</sup>. ولم يكن الشّعر العربي كلّه غنائياً كما يذكر النّقاد إنّما استعمل الحجاج في الشّعر كثيراً خاصّة في الحروب والهجاء والتّقاض والشّعر السّيّاسي في عهد بني أميّة، فكان يعتمد الشّاعر على الحجج المنطقية وغيرها في قالب أسلوبي جميل يسكب فيه معانيه شعريّة وخطابية.

<sup>1</sup> ينظر مفاتيح الغيب (مرجع سابق) ص 58/59.

<sup>2</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 97

<sup>3</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 99

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

نبّه الباحث إلى طبيعة الأساليب ومناسبتها للمقام الخطابي، فأسلوب الخطبة في مواجهة الجمهور غير أسلوب المناظرات، وأسلوب النصّ الخطابي المكتوب غير أسلوب المشافهة في قاعات المحاكم، والمكتوب أكثر إحكاماً أما الشفوي فأكثر حركة<sup>1</sup>. وهكذا تتعدّد الأساليب الخطابيّة حسب المقام الذي تُلقى فيه وطريقة الإلقاء، لكنّ الباحث لم يعطِ تحديداً دقيقة لكلّ أسلوب والفوارق بين كلّ نمط أسلوبية وآخر، كما لم يذكر طبيعة الأسلوب الخطابي في الشعر العربي الذي مال إلى الخطابيّة أكثر منه إلى الشعريّة والتّخييل.

إنّ ظاهرة الإقناع في الشعر العربي القديم مسألة جليّة لا يمكن أن نختلف حولها، ولو أنّها أقلّ مقارنة بالتّخييل، فشعر الحكمة وشعر الرّهد ينضح بالحجاج، وذلك بتوظيف حجج عقلية واقعية دينية، وبلاغية كثيرة، فاعتمد الشعراء على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأمثال والحكم. فشواهد الحجاج الشعري شتى نستشهد منها بقول (عبدة بن الطيّب) إذ يوصي بنيه بقصيدة تعتمد الإقناع متوسّلاً في ذلك ثقافة دينية خالصة فيقول:

أوصيكم بتقى الإله فإنّه ..... يُعطي الرّغائب من يشاء ويمنّع  
وببرّ والدكم وطاعة أمره ..... إنّ الأبرّ من البنين الأطوع<sup>2</sup>

في أسلوب أدبي جميل يبتعد عن التّعقيد والغموض، يمارس الشّاعر في هذين البيتين الحجاج في أسمى صورّه، موظّفاً حججاً دينية مقتبسة من القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث لا يستطيع المتلقّي الجدال في مصداقية هذه الحجج، كما يخاطب الشّاعر وجدان المتلقّي (أبنائه)، فعاطفة الأبوة في حال كبر الأب ودنو أجله تمنع الأبناء أن يعصوا أوامرهم، فاجتمع حجاج العقل والوجدان معاً في قصيدة شعريّة مال أسلوبها إلى الإقناع العقلي (الواقعي) أكثر من التّصوير الخيالي، وأمثلة هذا النمط من الشعر الخطابي كثيرة في الشعر العربي.

كما وظّف نوعاً آخر من الحجاج يعرف بالحجاج اللّغوي، حيث يرى ديكر وزميله أنسكومبر أنّ اللّغة في تشكلاتها المعجميّة والصّرفيّة والنحويّة تؤدي فعلاً حجاجياً، كما ذكرنا ذلك في الفصل الثّاني حول النظريات الحجاجيّة. ومما وظّفه الشّاعر في هذين البيتين الفعل المضارع في قوله (أوصيكم) فيدلّ على إيعاز منه وحضّ باعتباره النّاصح الأمين الذي يخشى على أبنائه من بعده، وهذا ممّا يؤثّر في أنفس مستمعيه وينبّههم إلى استماع النّصيحة وأخذها مأخذ الجدّ، وبعد وصيته بطاعة المولى - تبارك وتعالى- يوظّف حرف التّوكيد (إنّ) وهو عامل من عوامل التّوكيد، ليؤكّد على صفاته Y، والتّوكيد بشتى صورّه اللّغوية يحمل شحنة إقناعيّة/حجاجيّة قويّة؛ حيث يراعي الخطيب حالة ذهن المتلقّي تجاه الخبر من قبول وتردد وإنكار في توظيف التّوكيد لغاية حجاجيّة بالدرجة الأولى.

<sup>1</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 97

<sup>2</sup> يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطيّب، دار التّربية للطباعة والنشر والتّوزيع، 1391هـ/1971م، ص 28.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

ومن مظاهر الحجاج اللغوي في البيتين توظيفه محسن الطباق في (يعطي/ يمنع)؛ وبلاغته في الكلام تجلية المعاني بتقنية التضاد التي ذكرها الباحث محمد العمري في تقنيات الحجاج في حديثه عن مواضع الكم والكيف التي اعتمدها أرسطو وبييرلمان. وتقنية التضاد بالمحسن البديعي (الطاق) تؤدي عملاً حجاجياً مهماً؛ فقول الشاعر (يعطي الرغائب) ترغيب السامع في نيل ما عند الله مما تحبه النفس وتشتهيه، ثم يعطف بقوله (يمنع) فينبه السامع أن الذي يعطيك هو الذي يمنحك، فانتهبه والتزم طاعته ولا تحذ عنها، وهنا ينبغي التنبيه على الفائدة الحجاجية التي تؤديها المحسنات البديعية على غير ما هو سائد بين البلاغيين القدماء.

كما لجأ الشاعر في البيت الثاني إلى توظيف صيغ التفضيل في قوله (الأبر/ الأطوع)، فأفادت هاته الصيغ المبالغة في المعنى وتقويته مقارنة باستعمال الصيغ العادية دون تفضيل، فتقوية المعاني بهذه الصيغ الصرفة مما يكتف المعنى الحجاجي في الجملة، كما نلاحظ علاقة طردية بين المعنى والحجاج؛ فكلمة قوي المعنى زادت قوته الحجاجية؛ حتى إنه ليندأخل الحجاج مع زيادة المعاني وتقويتها تداخلاً لا يكاد ينفك إطلاقاً، فكثافة المعاني في ذهن المتلقي عبارة عن محاجة حقيقية تقتضي استيعاب المعاني والإذعان لها وتبني الأفكار المطروحة.

يرى العمري أن علاقة الأسلوب بالخطابة راجع إلى الثقافة الشعرية العربية قديماً، فأدى ذلك إلى عناية الخطباء بالظاهرة الأسلوبية التي تصدر من الشعر نحو الخطابة، ونرى أن مسألة الأسلوبية الخطابية عند القدماء تصدر من الشعر الخطابي حيث لعب الشعر العربي القديم دور الناطق الرسمي باسم كافة الأنواع الأدبية؛ حتى أن تفسير القرآن الكريم لم يسلم من هيمنة الشعر<sup>1</sup>. فالخطابة أيام الجاهلية كانت شعراً في مناسبات كثيرة، وقد لعب الشاعر الجاهلي دور المحاجج المنافع المدافع عن القبيلة وعن الأشراف والأعراض... إلخ، فلا عجب أن نرى الخطابة في صدر الإسلام تتحلى بجله أسلوبية شعرية.

لم تعتن الخطابة اليونانية بالأسلوب والتخييل الشعري لأن أرسطو عدّها من معوقات الخطابة، لأن هذه الأخيرة تقوم على الوضوح بعيداً عن الغموض الذي يكثر في الشعر<sup>2</sup>، فالوضوح الخطابي يقصد إيصال المعنى مباشرة دون كلل في الأذهان، أو تلاعب على العواطف، أمّا الشاعر فلا يقصد عند نظم الشعر الوقوف على الوزن والقافية كما شاع في النقد القديم<sup>3</sup>؛ بل يقصد إثارة الوجدان أولاً عن طريق الانزياح الأسلوبي والغرابة التي تبعث

<sup>1</sup> ينظر الجرجاني عبد القاهر دلائل الإعجاز دار المديني (بجدة والقاهرة) تح محمود محمد شاكر ط3/ 1413 هـ ص26

<sup>2</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي ص102

<sup>3</sup> ينظر الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة 1401 هـ/ 1981 م ص20/19.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

على المتعة، فلولا غرابة التصوير والإيغال في التخيل والتّمرد على الأساليب اللّغوية لما تميّز الشعر عن باقي الكلام.

يعرض الباحث محمّد العمري في هذا الفصل نماذج من الخطب العربيّة في القرن الهجري الأوّل محاولاً تحليل أساليبها وطرق بنائها وألويات الخطباء في ذلك. فاستشهد الباحث بخطبة لعثمان بن عفّان  $\tau$  التي وجهها للخوارج الذين تمردوا عليه وطمعوا في الحكم<sup>1</sup>، فعرض العمري في تحليله للخطبة من ناحية البلاغة الشعريّة ومدى اهتمام الخطيب بفنون البلاغة القديمة؛ فوجد فيها استعارات وكنيات مبتذلة لكثرة ورودها على كلام النّاس العادي، فهي استعارات عاديّة لا ترقى إلى جماليات البيان الشعري المشهور لدى الشعراء<sup>2</sup>.

وقد شبّه الخطيب الخوارج بالحيوان المتمرد تشبيهاً ينبئ عن تعلق العرب وكثرة تعاملهم مع الإبل والخيول: (مثل النّعام يتبعون أوّل ناعق). ولا غرابة في هذه التّشبيّهات لأنّها نابعة من بيئة الخطيب، فلا يمكن الإتيان بصور غريبة عن ثقافة المتلقّي لأنّها ستكون بمثابة اللّغو الذي لا طائل يرجى من ورائه، كما أنّه لا يمكن مقارنة هذه الصّور بصور أخرى خارج سياقها الزّمني ومناسبتها التّداوليّة، فإنّها لا تستقيم هذه المقارنة أبداً لعدم تكافؤ الظروف المنتجة للخطاب. ولم ترقّ هذه الصور إلى مستوى التخيل الشعري لأنّها صور حجاجية بالدرجة الأولى جيء بها لأجل الاستدلال على حال الخوارج.

تستعمل الاستعارات العاديّة استعمالاً مناسباً لمقام الكلام -في نظر الباحث- فليس غرض الخطيب الإبهام إنّما الإيضاح بالابتعاد عن غموض الاستعارة (بمفهومها الواسع) إلى الوضوح بتوظيف الاستعارات التي يظهر فيها التّشبيه، وكذلك باستعمال المقابلة بين حال وحال، وهذا دون إسفاف بالمعاني. فقد أدرك الخطباء الغاية من الخطابة وما يناسبها من أساليب الكلام وصّور البيان، فلم يبالغ الخطيب اجتناباً لحيرة المتلقّي وشروذ ذهنه، فتشغل الأذهان بفكّ شفرات الخطاب البيانيّة؛ الأمر الذي يترتّب عليه إضاعة الغاية الحجاجيّة في الخطاب. أمّا عن قراءة العمري لخطبة عثمان  $\tau$  فلم تكن قراءة حجاجية كما جاءت بها قواعد البلاغة الجديدة، بل جاءت قراءته ساذجة حول أسلوب الخطبة وصّورها البيانيّة دون أيّ عرض للأثر الإقناعي في الخطبة وآلياته.

أمّا الاستشهاد بخطب الحجاج بن يوسف فكانت على غير خطب عثمان  $\tau$  فبعدما قرّر الباحث طبيعة الخطاب الواضحة من خلال الصّور الواردة فيه، عاد على آثاره ليقف على صّور أخرى للخطابة العربيّة القديمة، حيث نلّف الحجاج بن يوسف يسهب في استعمال الكنايات والاستعارات التي ترقى بالخطاب إلى رتبة البلاغة العاليّة، فقد أكثر من تقنيّة

<sup>1</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص103/104

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص104

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

التضاد في تصويره البياني مسخراً إيّاها حججاً قويّة تعود بالخطاب إلى غايته الأولى؛ غاية الإقناع لا غير، مع المحافظة على سلامة اللّغة وقمة البلاغة. وقد انتبه الباحث إلى مسألة توظيف الصّورة في مقام الحجّة<sup>1</sup> في خطب الحجاج الذي يهدف إلى الإقناع الذي يحشد له التّصوير والإيقاع على السّواء.

استشهد الباحث بعدّة صور من خطبة الحجاج لأهل الكوفة من بين هذه الاستعارات استعارة مشهورة في قوله (إني أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها وإني لأصحابها)<sup>2</sup>. ذكر العمري هذه الاستعارة وغيرها ثمّ شرع يشرحها شرحاً معجزاً ثمّ دلّ على دون التعرّض لدورها البلاغي أو الحجاجي، بل لم يُعرّض أبنته بالأثر الإقناعي في هذه الخطب مع أنّ المؤلّف مخصوص للخطاب الإقناعي. ويبدو أنّ الباحث في وقت تأليف الكتاب لم يكن قد اطّلع بعد على آليات الحجاج في البلاغة الجديدة. فقد انتبه البلاغيون الجدد إلى البنية الاستدلالية التي تبنى عليها الاستعارات والتشبيهات من خلال القياس بين طرفي الصّورة وأداء الغرض الحجاجي.

### 7.2 دور الإيقاع الصوتي في الأسلوب الحجاجي :

يعدّ المستوى الصوتي من الظواهر الأسلوبية القديمة في الخطاب العربي بل تعدّ من أهمّ مزاياه، فقد اهتمّ الجاهليون بإيقاع الخطاب الذي تعكسه المحسنات اللفظية التي تكسو الكلام إيقاعاً صوتياً مميزاً، ونغماً موسيقياً يشنّفُ أذن السّامع كلّما همّت نفسه بالشّرد والانسحاب. وليست الغاية من توظيف المحسنات جمالية فقط بل تعمل على تهيئة النّفس على تلقي الحجج الخطابية في جو من السّرور النّفسي متوسّلة في ذلك إحداث الإعجاب والمتعة. ولعلّ أهمّ المحسنات البديعية التي تخدم الإيقاع في الخطاب العربي القديم ظاهرتي السّجع والجناس.

إنّ الظواهر الصوتية في الخطاب تمهّد – كما ذكرنا- الطّريق أمام تحقيق الغاية الإبلاغية والإقناعية في أيّ خطاب من خلال العزف على وتر التّأثير الوجداني. ورغم هذه الأهمية الملقاة على عاتق الإيقاع إلّا أنّه لا ينبغي على الخطيب أن يجعل همه حشد المحسنات اللفظية (الصوتية) على حساب الحجج الموضوعية التي تعدّ جوهر الخطاب، فليس النثر كالنظم من حيث الإيقاع، فيمكن الاستغناء عن الإيقاع في الخطاب المنثور بعكس الشّعر الذي تميّز قديماً بالقافية والوزن خاصّة دون باقي الكلام. والمبالغة في السّجع والجناس تُفقد الخطاب لذته وغايته<sup>3</sup>، وتُسَلِّمُ الخطيب إلى التّكأف والتّعقيد الممقوت الذي عدّ من عيوب البلاغة. والمبالغة في توظيف المحسنات سيُفقد الخطاب طابعه الحجاجي ويجعل

<sup>1</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي ص106

<sup>2</sup> غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن أهرن (أو هارون) بن توما الملطي، أبو الفرج المعروف بابن العبري (ت685هـ)، تاريخ مختصر الدول، تح أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط3، 1992 م، ص112.

<sup>3</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص113



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

منه تراكمًا مقصوداً لظواهر أسلوبية ثانوية ليس فرضاً على الخطيب جمعها والاحتفاء بها إلا ما يخدم المعاني الأصلية في كلامه.

ويرى الباحث أنّ استخدام السّجع والتّوازن الصّوتي الصّارم في الخطاب قديماً – عند الكهان خاصّة – " يكاد يكون حجّة على صدقه"<sup>1</sup>، وليس الأمر كذلك فلا علاقة للإيقاع والتّوازن الصّوتي بالصدّق، بل يساهم التّنغيم الإيقاعي في الخطاب على زخرفة الحجج وتمويه مضمونها. كما أنّ المستوى الإيقاعي في الخطاب لا يسهم في الإقناع مباشرة كما نبّه إليه أرسطو<sup>2</sup>. كما أنّ السّجع وهو من المحسّنات الصوتية قد دُمّ على لسان نبينا  $p$  إذا كان تكلفاً مثلما يفعل الكهان<sup>3</sup> في قوله (إنّما هذا من إخوان الكهان)<sup>4</sup>، ولم نعثر على صيغة الحديث المشهورة على طريقة الاستفهام : (أسجع كسجع الكهان؟). ولا ندري كيف بدا للباحث أنّ الإيقاع الصوتي يخدم صدق الحجّة.

ثمّ عرض الباحث مجموعة من خطبهم التي تسبح غالباً في فلكٍ ديني خصب لأفكارهم، وفي حديثه عن السّجع في الخطابة الإسلامية ذكر الباحث رأي الناقد (القلقشندي) حول نوعي التوازن الصوتي<sup>5</sup>، فقد يقع في كلّ كلمات الجمل المتوازنة أو في الكلمة الأخيرة فقط، لكنّها آراء لا تعرض لغاية الحجاج ولا تخدم الوظيفة الإقناعية في الخطب، كما لا تمتّ إلى طبيعة البحث بصلة ممّا جعلها تبدو حشواً لا فائدة منه. ويمكننا التعلّيق على دور الإيقاع الصوتي في الوظيفة الإقناعية للخطبة أنّه دور ثانوي يخدم الجانب الشكلي الأسلوبي للخطاب دون تقوية الحجج المبنوثة فيه، بل يُخشى من الجمال الإيقاعي في الخطاب أن يصبح حائلاً دون تأمل المستمع للحجج المعروضة عليه على أتمّ وجه، ممّا ينجم عنه الانزلاق إلى طريقة السّسطة بالاعتماد على التّمويه المقصود للحجّة.

### 8.2 الفصل الخامس : ترتيب أجزاء الخطاب :

يقصد الباحث محمّد العمري بعنوانه (ترتيب أجزاء القول) ذلك المنوال الشكلي الذي يحرّر وفقه الخطاب، والمراحل التي تبني وفق خطة محكمة مدروسة، وينسب هذا التفصيل في مراحل الخطاب إلى كوراكس ثمّ أرسطو<sup>6</sup>. فيلزم الخطيب أن يبتدئ خطبته بمقدّمة يطرح

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 116

<sup>2</sup> ينظر أرسطو، الخطابة، ص 204.

<sup>3</sup> ينظر فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفانها، علم البيان والبيدع، دار الفرقان للنشر والتّوزيع، الطبعة العاشرة 2005م، ص 309/306.

<sup>4</sup> البخاري، صحيح البخاري، ج7، ص135، رقم الحديث 5758. نص الحديث (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُدَيْلٍ افْتَتَلْنَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَفَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا، فَأَخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى: أَنْ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ، فَقَالَ وَلِي الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرَمَتْ: كَيْفَ أَعْرَمُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ لَا شَرِبَ وَلَا أَكَلَ، وَلَا نَطَقَ وَلَا اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ يُطَلُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ»

<sup>5</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي ص 114

<sup>6</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي (مرجع سابق) ص 137

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

فيها الموضوع الذي سيعالجه، والغاية من هذه المقدمة أن يضع الجمهور في جو الخطاب ثم يلج إلى المرحلة الثانية؛ مرحلة العرض ويسمّيها بمرحلة حشد الحجج وسردها على المتلقّي وفق نظام تنازلي أو تصاعدي (من أقوى حجّة إلى أضعفها أو العكس) حسب ما يراه ملائماً، وفي الأخير يختم موضوعه بخلاصة تقتضي الهدف الذي يريد الوصول إليه، وهذا حسب طبيعة المقام والخطاب فقد لا يحتاج الخطيب إلى خاتمة.

أمّا أرسطو فليس يرى أهمية لجميع أجزاء الخطاب إلا ما يخص " العرض والدليل"<sup>1</sup>، ويقصد بالعرض تقديم القضية أمام الجمهور والمرحلة الثانية تقديم الأدلة عليها، وهذا في نظر أرسطو أهم شيء في الخطبة ككلّ. أمّا ما يذهب إليه الخطباء من تقسيمات إضافية لترتيب أجزاء الخطاب من مقدّمة وخاتمة فهي " تقسيمات مضحكة"<sup>2</sup>، ربّما يقصد أنّها من حيث المضمون فهي تقسيمات لا تخدم القصد الإقناعي للخطبة بل قد تفسده بسبب الحشو وتحصيل الحاصل والإطالة التي تبعث على الملل.

ويرى الباحث أنّ هذه المراحل العامّة للخطاب تستعمل فيها الأهواء في المقدمات قصد استمالة الجمهور عاطفياً بغية كسب استماعه، ثم في عرض البراهين والحجج تبدأ مخاطبة العقل بالمنطق الذي تتقبّله العقول<sup>3</sup>، فتكتسي الحجج بصبغة منطقيّة أو شبه منطقيّة عقلانيّة إلى حدّ يجعلها تؤثر في السامعين، ثم تأتي الخاتمة لتلعب دورها على مستوى العواطف أيضاً. والمعلوم في هذه المراحل الثلاث : المقدمة والعرض والخاتمة، التي يبنى عليها الخطاب قد أصبحت اليوم منوالاً عامّاً لا يخصّ الخطابة فقط بل تجاوزه إلى شتى أنواع النصوص؛ الأدبيّة والبحوث العلميّة، كما أصبحت منهجاً متّبعا في البحوث العلميّة المختلفة.

يقول الباحث عن هذه المراحل التي ذكرها في ترتيب أجزاء القول بعدما نسبها إلى اليونانيين أنّه لم يجد في البلاغة العربيّة القديمة ما يوافق هذا الطرح أو التقسيم المنطقي لأجزاء الخطاب، وهذا نصّ كلامه: " ولا نجد فيما اطّلنا عليه من خطب القرن الأوّل حرصاً على توقّر الخطب على نظام معيّن.... وهذا يبرّر عدم اهتمام البلاغيين العرب بتنظير هذا الجانب"<sup>4</sup>، لكن خطباء الإسلام في القرون الأولى قد حرصوا على البدء بالثناء والحمد والصلاة والسلام على المصطفى- صلى الله عليه وسلّم- ثم يباشرون موضوع الخطبة، ويختتمون بالنصح والإرشاد والدعاء والاستغفار. أمّا البلاغيون -على عكس ما رآه

<sup>1</sup> أرسطو طاليس، الخطابة، ص 237.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 137.

<sup>3</sup> ينظر العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 139

<sup>4</sup> في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 141



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

وسلم- خطبة عبد الله بن همام السلولي: تهنئة وتعزية<sup>1</sup>. وبعدما فرغ الباحث من سرد ملحق دراسته الذي لم يذكر فيه المنهج المتبع في ترتيب هذه الخطب، انتقل إلى فصل آخر وكان الأحرى أن يجعل الملحق آخر ما يكتب من البحث قبل الفهارس وفق منهجية البحث العلمي المتعارف عليها.

لم يدرس الباحث كل هذه الخطب حجاجياً، إنما كانت الدراسة والتحليل من نصيب خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي التي ألقاها لأهل الكوفة وأهل الشام، كما لم يوافق تحليل الباحث للخطبة قواعد المناهج الحجاجية المعاصرة التي وضعها بيرلمان وديكرو، كما أن الباحث لم يحدّد المنهج الذي اتّبعه في هذا التحليل، أو النظرية التي اتّكأ عليها في دراسته لهذه الخطبة، وكذلك المصطلحات المستعملة لا تتناسب والمعجم البلاغي الخاصّ بالنظريات الحجاجية المعاصرة، وجاء تحليل الخطبة موجزاً جداً موافقاً لما جاء في القسم النظري من هذا البحث نوعاً لا كمّاً.

### 3. نظرية الحجاج في كتاب (البلاغة العربية : أصولها وامتداداتها) :

فرغنا من مدرسة مؤلف (في بلاغة الخطاب الإقناعي) للباحث محمد العمري، وقد اعتبرنا هذا البحث حجر الأساس للدرس البلاغي العربي المعاصر، حيث تمكّن الباحث من بعث هذا الدرس البلاغي القديم الذي عفا عليه الزمن وتناسته الأعلام. وقد اتّخذنا من هذا المؤلف علامة مرجعية على طريق بحثنا نعود إليها كلما اقتضت الحاجة لقياس زاوية التحوّلات في درسنا البلاغي المعاصر، ولن ندرس كل ما ألفه الباحث في البلاغة إنما نرصد في بحثنا ما تعلق منها ببلاغة الإقناع تفادياً للتطويل والتزاماً بجوهر بحثنا، والله الموفق.

بعد الدراسة الحجاجية الأولى المحصورة في القرن الأوّل الهجري، تزداد لهفة العمري لمواصلة بعثه لنظرية (بلاغة الحجاج العربية) في مؤلف ضخم خصّه لتاريخ البلاغة العربية ومنجزاتها منذ نشأتها الأولى وصولاً إلى ما أنجزه حازم القرطاجني (ت684هـ) في مؤلفه منهاج البلغاء وسراج الأدباء، عنون الباحث كتابه بـ (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها)<sup>2</sup>، اعتمد فيه منهجاً تاريخياً نسقياً، حيث اقتفى أنساق البلاغة العربية القديمة وفق تسلسل تاريخي، بحث من خلاله عن أصول نشأة الدرس البلاغي العربي وإنجازاته على مدى سبعة قرون من الزمن.

<sup>1</sup> ينظر في بلاغة الخطاب الإقناعي من الصّفحة 125 إلى الصّفحة 134

<sup>2</sup> هذا الكتاب غني عن التعريف فقد بلغ شهرته المكتبات العربية شرقاً وغرباً وكتب له القبول بين الطلبة والأساتذة المختصين، صدر المؤلف في أواخر 1999م، عن دار إفريقيا الشرق بالدار البيضاء- المغرب. وأعيد طبعه طبعة ثانية سنة 2010م. جاء متن الكتاب في 532 صفحة، موزّع بين قسمين رئيسيين؛ الأوّل : الأصول وضمّ هذا القسم خمسة فصول، والثاني : الامتدادات وقد ضمّ أربعة فصول.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

يقتفي العمري في القسم الأول من (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) المشاريع الأولى لقيام البحث البلاغي ودوافعه، كالبحث عن سرّ الإعجاز، وإرواء التّزعات العقديّة (الإقناع في المناظرات بين الفرق)، والبحث عن مكانن البديع من الشّعر (نظريّة الأدب)، واستكمال النّسق اللّغوي النّحوي إلى نسق المعاني والبلاغة<sup>1</sup>، ثمّ يواصل تعقّبه لأثر الإنجازات المترتّبة عن هذه المشاريع في القسم الثّاني من الكتاب، وإلى أيّ مدى أصبح المشروع واقعاً قائماً على أسسه أو عدل عنها.

تمكّن الباحث من توزيع منجزات البلاغيّة القديمة وفق مشاريعها الأولى داخل حقل البلاغة والنّقد العربيين؛ الحقلين اللّذين طالما تداخلا إلى حدّ الثّماهي قديماً وصولاً إلى القرن الخامس حيث تبيّن خيط البلاغة من خيط النّقد على يد عبد القاهر الجرجاني 476هـ ثمّ كان الاستقرار البلاغي على يد السّكاكي 626هـ.

### 1.3 بواذر نظريّة الحجاج في البيان والتّبيين:

طرقَ الباحث مسألة الحجاج ووظيفة الإقناع في البلاغة العربيّة في الفصل الرّابع من القسم الأول من الكتاب تحت عنوان (المعرفة والإقناع، من البيان إلى البلاغة)<sup>2</sup>. وقد وضع أسّ هذا الفصل اتّكاءً على لبنة بلاغيّة قديمة في البلاغة والنّقد والأدب هي (كتاب البيان والتّبيين)<sup>3</sup> للجاحظ، ويرى الباحث أنّ تصنيف هذا الكتاب ضمن مجال معيّن من الدّراسات اللّغوية والأدبيّة ليس بالأمر المتاح إذ لم يترك الجاحظ مجالاً إلاّ وطرقه، فنجد فيه الأدب واللّغة والإعجاز والكلام والبلاغة والنّقد، وعليه ينشد الباحث محمّد العمري ضالّته في هذا المؤلّف لعلّه يظفر بشيء يشفي غليله في بلاغة الحجاج العربيّة قديماً.

يربط الباحث بين مفهوم البيان عند الجاحظ ووظيفته الأساسيّة التي يراها في الإقناع<sup>4</sup> متأثراً في ذلك بما شاع في عصره من علم الأصول وعلم الكلام والمنطق الأرسطي، فقد "حاول -الجاحظ- صياغة نسقٍ سميائي في ضوء الهموم المنطقيّة الإقناعيّة لعصره التي لا يمكن أن يغيب عنها المنطق الأرسطي"<sup>5</sup>. بعد مفهوم (الفهم)، أضفى الجاحظ مفهوماً جديداً لمعنى البيان يدور حول مفهوم الإقناع الذي يحلّ مباشرة بعد تمام عمليّة الفهم، وبعدهما يفهم الخطيب جمهوره يلجأ إلى مرحلة الحجاج لغاية الإقناع بما عرضه من أفكار.

### 1.1.3 مفاهيم حجاجيّة في البيان والتّبيين :

لم يترك الباحث محمّد العمري نظريّة الإقناع في البيان والتّبيين هملاً، إنّما راح يحتج عليها بشواهد من كلام الجاحظ في مؤلّفه تؤيّد بوضوح بواذر نظريّة مبكّرة في بلاغة

<sup>1</sup> ينظر محمّد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، دار إفريقيا الشرق، الطّبعة الثّانيّة 2010م، ص28/27/26.

<sup>2</sup> العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص187.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص189.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص195.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص196.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الحجاج العربيّة. وقد سرد الباحث فقرات من البيان والتبيين تقاسمت ألفاظاً ومعاني تُطلُّ من حقل الإقناع ونذكرها وفق ورودها في شواهدا (إبلاغ رسالته، والإبانة عن حجته، والإفصاح عن أدلته/ إخلال الحجة، درك الحاجة/ أفصح مني..، رداءً يصدقني/ الإفصاح بالحجة، وضوح الدلالة/ والعقول عنه أفهم والنفوس إليه أسرع/ بلاغة المنطق، بلاغة اللسان واللدد عند الخصومة/ خلاصة السننهم، بحسن منطقتهم/ فاضطره بالحجة بالبيان والإفصاح/ الاحتجاج على أرباب النحل، ما تستمال به القلوب وتثنى به الأعناق وتزيّن به المعاني/ تقرّبها للفهم وتجليها للعقل)<sup>1</sup>، أوردنا هذه العبارات وفق تسلسل ذكرها في فقراتها، أما اختيارها فقد جاء على عناية ودراية، قصد الباحث منها تبيان الغاية الإقناعية من مفهوم البيان لدى الجاحظ في مؤلفه.

القاسم المشترك بين كلّ العبارات التي استشهد بها الباحث هو مفهوم الحجاج والإقناع، وكلّها وارد في مطلع (البيان والتبيين)، لكنّ آراء المحقّقين والدارسين لهذا المؤلف قد تضاربت حول مقصد الجاحظ من تأليفه؛ فهل كان يقصد إلى بناء نظرية في الإقناع وطرقه وعياً منه بذلك؟ أم أنّ الأمر مجرد جمع جاء على غير نظام ومنهج غير مضبوط؟ وهذا " نتيجة الاستطرادات؛ أي أنّه ليس ذا استراتيجيّة محدّدة ومضبوطة"<sup>2</sup>، فقد عُرف الجاحظ بثقافة واسعة مكّنته في جمع مادة غزيرة في كتبه، جعلت منها معينا ثرياً للنقاد والبلاغيين من بعده، وكلّ يأتيه من الزاوية التي يحتاجها.

غياب المنهج وسعة الفكر ألجأت الجاحظ إلى مقايضة مصطلح البيان بمصطلح البلاغة بصورة اعتباطية، إذ لم يذكر المسوّغ المنطقي في هذه المقايضة، كما وصفها العمري<sup>3</sup>، وسرعان ما تُسلّمه استطراداته إلى تعليم الخطابة<sup>4</sup> بدافع مذهبي اعتزالي، فقد كان همّ مشايخ المعتزلة مقارنة الخصوم من أهل الملل والنحل بالحجة الداحضة بفصاحة وبيان لسان وموافقة المقام والحال. وقد أحدث الصّراع المذهبي ازدهاراً في بلاغة الخطاب في الخطب والمناظرات بين رؤوس الفرق والمذاهب الإسلاميّة وغير الإسلاميّة.

### 2.1.3 التّداول في البيان والتّبيين :

يستخرج محمّد العمري من البيان والتبيين دلائل عدّة تدعم نظريته في كون هذا المؤلف تمهيداً مهمّ لنظريّة الحجاج العربيّة التي انزوت فيما بعد. وهذه المرّة ينبّه على اهتمام الجاحظ بمسألة المقام والمناسبة في بناء الخطاب، حيث يقول : " ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات..."<sup>5</sup> ، وهذه

<sup>1</sup> ينظر العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص197/198

<sup>2</sup> المرجع نفسه ،ص189.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه ص201

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص210

<sup>5</sup> الجاحظ ، البيان والتّبيين 1/139.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

المصطلحات أصبحت اليوم نظريةً مستقلة بذاتها تعرف بالتداولية، ومن أبرز المفاهيم التي قامت عليها ما ذكره الجاحظ عن أقدار المعاني وأقدار المستمعين؛ أي مراعاة أحوال المتلقين قبل التلّفظ بالخطاب، واصطُح عليها في التداوليات المعاصرة بالسِّياق أو التّداول، وقد ذكرنا في الفصل الأوّل العلاقة المتينة بين نظرية الحجاج والنّظرية التّداولية؛ علاقة الفرع بالأصل.

لم تنضج نظرية البلاغة الشعريّة (بلاغة الصّور) في زمن الجاحظ، إذ لم يُعتنَ بها مثل المتأخّرين، إذ لم يجعل الجاحظ البلاغة في الانزياح الأسلوبي من مجازات واستعارات وبديع، فقد تعلّقت نظرية البلاغة عنده بمقام الخطاب والظّروف المحيطة به، والتي تعني عنده " التّلاؤم بين نوع الحديث وملابساته ونوع اللّفظ؛ فلجِدّ موضع وشكل، وللهلز موضع وشكل، كما أنّ للفلسفي نهجاً في الأداء يختلف عن الأداء في التّوادر والحكايات، و للإيجاز موضع وللإطالة موضع، كما أنّ للكناية موضع، وللتّصريح موضع، وللوحي موضع وللإشارة موضع آخر"<sup>1</sup>، وهذه الملاحظات دلالة ظاهرة على دراية الجاحظ بمعنى البلاغة الأكمل والأوسع قبل اختزالها في الشعريّة، فليست أهميّة الصّورة الشعريّة عنده في ذاتها، وإنّما في مجانستها لظروف للخطاب، و توافق المعاني مع سياقاته التّداولية والحجاجيّة، كما أثبتته الدّراسات البلاغيّة المعاصرة.

كما حدّد الجاحظ مفهوم البلاغة عبر وظيفتها من خلال ممارسة الخطباء والخصوم في المناظرات الكلاميّة، ولعلّ أهمّ وظائف البلاغة الوظيفية الإقناعيّة بمفهوم الخطابة اليونانيّة التي تدور في حقل "الإقناع والاحتجاج والمنازعة والمناظرة"<sup>2</sup>؛ وهذا يدلّ على إلمام الجاحظ بمفهوم البلاغة الوظيفي على ما أدركه من سلفه في هذا المضمار، ولم تتحوّل البلاغة بعد إلى البديع والانزياحات الشعريّة.

كما تكتسب الخطابة العربيّة القديمة طابعاً تداولياً من طبيعتها الاجتماعيّة<sup>3</sup>، إذ تعالج المواضيع التي تسوس حياة المجتمع من قضايا دينيّة أو سياسيّة أو مظاهر أخلاقيّة. كما أنّ بلاغة الحجاج اليونانيّة والنّظرية العربيّة المعاصرة كلاهما تُعنى بأحوال المجتمع وتطمح لقيادته نحو فكرة ما متوسّلة الإقناع في ذلك، وعليه فإنّ الجاحظ قد طرق في بيانه المقومّات الأساسيّة التي قامت عليها نظرية الحجاج العربيّة، لكنّه لم يصرّح إنّ كان قد اطّلع على أعمال أرسطو، أم إنّ الأمر مجرد توافق في الأفكار.

<sup>1</sup> حمّادي صمّود، التّفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السّادس، منشورات الجامعة التّونسيّة 1981، ص 302

<sup>2</sup> العمري، البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، ص 187

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 209/208

### 3.1.3 الاحتجاج بالإشارة عند الجاحظ :

في بحثه عن وسائل الإقناع التي يحتاجها كل خطيب، يشير الجاحظ إلى الوسائل غير اللغوية وقد بوّب لها بعنوان (الإشارة)<sup>1</sup> وقد جعلها من طرق البيان الخمس. ورأى العمري أنّ البيان أوسع من البلاغة في ضمّه للغة الإشارات، أمّا البلاغة فتتّحصر على البيان بوساطة اللفظ المنطوق فقط<sup>2</sup>، وهنا يبدأ مفهوم البيان الأوسع إلى الانحسار نحو البلاغة بعدما تقادى البلاغيون التّقيب عن بلاغة الإشارات التي ذكرها الجاحظ في كتابه، وهي اليوم نظريّة نقدية قائمة بذاتها تعرف بالسّمياتيات.

الإشارة المصاحبة للفظ من الوسائل الخطابية الموظّفة في الإقناع عند الخطيب العربي، كما رآها (الجاحظ)، إذ كان يحاجج الشّعوبيين المعارضين الذين عابوا على خطباء العرب استعانتهم على البيان بالإشارة والعصا<sup>3</sup>. فيقتنص (العمري) هذه اللّطيفة في لمّ شمل نظريّة الحجاج الفتية ونشأتها مع الجاحظ بغيّة رفع قواعدها، إذ تعدّ الإشارات وجمال الهيئة وحسن السّمات من وسائل الخطابة المعينة على أداء البيان والحجاج، فلا يمكن أن يقبل الجمهور كلاماً من خطيب رثّ الهيئة والملبس، فالعين تنفر منه قبل الأذن والقلب، فعلى الخطباء الاعتناء بهذا الجانب المعين على إبلاغ الرّسالة ونجاح العمليّة الحجاجية.

ينتهي الباحث (محمد العمري) بعد دراسته للبيان والتّبيين إلى مسألة مهمّة؛ كان قد أثارها قبل خمس عشرة سنة في مؤلّفه (في بلاغة الخطاب الإقناعي)؛ أين نقّب عن الشّطر النّداولي في البلاغة العربيّة القديمة، فخلص في بحثه هذا إلى قنص اللّبنة الأولى من بلاغة الحجاج العربيّة التي ألفاها شبه مكتملة عند الجاحظ (ت255هـ)، ويرى الباحث بلاغة الإقناع أسبق من بلاغة الصّور (الشّعريّة)، لكنّها لم تلق العناية التي احتقت ببلاغة الشّعور. ولا بدّ أن نفرّق في هذا المقام بين بلاغة الحجاج كنظرية وبين الحجاج كممارسة وجدت منذ أيام الجاهلية في الخطابة والشّعور العربي<sup>4</sup>.

ويعزو الباحث إصرار (الجاحظ) على إقامة مشروعه (بلاغة الإقناع) في عصره إلى الظروف التي عاشها المجتمع العربي عقب صراعات الأحزاب على الحكم (بين بني أمية والخوارج)<sup>5</sup>، فقد سادت لغة السيف والمال وغابت لغة الخطاب العقلاني والمنطقي، مجتمع تجبر فيه الحكام، وسكت أهل الحقّ عن الباطل، واختلفت الفرق وتشعبت الأهواء تبعاً للمل والنحل، فكان لزاماً على العقلاء الانتصار للمذهب بإيجاد مخرج من الخلاف بأسلم الطرق متمثلة في الخطابة؛ بلاغة الإقناع والتأثير بالحجّة العقلية والقول البيّن السديد. وكذلك كانت النّزاعات دافعاً على قيام الخطابة عند اليونان كما سلف وذكرنا، فصارت ظروف الصّراع عاملاً مشتركاً بين المجتمعات في اللّجوء إلى السّلام بالقول والحجّة ونبذ العنف والصّراع.

<sup>1</sup> الجاحظ، البيان والتّبيين ص82.

<sup>2</sup> ينظر العمري، البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، ص206

<sup>3</sup> ينظر الجاحظ، البيان والتّبيين، ج3/ص91

<sup>4</sup> ينظر ناصر بن فالح السعدي، الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي (أطروحة دكتوراه)، ص22،23،24.

<sup>5</sup> ينظر العمري، البلاغة العربيّة، ص210.



### 2.3 أثر (فنّ الخطابة) في البلاغة العربيّة القديمة :

يخصّص الباحث (محمد العمري) في الفصل الخامس مبحثاً لكتاب أرسطو (فنّ الخطابة)، حيث أبرز كيفية تلقّي البلاغيين والفلاسفة العرب لهذا المؤلف. نلاحظ أولاً أنّ (فنّ الخطابة) لم ينل نصيباً كما ناله كتاب (فنّ الشّعر) من الدّراسات البلاغيّة العربيّة قديماً وحديثاً؛ وأقرب شاهد لهذه المسألة هو الكتاب الذي بين أيدينا ونحن بصدد دراسته (البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها)؛ إذ وجدنا العمري قد خصّ (فنّ الشّعر) بثلاثة أضعاف ما خصّ به (فنّ الخطابة)، لعلّ أهمّ سبب لاهتمام العرب بفنّ الشّعر طبيعة العقلية العربيّة التي طالما قدّمت الشّعر على بقية الفنون الأدبية ومكّنته من التّربّع على عرش الأدب العربي منذ الجاهلية. أمّا بقية الأسباب ذلك فليس محلّ سردها الآن، ولعلّها تحتاج بحثاً مستقلاً.

يقول العمري أنّ كتاب فنّ الخطابة " قد أخذ كقطع غيار في مجال البيان والنّقد"<sup>1</sup>، ويرجع ذلك إلى التّعامل الذي تعامله البلاغيون القدماء مع هذا الكتاب؛ فقد كانوا يأخذون منه شذرات متفرّقة حسب ما يحتاجونه في تأييد نظراتهم البلاغيّة. ويرجع ذلك لكون المدوّنات البلاغيّة العربيّة لم يخصّص فيها جزء مستقلّ لنظريّة الإقناع كما فعل أرسطو، بل سنجد المفاهيم البلاغيّة الخطابيّة متداخلة مع المفاهيم الشّعريّة، وموزّعة على كلّ أبواب البلاغة العربيّة القديمة. بل يمكننا الخلوص إلى نتيجة مفادها أنّ البلاغيين والنّقاد العرب الذين أسّسوا للنّظرية البلاغية العربيّة قد قصّروا في حقّ نظرية الحجاج التي نالت نصيبها كاملاً من الممارسة البلاغية لدى الخطباء والشّعراء على السّواء.

نعزو هذا التّداخل بين الأقوال الشّعريّة والأقوال الخطابيّة في المؤلّفات البلاغيّة العربيّة إلى طبيعة المنهج الذي قامت عليه النّظرية البلاغيّة القديمة؛ فهناك اختلاف واضح عن النّظرية اليونانيّة الأرسطيّة، فقد اعتمد أرسطو بداية على الفصل بين الشّعر والخطابة فصلاً تامّاً مع إقراره ببعض التّداخل في الأسلوب والصّور حسب ما يخدم نوع الخطاب، أمّا العرب فقد أسّسوا لنظريّة تخصّص جنس القول أينما حلّ جنسه، فبعد أن وضع النّحاة شروط سلامة القول على مستوى الكلمة والتّركيب، واصل البلاغيون ذلك ببناء تصوّر لأوجه إيراد المعاني ومراتبها من حيث الصّحّة والمناسبة والأسلوب والإغراب.

ولنا في علم المعاني خير شاهد على عناية البلاغيين القدماء ببلاغة القول عموماً في الخطابة والشّعر، ونستشهد على المفاهيم الخطابيّة الواردة في خطابة أرسطو والخاصّة بالمتلقّي (الباتوس) بما جاء في البلاغة تحت (باب أضرب الخبر)، وأساس تقسيم الخبر إلى الأوجه الثلاثة (ابتدائي، طلب، إنكاري) إنّما كان مراعاةً لحال المتلقّي من خلو الذّهن من الخبر أو التّردّد أو الإنكار، وتندرج هذه الأحوال الثلاثة عند أرسطو تحت الأحوال النّفسيّة للمتلقّي (باتوس).

<sup>1</sup> العمري البلاغة العربيّة، ص 273 .

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

وكذلك نجد التداول والحجاج في (باب الإنشاء) معياراً أساسياً يُعتدُّ به أولاً قبل الجانب الأسلوبي والجمالي؛ فالمتكلم بالعربية يعدل عن نوع إنشائي إلى آخر وفق قانون الأنفع والأنسب للمقام، وهذه ركائز النظريات المعاصرة؛ التداولية والحجاج. فإن خروج الاستفهام عن ظاهره يكون لغاية بلاغية يستدعيها المقام كما ذكر ذلك القدماء، ولننظر في هذا إلى قوله Y: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ ۝ ١١٦ المائدة (116).

يسأل الله Y نبيه عيسى U وهو الذي لا يخفى عليه شيء من مثقال ذرة في الأرض والسماء! إذن ما الغاية من هذا الاستفهام؟ نقول – وبالله التوفيق- أن الاستفهام في الآية الكريمة سيكون يوم القيامة في مقام إقامة الحجّة على النصارى الذين ادّعوا ألوهية عيسى U وأمه مريم الصديقة- وإلجامهم وكفهم عن الجدل؛ ويكون بجواب عيسى U بأنه يتبرأ من هذا الفرية التي نسبها إليه النصارى الذين أشركوا من بعده. فالاستفهام البلاغي في هذه الآية أسلوب حجاجي بامتياز بل تجاوز الحجاج الذي يقوم على منطق الاحتمال إلى مرحلة التبكيت حيث لا يستطيع المتلقي الإنكار أبداً.

ولم يفرّق القدماء بين الخطابية والشعرية فقد كانوا يأتون بالشاهد المناسب للفنّ البلاغي دون مراعاة المتن الذي ورد فيه؛ شعراً كان أو خطابة، لأنهم لم ينتهجوا منهجاً يفرّق بين الشعر والخطابة ودور كلّ منهما، إنّما كانت الغاية التوصل إلى الفنّ البلاغي مجتزأً من سياقه النصّي، لذلك قيل أنّ البلاغة العربية القديمة كانت بلاغة جملة ولم ترتق إلى بلاغة النص<sup>1</sup>، وهذه المقولة تبدو صحيحة إذ لم نجد دراسات بلاغية لنصوص كاملة، بل جاءت على أقل من الجملة أحياناً من خلال تتبّع الشاهد البلاغي فقط.

أورد العمري في مبحثه هذا (فنّ الخطابة) رؤية ابن سينا في تصنيفه لدرجة اللّغة الخطابية بين مستويين، فجعلها درجتين؛ دنيا وعليا، كما جاء عن أرسطو في مفهوم الوضوح والاعتدال<sup>2</sup>، ويقصد أرسطو بالوضوح أن تكون اللّغة مفهومة واضحة تخضع لمعايير السلامة اللّغوية، أمّا الاعتدال فيقصد به التوسط في استعمال الصّور البلاغية المجازية خاصّة، فالمجاز "يعطي الوضوح والمتعة... لكن يجب علينا أن نستعمل المجازات والصفّات الملائمة؛ ويتحقّق هذا بالتزام المناسبة السّليمة"<sup>3</sup>، فلا ينبغي –حسب أرسطو- المبالغة في استعمال التّصوير الذي يُسلم صاحبه للتّعقيد والغموض، فليست لغة الخطاب مثل

<sup>1</sup> ينظر محمّد عبد المطّلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، ط2، ص19.

<sup>2</sup> ينظر العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص.272.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص.273.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

اللغة الشعريّة التي يعنى فيها بالغرابة، لأنّ الخطيب يواجه جمهوراً متفاوتاً في مستوياته الثقافية، فيعمد إلى مراعاة أحوالهم، بينما يقصد الشاعر الطبقة المثقفة في المجتمع.

والخلاصة من الفصل الخامس الذي خصّصه الباحث لتلقّي العرب للبلاغة الأرسطيّة وليس اليونانيّة – كما جاء عنوان الفصل- أنّ النقاد والبلاغيين والفلاسفة العرب قد اعتنوا بفنّ الشعر أكثر من فنّ الخطابة، وقد وقع الباحث في نفس ما وقع فيه القدماء – كما ذكرنا- ونرى لهذه الظاهرة عاملين رئيسيين :

- أولاً : العقلية العربيّة التي تميل إلى فنّ القول الشعري منذ العصر الجاهلي، فقد وصلتنا أخبارهم شعراً في معظمها، ولا وجه للمقارنة بين التراث الشعري القديم ونظيره من النثر على مختلف فنونه. وبداية فقد نشأت البلاغة العربيّة منذ إرهاباتها الأولى على تتبّع الغرابة في الأقوال الشعريّة ووضع معايير تحكمها.
- ثانياً : إنّ قواعد البلاغة العربيّة لم تقم على منهج شكليّ يفصل بين الأقوال الشعريّة والخطابيّة، إنّما على وصف جوهر القول (معاني، بيان، بديع)، ووجه البلاغة فيه بغضّ النظر عن شكلّ الخطاب (شعر/ نثر/ قرآن) الذي ورد فيه، ومن ذلك نرى البلاغي يستشهد على أسلوب معيّن بشواهد من الشعر ومن القرآن الكريم ومن النثر العربي ، ومثال ذلك في دلائل الإعجاز استشهاد صاحبه في باب التقديم والتأخير (مبحث الاستفهام بالهمزة)<sup>1</sup> ، ومما ذكره من شواهد قوله من الشعر :

أيقتلني والمشرقيّ مضاجعي \*\*\*\* ومسنونة زرق كأياب أغوال؟<sup>2</sup>

ومن القرآن الكريم: قوله عزّ من قائل: (قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّي وَعَاسِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كُرهُونَ ۚ ٢٨ هود ٢٨. وذكر من كلام النثر العادي " قولك لمن يركب الخطر: أخرج في هذا الوقت"<sup>3</sup>.

وهذا المنهج في مدونات البلاغة العربيّة مشهور، إذ كان البلاغي يستشهد للفنّ البلاغي بعدة شواهد مختلفة من الشعر العربي والقرآن الكريم والنثر، وذلك احتجاجاً منه على توجيهه لذلك الفنّ البلاغي دون الرجوع إلى نوع المتن الذي استعمل فيه.

أمّا عن البحث في بلاغة الأقوال الخطابيّة فقد ضمّ معظمها في علم المعاني الذي يدرس سبُل إيراد المعنى إيراداً تداولياً مراعاةً لسياقاته المختلفة، وبعضها الآخر في باب البديع كأسلوب الالتفات و براعة الاستهلال وحسن التخلّص، أمّا باب علم البيان فمشارك بين الخطابة والشعر مع مراعاة الحاجة في القدر الذي يحتاجه الخطيب والشاعر من التصوير على اختلاف بينهما، فالشاعر بحاجة إلى الاستعارة التخيلية بيد أنّ الخطيب بحاجة إلى

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (مواضع التقديم والتأخير - الاستفهام) ص 123/111.

<sup>2</sup> ديوان امرئ القيس، دار المعارف 1994م، ص33.

<sup>3</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص117.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الاستعارة الحجاجية على تداخل بينهما. وعليه نكون قد فتحنا سبيلاً نحو إزالة وهم العناية بفنّ الشعر دون فنّ الخطابة – والله أعلم-

لم تظهر عناية الباحث محمّد العمري بنظرية البلاغة الجديدة في صبغتها الغربية ظهوراً بيّناً في كتابيه (في بلاغة الخطاب الإقناعي) و(البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) لكننا نعدّهما قاعدة انطلاق نحو مشروعه (تجديد الدرس البلاغي العربي) فكانت ثمرة تلك الجهودات في مؤلفاته التي تلت هذين المؤلفين، حيث صدر للباحث كتاب آخر بعنوان (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول) سنة 2005م عن دار إفريقيا الشرق. ومن خلال العنوان نلاحظ ذلك الأثر الذي خلفته البلاغة الجديدة (لشاييم بيرلمان) في الباحث الذي حاول طرح نظريته الخاصة لمفهوم البلاغة الجديدة متجاوزاً المفهوم الغربي المنحصر في بلاغة الحجاج.

### 4. نظرية الحجاج في منجزات (عبد الله صولة) :

اعتنى النقاد المغاربة بالبلاغة الغربية المعاصرة وخاصة تلك المكتوبة باللّغة الفرنسيّة، نظراً لقربها الثقافي والجغرافي، وازدهر نشاط البلاغة العربيّة كثيراً بهذا الاحتكاك الناتج عن عامل الترجمة المباشرة وغير المباشرة. ونواصل مع أحد أبرز النقاد الذين حاولوا جاهدين لاستثمار معطيات بلاغة الحجاج الغربيّة لبناء نظريّة عربيّة موازيّة، إنّه الناقد التونسي **عبدالله صولة** – رحمه الله- الذي اجتهد في ترجمة منجزات بيرلمان، محاولاً إسقاط نظريّة الحجاج على الموروث العربي على رأسها الدّراسات الحجاجيّة في القرآن الكريم.

عمد (عبدالله صولة) في عمله الجليل المكثى بـ (الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية)<sup>1</sup> إلى توظيف المفهوم الحجاجي المعاصر الذي استقرّ في أوروبا بعد منتصف القرن العشرين، المفهوم الذي حرّر نظريّة الحجاج من مفهوم الجدل والخطابة من جهة ومن مفهوم الاستدلال من جهة أخرى، وأصبح مفهوم الحجاج "مبحثاً فلسفياً ولغويّاً قائم الذات في العصور الحديثة"<sup>2</sup>. كما فضّل الباحث مصطلح (الحجاج) كترجمة عربيّة للمقابل الغربي (*Argumentation*)؛ نظراً إلى أنّ الصّيغة الصّرفيّة للفظّة الحجاج تدلّ على فعل المشاركة<sup>3</sup> بين متخاطبين أو أكثر في بناء العمل الحجاجي من خلال تقديم الحجج المختلفة ومحاولة الإقناع والتأثير في الخصم. كما عُدّ الحجاج أشمل من الاستدلال الذي يعتمد الحدود المنطقيّة الضّروريّة في إثبات القضية المقصودة، بيد أن

1 عبدالله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي بيروت /2001

2 المرجع نفسه، ص 9

3 ينظر المرجع نفسه، ص9.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الحجاج يهتم بما هو ضروري وغير ضروري في بناء الفكرة الإقناعية وإثبات القضية محلّ النقاش والحجاج.

عرض **عبدالله صولة** في مقدّمة عمله - الحجاج في القرآن الكريم - إلى الحدود والمفاهيم التي تسبح في فلك الحجاج؛ حيث أسّس لمصطلحه (الحجاج) متّكناً على المفاهيم اللغوية الموثقة في المعاجم العربيّة القديمة، إضافة إلى بعض المفاهيم المستقاة من الدّراسات القرآنيّة اللفظية (حاجّ) و(جادل)، كما لاحظ الباحث أنّ مصطلحي الحجاج والجدل قد وردا مترادفين<sup>1</sup> في الدّراسات العربيّة القديمة دون محاولة للفصل بينهما كما هو في البلاغة المعاصرة. ويضيف الباحث " إنّ اعتبار القدماء وبعض المحدثين الحجاج مرادفاً للجدل... واستخدمهم أحدهما معطوفاً على الآخر باعتبارهما مترادفين، من شأنه أن يضيق مجال الحجاج ويغرقه في الجدل ، من حيث هو صناعة منطقيّة سبق تعريفها، ومن حيث هو على العموم في أصول الفقه وعلم الكلام وغير ذلك ( معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال يتوصّل بها إلى حفظ رأي وهدمه سواء كان ذلك الرّأي في الفقه أو غيره)"<sup>2</sup>. على غرار بيرلمان يحاول الباحث الفصل بين الحجاج والجدل كما سيأتي بيانه.

لم يوافق الباحث عبد الله صولة القدماء في مفهومهم للحجاج إذ يرى أنّ الحجاج أوسع من الجدل<sup>3</sup>، ورأيه هذا جاء استجابة لمفهوم الحجاج في البلاغة الجديدة التي حمل أصحابها عناء الفصل بين هذه المفاهيم المتداخلة؛ ففصلوا الحجاج عن الجدل وعن المنطق وعن الخطابة. كما حاول الباحث إيجاد مكان لمفهوم الحجاج عند البلاغيين العرب القدماء، فتوصّل إلى نوعين من الحجاج ؛ حجاج جدلي وحجاج خطابي؛ أمّا الحجاج الجدلي فمداره " على مناقشة الآراء مناقشة نظريّة لغاية التأثير العقلي المحض المجرد، وتمثّله في التّراث العربي الإسلامي مناظرات علم الكلام، وهو حسب التّهانوي يسمّى (علم النّظر والاستدلال)... وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدّينيّة على الغير بإيراد الحجج ودفع الشّبه، كما تمثّله المناظرات الفقهيّة..."<sup>4</sup>، وبهذا نعلم أنّ الجدل عند القدماء مختصّ بالأموال النظريّة والمعاني المجرّدة، وهذا النّوع من الحجاج الجدلي هو ما يراه الباحث من الحجاج القرآني وهو موجود فيه بكثرة، وقد اعتنت به الدّراسات القرآنيّة قديماً، فلا يقبل أن يكون الحجاج القرآني خطابياً (احتمالياً) والقرآن الكريم يقينيّ منزّه عن ذلك.

بيد أنّ الحجاج الخطابي يذهب إلى أبعد من ذلك حيث يتوخّى تبني الأفكار ضرورة أو احتمالاً والعمل بها على أرض الواقع، وقد وُجد الصّنف الثّاني من الحجاج الخطابي عند

<sup>1</sup> ينظر الحجاج في القرآن الكريم (مرجع سابق) ، ص12

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 16/15

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص16.

<sup>4</sup> محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التّهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ط1996م، ج1، ص29.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

القدماء؛ وهو ما يقصد صاحبه " التأثير العاطفي وإثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور و استمالتّه ولو كان ذلك بمغالطته و خداعه وإيهامه بصحة الواقع على نحو تبدو معه الخطابة – من هذه الناحية على الأقلّ - من قبيل التّخييل"<sup>1</sup>، ويظهر ذلك في دمج المقدمات اليقينية والاحتمالية في العملية الحجاجية بحيث لا ينتبه المتلقّي إلى هذا الخطأ، وهذا النوع من الحجاج الخطابي لا يوجد في القرآن الكريم ألبتة لأنّه لا يتوافق -أصلاً- مع مقاصد القرآن الكريم ولا يناسب مغزاه، ولا يمكن أن ننسبه إلى المولى Y.

نقلًا لرأي (بيرلمان وتيتيكا) يقول (عبدالله صولة) أنّه لا حاجة لنا إلى الحجاج حيث يكون الرّأي قائماً على اليقين، لأنّ اليقين لا يقبل الاحتمال الذي نتحاجج لأجله<sup>2</sup>، والواقع أنّ الحجاج قد يكو حول اليقين كثيراً لأنّ النّاس مجبولة على رفض الحقّ مهما كان جلياً، وليس أدلّ على ذلك من الحجاج في القرآن الكريم القائم على اليقين دائماً، لكنّ غطرسة المعاندين وكبرهم هو ما دعا إلى هذا الحجاج حول ما هو جليّ ظاهر قد اعتقدته الفطرة الإنسانيّة قبل أن يبرأها الله Y ولكن جحدتها أنفسهم ظلماً وعلواً، وعليه نرى أنّ الحجاج في القرآن الكريم نظريّة قائمة بذاتها فينبغي التّنظير لها على مهلّ دون الانزلاق وراء ما جاءت به النّظريات الحجاجية على اختلافها، والله أعلم. كما أنّ اليقين الذي يقوم جوله التّحاجج قد يكون من طرف دون آخر فالمؤمن قد يحاجج حول يقينه من لا يعتقد هذا اليقين.

إنّ دمج الخطابة بين المقدمات المنطقيّة والاحتمالية هو ما أثار خصومها من الفلاسفة، فهذا الرّأي الذي يسم الحجاج الخطابي بالمانورة والمغالطة هو موقف (أفلاطوني /أرسطي) إذ جعل أرسطو من الحجاج الخطابي مساحة تتداخل فيها السّفسطة والجدل، بل راح أرسطو إلى القول بأنّ الخطابة والجدل بمنزلة واحدة<sup>3</sup>. ممّا يعني أنّ الباحث التّونسي لم يأت بموقف جديد في هذا المقام الذي يخصّ الحجاج الخطابي زيادة على ما كان عليه القدماء الذين وضعوا هذه البلاغة في مقام التّخييل الشعري الذي يقوم بتحسين القبيح وتقبيح الحسن. وقد ازدهرت هذه الفنون البلاغية في الأقوال الشعريّة بكثرة مقارنة بالأقوال الخطابيّة التي يغلب عليها الصّدق ابتداءً من منطلقات دينيّة في الغالب، وقد حمل هذا الحرج العقدي (عبد القاهر الجرجاني) على إخراج الاستعارة من دائرة التّخييل<sup>4</sup>، وهذا ما نوّده لأنّ الاستعارة تقوم على المشابهة في بيان حال المستعار له بالاستدلال بحال المستعار منه، وهذا على سبيل الحقيقة في كشف المعنى البعيد بما يقربّه من طرق البيان.

<sup>1</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص18

<sup>2</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظريّة الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتّوزيع، تونس، ط1/2011م/ص16،17.

<sup>3</sup> ينظر أرسطو، الخطابة، ص8.

<sup>4</sup> ينظر عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، الرّسالة ناشرون، بيروت، ط1/2007م/ص198/199.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

وفي مسار البحث عن المعنى الفلسفي للحجاج ينتقل بنا الباحث إلى النظريات الحجاجية الجديدة التي ظهرت في الخمسينات من القرن الماضي، وأصبحت تعرف بالبلاغة الجديدة أو بلاغة الحجاج. فقام بعرضها عرضاً سريعاً مختصراً لأنه قد تعرّض لها تفصيلاً في مؤلفات أخرى، فذكر نظريتي بيرلمان وتولمين حول الحجاج الفلسفي، ونظرية الحجاج اللغوي مع أنسكومبر وديكرو باعتبار اللغة الطبيعية كائناً حجاجياً، ثم نظرية المساءلة مع مايير<sup>1</sup>... وقد نسب الباحث الفضل إلى هؤلاء الباحثين المعاصرين في تبرئة الحجاج ممّا لازمه من تُهم زائفة طويلة قرون مديدة.

حينئذٍ يصرّح (عبدالله صولة) عن رغبته ودوافعه إلى البحث عن مكنن الحجاج في القرآن وفق هذا المفهوم الجديد لنظرية الحجاج الجديدة والمبرّأة من أيّ تهمة قديمة تحطّ من قدرها أو أمانة صاحبها، خاصّة لما يحوزه القرآن الكريم – مجال الدّراسة - من مكانة مقدّسة بين الدّارسين الذين يوجّه إليهم هذا العمل التّقدي الرّائع في ثوب جديد لم يألفه النّقاد العرب. براءة نظرية الحجاج ممّا ذكرنا يُعدّ حافظاً كافياً لدى الباحث لخوض رهان المغامرة البحثية والتّقديّة الجديدة دون حرج يُذكر<sup>2</sup>.

قام الباحث بعرض لمفاهيم النظريات الحجاجية الغربية المعاصرة حتّى يستعين بها بعدُ في العمل الإجرائي لدراسة الحجاج القرآني. بدأ مع نظرية تولمين التي جاء بها في كتابه (*Les usages de l'argumentation*) أي (استعمالات الحجاج) الذي صدر في سنة 1958م. وتقوم هذه النظرية حسب صاحبها على ثلاث ركائز أساسية ترجمها عبدالله صولة إلى : معطى (م) ونتيجة (ن) وضمان وقدّم لذلك بعض الأمثلة البسيطة التي لاحظ أنّها تعتمد بنى منطقية أرسطية تقوم على تقنيّة القياس؛ مثال ذلك قولنا : محمّد جزائري الأصل (م) إذن هو يتحدّث اللغة العربية (ن) بحكم أنّ الجزائريين غالبيتهم تتحدّث العربية (ض). وهذا النوع من الحجاج ليس جديداً - كما لاحظ الباحث - حيث يتجاهل المتلقّي ولا يهدف إلى إقناع المخاطبين بقدر ما يمكننا اعتباره برهاناً مباشراً - أقلّ صرامة من البرهان الرياضي - لا يحتاج إلى إقناع.

يرى - صولة - أنّ نموذج (تولمين) الحجاجي لا يعتبر نموذجاً حجاجياً<sup>3</sup> نظراً لإقصائه المخاطب والمقام وإقناع الغير؛ فهو أقرب إلى القياس والبرهان من الحجاج الخطابي؛ القياس الذي يريد صاحبه إقناع نفسه وإطلاعها على الحقيقة. وعليه يمكننا إخراج هذه النظرية من أنماط النظريات الحجاجية الخطابية. لأنّ الحجاج يقصدُ بالمقام الأوّل الإقناع بعيداً عن الحقيقة التي يحاول تولمين تقريرها في نظريته الحجاجية.

<sup>1</sup> ينظر الحجاج في القرآن الكريم ص21

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص22

<sup>3</sup> ينظر الحجاج في القرآن الكريم، ص26

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

ثمّ ينتقل بنا الباحث إلى نظرية بيرلمان وتيتيكا التي تعدّ محور النظريات الحجاجية المعاصرة، هذه النظرية التي جعلت من المتلقي عنصراً أساسياً في العملية الحجاجية، كما جعلت الغاية الإقناعية هي المهمة المنوطة بالفعل الحجاجي. وكذلك حرّرت هذه النظرية الحجاج من هيمنة المنطق الصوري كضرورة إلزامية من طرف، وحرّرت كذلك من الخطابة السفسطائية من طرف آخر، فارتقت نظرية الحجاج الجديدة إلى نظرية فلسفية قائمة بذاتها تقصد إقناع المخاطب دون تعسف أو إلزام يُكبّل أفكار الآخرين، يعتمد فيه الخطيب والمتلقي على كثرة الآراء وتعددها في جوّ حوار يهدف إلى إقناع العقلي تحت مظلة الممكن والعرف والحجج المقبولة المتوافق عليها.

إنّ التّجديد والحرية التي حظيت بها نظرية الحجاج الجديدة على يد (بيرلمان وتيتيكا) مهّدت السبيل أمام الباحث (عبد الله صولة) ليقارب النصّ القرآني المقدّس وفق بلاغة الحجاج متجرّداً ومنتزهاً عن أيّ تهمة قد تطلّ عمله كالمغالطة والمناورة، كما يتجرّد من سطوة الإلزام والإخضاع للرأي الملقى دون تفكير أو تنوير. إنّ القرآن الكريم يحتاج الطرف المتلقي بما يقنعه من خلال حجج تقبلها الفطر السليمة والعقول الصحيحة دون تردد أو إجبار؛ هذا الكلام الإلهي لم يدع للمجادلين سبيلاً إلاّ وسرد لهم من خلالها حججاً يعجز العقل البشري والنفس الإنسانية السليمة عن رفضها أو مناقشتها، حتّى أنّ العرب القدماء الذين كفروا بالرسالة المحمّدية لم يجادلوا ولم يحتاجوا فيما أجموا به من حجج، إلاّ ببعض الافتراءات التي لم يصدّقوها إلاّ كبراً وعلواً من عند أنفسهم خشية زوال ملكهم.

ثمّ ينتقل عبد الله صولة إلى نظرية حجاجية أخرى؛ تعرف بنظرية الحجاج اللغوي، وقد سبق ذكرها والتعريف بها في الفصل الثاني من هذه الدراسة، وقد قام أصحابها (ديكرو و أنسكومبر) بالبحث عن الأثر الحجاجي في البنية اللغوية ذاتها دون الخروج عن سياق النصّ، أو الاستعانة بأنواع أخرى من الحجج المنطقية والمقامية. يقول أصحاب الحجاج اللغوي : (ليس المقنضى حدثاً بلاغياً مرتبطاً بالقول، وإنّما هو منغرس في اللغة نفسها)<sup>1</sup>؛ هكذا وضع الرّجلان نظريتهما في البحث عن الأفعال الحجاجية في مستويات اللغة الطبيعية المختلفة، فليس الحدث الحجاجي عندهما ناتجاً عن القول الحجاجي، فقد انطلقا من ميدان التّداولية مؤسسين عملهما على نظرية الأفعال الكلامية بالتّحديد، ودمج المقام في اللغة وهو ما عرف بنظرية التّداوليات المدمجة. (سبق الحديث عن هذه النظرية في الفصل الثاني)

جعل الباحثان الحجاج قائماً على تقنيّتي الوصل والفصل<sup>2</sup>، كما حصرا غاية الحجاج في التّوجيه (*Orientation*)؛ توجيه المتلقي إلى نتيجة معيّنة أو حمله على قبول فكرة أو

<sup>1</sup> عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم، ص35

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص40



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

القيام بعمل ما<sup>1</sup>، لكنّ الباحث عبد الله صولة يرى أنّ اعتماد الحجاج على الفصل والوصل، وحصص الفعل الحجاجي في التوجيه يعدّ مأخذاً على هذه النظرية الحجاجية لأنّه سيُضيق مجال الحجاج الواسع؛ لأنّ " دلالة الكلام (وحتىّ الكلمة) ليست التوجيه فحسب، وإنما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام وبعض منها، فقد يكون لهذا الكلام بحسب المواقف التأويلية التي نقفها منه، دلالات تتجاوز الحجاج والتوجيه وتفيض عنهما، وسنسمّي نحن ذلك الجزء من دلالة الكلام (أو الكلمة) : الدلالة الحجاجية ، أو المعنى الحجاج، أو الطّاقة الحجاجية..."<sup>2</sup>، وعليه نخلص إلى مستوى جديد من مستويات الكلام البشري هو (مستوى الحجاج) له قضايا ومقامات محدّدة تقتضي توجيه الأذهان نحو الإذعان، بيد أنّ تعميم هذا الحكم على كلّ الخطابات حكم متسرّع لا يمكن الأخذ بشموليته في أية حال.

رأى الباحث عبد الله صولة أنّ حصر مهمّة الفعل الحجاجي في مسألة التوجيه مشكلة تواجه نظرية الحجاج اللغوي لأنّ الكلام الطّبيعي يتجاوز في أحيان كثيرة مسألة الحجاج والتوجيه بحسب المقام والمتلقّي وتأويل الكلام الملفوظ، ولعلّ صاحبي النظرية أرادوا البقاء في سياق الحجاج اللغوي على طريقة البنيويين دون الخروج إلى نطاق استعمالات اللّغة المتعدّدة التي لا يمكن الخروج منها بنظرية واحدة أو مجلّد واحد. فنقد الباحث لهذه النظرية قد تعدّى أسوار الحجاج إلى الدلالات التأويلية الأخرى والتي تعدّ نظرية لغوية مستقلة.

ثمّ يعرّج الباحث على نظرية الحجاج عند (ميشال مايير) الذي يرى في العملية الحجاجية تلك الإشكالية الكامنة في الخطاب الباعثة للمتلقّي على طرح الأسئلة والإجابة عنها؛ حيث يسمّي نظريته الحجاجية بنظرية المساءلة، أي أنّها تقوم أساساً على طرح الأسئلة صراحة أو ضمناً. يعرف (ميشال مايير) الحجاج بقوله هو " دراسة العلاقة القائمة بين صريح الكلام وضمانيّه"<sup>3</sup>. ويجعل صريح الكلام من نصيب الخطيب، أمّا ضمانيّه فيبقى في عقل المتلقّي الذي يبحث عن القصد والحجّة في الكلام الخفيّ من الخطاب، وكلّ ذلك عن طريق طرح الأسئلة المتعدّدة التي توجّه الخطاب الصّريح نحو وجهة حجاجية سليمة تُبنى على معطيات مقامية محدّدة؛ فالمقام عامل محوري في توجيه كلّ خطاب حيث منه بدأ وعليه يبنى وإليه يلجأ المفسّر والمتلقّي. وفي نهاية عرضه المختصر لهذه النظرية يقدّم الباحث ملحوظة مهمّة بوفرة هذه التّقنيّة من تقنيات الحجاج بالمساءلة في الأساليب القرآنية.

وبعد عرض هذه النظريات الحجاجية الأربعة ، يقوم الباحث بالبحث عن المنهج المناسب لتوظيف هذه النظريات في البحث البلاغي العربي المعاصر، فهو بصدد دراسة حجاجية للقرآن الكريم ممّا يفرض عليه مواءمة هذه النظريات الغربية مع الخطاب القرآني

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، (البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة) (أو الحجاج)، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ج1/ص33.

<sup>2</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم ص36

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص39.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

بعد دراسة نظرية طويلة لها في عدة محطّات علمية ومؤلفات بلاغية. ورغم تعدّد هذه النظريات - كما يرى الباحث - فإنّه توجد " مشاكلٌ منهجية في مجال الدّراسات الحجاجية عامّة، وفي دراسة القرآن دراسة حجاجية خاصّة"<sup>1</sup>. ويضرب نماذج قد تكون عقبة أمام الدّراسات الحجاجية للقرآن الكريم كتقسيم (بيرلمان وتيتيكا) للدّراسات الحجاجية التي تقوم على مبدأ الفصل والوصل، وليس ذلك لزاماً كما يرى الباحث، لأنّ هذين المبدئين يخضعان لصور منطقيّة ضمنيّة أو صريحة، ممّا يحصر الدّراسة الحجاجية في بوتقة ضيقة<sup>2</sup> تتحكّم فيها الأشكال المنطقيّة المعروفة دون التّحرّر من الصّورنة المنطقيّة نحو منطق خاص بالخطاب الحجاجي.

وفي مقابل هذا التّضييق عند بيرلمان يرى **عبدالله صولة** توسعة أخرى لنظرية الحجاج عند **أوزفالد ديكر** و**أنسكومبر** مع نظرية الحجاج اللّغوي التي تجعل من اللّغة كلّها كائناً حجاجياً، وهنا يقف الباحث وقفة تأمل في هذه الفكرة التي أطلقت العنان للحجاج حتّى جعلته ميدان في اللّغة الطّبيعيّة كلّها. وهذا لا يمكن لأنّ اللّغة هي بنيّة للخطاب الذي يتعدّد ويتنوع بحسب المقصديّات المقامات المختلفة، فليس كلّ خطاب يروم الإقناع والحجاج والدّفاع عن فكرة أو مبدأ معيّن. وذكر أمثلة لأنواع من النّصوص ليست غايتها الأساسيّة الحجاج كما رأى ذلك أوليفي ريبول: فالقصيدة الغنائيّة والتّراجيديا والقصص والحكايات لا تعدّ من الخطابات ذات البنيّة الحجاجية المغروسة فيها أصلاً<sup>3</sup>. ونحن نرى نفس الرّؤية إذ نجد الكلام يتنوّع من الإخبار، إلى الشّعور والغناء، إلى السّؤال، والأمر، ولكلّ شكل دلّالته وغايته قد تبتعد عن الحجاج أو تقترب بحسب مقام الخطيب والمخاطب.

ومن خلال رأي الباحث في هاتين النظريتين البلاغيتين الجديتين من تضييق أو توسيع لحقل الحجاج داخل الخطاب الطّبيعي دون مقاييس علمية مضبوطة ومحدّدة تقف على حدود الدّراسة الحجاجية المنضبطة؛ نراه يستدرك قصور نظرية الحجاج الغربية عن دراسة الخطاب القرآني لالتزام أصحابها بالأشكال المنطقيّة<sup>4</sup>، فيتّخذ **صولة** موقفاً خاصاً يساعده على دراسة القرآن بمنهج بلاغي مكثّف حسب ما تقتضيه نوعيّة الخطاب، وفي هذا المقام خصيصاً تظهر براعة النّاقّد الحذق الذي لا ينساق ولا ينصاع لما تمليه عليه النّظريّة بحذافيرها إنّما يجتهد في بلورتها وتنقيتها وفق حاجته ودراسته بمنهج نقدي خاص يراعي عدّة اعتبارات على رأسها قدسيّة الخطاب القرآني - في هذا المقام مثلاً - وطبيعة الفكر العربي الإسلامي ومكوناته الهويّاتيّة والثّقافيّة.

1 عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم ص40

2 ينظر نفسه، ص40.

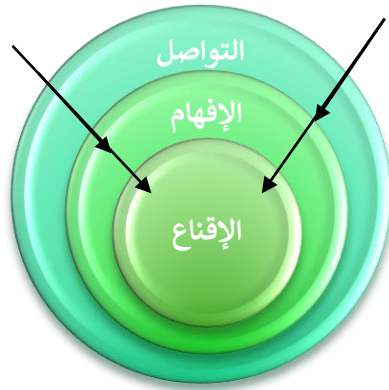
3 ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص20.

4 دشاوش نوالهدى، (منطلقات تأسيس نظرية الحجاج عند عبد الله صولة)، مجلّة العلوم الاجتماعيّة، مج15/26ع/ص10.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

بحثاً عن نظريّة الحجاج العربيّة يقارن الباحث تعريف البلاغة عند القدماء بمفهوم البلاغة الجديدة، وذلك في قول السكاكي : البلاغة " هي إخراج الكلام في صورة مخصوصة دون أخرى وعود بالكلام من صورة إلى صورة أخرى تطابق مقتضى الحال أو الاعتبار المناسب"<sup>1</sup>، فرأى الباحث صلة قريبة لمفهوم الحجاج في البلاغة الجديدة باعتبار التقنيات الخطابيّة التي تعمل على تبليغ المعنى إلى ذهن السامع<sup>2</sup> كما قرّر ذلك في النظريّة الغربيّة. ونفس التّوجيه قد رأيناه عند (العمرى) في شرحه لمصطلحات العدول والمناسبة لاعتبارات حجاجيّة، ومقايضتهما بمفاهيم النظريّة الحجاجيّة المعاصرة لطبيعتها التّداوليّة (الحجاجيّة)، والتي لا تختلف عمّا جاء في تعريف (السكاكي) للبلاغة، وقد جاء تفسير العمرى أقرب إلى الحجاج من تأويل (عبد الله صولة) الذي توقّف عند (مرحلة الإفهام).

نقف هنا لنتدبّر قول الباحث (صولة) في محاولته لربط العلاقة بين البلاغة العربيّة ونظريّة الحجاج المعاصرة عن طريق نظريّة إيصال المعنى إلى ذهن المتلقّي؛ إذ رأينا في نظريّة الحجاج أنّها تقصد إلى الإقناع أولاً وليس إيصال المعنى إلى الدّهن، لأنّ إيصال المعنى إلى الدّهن تعدّ مرحلة أولى (الإفهام) قبل مسألة الإقناع إذ لا يتصوّر إقناع دون إفهام، وعليه لا ينبغي إقامة القرابة بين البلاغتين من هذا المنطلق، فقد سبق وقوع الإفهام الإقناع باعتبار الحدث، وتقدّم الإقناع على الإفهام باعتبار القصد وأهميّة هذه الخطوة وصعوبتها في آنٍ واحد، فنحسب أنّ دائرة الإقناع أضيق بكثير داخل دائرة أوسع هي دائرة الإبلاغ والإفهام، وكلاهما تسبح في فلك التّواصل البلاغي، ويكون الوصول إلى تحقيقها بعد تحقيق الأولى ببذل جهد أكبر وكفاءة بلاغيّة عالية من الخطيب، أمّا التّوجيه مرحلة أخيرة خارج اللّغة وتعدّ ثمرة الفعل الحجاجي. (انظر الشّكل أ)



الشّكل (أ)

<sup>1</sup> أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت ط1983، 1/ص169.  
<sup>2</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظريّة الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتّوزيع 2011/ص86.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

يحاول الباحث عبدالله صولة في أحد مؤلفاته<sup>1</sup> التنقيب عن النجاعة الحجاجية في الفنون البلاغية العربية القديمة (البيان ، المعاني ، البديع) متجاوزاً بذلك ما قام به البلاغيون قديماً وحديثاً في تعليمية البلاغة إذ كانوا يتناولون الشاهد البلاغي بالشرح والتفصيل والتقنين ثم ينتقلون إلى بلاغة هذا الفن كبلاغة التشبيه وبلاغة الاستعارة ... ونُفي الباحث قد تقدّم خطوات عن طرق التحليل البلاغي القديم؛ إذ تمكّن من رصد آفاق حجاجية لبعض الفنون البلاغية التي استشهد بها كالتنكيث والتشبيه والمجاز والكناية والخبر والإنشاء<sup>2</sup>، واستطاع تحديد المعاني الحجاجية الناتجة عن الاستبدال الواقع لهذه الأساليب والفنون (العدول والاختيار)، وذلك باستبدال تعبير بأخر أو استبدال لفظ بما يشاكله من الألفاظ على أن يؤدي صدمات حجاجية لذهن المتلقي لم يكن سيؤديها اللفظ الأصلي المعدول عنه لغاية بلاغية حجاجية إقناعية.

وضرب لذلك أمثلة عدة منها قوله Y: (وَيُنزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) سورة غافر(13). يرى الباحث في هذه الآية عدولا (استبدالاً) عن استعمال اللفظ الأصلي (الغيث) إلى توظيف لفظ (الرزق) بعلاقة المسببية، وذلك للدلالة على عظمة الخالق  $\Psi$  وإنعامه ورحمته وتفضله على عباده<sup>3</sup>، أما وقد وصفت البلاغة في هذا الشاهد في فنون المجاز المرسل بعلاقة المسببية دون الانتباه إلى جدواها الحجاجية التي تجعل من لفظ الرزق أكثر إقناعاً وإفحاماً للمعرضين عن عبودية الله Y، فقد لا يعتبرون ولا ينتبهون لأهمية الغيث إلا إذا ذكّرهم بنتائجه وما فيها من خير وفضل لهم ولأنعامهم، فالرزق أقرب إلى النفس من الغيث، ولا ريب أن إصابة الغاية تقع بالمعنى القريب أجدى من المعنى البعيد، فلا ينكر العاقل منهم -حينئذ- أن صاحب الفضل والإنعام لا بد أن يُحمد ويُشكر بالخضوع والانصياع لشريعته.

لا شك أن الباحث تغلغل بعيداً وأصاب باعاً في حجاجية الفنون البلاغية القديمة وإنه لإنجاز جديد يحسب للبلاغيين العرب المعاصرين، حيث استطاعوا مواءمة نظرية غربية وفق منهجية عربية ليقرؤوا بها الوجوه البلاغية باختلافها وتنوع الخطابات الواردة فيها. كما لا يخفى علينا أن هذه الدراسات الحجاجية هي بمنهج البلاغة الجديدة (الحجاج) دون أدنى تغيير إلا ما رأيناه من محاولات متواضعة لتقادي ما يستعصي تطبيقه على الخطابات العربية نظراً لخصوصية الفكر والثقافة، وما عدا هذه الملاحظات تبقى النظرية بنسختها الأصلية يبحث لها النقاد العرب عن خطابات تنطبق عليها وتعمل على قراءتها.

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج ص 88/89/90/91.../96

<sup>2</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص 88/89

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 95/96

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

كما استخلص الباحث فائدة مهمة من البلاغة العربية توازي مسألة الإقناع في بلاغة الحجاج سمّاها "مبدأ الأنفعيّة"<sup>1</sup> ويقصدُ به ما هو العدول أو الاستبدال نحو الأنفع والأجدى لإيصال المعنى وتقويته، وكذلك التوجيه نحو النتيجة المبتغاة، ممّا يدفع البليغ إلى تخيير الوجه البلاغي المناسب والأنفع لكلّ مقام؛ مقتضى الخطاب حسب أقدار المخاطبين، فوجد الباحث نفسه أمام مبدأ النفعيّة الخاصّ بالتداوليّة<sup>2</sup>؛ وهذه صورة من صور تقاطع النظريات اللغوية في نقاط ومفاهيم مشتركة، تدلّ على ولادتها من مشكاة واحدة؛ مشكاة البلاغة القديمة، ثمّ صارت إلى ما هي عليه اليوم مع اختلاف التأطير الفلسفي والنسق الاصطلاحي لكلّ نظريّة.

ثمّ عرض باحثنا لتقنيتي الوصل والفصل الحجاجيتين باحثاً عمّا يشابههما في الفنون البلاغيّة العربيّة، فوجد الكثير من هذه الفنون قائمة أساساً على هاتين التقنيتين، فالاستعارة في البلاغة العربيّة تقوم على الوصل بين ظاهر ثابت في المستعار منه بعرض حادث في المستعار له (الشجاعة عند الأسد/ الشجاعة عند الإنسان)<sup>3</sup>، فالكلام في الاستعارة قام على مبدأ الوصل بين ما هو جوهر وبين ما هو عرض توجيهها وتثبيتها لهذا العرض في المستعار له بغية إقناع المتلقّي بهذه الصّفة المستعارة. كما توجد هذه التقنيّة في المجاز وأسلوب التّذييل والاعتراض كما خلص إلى ذلك الباحث وفصله في مقامه<sup>4</sup>.

هذه الوجوه البلاغيّة درسها الباحث في "الحجاج في القرآن الكريم" تحت عنوان "الخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم". ومقصوده بالخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم كلّ ما يميّز هذا الخطاب الرّبّاني المقدّس من خصائص معجميّة ولغويّة وتركيبية وبلاغيّة، هذه الخصائص التي تؤدّي الغاية الحجاجيّة في النّصّ بكلّ أطرافها ومستوياتها، بل أضاف الباحث في هذا المقام مستوى آخر اختصّ به القرآن دون الخطاب البشري؛ هو المستوى الصّوتي والإيقاعي الذي يصرّح بصعوبة دراسته صوتياً بله حجاجياً<sup>5</sup>. فليس الإيقاع في القرآن الكريم غاية جماليّة فحسب، وليست لتميّز منشور الكلام عن منظومه كما هو حال الشّعر، إنّما الصّوت في القرآن العظيم عامل مهمّ في أداء المعنى المقصود<sup>6</sup>. رغم هذا الإيمان لدى الباحث بأهميّة المستوى الصّوتي في القرآن الكريم من حيث دلالاته وأداؤه للمعاني إلاّ أنّه تورّع عن دراسته لأسباب معرفيّة تعجز الوسائل اللّسانيّة والحجاجيّة المتاحة على دراسة هذا المستوى في القرآن الكريم.

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، (البلاغة العربيّة في ضوء البلاغة الجديدة) (أو الحجاج)، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ج1/ص40

<sup>2</sup> ينظر عبدالله صولة، في نظريّة الحجاج، ص100/99

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص101

<sup>4</sup> ينظر عبدالله صولة الحجاج في القرآن الكريم ص 102/101/100 (لمزيد من التّفصيل).

<sup>5</sup> ينظر المرجع نفسه، ص50

<sup>6</sup> ينظر المرجع نفسه، ص50.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

يقول عبدالله صولة في حديثه عن أهمية الصوت في القرآن الكريم : " ولكننا رغم تسليمنا بأن الإيقاع شكل له معناه، وليس هو مساعداً فحسب على جعل الكلام ذا تأثير وإقناع، فإننا لم نهتد إلى الطريقة التي يمكن أن نوجّه بها هذا المعنى توجيهاً حاجياً..."<sup>1</sup>، لذا اقتصر الباحث على دراسة المستويات الثلاث؛ المعجم والتراكيب والبيان. وعليه يبقى موضوع دراسة حاجية المستوى الصوتي في القرآن الكريم بكرة لم يتطرق إليه القدماء والمعاصرون بهذه المنهجية – فيما نعلم- إلا عرضاً، كما نلفت القارئ إلى افتقاد نظرية الحجاج المعاصرة إلى آليات نقدية في دراسة المستوى الصوتي للغة البشرية .

في ختام مقدّمة مطوّلة لأطروحته يلجّ الباحث عبد الله صولة على نقاط أساسية يروم الوصول إليها، لعلّ أهمّها :

- القراءة الحجاجية للقرآن الكريم التي يرى أنّ الإحاطة بها بحثاً جاءت متواضعة عند القدماء مقارنة بما حظيت به الدراسات القرآنية الأخرى من الاهتمام وإمام بنسبة عالية قد تفوق الحاجة أحياناً مع وقوع أصحابها في التكرار.

- القرآن الكريم نصّ حجاجي بامتياز، هذه قناعة الباحث، فقد حاول الوصول إلى نظرية أسلوبية حجاجية في هذا الخطاب الإلهي الموجه للمتلقى الخاصّ والعامّ.

- الحجاج الأسلوبية هو ما تؤدّيه بلاغة الأسلوب القرآني من دور حجاجي وفق ما يؤظّف من وجوه البلاغة المتعدّدة ، توظيف يفيد المتلقّي جماليات جمّة أهمّها - في رأي الباحث - هي القصد الحجاجي الذي يهدف الإقناع والتأثير العقلي في المخاطبين.

انطلاقاً من نظرية الحجاج المعاصرة يصل الباحث إلى أنّ الأسلوب القرآني حجاجي، والحجاج يحمله الأسلوب<sup>2</sup>، فقد لاحظ الباحث أنّ الدراسات القرآنية البلاغية؛ أسلوبية/حجاجية، قامت على ثنائية التّضاد؛ إمّا دراسات أسلوبية ونقصد بها الدراسات البلاغية وفق نظرية البلاغة العربية القديمة، أو دراسات حجاجية تطلّعت إلى الكشف عن مواطن الجدل والحجاج في القرآن الكريم، وهذا ما حاول الباحث الجمع بينه في دراسته إذ جعل منها دراسة أسلوبية حجاجية<sup>3</sup>، يحاول من خلالها الإجابة عن السؤال الآتي : كيف يؤنّز الاستعمال الأسلوبية (أسلوب – بيان - معجم) في الفعل الحجاجي؟ أي الطريقة التي تمرّ بها الحجّة إلى الإذعان والإقناع عبر أسلوبية القرآن الكريم.

قدّم (عبد الله صولة) – رحمه الله- عملاً جليلاً لمكتبة البلاغة العربية، فقد ألمّ بالنظرية الحجاجية المعاصرة واستطاع بجهد متواصل أن يكشف الخطوط العريضة لهذه النظرية،

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، ص50/51

<sup>2</sup> ينظر الحجاج في القرآن الكريم، ص58

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص55/56

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

وقد استفدنا كثيراً من أعماله في الحجاج، ولا يفوتنا أن نطرح ملاحظة هامة حول أعمال الباحث التي اطلعنا في كونها تشابهت في مادتها المعرفية كثيراً، فقد وجدنا نفس المعارف النظرية تتكرر في أعماله، خاصة فيما يخص نظرية بيرلمان، مع ندرة في المعلومة عن النظريات الحجاجية الأخرى. كما يبدو عبد الله صولة لحد الساعة أكثر إماماً بنظرية الحجاج من الباحث محمد العمري، وهذا راجع إلى تقدم مؤلفات العمري زمنياً إذ لم تتوفر بين يديه المعلومة الكافية حول نظرية الحجاج المعاصرة.

المبحث الثالث :

مشروع البلاغة العامة

### المبحث الثالث : مشروع البلاغة العامة لدى المعاصرين : محمد العمري أنموذجاً :

**تمهيد:** في أواخر القرن الماضي طفت على الساحة النقديّة العربيّة عامّة والمغربيّة خاصّة عدّة محاولات تروم بعث التراث العربي الأدبي والنقدي من حيث النظريّة والإجراء وفق نظريات الدرس اللساني المعاصر، وقد حاز السبق في هذا المضمار عدّة نقاد عرب، وقد احتفى النقاد المغاربة باللسانيات الغربيّة المعاصرة ومناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانيّة، الأمر الذي مكّنهم من الاستفادة من الثروة العلميّة في هذا الميدان وإثراء المكتبة العربيّة بالعديد من المصنّفات التي تشهد على المجهودات الجبّارة المبذولة في سبيل إحياء التراث العربي وبعثه من سباته برؤية لسانيّة معاصرة.

وفي هذا المبحث الذي خصّصناه لمشروع نظريّة البلاغة العامّة التي يرى أصحابها تكامل البلاغة بين ما هو حجاجي وما هو تخيلي إذ يتقاطع الحقلان؛ الحجاج والتخييل في منطقة البلاغة العامّة؛ بلاغة تكاملية لا يمكن الفصل بين جزأها لأيّ داعٍ من الدواعي، فالشواهد البلاغيّة تشهد على هذا التداخل والتكامل إذ رأينا حازم القرطاجني يؤكّد وجود الحجاج في الشعر وهو في الخطابة أقوى أظهر، كما يقرّر وجود التخييل في الخطابة وهو في الشعر أكثر وأشهر<sup>1</sup>، ويرجع هذا التقارض للأقوال بين الخطابين الشعري للتداول لاّتحاد القصد بينهما<sup>2</sup>، لكن لا يمكن أن يستقل أحدهما بجزء والاستغناء عن الثاني بصورة كليّة.

ومن أعلام هذه النظريّة البلاغيّة الجديدة نخصّ بالذكر الدكتور المغربي محمد العمري الذي سنعالج - في مبحثنا هذا - جانباً من مشروعه البلاغي وجهوده النقديّة في بناء هذا التوجّه البلاغي الجديد الذي طالما حرص على أحقيّته بامتلاك إمبراطوريّة البلاغة على

<sup>1</sup> ينظر حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص19.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص115.



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

حساب النظريات الأخرى؛ التداولية الحجاجية أو الأسلوبية والشعرية التي تبقى أجزاء متفرقة من مساحة الإمبراطورية الكبرى.

### 1. نظرية البلاغة العامة وأصولها عند القدماء :

بدأ العمري قراءته للبلاغة العربية مسترشداً بنظرية الحجاج المعاصرة، وكانت بدايته البحثية تنقيباً عن بلاغة الحجاج عند القدماء مع مؤلفه (في بلاغة الخطاب الإقناعي)، ثم يعرّج على بلاغة الشعر في مؤلفه (تحليل الخطاب الشعري م1990، والموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية 2001م)<sup>1</sup> لينتهي به الأمر إلى نظرية بلاغية جديدة وسَمَّها بنظرية (البلاغة العامة)، وهي نظرية غربية أيضاً جاءت للردّ على الفكرة القائلة باختزال البلاغة<sup>2</sup>. وقد صفها أصحابها بالعموم لاستدراك ما وجدوه من تقسيم في حقل البلاغة الواسع إلى بلاغات خاصة مثل بلاغة الحجاج والأسلوبية والشعرية، وهذه النظريات المجتزأة من البلاغة العامة تعنتي بدراسة وجه معين من أوجه البلاغة في النصوص المختلفة، على عكس ما تقصده البلاغة العامة.

بدأت تتضح معالم البلاغة العامة لدى محمد العمري في مؤلفه التاريخي (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها)، حيث عمل الباحث - كعادته - على استبطان أغوار المؤلفات البلاغية القديمة لعلّه يظفر بشيء يجبر فكرته، ويؤيد نظريته في التأسيس لهذه النظرية الجديدة. وهذا العمل يقوم على إشكال نوعي طرحه الباحث في مقدّمة كتابه (البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول)<sup>3</sup> الذي خصّصه لطرح نظريته الجديدة في البلاغة العربية التي تجمع بين التخيل والتداول، حيث يطرح إشكالاته قائلاً: "أين توجد البلاغة؟ هل هناك بلاغة واحدة، أم بلاغات متعدّدة؟ وإذا كانت هناك بلاغات متعدّدة هل هناك مشروعية لقيام بلاغة عامة تنسّق هذه البلاغات الخاصة...؟"<sup>4</sup>. ومن هنا نتساءل عن أصل فكرة تعميم البلاغة ومآلها مع أحد أعمدة البلاغة العربية المعاصرين؟

### 1.1 ملامح البلاغة العامة في كتاب الصناعتين :

قامت البلاغة العربية القديمة على تأملات النقاد في ثلاثة أنواع من الخطابات؛ تُعدّ المعين الأساس لكلّ ما أنجز في البلاغة والنقد؛ على رأسها القرآن الكريم الذي خصّ في البلاغة القديمة بقضية الإعجاز القرآني، والخطابة العربية التي اختصت بمسألة تداولية

<sup>1</sup> ينظر مصطفى الغرافي، مقال (البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول لمحمد العمري)

<sup>2</sup> ينظر بول ريكور، البلاغة والشعرية والهيرمينوطيقا، ترجمة مصطفى النحال، مجلة أوان، العدد التاسع صدر في

2005/02/01م.

<sup>3</sup> صدرت الطبعة الثانية من هذا المؤلف عن دار إفريقيا الشرق (المغرب) سنة 2010م

<sup>4</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، دار إفريقيا الشرق 2010م، ص5.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

البلاغة العربيّة متمثّلة في مشروع الجاحظ، والخطاب الشعري فأنّج تأملات البلاغيين حوله ما عُرف بالبديع ومحاسن الكلام، فبعد قضيّة الإعجاز " للبلاغة العربيّة مهديّن كبيرين أنتجا مسارين كبيرين : مسار البديع يغذيه الشّعْر، ومسار البيان تغذّيه الخطابة ... وقد ظلّ المساران متداخلين وملتبسين رغم الجهود الكبيرة النيرة التي بذلها الفلاسفة وهم يقرؤون بلاغة أرسطو وشعريته"<sup>1</sup>، فليست فكرة البلاغة العامّة بالظاهرة الجديدة على البلاغة العربيّة، فقد وجدت بوادرها ظاهرة منذ نشأة البحث البلاغي والتّقدي عند القدماء.

يعود بنا العمري إلى نهاية القرن الرّابع وقوفاً على كتاب (الصناعتين : الكتابة والشّعْر) لصاحبه (أبي هلال العسكري — 395هـ). وقد رأى العمري في عنوان الكتاب مرجعاً لنظريّة البلاغة العامّة، فالكتاب يتوجّه إلى الشعراء والكتّاب على السّواء. يقول أبو هلال : " فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملاً على جميع ما يُحتاج إليه في صنعة الكلام: نثره ونظمه، ويستعمل في محلوله ومعقوده، من غير تقصير وإخلال، وإسهاب وإهدار"<sup>2</sup>. وليس يخفى علينا تلك العلاقة الوطيدة بين الحجاج والنثر وعلاقة الشّعْر بالتّخييل في تراثنا الأدبي والتّقدي. وعلى هذا التّمييز بين نوعي الخطاب تقوم قاعدة البلاغة العامّة في النظريّة المعاصرة على اعتبار أنّ الشّعْر عنده قائمٌ على التّصوير والتّخييل، والكتابة (النثر) قائمة على الحجاج والتّداول.

إنّ كثرة المؤلّفات البلاغيّة في هذا العصر مع ما تحمله من كمّ معرفي أفضى إلى فقدان المنهج العلمي واضطراب المصطلح؛ كان مدعاةً لتأليف كتاب (الصناعتين)، قصد فيه صاحبه تنظيم علم البلاغة عموماً بُغيّة مزيد تنظيم وتهذيب يذلل الصّعاب أمام الدارسين في هذا العلم. ولعلّ الاستفادة من كتاب (الجاحظ) (البيان والتّبيين) أكبر الكتب المؤلفة في هذا الحقل، كانت عسيرة<sup>3</sup> نظراً لكثرة المادة الأدبيّة والاستطراد فيها مع غياب منهج متين يضبط كثرة المعارف في الكتاب، وغياب خطبة لمؤلّفه ينبئ فيها عن دواعي تأليفه للكتاب.

بعد الانتهاء من استقراء أصول البلاغة العربيّة التي أجملها في التّفاعل الثّقافي والخلفية الدينيّة والنّحو والمنطق<sup>4</sup>، يخلص العمري إلى أنّ محاولات التّأليف الأولى في علم البلاغة تنضوي تحت ثلاث مسارات أساسيّة : " 1- التّراوح بين الغرابة الشعريّة والغرابة التّداوليّة. 2- أناقة الخطاب؛ الصّحّة والتّناسب (الكلاسيكيّة البلاغيّة)، 3- البلاغة العامّة أو البلاغة المعسودة"<sup>5</sup>. بدأ العمري في استكشاف التّداخل بين التّخييل والتّداول في البلاغة القديمة،

<sup>1</sup> بن يحيى طاهر ناعوس، البلاغة وتحليل الخطاب قراءة في تغيير النّسق المعرفين، مجلة دراسات ع2015/7ع ص16

<sup>2</sup> أبو هلال الحسن العسكري (تـ 395هـ)، الصناعتين، الكتابة والشّعْر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية بيروت، 1419هـ، ص5

<sup>3</sup> ينظر محمّد العمري، البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، ص285.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص26/27/28.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص280.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

ويطوف على السطح توظيفه للمصطلح الجديد في الدرس البلاغي العربي (البلاغة العامة)، فمن أين استلهم الباحث هذه الفكرة ومصطلحاتها؟ وكيف كان وعيه لها؟

جاء الباب الثالث من كتاب الصناعتين موسوماً بـ (في معرفة صنعة الكلام وترتيب الألفاظ)، وقد جعله العسكري على فصلين؛ أحدهما يخص قول الشعر وثانيهما يخص الكتابة<sup>1</sup>، فذكر الشعر وما يلزمه من حسن نظم وكريم لفظ وأناقة تأليف، "ومما يفضل به غيره أيضاً طول بقائه على أفواه الرواة، وامتداد الزمان الطويل به؛ وذلك لارتباط بعض أجزائه ببعض... ومما يفضل به غيره من الكلام استفاضته في الناس وبعد سيره في الآفاق؛ وليس شيء أيسر من الشعر الجيد، وهو في ذلك نظير الأمثال"<sup>2</sup> وقد كان البلاغيون القدماء يرفعون قيمة الكلام المنظوم على المنثور لأمر عدّة كالوزن والقافية وحسن التصوير في الخيال والغرابة والإمتاع، وسهولة الحفظ، وبقاؤه عبر الأزمان، فالشعر لا ينتهي أثره بانتهاء مقام إنشائه مثل النثر (الخطب) الذي يرتبط بسياق معين فيزول أثره بزوال مقامه. وليس العسكري وحده من فضّل الشعر على النثر، إنّما فضّلت العرب الشعر من أيام الجاهلية، وليس أعزّ على القبيلة آنذاك من أن ينبغ لها شاعر.

أمّا الفصل الثاني من هذا الباب فتحدّث فيه عن الكتابة؛ يقصد بها الخطاب المنثور كالخطب والرسائل، وهما عنده "متشاكلتان في أنّهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل؛ فالألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعذوبة"<sup>3</sup>. جعل العسكري الخطبة من أمور الدين إذ تعدّ شطر الصلاة في الجمعة والأعياد، أمّا الرسالة فمدارها في تدبير أمور السلطان ودواوينه، ولم يذكر الرسائل الإخوانية فلعله يرجعها إلى حكم الرسائل المذكورة عموماً دون التفصيل في أنواعها. أمّا تصنيفه فقد جاء شكلياً إذ اعتمد على الشكل (الوزن والقافية) دون المضمون أو المقصدية في التفريق بين المنظوم (الشعر) والمنثور.

بدأ محمد العمري استبطان نظرية بلاغية جديدة في التراث العربي من خلال كتاب أبي هلال العسكري (الصناعتين: الكتابة والشعر)، وقد وجد فيه ما ينبئ عن وعي البلاغيين القدماء بمسألة بلاغية دقيقة، قد أصبحت اليوم تُعرف بالبلاغة العامة، إذ نجد العسكري يفرّق بين بلاغة المنظوم وبلاغة المنثور، بداية بالعنوان المشطور إلى الكتابة والشعر، فقد أفرد كلاً منهما بفصل مستقلّ في الباب الثالث من مؤلفه<sup>4</sup>، حيث بيّن الشعر وخصائصه الأسلوبية، ثمّ بيّن أسلوب الكتابة وخصائصها التداولية. هذا الوعي البلاغي استلهمه العمري وقولبه وفق النظرية البلاغية المعاصرة، نظرية تقوم على شقين التداول والتخييل.

<sup>1</sup> ينظر أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ص133

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص137.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ص 136

<sup>4</sup> يمتدّ هذا الباب من الصفحة 133 إلى 161.

### 2.1 التداولية في كتاب الصناعتين :

بدأ العمري حديثه عن بلاغة التداول\* في (الصناعتين)، ويقصد بالتداول أسلوب الكلام المنثور كتابة أو مشافهة وما يستدعيه من مراعاة لأحوال المخاطبين وأقدارهم ومناسبة الألفاظ لتلك المقامات المختلفة، فمخاطبة العامة ليست كمخاطبة الأمراء والعلماء، وكذا يختلف مقام الوعظ عن مقام الصلح أو الحث على الجهاد، ولكلّ مقام مقال يعتني بتلك الفوارق المعلومة. وقد تحدّث العسكري عن مواصفات الأساليب في الكلام التداولي<sup>1</sup>، وبيّن ما ينبغي أن يكون عليه الكاتب والخطيب من دراية بالعلوم المختلفة، والأهمّ منها علوم اللّغة وأهمّها علم البلاغة الذي يعتني بأفانين القول ويضعها موضعها المناسب.

يتحسّس (العمري) مواطن وأثار البلاغة التداولية في الصناعتين ليؤسّس نظريّة عربية في بلاغة التداول إلى جانب بلاغة الأدب (الشعرية)، وهذا على غرار التداولية الغربية المعاصرة. قد وجدت أبعاد التداولية أوّل الأمر مع الجاحظ إلا أن البديعيين بعده تخلّوا عنها واختزلوا البلاغة في جماليات الأسلوب من بيان وبديع<sup>2</sup> كما انتهت إليه نظريّة (السكاكي تـ623هـ)، لكنّ تهمة اختزال البلاغة تبقى - في نظرنا - مجرد تخمين يحتاج تأسيساً علمياً، لأننا نحسب أنّ نظريّة البلاغة التداولية قد لقيت عناية فائقة عند القدماء، إذ استحوذت على نصيب وافر من البلاغة القديمة؛ تجلّى ذلك في علم المعاني؛ ذلك العلم الذي يسير وفق مقتضى الحال وما يقتضيه من أوجه إيراد الكلام<sup>3</sup>، ويرى السكاكي أنّ " علم البيان شعبة من علم المعاني لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار"<sup>4</sup>، وعليه فإنّه يقدّم مقاصد الكلام على التّصوير البياني، وعلى نفس المبدأ يقوم جوهر التداولية الغربية، ولذلك يجدر بالباحثين المعاصرين مراجعة فكرة القائلة باختزال البلاغة العربية في البلاغة الشعرية، أو التّدليل عليها بما يعقل من المؤلفات القديمة.

يعزو (العمري) بلاغة التداول في الصناعتين إلى (الجاحظ ت255هـ)، من خلال ما جمعه في (البيان والتبيين)، أمّا البلاغة الأدبية التي تهتمّ بالصّور البيانية والبديع فيعزوها إلى (ابن المعتز ت296هـ) في كتابه (البديع)<sup>5</sup>، الذي حشد فيه العديد من فنون البلاغة في عصره. فهما (البيان والتبيين والبديع) -في نظر الباحث - رافدا كتاب الصناعتين، والمصدران اللذان أسّس عليهما العسكري نظريّته في البلاغة العامة بشطريها؛ فنّ الكتابة وفنّ الشعر.

\* نرى أنّ البدء بالبحث عن بلاغة التداول في بلاغة العرب القدماء نابع من فكرة (أو إحساس) بأنّ البلاغة العربية القديمة لم تعنى بهذا الشّطر من البلاغة، لذلك نرى العمري يصرف اهتمامه نحو التداولية أكثر من الشعرية.

<sup>1</sup> ينظر العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص286/287.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص287.

<sup>3</sup> ينظر يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت 623هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2/ 1407 هـ - 1987 م، ص167.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص162.

<sup>5</sup> ينظر العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص288.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

إنّ معيرة البلاغة وفق المقام التداولي عند القدماء في علم المعاني، وتحديدًا عند حديثهم عن أضرب الخبر، وخروج الخبر والإنشاء عن مقتضى الظاهر لاعتبارات تداوليّة؛ يرجع إلى عنايتهم " بالأثر الآني الذي تتركه الرسالة أو ينبغي أن تتركه وكيف يكون الخطاب ناجعاً، ومن ثمّة تصبح البلاغة سلطةً أمام النصّ، وتوقع الشعري في شرك الوظيفة الخطابيّة"<sup>1</sup>. هكذا تلوّح في الأفق نظريّة (محمّد العمري) الجديدة : (البلاغة العامّة بين التخييل والتداول) أين تصبح الصّورة البيانيّة والمحسنُ البديعي تابِعاً يخدم الوظيفة التداوليّة للخطاب؛ وظيفه الإقناع، فلا يؤتى بهذه الفنون البلاغيّة لغاية تحسينيّة صرفة، إنّما لها وظيفة تابعة للوظيفة الجوهرية للخطاب البلاغي.

بعد حديث مقتضب عن التداول في الصناعتين، ينتقل العمري سريعاً إلى الشطر الثاني من حقل البلاغة في هذا المؤلف، والذي يعرف اليوم بالبلاغة الأدبيّة، وتعرف اليوم بعدة مسمّيات كالبلاغة الشعريّة، وبلاغة الصّور والبديع، وبلاغة الأسلوب؛ وقد حازت هذه النظريّة على قسط وافر من البحث والدراسة قديماً وحديثاً، إذا ما قارناها مع الشطر الأوّل الذي يُعنى بالتداول والحجاج.

ولعلّ أهمّ العوامل التي مكّنت من انتشار هذه النظريّة الأخيرة هي عناية القدماء بالتّظهير لها، ووضع القواعد التي تحكمها بداية مع (ابن المعتز ت296هـ) وصولاً إلى (السكاكي ت623هـ). إنّ العمل الذي أخرج هذا الأخير في (مفتاحه) جعل من البلاغة مادة تعليميّة يُقصدُ تلقينها للمتعلّمين، حتّى صارت مادة دراسيّة في جميع المدارس والجامعات إلى يوم النّاس هذا، لكنّ بعض الباحثين<sup>2</sup> ما يفتأ يتحسّر على جهود السكاكي البلاغيّة، إذ يتوهّم أنّه قد عقّد البلاغة بوضعها تحت القيود المنطقيّة، وقضى على جمالياتها التي تنقاد للذوق الأدبي دون القواعد المنطقيّة، فالذوق يطلق العنان للخيال الأدبي دون قيد، لكنّ هذه الطّرح قد يعنوره القصور؛ لأنّ العلوم إذا لم تقيد بمواضيعها وقواعدها ومصطلحاتها لم يصحّ أن تحوز (لقب العلم)، وعندها تصير مجرد إبداعات وخواطرٍ يقول بها من أسعفته فصاحته وموهبته كيف شاء.

وحجّتنا في الدّفاع عن نظريّة البلاغة في المفتاح في العلوم العربيّة من عروض وصرف ونحو، فلولا التّقنين والتّفعيد لصاعت أفكار العلماء\* فيها مع مرور الأيام والسنين، وإن قال

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص287.

<sup>2</sup> ينظر إدريس جبيري، سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمّد العمري، نحو بلاغة عامّة، ضمن البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمّد مشبال، ص273 - يقول الباحث : (انتصرت للأسف بلاغة السكاكي...، فيما انتكست بلاغة حازم من سوء الحظ...)، وقد أشرنا بخط تحت عبارات كلّها انتقاص من بلاغة السكاكي وتهوين لها، وهذا ما لا يعدّ من معجم البحث العلمي في شيء، فينبغي الاعتبار بالدليل بعيد عن خطاب التّأوّه والتّحسّر.)

\* ويمكن أن نستأنس في هذا المقام بما حدث مع بعض الفقهاء ممن كان لهم مذهب فقهي خاصّ كالإمام (سفيان الثوري ت161هـ) - رحمه الله - فقد كان بحراً في العلم والفقّه إلا أنّ مذهب لم يحفظه الرّواة لأنّ طلاب العلم لم يكتبوا عنه ولم يحفظوا علمه.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

قائلهم أنّ البلاغة تخضع للذوق السليم والإبداع الأدبي دون حدود المنطق، قلنا أنّ الذوق يختلف من شخص لآخر، فلم يكد يتفق حوله اثنان. فإذا أخضعت البلاغة لجميع الأذواق رهنّها بالأهواء المختلفة ولم تكذّ تظفر منها بفكرة، أمّا خضوعها للإبداع الأدبي فهذا ليس بأيدي جميع الناس، فالإبداع ظاهرة خاصة بمجموعة صغيرة من الناس، ويتفاوتون في هذه الميزة، وقد أبدع النقاد في ملاحظة إبداعات الشعراء والأدباء في استنباط القواعد البلاغية الكبرى التي يسيروا وفقها الإبداع الأدبي، أمّا القاعدة العريضة للإبداع هي الإغراب والانزياح عن المألوف ممّا يحدث المتعة والإعجاب؛ وليس له قيد سوى ذوق الناس إنّ التزم بالصحة والسلامة اللغوية.

خصّ العسكري جزءاً هاماً من كتابه (الصناعتين) للكلام في البديع، يضمّ هذا المبحث عندهم<sup>1</sup> مباحث البيان والبديع، وقد أخرج منه العسكري مبحثي التشبيه والسجع<sup>2</sup>، لكنّه لم يعرض لهذا الفصل تأويلاً منهجياً، الأمر الذي لفت انتباه (محمد العمري) الذي طرح الإشكال الآتي : "وهنا يجب الوقوف على مسألة منهجية تتعلق بالفصل بين التشبيه والاستعارة من جهة، وبين السجع والتجنيس من جهة أخرى؟ فدخل بعضها في باب البديع وخرج منه البعض، وهي تشترك في البناء والوظيفة إلى حدّ بعيد؟"<sup>3</sup>. يرى العمري أنّ هذا الفصل بين التشبيه والسجع من جهة وبقيّة مباحث البديع مألّه إلى كثرة التشبيه والسجع وشهرته في كلام العرب القدماء منذ الجاهلية، فلم تكن هناك حاجة لأن يضمّ إلى البديع الذي يقصد به الجديد.

غلبت على العقلية العربية القديمة تقنيات التشبيه في الكلام، وترصيعه بالسجع منذ أيام الجاهلية، أمّا بقيّة مباحث البيان فقد وجدت بنسبة قليلة مقارنة بالأولى، لكنّ الشعراء العباسيين قد بالغوا وتكفّفوا في استعمال الاستعارات وأوجه البديع المختلفة، فاشتبهوا بالبديع؛ أي أنّهم أتوا في أشعارهم بالجديد الذي لم يسبقهم إليه غيرهم، فكان الردّ على زعمهم أنّهم دافع لـ(ابن المعتز ت296هـ) إلى تأليف كتابه (البديع)، حيث يقول "قد قدّمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله  $\mu$  وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سمّاه المحدثون البديع؛ ليُعلم أنّ بشاراً ومسلماً وأبا نواس ومن تقلّبهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفنّ؛ ولكنّه كثر في أشعارهم فعُرف في زمانهم حتّى سُمي بهذا الاسم؛ فأعرب عنه ودلّ عليه"<sup>4</sup>، تصريح (ابن المعتز

<sup>1</sup> جعل عبد الله بن المعتز أبواب البديع ستة هي : الاستعارة والتجنيس، والمطابقة وردّ العجز على الصدر والمذهب الكلامي، ولم يجعل التشبيه والسجع من مباحث البديع وتبعه في ذلك العسكري.

<sup>2</sup> ينظر أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، الباب السابع ص239 والباب الثامن ص262.

<sup>3</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص288.

<sup>4</sup> أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكّل ابن المعتصم ابن الرّشيد العباسي (المتوفى: 296هـ) البديع في البديع، دار الجيل الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م، ص74/73.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

(يدوافعه لتأليف كتاب البديع إجابة كافية للإشكال الذي أثاره (محمد العمري) حول فصل التشبيه والسجع عن البديع في الصناعتين.

يتجلى من خلال ما ذكرنا حول البديع ودوافع التأليف فيه؛ أنّ المسألة لم تخضع لمنهجية علمية، إنّما جاءت على شاكلة ردّ وتفنيدي لفكرة شاعت آنذاك مفادها نسبة البديع للمتأخرين من الشعراء دون غيرهم من المتقدمين، هذا الزعم كان كافياً لغرس شجيرة البديع التي تفرّعت فيما بعد وأصبحت علم البلاغة؛ وهذا ما يفسّر فصل العسكري لمبثني التشبيه والسجع عن بقية الفنون البلاغية لأنهما مبحثان قديمان في الشعر وكلام العرب، فلم يتميّز بهما المتأخرون، فليس هناك داعٍ لأن يوصف هذين المبحثين بالبديع، فالكتاب بُني على منهج يبحث الجديد في عصره .

إنّ كتاب الصناعتين قد جمع بين دفتيه شطريّ البلاغة (التداول والتخييل) ، وجانس هذا العمل في فكرته كتاب (سرّ الفصاحة) لـ(ابن سنان ت466هـ) وكتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لـ(حازم القرطاجني ت684هـ)<sup>1</sup>. وهذه المؤلفات هي أصول ومنابت نظرية البلاغة العامة<sup>2</sup> في البلاغة العربية القديمة.

### 3.1 البلاغة العامة عند عبد القاهر الجرجاني: (في كتاب الأسرار)

بحثاً عن نسخة عربية في البلاغة العامة يواصل محمد العمري جهوده مع مشروع تراثي آخر يُتمّ من خلاله بناء فرضيته نحو نظرية البلاغة بين التخييل والتداول، ليقف على مشروع أحد أعمدة البلاغة العربية؛ إنّهُ الشيخ (عبد القاهر الجرجاني ت471هـ)<sup>3</sup> من خلال كتابيه (الأسرار ودلائل الإعجاز). يرى العمري أنّ هذين الإنجازين هما جناحي البلاغة العامة؛ إذ يمثّل كتاب (أسرار البلاغة) البلاغة الشعرية في صورها المتعددة والمعتمدة أساساً على التخييل الشعري في صورته المختلفة (المجاز والتشبيه والاستعارة)، ويمثّل كتاب (دلائل الإعجاز) الجانب التداولي من البلاغة العربية القديمة.

صنّف الشيخ (عبد القاهر الجرجاني) كتابه (أسرار البلاغة) في علم البيان كما استقرّ عليه المصطلح عند المتأخرين، وأضاف عليه التجنيس والسرقات الشعرية. قامت فكرة الكتاب على تأرجح المعاني بين حدّين يشكلان المجال التّأويلي لها؛ فمن المعاني ما يكون قريب المأخذ لطبيعته الحسيّة، ويبعد مأخذها عن المتلقّي كلّما أوغلت في التّجريد، ويصطلح

<sup>1</sup> ينظر محمد العمري، البلاغة العربية، ص299.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص299.

<sup>3</sup> أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت 471هـ)، من أعلام الثقافة العربية الإسلامية التي كانت سائدة في عصره، مثل علوم القرآن الكريم وما دارت حوله من مباحث ودراسات. وأتقن الفقه الشافعي وبرع في فلسفة المذهب الأشعري. وألم بالدراسات المنطقية على نحو ما تكشف عن ذلك تقسيماته ودراساته في (أسرار البلاغة) ومجالاته في (دلائل الإعجاز). وقد كان عبد القاهر على معرفة تامة بلغات متعددة غير العربية .

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

عليها العمري بالمعنى القريب والمعنى البعيد<sup>1</sup>. " ويفصل بين القسمين أنك إذا رجعت في القسم الأول إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تُفيد، وجدته يأتيك عفواً، كقولك في رأيت أسداً رأيت رجلاً كالأسد.... وإن رُمته في القسم الثاني وجدته لا يأتيتك تلك المؤاتاة، إذ لا وجه لأن تقول: إذا أصبح شيء مثل اليد للشمال أو حصل شبيه باليد للشمال، وإنما يتراءى لك التشبيه بعد أن تخرق إليه سترًا، وتعمل تأملاً وفكراً"<sup>2</sup>، هكذا تتميز التشبيهات والاستعارات من قرب الفهم على بعد التأويل، ومن ساذجة واضحة إلى أنيقة توغل في الخيال الأدبي البديع، تُجهد القارئ في تأويلها مثيرةً للإعجاب والغرابة.

ومرجع سذاجة المعاني إلى كثرة استعمالها في الكلام، وتصبح أقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال، "ولأنّ المجاز إذا كثر استعماله صار حقيقة عرفية"<sup>3</sup>؛ قد لا يأبه المتحدث إلى كون أصلها من المجاز لكثرة جريانها على الألسن مع طول الزمن، وقد أُلّف في هذا (ابن جني 392هـ) باباً في كتابه **الخصائص** وسَمّه بـ(باب في أن المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة)<sup>4</sup>. أما الصورة الجديدة الغربية على الألسن فتخلب العقول، وتسحر القلوب، نظراً لما تحدثه غرابة الاستدلال وحسن الاختيار بين طرفيها سواءً في التشبيه أو الاستعارة، " وإنما تحسن بأن تجيء على وجه من المناسبة وطرف من الشبه والمقاربة"<sup>5</sup> تدعو العقل الوقاد إلى النظر والتأمل في سرّ جمالها وسحر بلاغتها، وتناهى به بعيداً عن الكَلِّ في تدبُّر أسرارها، وقد سمّي الإبداع إبداعاً لما يبدع من جديد المعاني، وغريب العلاقات بينها.

والظاهر أنّ الاستعارة تتراوح صعوداً ونزولاً في مجال الوضوح والغموض نظراً لطبيعة العلاقة القائمة بين المستعار له والمستعار منه، فكلّما كان مأخذ العلاقة قريباً من الأذهان اقتربت الاستعارة من الفهم دون جهد كبير في التأويل، وإذا كانت هذه العلاقة ممّا يُعجزُ القارئ عند إيجاد مناسبتها بين الطرفين، كانت الصورة موعلةً في التخيل الذي يسلم صاحبه إلى الغموض. وبما أنّ العلاقة في الاستعارة تقوم على المشابهة فلا ينبغي للأديب أن يتكأف كثيراً في اختيارها، ولذا رأينا (عبد القاهر الجرجاني) في حديثه عن التخيل قد أخرج الاستعارة من هذا الباب لكثرة ورودها في القرآن الكريم ممّا لا يتناسب مع الإيغال في التخيل. كما أنّ الاستعارة التخيلية هي ما تستخدم لدى الشعراء كثيراً أمّا ما يستخدمه الخطباء من الاستعارة فهي حجاجية لقيامها على علاقة استدلالية شبه منطقية.

<sup>1</sup> ينظر محمّد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص329.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة المدني بالقاهرة، ص 47.

<sup>3</sup> يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، ج1، ص54

<sup>4</sup> أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي تـ 392هـ، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج2، ص449.

<sup>5</sup> محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل - بيروت، ط3، ج3، ص231.



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

يقول الجرجاني في تمييزه الاستعارة من التخييل : " واعلم أن الاستعارة لا تدخل في قبيل التخييل، لأن المستعير لا يقصد إلى إثبات معنى اللفظة المستعارة، وإنما يعتمد إلى إثبات شبيهه هناك، فلا يكون مخبره على خلاف خبره، وكيف يعرض الشك في أن لا مدخل للاستعارة في هذا الفن، وهي كثيرة في التنزيل على ما لا يخفى، كقوله Y: " (وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا) مريم (4)، " ثم لا شبهة في أن ليس المعنى على إثبات الاشتعال ظاهراً، وإنما المراد إثبات شبيهه...<sup>1</sup> فالاستدلال في الصورة التي ذكر وقع في وجه الشبه بين طرفي الاستعارة، فقد احتج لدليل على بيان الكبر الذي بلغه سيدنا زكريا من خلال سرعة انتشار الشيب في رأسه كسرعة انتشار النار في الهشيم، وهذه إقامة للحجة والدليل لبيان الحال. أما التخييل عند الجرجاني فيقوم على الخداع الشعري الذي يدعي ما لا دعوى لإثباته في واقع الأمر، وهذا النوع لا وجود له في القرآن، ولا يمكن أن يكون استدلالاً حاجبياً.

جاء الشطر الأول من البلاغة العامة قديماً – في نظر محمد العمري – عند (عبد القاهر الجرجاني) مجسداً في كتاب (أسرار البلاغة)، حيث قامت فكرة الكتاب على بناء نظرية في البلاغة الشعرية أي بلاغة الصور، التي تقوم على الإبداع الأدبي من الشعراء خاصة والكتاب بدرجة أقل، وجمال المعاني في هذه البلاغة يدور كما يقول الباحث بين قطبين : " قطب الصريح المباشر البسيط ، وقطب المؤول البعيد المركب"<sup>2</sup>، وبينهما مجال فسيح تتأرجح فيه المعاني من العادي السمج إلى الأدبي العالي دقيق المسلك بعيد المأخذ والتأويل.

### 4.1 البلاغة التداولية القديمة (في كتاب الدلائل) :

إن قضية الإعجاز القرآني أهم رافد قام عليه الدرس البلاغي عند القدماء، فقد أسالت حبراً كثيراً، ومرجعها إلى التحدي الإلهي للعرب بأن يأتوا بمثل آية من آي القرآن العظيم، يقول Y (أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَبَهُ فَلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٣ سورة هود الآية رقم 13. وقد تكرر هذا التحدي الإلهي مرات عدة في القرآن الكريم، لكن المعاندين لم ولن يستطيعوا أن يأتوا بآية من مثله. فتبارى العلماء في محاولات عديدة لتقفي مواطن الإعجاز القرآني ومظاهره، ومن أهم المؤلفات في هذا الموضوع كتاب (دلائل الإعجاز) للشيخ عبد القاهر الجرجاني ت471هـ، الذي حاول من خلاله تتبع علل الإعجاز القرآني ولعل أهمها النظم القرآني. هذا المؤلف سيكون جزءاً مهماً من نظرية البلاغة العامة التي بدأ تأسيسها (أو بالأحرى تجديدها) الباحث (محمد العمري).

جاء تأليف كتاب (الدلائل) بعد كتاب (الأسرار) من جهة الترتيب الزمني، ولا يرى العمري تناقضاً أو انفصلاً بين موضوعي الكتابين، وإنما قامت علاقتهما على التكامل؛ " فإن عملية الانتقال من أسرار البلاغة إلى دلائل الإعجاز لا تعني تغيير الموضوع أو قلب

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، الرسالة ناشرون، ط1/ص198.

<sup>2</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص342.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الإشكالية رأساً على عقب، ولذلك لم تستتبع التّخلي عن مادّة الأسرار، بل اكتفت بتعديلها وتكميلها (بإضافة الكناية)<sup>1</sup>، وربطها بمقتضيات النّظم التّحوي، وجعلها تابعة له، فلم تعد القمّة موجودة في تنامي الغرابة بل في اتّجاه مناسبة الكلام للمقاصد<sup>2</sup>، وقد أوردنا هذا النّصّ على طوله للعمري لما فيه من أفكار مهمّة نسردها كالآتي :

- أوّلاً : التّكامل بين الأسرار والدلائل : وهذا يدلّ على الوعي التّامّ عند عبد القاهر الجرجاني بسلطة البلاغة العامّة على الخطاب بصورتيه الشّعريّة والخطابة، ولا فصل بين شطريها، ولا اختزال لها في صورة واحدة.

- تداوليّة الخطاب : جعل الشّيخ مادّة البلاغة الشّعريّة متعلّقة وتابعة لما تقتضيه معاني النّحو، فحسن العبارة منوط بصحّة التّركيب وتتبع معانيه<sup>3</sup>، التي توافق السّياق الذي يستدعي الخطاب.

- المزيّة البلاغيّة: إعادة بلاغة الخطاب إلى مناسبتة التّداوليّة<sup>4</sup>، وليس كما شاع بين الشّعراء والنّقاد، أنّ المزيّة في حسن الاستعارات وجمال التشبيه، فلا مزيّة للصور البلاغيّة إن لم تستتبع المعاني ولم تراع المقام التّداولي للخطاب.

عوّ الشّيخ عبد القاهر في (الدلائل) على قضيّة (النّظم) وأثره في بلاغة الخطاب؛ إذ يرى السبيل في تحصيل بلاغة قول ما في نظمه، وليس في لفظه أو معناه كما اشتهر بين المعتزلة في قضيّة اللفظ والمعنى. وقد جاء هذا المؤلّف رداً على المعتزلة ومن تقيل سبيلهم في فصاحة اللفظ ومزيّته في البلاغة، فالفصاحة عنده " لا تظهر في أفراد الكلمات، ولكن تظهر بالضمّ على طريقة مخصوصة"<sup>5</sup>. إنّه ردّ الشّيخ على من اعتقد المزيّة في اللفظ مفرداً عن التّركيب، إذ يبرهن في عدّة مواضع " بأنّ ليس للمزيّة التي طلبوها موضعاً ومكاناً تكون فيه، إلّا معاني النّحو وأحكامه"<sup>6</sup>، وعليه تكون بلاغة القول عنده من حيث هو تركيب على وجه مخصوص ينضبط وفق قواعد النّحو في الكلام العربي المعلومة، وتوافق معاني النّحو من حيث تركيبها مع المقام الذي يدعو المتكلّم لترجمة المعنى في ألفاظ معلومة رُصّت وفق نظام معيّن دون سواه، فالمقام هو الحامل على إخراج المعاني وفق نظم مخصوص قصد تحقيق معنى مقصود.

<sup>1</sup> ينظر محمّد العمري، المحاضرة والمناظرة، ص375.

<sup>2</sup> محمّد العمري، البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، ص346.

<sup>3</sup> ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، 82/83. يقول عبد القاهر في المناسبة التّداوليّة للخطاب " هذا هو السبيل، فليست بواجب شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً وخطوه إن كان خطأ، إلى "النّظم"، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النّحو قد أصيب به موضعه، ووضّع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وُصف بصحّة نظم أو فساده، أو وُصف بمزيّة وفضل فيه، إلّا وأنت تجد مرجع تلك الصحّة وذلك الفساد وتلك المزيّة وذلك الفضل، إلى معاني النّحو وأحكامه، ووحدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصلّ بباب من أبوابه"

<sup>4</sup> ينظر محمّد العمري، البلاغة العربيّة أصولها وامتداداتها، ص347.

<sup>5</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص394

<sup>6</sup> دلائل الإعجاز، ص394 .

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

على عكس ما ورد في عنوان المبحث (المناسبة التداولية : دلائل الإعجاز)<sup>1</sup>؛ لم يهتم الباحث محمد العمري بمواطن النظرية التداولية ونظرية الحجاج في (دلائل الإعجاز)، فقد انجز وراء تحليل رؤى الشيخ وبيان موقفه من فصاحة اللفظ ومزية النظم، وتحليل الآليات البلاغية التي تشتغل وفقها الصّور: الاستعارة، والمجاز والكناية، بينما كان رأي الشيخ واضحاً في ذكره لدواعي تأليف (الدلائل) إذ يقصد " إلى أن تقرّ الأمور قرارها، وتوضّع الأشياء مواضعها، والنزاع إلى بيان ما يُشكّل، وحلّ ما يُنَعَد، والكشف عمّا يخفى، وتلخيص الصّفة حتّى يزداد السّامع ثقةً بالحجّة، واستظهاراً على الشّبهة، واستبانة للدليل، وتبييناً للسبيل"<sup>2</sup>، فمدار الأمر كلّه على إفهام السّامع وإقناعه وفق ما تقتضيه الحال والمقام، وفضّ النزاع عن مواطن البلاغة ومكمن الإعجاز، بعيداً عن صراع القائم باسم المعاني والألفاظ إلى تناسب التراكيب مع المقام.

يخلص (الجرجاني) من كتابه بنظرية (النظم) التي تصرف المزية عن الألفاظ في معاجمها وعن الأفكار بمعانيها، إنّما المزية والبلاغة في طريقة مخصوصة تُرصف وفقها الألفاظ الفصيحة حتّى تتكشف المعاني في أزهى حلّة وفق مقتضيات معاني النحو على مناسبة أقدار السّامعين. وعلم المعاني تطبيق الكلام وفق ما يقتضيه المقام التداولي للخطاب<sup>3</sup>. وقد عاد العمري في آخر مبحثه هذا (المناسبة التداولية) أدراجه ليجعل من (النظم) مكافئاً (لعلم المعاني) تأييداً وإثباتاً منه لما طرحه بدايةً في كون كتاب (دلائل الإعجاز) مؤلّف في النظرية التداولية والحجاجية العربية القديمة، وعليه يكون التّكافؤ بين نظرية النظم وعلم المعاني سبيلاً نحو تداولية البلاغة العربية القديمة وبوجه خاصّ في بابها الأوّل؛ علم المعاني<sup>4</sup>.

رسا مشروع (الجرجاني) في البلاغة على نسق متكامل مع تباين جناحيه؛ " جناح اللفظ بمعنى التّصوير، والنّظم بمعنى ملاءمة التراكيب للمقاصد"<sup>5</sup>. وعليه يكون (العمري) قد فنّد القول باختزال البلاغة العربية القديمة في جانب واحد؛ جانب (النظرية الشعريّة) التي قامت على محاكاة (فنّ الشعر لأرسطو)، وإهمال الشّطر الثاني منها (النظرية التداولية) التي أفرزت نظرية الحجاج؛ وليس الحجاج سوى مظهر من المظاهر التي تفرضها تداولية الخطاب، ولم يفرد القدماء مظهر الحجاج بمؤلفات خاصّة – فيما وقفنا عليه – إنّما يمكن

<sup>1</sup> ينظر محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص246.

<sup>2</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 34.

<sup>3</sup> ينظر أبو يعقوب السكاكي (ت 623هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط2 / 1407 هـ - 1987 م، ص167.

<sup>4</sup> ينظر عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقارنة تداولية معرفية لآليات التّواصل والحجاج، إفريقيا الشّرق، ط2/2012م، ص74

<sup>5</sup> محمد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة، دار إفريقيا الشّرق، 2017، ص16.

استنباط مظاهره مبنوثة في كتب البلاغة من خلال مبدأ (مراعاة الكلام لمقتضى الحال) في مباحث علم المعاني المختلفة.

### 2. البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول :

جاءت صياغتنا لعنوان هذا العنصر محاكاة لكتاب<sup>1</sup> الباحث (محمد العمري) (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول)، حيث صاغ الهيئة المكتملة لنظريته الجديدة في البلاغة العامة. بلاغة تتقاطع فيها النظرية (الشعرية)، والنظرية (الخطابية)\*، ويقصد بالأولى بلاغة الشعر في صورتها القديمة؛ التي تُعنى بالغرابة والتخييل اعتماداً على صور البيان والبديع، أما الثانية فهي بلاغة الخطاب في توافقها مع السياق والتداول، وتندرج تحتها بلاغة الحجاج.

ولا يضيرنا إن عدنا - تمهيداً لهذا المبحث - إلى الحقبة اليونانية من تاريخ علم البلاغة بغية التذكير بأمر مهم، وهو تخصيص مؤلفين منفصلين لكل من الخطابة والشعرية على يد الفيلسوف (أرسطو طاليس)، إذا يعدُّ هذا العمل أول خطوة نحو التمييز بين شطري البلاغة؛ الفصل بين فنّ الشعر وفنّ الخطابة، وقد استلهم الفلاسفة المسلمون هذه النظرية، فإذا كانت الأقاويل الخطابية أقرب إلى البرهان لكونها تقصد التصديق، لكنها لا ترتقي إلى درجة البرهان كما هو عليه في المسائل المنطقية، أما الأقاويل الشعرية فتجاور الخطابية لكنها تقوم على التصديق التخيلي الذي يقصد إلى المتعة والإعجاب أولاً ولا ينافي التصديق<sup>2</sup>. إن التجاور بين الخطابي والشعري ضمن نطاق المحتمل الممكن دليل على انتباه الفلاسفة القدماء على اتساع علم البلاغة للشعرية والخطابية، ولا فصل بينهما كما أحدثه أرسطو ومن بعده.

إنّ المجاورة بين إمارتي الخطابة والشعر فرض حاجة كلّ منهما إلى الآخر؛ فالخطابة " على الرغم من كونها صناعة تصديقية في حاجة دائمة إلى التخييل لما له من دور في تحقيق الإقناع"<sup>3</sup>. فالتخييل الشعري يعمد إلى النفس فيهيئها إلى الانبساط أو الانقباض مما يلقى إليها من القول الخطابي للإقناع. وكذلك القول الشعري لا يخلو أبداً من

<sup>1</sup> صدر مؤلف (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول) سنة 2005م عن دار إفريقيا الشرق سنة 2005م وأعيد طبعة مرة ثانية سنة 2012م.

\* مصطلح (الخطابية) يقصد به بلاغة أرسطو في الحجاج، وضعه الباحث محمد العمري تفادياً للخلط بين المفاهيم والمصطلحات بسبب الترجمات المختلفة. وقد بذل الباحث جهداً في خلق حقل مصطلح جديد لعدة مصطلحات غريبة منها : مصطلح (مستمع = Auditoire) ويقصد بها المقام الخطاب بمكوناته الثقافية والزمانية، وجعل مصطلح (صورة = Figure)، ومصطلح (حجة = Argument).

<sup>2</sup> ينظر ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص 196.

<sup>3</sup> ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة ص 196.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

اللغة الإقناعية على الطريقة الخطابية وهذا كثير في الشعر العربي. كما أنه قد تخلو بعض الصور من الإقناع لأنها تسبك قصدا للتخييل والأمتاع لا غير.

في معرض حديثنا عن مصطلحي (التصديق) و(الإقناع) عند القدماء ينبغي علينا التنبيه إلى مسألة مصطلحية مهمة حول اختلاف مفهومي المصطلحين عند القدماء، فخلافاً لما ذكرنا آنفاً عن قولهم أنّ الخطابة تقصد التصديق، وجدنا (حازماً القرطاجني) يخالف هذه الدعوى في قوله : "... ووجب أن تكون الأقاويل الخطيبية -اقتصادية كانت أو احتجاجية- غير صادقة ما لم يُعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأنّ ما تقوم به وهو الظنّ مناف لليقين"<sup>1</sup>، يفرّق حازم بين مفهوم التصديق والإقناع، فالخطابة تقصد إلى الإقناع بالأقاويل الظنّية (المحتمل)، لكنّ (التصديق) هو غاية الصناعة المنطقية<sup>2</sup> التي تُعنى بالوصول إلى اليقين عن طريق الأقاويل الصادقة. فيمكننا حينئذٍ أن نرادف بين الأقوال التصديقية والقضايا البرهانية لما ينشدها من اليقين لكن أرسطو يسمي الحجج الخطابية بالتصديقات. وعليه فإنّه ينبغي على الباحث التعامل بحذر مع هذه الذخيرة المصطلحية بمراعاة الفروق بينها، واختلاف مفاهيمها من عالم لآخر.

إنّ هذا التمهيد التاريخي في مراجعة تراثنا لتبيان قضية الفصل بين شطري البلاغة سيوصل لنا رؤية منهجية صحيحة نحو دراسة النظريات البلاغية الجديدة تحت منظار القديم، حتّى لا ننبهر بكلّ جديد خاصة إذا علمنا أنّه بحث جادٌ في التراث بمناهج ونظمٍ علمية جديدة مثل أبحاث (محمد العمري).

يقبّل الباحث (محمد العمري) في مقدّمة كتابه (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول) إشكالية على عدّة أوجه، يروم من خلالها الإجابة عمّا كان قد زرع نواته في (البلاغة العربية أصولها وامتداداتها) حول الشعرية والتداولية في البلاغة العربية، فيقول " ما البلاغة؟.. أين توجد البلاغة؟ ... هل هناك بلاغة واحدة أم بلاغات متعدّدة؟ ... هل هناك مشروعية لقيام بلاغة عامّة تنسّق هذه البلاغات؟"<sup>3</sup>، هكذا يستدرجنا الباحث من خلال سرد هذه الإشكاليات وفق تراتبية مقصودة نحو نتيجة حتمية سيأتي على ذكرها نتيجة لبحثه هذا.

ينطلق الباحث من مسلمة عن مصطلح (البلاغة) في التراث العربي الذي لا يُشكّل - في نظره- على القارئ العربي قديماً وحديثاً؛ ويرجع هذا الوضوح إلى الإدماج الذي مارسه (عبد القاهر الجرجاني ت471هـ) في (الأسرار والدلائل) حين جعل البلاغة حقلاً مزدوجاً بين التخييل والتداول<sup>4</sup>. أمّا في المفهوم الغربي فإنّ مصطلح (*Rhetoric*) المقابل لمصطلح (البلاغة) العربي؛ فيتأرجح بين مفاهيم ثلاثة : - بلاغة الحجاج؛ (بلاغة أرسطو القديم) -

<sup>1</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص18.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه ص19.

<sup>3</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، دار إفريقيا الشرق 2012م/ ص5.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص11

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

وبلاغة الأسلوب (بلاغة الأدب والشعر) - ومفهوم ثالث يجمع بينها يسميه الباحث بمفهوم النسق<sup>1</sup>، يصطلح عليه الباحث بالبلاغة العامة.

تقوم البلاغتان؛ الشعرية والخطابية على منطق الاحتمال<sup>2</sup>، فليس الخطاب الموجّه للمتلقّي يقيناً قطعياً الثبوت، ضروريّ القبول، فبلاغة الحجاج إقناع بما هو احتمال قريب من الممكن، والشعر إمتاع بالمحتمل البعيد عن الممكن؛ فإذا كان الحجاج صدق يحتمل الكذب فإنّ الشعر كذب يحتمل الصدق<sup>3</sup>. فهل يكون منطق الاحتمال جامعاً بين الخطابين؟ وفي أيّ مساحة يلتقيان؟ وفي أي نقطة يفترقان؟ وللإجابة عن هذه الإشكاليات يجدر بنا العودة إلى الأصول الغربية لنظرية البلاغة العامة.

### 3. البلاغة العامة نظرية غربية :

ينطلق الباحث (محمد العمري) في عمله هذا من نظرية (بول ريكور *Paul Ricoeur*) الذي يرى الفصل بين (البلاغة والشعرية والتأويلية)<sup>4</sup>، مع إقراره بوجود مناطق تماس بينها، فالخطاب " الشعري والخطابي يتقاطعان في منطقة (région) المحتمل"<sup>5</sup>، ويختلفان في الماهية والأهداف بين الإمتاع الشعري والإقناع الخطابي. فكرة التقاطع بين الإمتاع والإقناع ستكون نواة النظرية البلاغية الجديدة لدى محمد العمري؛ كبلاغة عامة تجتمع تحت مظلتها أطراف العلم الأوسع لدراسة الخطاب العربي المنظوم والمنثور.

يرى بول ريكور أنّ أرسطو مهّد لقيام البلاغة اليونانية في ثنائية (الشعر/الخطابة)؛ لكنّ الواقع أنّ أرسطو شطر البلاغة إلى الوجهين المذكورين وليس هو من أبدع هاتين النظرتين<sup>6</sup>؛ إذ قامت البلاغة اليونانية قبل أرسطو، الذي عمد إلى شطر هذا العلم جزأين حين وضع كتاب (فنّ الشعر) وكتاب (فنّ الخطابة)، فالحديث عن البلاغة في مؤلّفين مستقلين عن بعضهما يومئ بشطر إمبراطورية البلاغة إلى إمارات مستقلة تحت لواء النظرية البلاغية العامة، كما فصلت قبل هذا الفلسفة عن التسقطة والبلاغة.

رداً على فكرة (ريكور) القائل باستقلال الشعرية عن الخطابية مع بعض التماس، يرى (ميشال مايير) إمكانية إقامة علم عامّ على المنطقة التي تتقاطع فيها (الشعرية والخطابية)، منطقة تتجاوز التماس نحو تداخل كبير، تداخلٌ يكون فيه الاختلاف بين النظريتين البلاغيتين

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص12.

<sup>2</sup> ينظر المبحث الثالث من الفصل الأول من هذه الدراسة.

<sup>3</sup> ينظر العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص15.

<sup>4</sup> بول ريكور، مقال (البلاغة، الشعرية، التأويلية) ترجمة مصطفى النحال، مجلة أوان، العدد التاسع صدر في 2005/02/01م.

<sup>5</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص17.

<sup>6</sup> ينظر المرجع نفسه، ص19

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

اختلاف تنوع وتكامل يثري النظريات النقدية المعاصرة، وليس اختلاف تضاد يؤول إلى كون وجود طرف يعني عدم وجود الآخر<sup>1</sup>، مما يزيد من هشاشة النظرية البلاغية التي تُعنى بجميع أنواع الخطاب اللساني.

على نهج (ميشال مايير) يواصل (أوليفي ريبول) طرح الإشكالية القائلة بإمكانية قيام نظرية البلاغة الأوسع، نظرية عامة تلمم شمل الإمارات المتفرقة داخل البلاغة العامة. البلاغة عند (ريبول) تلك المنطقة التي يتقاطع فيها التخيل والحجاج؛ أي " كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث : المتعة والتعليم والإثارة"<sup>2</sup>، لكن السؤال الذي لا ينبغي تجاهله هو: كيف يمكن لمنطقة التماس هذه أن تكون أوسع وأشمل؟ إذا كانت مجالاً للتقاطع فقط مع بقاء السمة الغالبة للنظريتين (الشعرية، الحجاج) فإن منطقة التقاطع ستكون -لا محالة- أقل مقارنة بالمساحة الأصلية في النظريتين، وهذا الأمر يذكرنا بفكرة حازم عن نسبة وجود الأقويل الخطابية في الشعر ونسبة الأقوال الشعرية في الخطابة.

تقوم فكرة (أوليفي ريبول) البلاغية على الدمج بين الصورة البلاغية والحجة، ومتى يمكن أن تصبح الصورة سبيلاً نحو الحجاج، أي تكون الصورة حجة تعتمد جمال التصوير في الإقناع. فالعدول من صورة إلى أخرى القائم على الاختيار يكون لغاية في نفس الخطيب والشاعر قصداً وليس اعتباطاً لخدمة فكرة ما ودعمها، ومراعاة لطبيعة المقام، فالصورة تجذب الانتباه وتثير الإعجاب وتطبع الفكرة في ذهن المتلقي؛ الأمر الذي يُسهّل الوصول إلى الفكر بحيث لا " تميّز بين الإحساس والموافقة أو التسليم"<sup>3</sup>، فالإقناع تلاحمٌ أني متزامن بين العواطف والفكر لا فصل بينهما أثناء المحاجة، كما لا يمكن فصل الوجدان عن العقل.

يبدو أنّ (أوليفي ريبول) يرفض التشطّي القائم في حقل البلاغة جرّاء نظريات البلاغة الجديدة التي ظهرت في الستينات من القرن الماضي، إذ اصطلحت كلّ مدرسة لطحها البلاغي بمصطلح (البلاغة الجديدة)، فالتيار الأوّل " تيار شايم بيرلمان ولوسي أولبريخت تينيكاً"<sup>4</sup> في مؤلفهما (مصنّف في الحجاج، البلاغة الجديدة)، الذي ينحى بالبلاغة نحو فنّ الخطابة الأرسطية وسبل الإقناع والمحاجة متمثلاً بالإشكال الفلسفي القائم على تقصي طبيعة القيم الإنسانية والمعايير التي تحكمها وتوجّجها.

أمّا التيار الثاني فيمثله " جون كوهن، وجماعة مو، وجيرار جينيت ورولان بارت"، وقد نحت هذه الجماعة من النقاد المعاصرين بالبلاغة إلى "معرفة طرق اللغة المميزة للأدب،

<sup>1</sup> ينظر محمّد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، ص 21

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 22

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 24

<sup>4</sup> أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ترجمة رضوان العصابة، مراجعة حسان الباهي، دار إفريقيا الشرق، 2015م ص 116.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

واختزلت هذه الطّرق في التّصويرات الأسلوبية<sup>1</sup>، مستندة إلى (فنّ الشّعْر لأرسطو)؛ وعليه فإنّ ما ينبغي الإشارة إليه أنّ تيار البلاغة الأدبية مبحث قديم من مباحث البلاغة الكلاسيكية وليس بالجديد بالمفهوم الصّحيح للكلمة، إذ لا يمكن وصف الأسلوبية بالبلاغة الجديدة على اعتبارها فرع عن الشّعريّة القديمة التي أسّس لها أرسطو في فنّ الشّعْر، وتعتمد هذه البلاغة خصوصاً على الأقوال التّخييلية.

يصل (ريبول) إلى خلاصة مفادها أنّ كلا النّظريتين البلاغيتين اختزالاً لحقل البلاغة الواسع الذي يقوم على الحجاج الخطابي مستخدماً التّأثير على العواطف، لأنّه يقول -أنّ طرح بيرلمان- : " يتجاهل الجوانب الانفعاليّة للخطابة، أقصد الإمتاع والتّهيب، أي الفاتنيّة والعاطفة الأساسيين للمقابلة"<sup>2</sup>. وفي الجهة الأخرى يتبرّأ أعضاء (جماعة مو) من الخطابة القديمة، فيقول أحدهم : " لا الكتاب المقدّس ولا القانون المدني ولا أيّ سلطة أخرى مهما كانت، تُجبرنا على الانطلاق من مجال الخطابة القديمة"<sup>3</sup>. وهكذا تكون كلّ جهة قد استبدت بالبلاغة الجديدة حكراً لمشروعها، الأمر الذي سيكون منطلقاً لبناء نظريّة جديدة تجمع الطّرحين تحت بلاغة واحدة، هي البلاغة العامّة.

تقوم فكرة البلاغة العامّة عند الغربيين على " رفض الاختيار القاتل بين خطابة حاجيّة وخطابة أسلوبية، ليست تستقيم الواحدة منهم دون الأخرى"<sup>4</sup>، بل ينبغي تعاضد الصّورة مع الحجّة للأداء الجيد للخطاب، فالاستعارة أو التّشبيه صور بلاغيّة ذات نجاعة حاجيّة تؤدّي الغرض على وترين اثنين : اللّعب على وتر الإثارة والإعجاب، ووتر المعنى إذ تقوم بتكثيف المعنى وشحنه بمعاني إضافيّة مقارنة بالتعبير العادي، الذي لا يكاد ينزاح عن (الدرجة الصّفر)<sup>5</sup> في الاستعمال اليومي للغة العاديّة، ولعلنا نحسب أنّ الخطاب التّداولي الحجاجي أكثر حاجة إلى الانزياح الأسلوبي لما يعترضه من نمطيّة العادة التي تبعث بالجمهور إلى السّامة.

يحاول العمري بناء نظريّة البلاغة العربيّة العامّة في كتابه (البلاغة الجديدة بين التّخيل والتّداول)، متّكناً على التّمودج الغربي في إقامة نسق بلاغي عامّ يجمع الحجاج والتّخيل حسب طرح (أوليفي ريبول)، الذي حاول رأب الصدع الذي أحدثه من جاء بعد (أرسطو) قديماً بين (الشّعريّة والخطابيّة)، لكن أرسطو فصل البلاغة في دراساته النّظريّة عبر كتابيه (فنّ الخطابة وفنّ الشّعْر)، أمّا الجانب الإجرائي البلاغي فيبقى البلاغة نظريّة

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 116.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 117.

<sup>3</sup> مدخل إلى الخطابة (مرجع سابق)، ص 116.

<sup>4</sup> المرجع نفسه ص 118.

<sup>5</sup> ينظر المرجع نفسه ص 116.



## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

قائمةً على الاستدلال الحجاجي وليست الصياغة الأدبية<sup>1</sup>، ولا يزرُ (أرسطو) الاختزال النظري للدرس البلاغي بعده، لأنّ الدّراسة النظريّة تتطلّب التقسيم والتّبويب والتّمييز بين المتشابه، والمتنافر، والمتقابل، وهذه هي حال مناهج الدّراسات العلميّة.

### 4. البلاغة العربية بين الاختزال والتعميم :

لنا أن نطرح إشكالا وجيهاً في هذا المقام : هل عانت البلاغة العربية القديمة من الاختزال؟ أم أنّ الباحث افتراض فرضيّة الاختزال ليوجّه القارئ ويؤسّس لفكرته؟ ولسنا نظنّ الإجابة عن هذا الإشكال بالأمر العسير فقد سبق أن ذكرنا وذكر (العمرى) بعض المنجزات البلاغية القديمة التي قامت على فكرة البلاغتين الكتابة والشعر مثل مؤلّفات (العسكري والجرجاني والقرطاجني). فلماذا يعود العمرى إلى فكرة الاختزال<sup>2</sup>؟

نرى أنّ البلاغيين العرب لم يعتمدوا الفصل بين الحجاج والأسلوب والتّصوير؛ لا نظرياً ولا تطبيقياً، والدليل على ذلك أنّ جميع المؤلّفات البلاغية القديمة تدرس فنون البلاغة بقطع النظر إلى نوع النّصّ الذي ترد فيه مع اهتمام بالجانب التّداولي للخطاب (مراعاة مقتضى الحال)، فكان النّاقّد يوظّف الشّاهد البلاغي من الشعر والقرآن الكريم والنثر ليحتج للمسألة البلاغية، ولا يفكر كثيراً في الفرق بين ما هو حجاجي وما هو تخيلي. وقد جاءت عناوين عدّة مؤلّفات بلاغية قديمة تجمع بين النّظريتين على غرار (الصّناعتين) و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) و(المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر). وكذلك لم تستقرّد مؤلّفات البلاغة بباب واحد دون الأبواب الأخرى، فجمت بين علم المعاني (المقام التّداولي) وعلم البيان (التّخيل والتّداول)، والتّحسين البديعي.

ومن اللّطائف ما وقفنا عليه من وعي القدماء باجتماع الحجاج والتّخيل كلام (حازم القرطاجني) عن الصّناعة الخطابية والشعريّة والتّوافق بينها في الاحتجاج بالتّصوير الشعري، حيث يقول : " وأكثر ما يستدل في الشعر بالتّمثيل الخطابي؛ وهو الحكم على جزئي بحكم موجود في جزئي آخر يماثله، نحو قول حبيب:

( أخرجتموه بكره من سجيته ... والنّار قد تنتضى من ناصر السّلم)

فالأقوال التي بهذه الصّفة خطابية بما يكون فيها من إقناع؛ شعريّة بكونها متلبسة بالمحاكاة والخيالات<sup>3</sup>، إنّهُ لدليل جليّ على كون البلاغة العربيّة القديمة نظريّة عامّة جمعت الحجاج والتّخيل، وأنّ ما أُلصق بها من وصف الاختزال فتّهمة أو فرضيّة غير مؤسّسة على أدلّة علميّة صحيحة.

<sup>1</sup> ينظر رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص33.

<sup>2</sup> ينظر محمّد العمرى، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة، ص13، ص17، ص18.

<sup>3</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص20.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

ويذهب العمري بعيداً تقريراً للبلاغة العامة عند العرب قديماً حينما يعلّق على مفهوم العدول عند عبد القاهر الجرجاني إذ يقول : "...فهو عدول من صورة إلى صورة أبلغ منها؛ وما دامت الصّورة تمثّل عنده تجسيداً للحجّة (فكرة وحجّتها معها) فهي عدول أيضاً من حجّة إلى حجّة"<sup>1</sup>، وهذا دمج واضح من الباحث لما هو حاجي وتخيلي عند الجرجاني، ودليل صريح على تألف الصّورة والحجّة، لكنّ الغريب في الأمر أنّ العمري يستتكف هذه النتيجة الجيدة ليعود أدراجه برؤية أخرى مفادها اختزال البلاغة العربيّة القديمة!<sup>2</sup>

قامت البلاغة العربيّة أوّل الأمر على مسارين " مسار البديع يغذّيه الشّعْر، ومسار البيان تغذّيه الخطابة، ونظراً للتداخل الكبير بين الشّعْر والخطابة في التّراث العربي، فقد ظلّ المساران متداخلين وملتبسين..."<sup>3</sup>، فلم تعاني النّظريّة البلاغيّة العربيّة ممّا عانتها نظيرتها الغربيّة، مع بروز بعض الرّؤى التي ترى أنّ البلاغة العربيّة آلت إلى الانكماش مع السّكاكي-سيأتي الحديث عنها في حينه - لكننا لا نسلم للأمر، لأنّ السّكاكي قد تحدّث عن بلاغة التّداول التي تضمّ مبحث الحجاج ضمن مباحث علم المعاني وفق نظريّة المقام ومقتضى الحال، فكيف يمكن التّسليم بدعوى الاختزال؟

ولعلّ النّاطر في التّصانيف البلاغيّة العربيّة بعد السّكاكي، يلحظ تقديم علم المعاني على علم البيان وعلم البديع، فعلم المعاني يخصّ الجانب التّداولي للخطاب، فقد جعل السّكاكي " مركز البلاغة في التّراكيب والمقاصد (علم المعاني)"<sup>4</sup>، كما جعل من علم البيان فرعاً عن علم المعاني<sup>5</sup>، وهذا المنهج في التّصنيف دلالة قاطعة على تقديم التّداوليّة على الشّعريّة (البلاغة الأدبيّة) في البلاغة العربيّة القديمة وعدم اختزالها في البيان والبديع، ويعود هذا الأمر أساساً إلى استحكام المقام على الأقوال في كلّ اللّغات؛ فلا يتصوّر أن يتحدّث عاقل بكلام لا يمتّ إلى واقعه بصلّة أو مناسبة، وإلاّ أتهم بالخرف والهديان.

فالبلاغة العربيّة تجعل جميع الأساليب والصّور البيانيّة والبديع خادمة للتّداول الخطابي، فالعدول عن طريقة مخصوصة في التّعبير " تطبيقاً لقانون الأنفع في الخطاب"<sup>6</sup>؛ دليل مهمّ على حضور الجانب التّداولي في البلاغة العربيّة القديمة بل هو محور الدّرس البلاغي بجملته، وقد ذكر القدماء مسألة الفائدة المرجوّة من التّعبير البلاغي على صورة محدودة بقولهم ( بلاغة الاستعارة، بلاغة الكناية، بلاغة التّشبيه) يقصدون بها تلك المزيّة المرجوّة من العدول عن التّعبير العادي إلى صورة أخرى، وكيف يخدم المعاني التّابعة لمقاصد الكلام

<sup>1</sup> محمّد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة، ص45.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص17.

<sup>3</sup> محمّد العمري، البلاغة الجديدة بين التّخيل والتّداول، ص29

<sup>4</sup> العمري، البلاغة الجديدة بين التّخيل والتّداول، ص30

<sup>5</sup> ينظر أبو يعقوب السّكاكي، مفتاح العلوم ص162

<sup>6</sup> عبد الله صولة، (البلاغة العربيّة في ضوء البلاغة الجديدة، أو الحجاج)، ضمن الحجاج مفهوماته ومجالاته، دراسة نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010م ص39.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

تحت سياق معيّن. فالكناية عدول عن المعنى الصريح المباشر إلى معنى بعيد مقصود بها رغبة من المتكلم بعدم التصريح بالمعنى مباشرة لاعتبارات مقامية معينة؛ قد تكون في مخاطبة اللبيب، أو دفع الحرج أو الحياء أو المبالغة...

بعدما استقرّ (العمرى) على رأيه في شمولية البلاغة العربية القديمة على مجالي التّداول والتّصوير في مشروع (عبد القاهر الجرجاني)، يعود أدراجه في مصنّف آخر إلى القول بفكرة (اختزال البلاغة)<sup>1</sup> وتتبع مسارها لدى المتأخّرين مع (الخطيب القزويني في تلخيص المفتاح)، حيث استحکم الجانب التّعديدي للبيان والبدیع، نزولاً عند رغبة التّقسيم والتّبويب المنطقي متأثراً في ذلك بطرق المنطق التي شاعت في عصره، مُقصباً في ذلك البعد الخطابي التّداولي والبعد التّخييلي<sup>2</sup>، إلى أن انزوى المركز إلى الهامش بعد السّكاكي مع شروح المفتاح حيث استحکمت بلاغة البيان والأساليب والبدیع.

يرى (العمرى) أنّ أولى بوادر اختزال البلاغة العربية بدأت مع (الجرجاني) نفسه، شيخ البلاغة العربية الذي أخرج مشروعه البلاغي متكاملأ بين جناحي التّداول والبيان، لكنّ الدّافع العقدي لدى الجرجاني في مناظراته للمعتزلة حول مزية الألفاظ، ألجأه إلى إقصاء الأصوات في دراساته البلاغية<sup>3</sup>، مع أنّ المستوى الصّوتي ظاهرة مميزة قام عليها الشّعر العربي، بل قام لأجلها علم مستقلّ بذاته يُعرف بعلم العروض، خصوصاً إذا ما رأينا أنّ الشّواهد الشّعريّة حاضرة بقوة في احتجاج الجرجاني لأرائه البلاغية.

توسّع العمرى في مفهوم اختزال البلاغة إلى مظاهر أخرى عند البلاغيين المتأخّرين (الجرجاني ومن خلفه)، فمما يدخل تحت مفهوم الاختزال عنده؛ إقصاء المستوى الصّوتي في أعمال الجرجاني (الأسرار والدلائل)، ثمّ تحوّل الدرس البلاغي من الدّراسات الشّعريّة والنّحويّة مع الجرجاني إلى الدّراسات التّعديديّة مع السّكاكي، الذي كثيراً ما يلام على تحويل مسار الدرس البلاغي " من مجال الدّوق والممارسة النّصيّة إلى مجال التّعديد النّظري الجافّ الذي غلبت عليه القوالب المنطقية والأمثلة المصطنعة المكرورة"<sup>4</sup>، لكن عمل السّكاكي عمل نظري منهجي لا مناص منه عند التأسيس لأيّ علم، فبعد مخاض دام أربعة قرون اكتملت النّظرية البلاغية العربية، فكان لزاماً على العلماء أن يقيّدوا ما أنجزه أسلافهم وفق مفاهيم وحدود مضبوطة ضبطاً دقيقاً حتّى لا تبقى رهينة الآراء تذهب بها حيث شاءت الأهواء.

<sup>1</sup> ناقش محمد العمرى فكرة اختزال البلاغة العربية القديمة في مؤلفه (المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة) دار إفريقيا الشرق 2017.

<sup>2</sup> ينظر محمّد العمرى، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة، (مقدّمة الكتاب) ص 6.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه ص 17.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 17

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

يحتاج الباحث نفسه إذ يأتي بتعريف موجز للبلاغة العامة في المقدمة، ثم يعارضه في المتن، حيث يقول عن البلاغة العامة : " المطلب الأول : التعريف بالبلاغة العامة من خلال بسط أصلها الابستمولوجي (الاحتمال والتأثير)، وإجراءات التطبيق (الاختيار)، ومنزعتها الإنجازي (الغرابة التخيلية والمناسبة التداولية)"<sup>1</sup> ، فإذا كانت نظرية البلاغة العامة تقوم على التداول والتخييل فلماذا يحاول العمري إقحام أيّ تغيير أو تجديد منهجي في الدرس البلاغي (سوى التداول والتخييل) تحت مفهوم الاختزال البلاغي؟

لا يستقيم عقلاً أن نجعل كلّ تغيير في مناهج الدرس البلاغي مظهراً من مظاهر الاختزال، فإذا كان موضوع (اختزال البلاغة) موضوعاً غربياً في الأصل فإنهم يقصدون به اقتصار الدرس البلاغي على جانب واحد منها إمّا التخييل أو التداول (الحجاج)، كما كانت عليه بلاغة الأدب في القرون الوسطى حيث أهملت النظرة الإقناعية من البلاغة اليونانية، و نفس الاختزال مارسه المعاصرون أصحاب نظرية الحجاج فقد أهملوا الجانب الأدبي في بلاغتهم الجديدة. أمّا ما ذكره العمري آنفاً فلا يعدّ مظهراً من مظاهر اختزال البلاغة، وقد رأينا شمولية البحث البلاغي من الجرجاني ومن جاء بعده.

نودّ أن نتفق على مفهوم (اختزال البلاغة) حتّى لا تضرب بنا رياح فوضى المصطلح حيث هبّت، وسيتسنى لنا هذا من خلال مفهوم البلاغة العامة التي دعا إليها العمري على غرار النظرية الغربية، حيث يقول : " ومن الأكد أن البلاغة التي تشتغل على هذا المجال الحيوي مركبة : فهي وإن كانت أميل إلى التداول لغلبة الحجاج عليها فإنّها تستعمل كلّ إمكانيات الفهم والإفهام والاستمالة والاستدراج والتّريغيب والتّرهيب، وهذا لا يتحقّق إلاّ بدعم آليات التّصديق بكلّ وسائل التّخييل"<sup>2</sup>؛ وعليه فإنّ البلاغة العامة مركبة من وجهين لا يمكن أن يستغنيّ وجه عن الآخر، فالبلاغة سبيل الإقناع عبر قناتي الحجاج والتّخييل، فلا يتحقّق الإقناع بالحجاج منفصلاً عن التّخييل، والآن يمكننا استنباط معنى الاختزال المقصود وهو الاقتصار على وجه واحد ممّا ذكرنا؛ إمّا الحجاج أو التّخييل، فإذا اقتصر الدرس البلاغي على أحد الوجهين صحّ لنا حينئذٍ أن نصف البلاغة بالاختزال؛ خطابية أو شعرية.

اختزلت البلاغة في أحيين كثيرة إمّا في فنّ الإقناع أو في فنّ الشّعْر، إلى أن تمّ اختزالها بعد القرن السادس عشر في الأسلوب<sup>3</sup>، وتسعى نظرية البلاغة العامة (الجديدة) إلى نبذ كلّ أنواع الانحسار الذي لحق البلاغة عبر تاريخها، ويرى الباحث (محمد مشبال) أنّ الرّغبة في بعث النظرية البلاغية الجديدة التي سادت في القرن الماضي ثورةً على بلاغة

<sup>1</sup> المحاضرة والمناظرة في تاسيس البلاغة العامة (مرجع سابق)، ص5

<sup>2</sup> محمد العمري، (البلاغة العامة في حوار الرّصد والتّظهير من الشّعْر إلى الخطاب)، ضمن البلاغة والخطاب، تنسيق محمد مشبال، ص32.

<sup>3</sup> ينظر محمد مشبال، (بلاغة صوّر الأسلوب وأفاق تحليل الخطاب) ضمن البلاغة والخطاب، تنسيق وإعداد محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1/2014/ص105.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

الأسلوب، قد رمى بالبلاغة في أحضان اختزال آخر مارسه عليها أصحاب نظرية الحجاج الجديدة، كما مارسه قديماً أنصار بلاغة الصور<sup>1</sup>. وعليه يستقرّ لدينا مفهوم البلاغة العامة بأنها نسق يجمع الحجاج والتخييل والأسلوب في نظام بلاغي عام.

البلاغة العامة نظرية نسقية تجمع التخييل والتداول، وقد وجدناها عند القدماء قبل الانحسار والاختزال الذي أصاب البلاغة، " ونحن مُطالِبون اليوم - بصورةٍ مُلحّة - بإعادة الشرعية للدرس البلاغي؛ انطلاقاً من المفهوم النسقي لها، الذي يسعى إلى جعل البلاغة علماً أعلى، يشمل التخييل والحجاج، ويستوعب المفهومين معاً؛ من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها، ويوسّع منطقة التقاطع إلى أقصى حدٍّ ممكن، فقد حدث خلال التاريخ أن تقلص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة، وتوسّع البعد الأسلوبي حتى صار الموضوع الوحيد لها، فكانت نهضة البلاغة حديثاً منصبّة على استرجاع البعد المفقود في التجاذب بين المجال الأدبي (حيث يهيمن التخييل) والمجال الفلسفي المنطقي من جهة، واللساني التداولي من جهة ثانية<sup>2</sup>، وها هي بلاغة التداول تعود لتبسط سيطرتها من جديد على إمبراطورية البلاغة، لكنّ البلاغي المعاصر أكثر وعياً ممّا كان عليه قديماً، فهو يخشى إعادة نفس الاختزال القسري الذي مورس على الحقل البلاغي الواسع.

إذا أردنا أن نوصّل لنظرية (البلاغة العامة) فسندج جذورها عند أرسطو قديماً، فقد خصّ البلاغة بمؤلفين في (الخطابية) وفي (الشعرية)، في النظرية الأولى -أقصد الخطابية- " يتعلّق الأمر بتطور الخطاب من فكرة إلى فكرة"<sup>3</sup>، حين يتدرّج الخطيب بأفكاره مشحونة بحجج مختلفة في خطابه، متوخياً بهذا الحجاج الإقناع والإذعان. أمّا في (الشعرية) " فيتعلّق الأمر بتعقيد تطوّر الأثر من صورة إلى صورة"<sup>4</sup>، وهذا ما يُمارسه الشعراء في بناء الخطاب الشعري المعتمد على التخييل أساساً له، غير مستغين عن الحجاج في أغراض شعرية كثيرة كالممدح والفخر والحكمة، فنرى الشاعر يدافع ويحاجج بحشد مختلف الصور التخيلية في محولة جادة لإثبات دعواه الشعرية

وفق هاتين النظريتين تتخذ بلاغة أرسطو سبيلها نحو التعميم، "فإنّ تقابل هذين النسقين، أحدهما بلاغي والآخر شعري هو أساساً ما يحدّد جوهر البلاغة الأرسطوية"<sup>5</sup>، ثمّ يحكم (رولان بارت) على كلّ البلاغيين الذين اتّخذوا من هذا المنوال من البلاغة منهجاً لهم في دراساتهم، بأنهم عيال على أرسطو ولم يحددوا عن منهجه. وعليه يمكن أن نستوعب أنّ قضية الاختزال قد حدثت بعد أرسطو وليس في عصره، وذلك مع انصهار النسق الحجاجي

<sup>1</sup> ينظر المرجع نفسه، ص105.

<sup>2</sup> بن يحيى طاهر ناعوس، البلاغة وتحليل الخطاب قراءة في تغير النسق المعرفين، مجلة دراسات ع2015/7، ص16

<sup>3</sup> رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، ص32.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص32.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص32.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

في الشعري، فأصبح تقفّي الغرابة في الإبداع الشعري هدفاً أولياً بالنسبة للخطباء والشعراء والنقاد على السواء.

### 5. خلاصة حول مفهوم البلاغة العامة:

أطال الباحث (محمد العمري) البحث في ميداني البلاغة : العربي والغربي تقصيًّا منه مفاهيم البلاغة المتناثرة في البحوث العلميّة قديمها وحديثها، وليس ذلك إلاّ إصراراً منه على المضىّ قدماً بالبحث البلاغي العربي لمواكبة العصر وما طرأ عليه من تجديد على مستوى كلّ العلوم، وبحكم تخصُّصه يسعى للتهوؤ بعلم البلاغة وبعثها من مرقدتها، وتحيينها لمواكبة الحركة العلميّة المعاصرة.

قاربت رحلة الباحث في هذا الميدان الأربعة عقود بإنجازات ضخمة من مؤلفات ومقالات وندوات، لينتهي إلى نظريّة (البلاغة العامة) التي دافع عنها وسعى لإقامتها من خلال ثلاثة كتب الأخيرة : ( البلاغة الجديدة بين التّخييل والتداول 2005م، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة 2013م، المحاضرة والمناظرة لتأسيس البلاغة العامة 2017م) تقاربت مواضيع الكتب المذكورة إلى حدّ تواطؤ مادتها في بعض الأحيان، إذ وجدنا الباحث يجتري نفس الأقوال ويصرُّ على الاستشهاد بنفس الشواهد، ومثال ذلك إعادته لكلام (أوليفي ريبول) حين حديثه عن مفهوم كلمة (بلاغة) في مقدّمة كتابه (Rhétorique)، فقد ذكر الشاهد في (أسئلة البلاغة، ص11) وأعادته حرفياً في (المحاضرة والمناظرة، ص65)، كما أعاد فقرة كاملة بنفس العنوان في الكتابين المذكورين في قوله : (البلاغة والمحيط المعرفي) في (أسئلة البلاغة ص12/13) وفي (المحاضرة والمناظرة ص66)<sup>1</sup>. إنّ هذا التكرار الذي يتعمده الباحث لتحقيق تعريف جديد للبلاغة يشعر القارئ بالملل والخلط أحياناً، إذ يحسّ بقراءة نفس المؤلف مرّتين مع اختلافهما في أمور كثيرة تعمل في نهاية المطاف على تشييد نظريّة جديدة في البلاغة العربيّة.

تمهيداً للخلاص بتعريف للبلاغة العامة فاقت صفحات الفصل الثاني من كتابه الأخير<sup>2</sup> الخمسين صفحة، دار الحديث فيها عن مفاهيم ومصطلحات بلاغيّة منها القديم والمجدد والجديد المستورد. طرق الباحث في هذا الفصل إلى مفهوم الاحتمال والاختيار<sup>3</sup> عند العرب والغرب. فالاحتمال والاختيار هما الأساسان الرئيسان اللذان تقوم عليهما نظريّة البلاغة؛ إذ لا موقع للبلاغة حيث يكون الحلّ ضرورياً بديهياً، إنّما مكن البلاغة حيث يمكن الاختيار

<sup>1</sup> ولمزيد فائدة ينظر : أسئلة البلاغة ص18، والمحاضرة والمناظرة ص71.

<sup>2</sup> ينظر محمد العمري، المحاضرة والمناظرة، (من ص 41 إلى ص92)

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص43

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

بين عدّة احتمالات كما يقول بيرلمان : " فنحن لا نحاجج ضدّ البدهاة"<sup>1</sup>، إنما تقوم قواعد الحجاج مع وجود اختيارات متعدّدة تقوم على الظنّ لا اليقين لدى المنشئ والمتلقّي. وعلى مبدأ الاحتمال تقوم البلاغة الشعريّة إذ يمكن للشاعر والأديب وفق قاعدة الاحتمال أن يعدل عن صورة إلى صورة أخرى بحسب الحاجة إلى المعنى المؤثّر فهو ليس أمام لغة رمزية رياضية تقتضي الحلّ الوحيد. ولا يحدث الإغراب الشعري إلاّ بالعدول عن القريب الظاهر إلى البعيد الغريب، فالكلام الذي لا يحتمل وجهاً آخر فليس بالكلام الأدبي أو البلاغي بوجه أدق، كما ذهب إلى ذلك (عبد القاهر الجرجاني) إذ يقول : "واعلم أنه إذا كان بيننا في الشيء أنه لا يحتمل إلاّ الوجه الذي هو عليه حتى لا يُشكّل، وحتى لا يحتاج في العلم بأنّ ذلك حقّه وأنه الصواب، إلى فكر ورويّة فلا مزيّة، وإنّما تكون المزيّة ويجب الفضل إذا احتتمل في ظاهر الحال غير الوجه الذي جاء عليه وجهاً آخر، ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حسنا وقبولا تعدهما إذا أنت تركته إلى الثاني"<sup>2</sup>. فالمزيّة البلاغية عند الجرجاني تحضر حين يستدعي الخطاب التفكير والتدبّر في العبارة المعدول إليها دون العبارة الأصل التي حاد عنها الاختيار الأوّل إلى احتمال ثانٍ أنسب وأمثل. وقد استشهد به (العمرى) في مقام إثبات قيام البلاغة العربيّة القديمة على مبدأ الاحتمال والاختيار.

يُخصّص (العمرى) بعد بحث طويل إلى تعريف موضوعي للبلاغة من منطلق الاحتمال والتأثير<sup>3</sup>، فيقول : " إنّ موضوع علم البلاغة هو الخطاب الاحتمالي المؤثّر القائم على الاختيار مناسبة أو إغراباً"<sup>4</sup>، ويشمل هذا التعريف أنواع الخطاب كلّها من الخطب القائمة على الحجاج والتّصديق إلى الأشعار القائمة على التّخييل والإمتاع، وما بينها من أنواع الخطابات الأدبيّة على اختلافها، فالمجال بين الحجاج والتّخييل هو مجال الاحتمال يضيق ويتسع لاعتبارات عدّة، فمقام الحجاج التّداولي يتأخّم حدود التّخييل ويعود متّجهاً نحو الصّدق إلى أن يتأخّم حدود اليقين (البرهان) ، فيضيق كلّما اقترب من الحقيقة والضرورة المنطقيّة، ويرجع ذلك لطبيعة الأقوال الخطبيّة التي تقصد إلى الإقناع بالأقوال الظنيّة استعانة بالتّخييل ويتسع مجال الاحتمال كلّما توجه الخطاب نحو الأقوال الشعريّة القائم أساساً على التّخييل، حتى تتأخّم حدود الهذر واللغو التي تنقطع عنده حدود البلاغة.

والمجال الذي يمتدّ أو ينحصر من نهاية حدود المنطق والعلوم الدّقيقة عبر مجال التّداول إلى أقصى حدود التّخييل الشعري المتأخّمة لحدود اللّغو دون ولوجها هو ما يسمّيه البلاغيون (مجال الاحتمال) ويسمّيه العمرى (محور الاحتمال)<sup>5</sup>، الذي تلعب فيه البلاغة

<sup>1</sup> *Traité de l'argumentation, p1.*

<sup>2</sup> الجرجاني، دلائل الإعجاز، 286

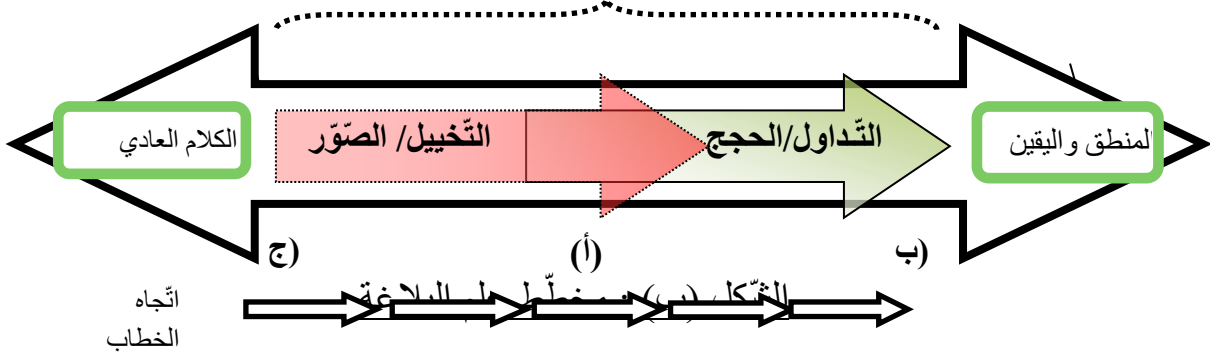
<sup>3</sup> ينظر العمرى، المحاضرة والمناظرة، ص82. يقول العمرى : (سبق أن قلنا ونعيد أنّ الاحتمال والتأثير في البلاغة عنصران متداخلان بنسب متفاوتة، لذلك فالحديث عن أحدهما في إطار البلاغة لا يستقيم دون استحضار الآخر).

<sup>4</sup> المحاضرة والمناظرة (مرجع سابق)، ص47.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص80.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

دورها الحقيقي، وكلّ الخطابات التي تدخل في مجال الاحتمال تقصد إلى التأثير في المتلقي إذعانا وإقناعا أو إمتاعا وإبهاجاً تعدّ خطابات بلاغة بامتياز.  
مجال الاحتمال



يمثل الشكل (ب) محور الاحتمال الذي يتأرجح خلاله الخطاب البلاغي، وقد حصرناه بين منطقتي المنطق والكلام العادي وما دونه، وينبغي التأكيد على أنّ المنطق ليس من علم البلاغة كما أنّ الكلام العادي والسفسطة واللغو لا تمتدّ للخطاب البلاغي بصلة، لذلك فإنّ حدود البلاغة تنتهي عندما تبدأ حدود تلك المنطقتين. وقد وقعت منطقة السفسطة جهة التخييل لأنه لا ينبغي للخطيب أن يبالغ في التخييل إلى حدّ لا يفهم عنه مقصده، فتلك المبالغة ستسلمه إلى التعقيد المذموم الذي يرميه إلى منطقة السفسطة ويخرجه عن نطاق البلاغة. أو يستعمل التخييل في تمويه الحجج الخطابية ممّا يعدّ من طريقة السفسطائيين. وكذلك الخطاب الحجاجي إذا اعتمد صاحبه الحجج المنطقية الصّرفة فإنّه يتموقع داخل منطقة المنطق. ولم نجعل الفلسفة ضمن منطقة المنطق لأنّ الخطاب الفلسفي يعتمد الحجاج كثيراً<sup>1</sup> في الدّفاع أو التأسيس للمعطيات الفلسفية.

نريد من خلال هذا الشكل (ب) تبيان المجال الذي يتداخل فيه التّداول والتخييل، وهو ما يعرف اليوم بالبلاغة العامّة، فقد جعلنا في هذا المخطّط التقريبي مركزاً يلتقي فيه التخييل والتّداول تمثله النقطة (أ)، ثمّ ينزع كلّ منهما نحو مجاله تدريجياً، وبدون أن نجعل حدّاً فاصلاً بينهما لتعسّر تحديد نقطة قارّة وفاصلة بينهما<sup>2</sup>. وقد جعلنا على الجهة اليمنى منزعاً للتّداول نحو النقطة (ب) نحو الحجاج المعتمد على التّصديق بالأدلة، حتّى يتداخل هذا المجال بعلوم المنطق والرياضيات، ومنزحاً للتخييل نحو النقطة (ج) اعتماداً على التّصوير البياني والتّحسين البديعي، ويمتد مجال التخييل إلى أن يتاخم حدود الاستعمال العادي للكلام دون ولوجه ثمّ ينتهي هذا الأخير إلى أدنى درجة من السفسطة واللغو.

<sup>1</sup> ينظر أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، ص238.

<sup>2</sup> ينظر العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة، ص81.



### 1.5 البلاغة العامة وإشكالية المصطلح والإجراء :

إنّ الإشكال الذي يعترض (العمرى) هو : كيف يمكن إقامة بلاغة عامّة تجمع بين الأضداد؛ التّخييل والتّصديق<sup>1</sup>؟ وينشأ هذا الإشكال "لأنّ نزوع التّخييل يتّجه في مسار معارض لنزوع التّداول/ التّصديق : كلّ منهما يدّعي نقيض دعوى الآخر"<sup>2</sup> (كما هو موضّح في الشكل (ب) ، فهل يمكن الجمع بين الأضداد والمتناقضات في حقل واحد تحت عنوان (البلاغة العامّة)؟

إذا كانت البلاغة العامّة تعني علم الخطاب الاحتمالي التّأثيري الذي يمتدّ من حدود الضّرورة المنطقيّة عبر منطقة التّداول حتّى يتاخّم حدود الهذر عند أقصى درجات التّخييل، فإنّ هذا العلم سيواجه مستجدّات وتحديات كثيرة لعلّ أهمّها التّسق المصطلحي الذي يكون مفتاحاً لهذا العلم الجديد. وكذلك الجانب المنهجي الإجمالي الذي سينهك الباحثين عند قراءتهم للخطابات على تنوّعها وفق هذه النظريّة، فهل يستطيع النّاقّد أن يوجّد عدّته التّقديّة؛ منهجاً ومصطلحاً في سبيل قراءة كلّ الأجناس الأدبيّة؟ وكيف يمكنه تطويع كلّ هذه الأجناس لنفس المنهج والتّسق البلاغي عبر منظر واحد؟ .

إنّ تعميم البلاغة يستدعي تعميم عدّتها المصطلحيّة، حيث إنّ وجودها يقتضي وجود نسق نقدي واحد بمنهج واحد، وبمصطلح واحد، ويغني عن كثرة المصطلحات التي تحيل إلى المنتج اللّغوي في نظريات أخرى. فلا يمكن استعمال مصطلح (النّصّ والخطاب والقصيدة والخطبة...) في نظريّة البلاغة العامّة، لما تومئ إليه هذه المصطلحات من تنوع وتخصّص وتفرّق، ومن ثمّ فقدان ميزة العموم، وعليه اقترح محمّد العمري مصطلح (الإنشاء)<sup>3</sup> من التّراث العربي، ليبدّل على كلّ إنتاج لغوي يُبنى على الاحتمال ويبيغي التّأثير دون النّظر إلى جنسه الأدبي، ويصطلح على المنتج بـ(المنشئ)<sup>4</sup> استغناءً عن الكاتب والشّاعر والخطيب. كما استدعى (محمّد العمري) مصطلحات الجديدة من شأنها أن تكون عدّة ضروريّة تُعيّد الطّريق أمام الباحث لفقه هذه النظريّة الجديدة، من جملة هذه المصطلحات : (الاحتمال والتّأثير والتّخييل، والتّصديق والتّداول، والادّعاء والنّزوع)<sup>5</sup>، أمّا الاحتمال والتّأثير فهما الثنائيّة المتلازمة تلازم الوجهين للقطعة التّقديّة، فالخطاب البلاغي قائم على (احتمال الصّدق

1 أودّ أن أنبّه على مصطلح (الكذب) الذي ظلّ مرافقاً للتّخييل الشّعري) إلى يومنا هذا، وقد قالوا قديماً (أعذب الشّعير كذبته)، ولم يقصدوا بالكذب هنا تلك الصّفة المذمومة في أخلاق النّاس، إنّما يقصد بها (الكذب الفنّي) أي (التّخييل) الذي ترجمه الفلاسفة المسلمون عن مفهوم (المحاكاة عند أرسطو)، لكننا نحاول قد المستطاع تفادي استعمال مصطلح (الكذب) لما يحدثه من حرج، لأننا بصدد دراسة الخطاب الاحتمالي الذي سيجعلنا وجهاً لوجه مع النّصوص المقدّسة (القرآن الكريم والسّنّة المشرّفة)، والاحتمال البلاغي يعني إمكانيّة الاختيار بين المناحاة اللّغوية على كافة مستوياتها، بالعدول عن مناح إلى مناح آخر لغاية بلاغيّة، بعيداً كلّ البعد عمّا يوهّم بحضور مصطلح (الكذب)، وعليه فإنّنا نمهد لتر هذا المصطلح نهائياً.

2 العمري المحاضرة والمناظرة ص80/79

3 ينظر محمّد العمري، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة، ص84

4 ينظر المرجع نفسه، ص84.

5 المرجع نفسه، ص77

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

والتخييل) مع الحفاظ على خصوصية كلّ خطاب<sup>1</sup> إذ لا يعقل التماهي بين الأجناس الأدبية التداولية والشعرية، وكيونة (الاحتمال) تستدعي حرية (الاختيار)، وعبرهما يُقصد (التأثير) في المتلقّي، و" بين هاتين العتبتين يشتغل الادّعاء : ادّعاء الخيال (الكذب) واحتمال الصدق، وادّعاء الصدق واحتمال الخيال"<sup>2</sup>، والادّعاء نحو الحقلين (التداول والتخييل) (نزوع) من المنشئ نحو دعواه لينخرط فيها المتلقّي تصديقاً أو تخيلاً<sup>3</sup>.

إنّ إقامة النظرية البلاغية القديمة على فكرة التعارض بين التخييل والتصديق\*، يتنافى مع فلسفة نظرية البلاغة العامة، كما أنّ الواقع الإجرائي ينفي أيّ تعارض بين المفهومين، بل هو تعارض نظري واقع في الأذهان، فإذا كانت البلاغة القديمة تجعل من الصورة البلاغية (التخييلية) حجة إقناعية؛ فيستعين بها المنشئ لإثبات دعواه، وليس أدلّ على ذلك من بلاغة التشبيه، فقولنا (الأمير كالغيث حيث نزل نفع) فهذا احتجاج صريح لإثبات صفة الكرم في المشبه (الأمير) عند مقايسته بالمشبه به (الغيث) الذي تأصلت فيه صفة النفع، فحاولنا من خلال الاحتجاج بالتشبيه على جعلها ثابتة أصيلة في الأمير أيضاً، وعليه فإنّ الصورة والحجة تسيران في اتجاه واحد نحو نفس الهدف، فيزول ذلك التعارض المزعوم بينهما.

وأنظر في قول (امرئ القيس) : ( وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله \*\*\* عليّ بأنواع الهموم ليبتلي)<sup>4</sup>، فلا يمكن أن يقال في التشبيه (ليلٍ كموج البحر) أنّه كذب أو ضدّ التصديق، بل هو من الحقيقة بمكان، فلو تأملت حال الهموم المغتمّ الذي حُرّم النوم ليلاً والراحة والسكون، فإنه يعدُّ ليله أطول الليالي وأحلكها من دون البشر، وقد استحضر الشاعر صورة (الموج المتلاطم) ليدلّننا على صفة (ليله) قدر الإمكان، ولعلّه رغم هذه الصورة البليغة والحجة الباهرة يحسب أنّه لم يوفِّ حقّ الحال التي هو عليها لشدة ما يعانیه من هموم. والعلاقة بين الواقع والصورة التي شبّه بها علاقة حقيقية، وليس المشبه به (الموج) مراداً به جميع صفاته وأحواله، إنّما الجامع بين المشبه والمشبه به حال الاضطراب والهيجان، والظلام والمعاناة والهمّ والفرع و والكدّر ...، وقد تمكن الشاعر من إيصال المعنى والاحتجاج لحاله بأقوى صورة وحجة، لأنّه أحسن اختيار العلاقة (المشابهة/وجه الشبه) الصحيحة بن طرفي الصورة.

إنّ هذا القياس الشعري الكامن في بلاغة التشبيه، وإن كان تخييلياً، فإنّه ينزع إلى القياس الخطابي نزوعاً شديداً، حيث امتدّ أثر الصورة من مجال التخييل إلى مجال التداول

<sup>1</sup> ينظر عبد الباسط ضيف، المشروع البلاغي عند محمد العمري، بحث في لاغة الحجاج دراسة تقاضلية، رسالة ماجستير، إشراف د. أحمد بوصبيعات، كلية الآداب والفنون جامعة الجلفة، 2016/2017م، ص128

<sup>2</sup> العمري، المحاضرة والمناظرة، ص76.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص76.

\* دليل ذلك قولهم : (أعذب الشعر أكذبه)، واصطلاحهم على (الحقيقة) كمقابل لمصطلح (المجاز)

<sup>4</sup> ديوان امرئ القيس، ص

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

(حجاجاً) حتى قارب حدود المنطق. فقد ارتقى التخيل والحجاج متصافرين من أضعف تعبير (الدرجة الصفر، أو التعبير العادي) إلى أعلى درجة من وجوه التعبير البلاغي الذي حصل التصديق مستعيناً بالتخيل<sup>1</sup>، وما كان ذلك ليحصل بتعبير عادي من الدرجة الصفر؛ وعليه فإن استدعاء الصورة لم يكن لأجل الزخرف وإنما لمهمة أكبر من بيان للمعاني وتقوية الحجج، وتنشيط العقل المفكر في المتلقي ليستوعب حالة الشاعر المليئة بالغمّ والهَمّ .

يرى العمري أنّ (الحجّة والصورة) مفهومان حاضران في الإنشاء (الاحتمال والتأثير)، باعتبارهما طرفان يتجاذبان على طرفي الإنشاء بين قطبي التخيل والتداول<sup>2</sup>، ولا يعني ذلك أنّهما متنافران بعلة التضاد بينهما، بل قد يتكاملان ويتحدان من حيث اختلافهما، عندما يراد بالصورة إثبات دعوى معيّنة، كحال (الكنائية) في البلاغة العربية القديمة، فالتعبير بالكنائية يكون أكثر قبولاً<sup>3</sup> من التعبير المباشر؛ أي أنّ استعمال المعنى بطريق الكناية أكثر حجة من الدلالة عليه بلفظ صريح، ويكون إثبات المعنى بطريق المعقول لا بطريق اللفظ<sup>4</sup>، والمعقول هو سبيل إقامة الحجّة وإثباتها في العقول السليمة، وعليه تكون الصورة مجازاً (معبراً) من التخيل نحو الحجاج، وحينها يتحدان لأداء المعنى في أبهى حلّة وأقوى حجة.

إنّ حديث البلاغيين القدماء عن بلاغة الصورة دليل على وعيهم بالقيمة الحجاجية والتداولية للصورة البلاغية – وإن لم يصرّحوا بلفظ الحجاج – فإنهم لم يتوهّموا أنّ توظيفها يبيء لغاية تخيلية أو تحسينية محضة، إنّما يكون اختيار الصورة من بين عدّة احتمالات بالعدول عن اختيار ما، والانزياح عنه لاختيار آخر لقيمة بلاغية (تداولية حجاجية جمالية)، واصطلحوا عليها بـ (المزية البلاغية)، ولا تكون هذه المزية في سوى هذا الاختيار من الاختيارات المعروضة وفق قانون الأجدى أو مواضع الكمّ والكيف كما جاءت به البلاغة الجديدة عند بيرلمان.

يتجلّى وعي البلاغيين القدماء بمزية توظيف الصورة البلاغية في تعليقاتهم حين شرحها، ولننظر إلى قول (أبي هلال العسكري) معلقاً على قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١ سورة الذّاريات الآية 41. إذ يقول: "... وفضل الاستعارة على الحقيقة في هذا أنّ حال العقيم في هذا أظهر قبحا من حال الرّيح التي لا تأتي بمطر؛ لأنّ العقيم كانت عند العرب أكره وأشنع من ريح لا تأتي بمطر؛ لأنّ العادة في أكثر الرّياح ألاّ تأتي بمطر، وليست العادة في النّساء أن يكون أكثرهنّ عقيماً<sup>5</sup>. يتبيّن من خلال كلام أبي هلال عن الاستعارة أنّه على دراية تامّة بأهميّة اختيار هذا التعبير الاستعاري، نظراً لوجوه

<sup>1</sup> ينظر ألفت محمّد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، من الكندي حتى ابن رشد، ص 196.

<sup>2</sup> ينظر محمّد العمري، المحاضرة والمناظرة، ص 84.

<sup>3</sup> ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 430. (في حديثه عن الكناية: هو كثير الرماد؛ كان له موقع وحظ من القبول لا يكون إذا: هو كثير القرى والضيافة).

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 431.

<sup>5</sup> أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، ص 273.

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

عدّة لا يمكن أن تحصل بالتعبير العادي، فنراه يستعمل ألفاظ المفاضلة بينهما من قبيل (أظهر، أكره، أشنع)، وهذا ما يعرف عند بيرلمان بمواضع الكم، وهي مواضع حاجيّة كثيرة الاستعمال. وعليه فإنّ التعبير بالاستعارة عند أبي هلال ليس لصنعة جماليّة، بل إنّه لم يعرض إلى ذكر شيء عن الصنعة والزخرفة والبديع في الصّور البلاغيّة كما حسب بعض القدماء المتأخرين<sup>1</sup>.

نودّ أن نصل إلى غاية من خلال هذه الشّواهد البلاغيّة وتعليقات القدماء عليها، كونهم على دراية واسعة بأثر الصّورة في بيان المعنى وإقامة الحجّة المناسبة للمقام<sup>2</sup> مع جمال التصوير (مناسبة وإغراباً)، وليس الأمر كما هو شائع بين الدّارسين المتأخرين والمعاصرين إذ توهموا أنّ القدماء ألحقوا مباحث البيان بما زاد عن الحاجة في أداء المعنى واجتتاب الخطأ الذي يؤدّي علم المعاني، ومن ثمّة جعلوا البيان والبديع من التّوابع<sup>3</sup> والتّحسينات لتفادي التّعقيد، وزيادة جمال الأساليب.

مما ينبغي التّنبه عليه في ختام الحديث عن التّخييل والتّداول وما بينها من تداخل، أنّنا قد أقرنا - من حيث لا ندري - تبعية الصّورة للحجّة دون أن يكون العكس ممكناً، فمن خلال كلامنا السّابق عن ثنائية (حجّة / صورة) وجدنا الصّورة ترتحل من نطاق التّخييل تجاه منطقة الحجاج حاملةً سماتها التّخييلية لتصبح حجة قوية تخدم التّأثير والتّوجيه. أمّا الحجّة فلم نجدها تتحرّك إلى النّطاق الآخر لتخدم الجانب الفنّي التّخييلي في الخطاب بل تواصل جهة علم المنطق (انظر الشّكل ب). وعليه تكون الفائدة من هذا أنّ الخطاب الاحتمالي له توجّه واحد يكون دائماً نحو جهة التّداول وليس العكس، فإنّما أن يؤتى بالصّور لغاية تخيلية محضة فيبقى الخطاب في فلك التّخييل - ونراه قليلاً - والغالب أن يؤتى بها لخدمة التّداول.

### 2.5 تعريف آخر للبلاغة العامّة:

بعد جهد جهيد ونضال عسير من الأخذ والرّد والمناقشة، يخرج (العمرى) بعمل رائع يهيئ للبلاغة العربيّة منصّات نقدية معاصرة تنطلق منها قوافل البحث البلاغي بمرجعيّة تراثيّة زاخرة تمثّل المعاصرين بمدد لا يكاد ينفذ لاسترجاع المجد الغابر، ودفع التّهم عن العربيّة وعلومها .

ويختتم هذا الإنجاز بتعريف عامّ للبلاغة "باعتبارها صفة للكلام"<sup>4</sup>؛ في قوله: "البلاغة إنشاء، هي : الخطاب الاحتمالي المؤثّر ، المنجز عن طريق الاختيار مناسبة أو إغراباً، لغرض خلق فسحة في ذهن الإنسان (تخيّل)، وفسحة بينه وبين الآخرين(تداول) أفراداً

<sup>1</sup> ينظر العمرى، المحاضرة والمناظرة، ص85.

<sup>2</sup> ينظر عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، ص114.

<sup>3</sup> ينظر أمين الخولي، فنّ القول، ص93.

<sup>4</sup> إدريس جبري، (سؤال البلاغة في المشروع العلمي للباحث محمّد العمرى، نحو بلاغة عامّة)، ضمن البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمّد مشبال، ص281

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

وتركيباً (تخيّل وتداول)، والمنشئ بليغ والبلاغة درجات<sup>1</sup>، وصف البلاغة بالإنشاء أي بلاغة الممارسة التي يأتيها المنشئ: (الشاعر والخطيب والكاتب...)، الذي يوصف بالبليغ عند تحصيلها؛ فهو يمارس الخطاب البلاغي الذي يحتمل عدّة متاحات مع اختيارٍ لأنسبها مقاماً، وأحسنها غرابة مجتمعة أو مفردة بين التداول والتخييل.

ولم يبتعد تعريف العمري - هذا- للبلاغة العامّة عن تعريفها عند (السكاكي) في قوله: البلاغة " هي إخراج الكلام في صورة مخصوصة دون أخرى وعدول بالكلام من صورة إلى صورة أخرى تطابق مقتضى الحال أو الاعتبار المناسب"<sup>2</sup>، فقد ضمّ هذا التعريف القديم مفاهيم عدّة تحدّث عنها العمري في عدّته المصطلحيّة لنظريّة البلاغة العامّة، فالعدول من صورة إلى صورة هو (الاختيار)، ومطابقة الحال هو (التداول) مع الاعتبار المناسب (المناسبة) دون أن يتعرّض إلى الحجاج، أمّا التخييل فكامن في الصّور المختارة في أيّ إنشاء. والمهمّ من هذه المقارنة بين التعريفين هو تتبّع مسار البلاغة بين القدماء والمعاصرين، فلم يبتعد الجديد عن القديم كثيراً سوى في اللّغة العلميّة الواصفة لهذا العلم.

أمّا تعريف البلاغة باعتبارها نظريّة تصف الإنشاء فهي " العلم الذي يتناول الإنشاء حسب القواعد المعرفيّة"<sup>3</sup> أي المقاربة الوصفية للخطاب الاحتمالي حسب ما تقرّره قواعد البلاغة حجاجاً أو تخيلاً أو ملتبسين معاً دون فصل الصّورة عن الحجة، تحسّساً لكامن البلاغة في هذا الإنشاء، لكننا نلاحظ أنّ (العمري) قد استعمل حرف التخيير (أو) بين المناسبة والإغراب في قوله (مناسبة أو إغراباً)<sup>4</sup>، وهذا التخيير يخالف - في الواقع- ماقرّره الباحث في مشروعه البلاغي، كما يخالف ما توصّلن إليه على اعتبار البلاغة علم الخطاب الاحتمالي القائم على المناسبة والتخييل سوياً دون فصل أو تخيير، وعليه فإنّ حرف التخيير (أو) لم يقع موقعه من التّعريف ونرى استبداله بحرف العطف حتّي يطابق التّعريف مفهوم البلاغة المقرّر.

لاقى مشروع الباحث محمّد العمري قبولاً منقطع النّظير بين الباحثين والدارسين أساتذة وطلبة، فقد أنجزت حول مشروعه البلاغي رسائل وأطروحات عديدة، ناهيك عن المقالات المنشورة في المجالات العلميّة والمواقع الإلكترونيّة، وليس ذلك سوى دليل بيّن على النّجاح المتحقّق في الميدان، ولا عجب في هذا؛ فإنّ الباحث قد لبث في البحث العلمي ما يفوق الأربعة عقود مع المحافظة على نفس التخصّص دون كلّ أو ملل، مع تمكّن واضح من آليات البحث العلمي، فقد أسّس مشروعه الضّخم على قراءة التّراث قراءة نسقيّة علميّة معاصرة، مكّنته من التّزوّد بالمفاتيح الأولى لتخصّصه، مع " قدرته على تحقيق التوازن بين

1 العمري، المحاضرة والمناظرة، ص89.

2 أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت ط1983، 1/ص169.

3 المحاضرو والمناظرة (مرجع سابق)، ص89

4 المرجع نفسه، ص89

## الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في الدرس البلاغي العربي

التراث والحدائث<sup>1</sup>، مع استيعاب باهر للنظريّة البلاغيّة لدى الغربيين، كلّ هذا الجهد استحقّ صاحبه أن يتربّع على عرش البلاغة العربيّة المعاصرة.

ولم يسلم مشروع العمري من النّقد والمعارضة لبعض ما جاء به من أفكار عند النّقاد خاصّة من زملائه الأكاديميين وقد أدرج بعض محاوراته في مؤلفاته ليطلّع عليها القراء. نذكر منها محاوراته مع (الأستاذ حميد لحميداني، والباحث محمّد مشبال، وحسن المودن، ومحمّد الولي...). ولعلّ أهمّ معترض من أولئك النّقاد الباحث محمّد مشبال الذي اعترض كثيرة على فكرة البلاغة العامّة، وكتب مقالاً يردّ فيه على كتاب العمري (البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول)، فالبحت رأى أنّ الخطاب الأدبي أجناس مختلفة تفرض على النّاقّد تحريّ مناهج بلاغية مناسبة لمقاربة الخطاب حسب جنسه، ورفض رفضاً تاماً لمسألة البلاغة العامّة التي جاء بها العمري، إذ لا يمكن قراءة كل الخطابات بألية واحدة تفرضها البلاغة العامّة<sup>2</sup>.

وقد تحدّث الباحث محمّد الموساوي (عن تحليل محمّد العمري للخطاب السياسي)<sup>3</sup>، فلم يجد التّحليل الحجاجي ولا الحجج المستخرجة من الخطابات السياسيّة؛ إنّما جاء التّحليل بعيداً عن آليات تحليل الخطاب الحجاجيّة على اعتبار الخطاب السياسي خطاباً حجاجياً بالدرّجة الأولى، بل لجأ العمري إلى وسائل أخرى في تحليله لعلّ أبرزها لجوؤه للسّخرية وتوظيف الأمثال الشعبيّة، وكشف المغالطات التّاريخية<sup>4</sup>، كما رأى الباحث محمّد الموساوي أنّ المنهج العلمي قد انفلت من بين يدي العمري إذ لم يستطع تحييد موقفه السياسي تجاه النّقد العلمي في تحليل الخطاب، فلم يجد العمري بدءاً من الاصطفاة وراء طابور ضدّ آخر<sup>5</sup>.

ولعلّ أهمّ ما تصبو إليه دراستنا تبيان موقف الباحث العربي من المنهج العلمي ومدى التزامه بما يقرّره في تنظيره للنظريات التّقديّة المختلفة، ومدى تحكّمه في إجراء الآليات الإجرائيّة على الخطاب بمختلف تجلّيات، وقد شكّل الإجراء تحدياً عويص المنال أمام الباحث العربي المعاصر، وقد شهدنا أنفاً كيف كانت مواقف بعض الباحثين من القراءات التّقديّة للباحث محمّد العمري.

<sup>1</sup> إدريس جبيري، (سؤال البلاغة في المشروع العلمي للباحث محمّد العمري، نحو بلاغة عامّة)، ضمن البلاغة والخطاب،

إعداد وتنسيق محمّد مشبال، ص 275

<sup>2</sup> ينظر محمّد مشبال، البلاغة بين التّخييل والتّداول، مجلّة العبارة، ع1/أوت 2006م

<sup>3</sup> محمّد الموساوي، عن تحليل محمّد العمري للخطاب السياسي، ضمن البلاغة والخطاب، تنسيق محمّد مشبال، منشورات الاختلاف، 303.

<sup>4</sup> ينظر محمّد الموساوي، عن تحليل محمّد العمري للخطاب السياسي، ص 306/307/308.

<sup>5</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 312/313

## الفصل الرابع :

### قراءة في الممارسة الحجاجية على النص التراثي

تمهيد : التداولية والحجاج في البلاغة العربية القديمة

الدراسة التطبيقية :

1. المبحث الأول : المقال الأول : (تحليل حجاجي لظاهرة بديعية) لشكري

المبخت

2. المبحث الثاني : المقال الثاني : (الحجة في الاستعمال القرآني - إبراهيم

وقومه نموذجاً-) للدكتور إدريس حمادي

3. المبحث الثالث : المقال الثالث : الحجاج في المناظرة (مقاربة حجاجية

لمناظرة أبي حنيفة مع الملحدين) للدكتور : عبد العزيز لحويديق

4. المبحث الرابع : المقال الرابع : (خطبة طارق بن زياد؛ من الإقناع العقلي

إلى الاندفاع العاطفي)، للباحث خالد يعقوبي.

### 1. تمهيد:

سنحاول في فصلنا الأخير هذا؛ رصد جهود الباحثين المعاصرين الذين حاولوا قراءة الفنون البلاغية القديمة قراءة جديدة، فقد وجدنا الكثير من الدراسات المعاصرة التي تختص بدراسة نظرية الحجاج بمقارباتها المختلفة، متخذة في ذلك النص العربي بأطيافه المتعددة ميداناً لتقني الآليات الحجاجية المعاصرة، فأخذت تبحث في الأثر الحجاجي الذي يؤديه الفن البلاغي أياً كان نوعه، وقد رأينا محاولات جادة تحاول استخراج الحجاج من فنون بلاغتنا القديمة بداية من علم المعاني (علم الأساليب) من خلال ربطه بتداولية الخطاب، رجاء إدراك الغاية الإقناعية من استعمال أسلوب بصفة مخصوصة دون أخرى، وكيف يخرج الخبر والإنشاء عن حقيقتهم إلى معاني أخرى لها آثار بلاغية وفوائد حجاجية، كما ألفيناهم في هذا الفصل الأخير يتتبعون آليات الحجاج في فنون البيان بمختلف صورته، ومدى نجاعة الاختيار والمفاضلة بين صورة وصورة، وكذلك بعض فنون البديع من خلال القراءات البلاغية المعاصرة.

واحتكاماً لإطار منهجي علمي يضبط البحث ويقوده نحو الغاية المنشودة من وراء طرح إشكالية البحث الرئيسية؛ والتي تروم الإحاطة ببعض ما طرأ على البلاغة العربية من تحولات ظاهرة في العصر الحديث والمعاصر جزاء النظريات البلاغية الغربية، وجب علينا اختيار مدونة نقدية في البلاغة العربية نرصد من خلالها ما قصدنا إليه في بداية البحث من جهود الدارسين المعاصرين في ميدان البلاغة العربية، وقد وقع اختيارنا - بتوفيق من الله عز وجل - على مصنف ضخم يبحث في نظرية الحجاج المعاصرة، يعد هذا المصنف مصدراً مهماً جداً للباحث في نظرية الحجاج، إذ ألفيناه يضم الكثير من البحوث المنجزة التي حاول أصحابها استكناه نظرية الحجاج في الوقت المعاصر.



وقد أشرف على إعداد هذا المصنّف الدكتور حافظ إسماعيلي علوي تحت عنوان (الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة)<sup>1</sup>، و شارك في تشييد هذا المصنّف العديد من الباحثين<sup>2</sup> الأكفاء والمتخصّصين في البلاغة الجديدة. فكان مصنّف (الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة ) ثمرة هذا التّكاتف بين البلاغيين العرب المعاصرين، ولعلّه أضخم مصنّف أنجز حول (نظريّة الحجاج) الغربيّة، فلم نقف على مثل له من حيث حجم الدّراسات وتنوعها، فقد جمع بين دقّته بحوثاً عدّة في الحجاج جاءت على خمسة أجزاء تحت موضوعات مختلفة.

أمّا عن أسباب ودواعي اختيارنا لهذا المصنّف واتّخاذه مدوّنة تطبيقية لمعطيات بحثنا النظريّة فترجع أولاً إلى اخضرار المصنّف بنظريّة البلاغة الجديدة التي تعدّ محور بحثنا. كما جمع هذا المصنّف مادة بحثية وفيرة تُمكن الباحث من الاستفادة منها أيّما استفادة، فكثرة المادّة ميدان رحب لرصد طرائق تعامل الباحث العربي مع نظريّة الحجاج ومقارباته لها على التّراث الأدبي العربي. وأهمّ دافع إلى العمل على هذا المصنّف هو تخصيص الجزء الرابع منه للبحوث التّطبيقية، والذي جاء تحت عنوان (الحجاج والمراس). تطرّق الباحثون في هذا الجزء إلى محاولة تطبيق المنهج الحجاجي على النّصّ التّراثي العربي. وعليه سيكون الجزء الرابع من هذا المصنّف مجالاً تطبيقاتنا وملاحظاتنا حول الأعمال التّطبيقية التي قام بها الباحثون في أعماله من النّقدية، رجاء الخلوص ببعض الملاحظات النّقدية حول تعامل البلاغيين العرب مع البلاغة الجديدة.

<sup>1</sup> حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، الطّبعة الأولى 1431هـ/ 2010م.

<sup>2</sup> نذكر من هؤلاء الباحثين : أ. رشيد الراضي، أمحمد الولي، أ. عمارة ناصر، أ. عبد الهادي الشّهري، د. أحمد يوسف، د. عبدالمجيد جميل ومجموعة أخرى من الباحثين من مختلف جامعات الوطن العربي.

## 2. التداولية والحجاج في البلاغة العربية القديمة :

أصبحت الوظيفة الإقناعية للفنون البلاغية القديمة أهم ما يمكن رصده من تغيرات في الدرس البلاغي العربي المعاصر، والاحتفاء بها في شتى صورها، سواء كان ذلك في علم المعاني أو علم البيان أو علم البديع؛ بفضل توظيف معطيات النظريات البلاغية المعاصرة . فقد همّ النقاد المعاصرون للكشف عن حيثيات توظيف هذه الفنون لوسائل حجاج وإقناع؛ الأمر الذي لم يتطرق إليه البلاغيون القدماء إلا عرضاً فيما عرف ببلاغة (السكاكي تـ 626هـ) باعتبارها آخر ما أنتجه التفكير النقدي والبلاغي القديم، وآخر ما استوت عليه النظرية البلاغية قديماً في ثوبها الذي بقي مادة تعليمية في مدارسنا إلى يوم الناس هذا، وإن لم تخل من الملاحظات والإشارات والفوائد البلاغية المرجوة كالعُدول والاختيار المبني على المنفعة التداولية.

قد تبين لنا الأصول التداولية لنظرية البلاغة الجديدة من خلال الأشواط التي قطعناها في بحثنا؛ فالبلاغة باعتبارها نشاطاً لغوياً، فإن مكانها هو المجتمع البشري الذي تُوظف فيه اللغة لأغراض نفعية، يتقاضى الناس بها أغراضهم<sup>1</sup>، ويعبرون بها عن مقاصدهم<sup>2</sup>، وتستند اللغة في الأساس على وجهات النظر المختلفة، فالاختلاف القائم صبغ اللغة صبغة تداولية، تحتكم لعوامل المقام الحامل على إيراد الكلام على وجه مخصوص، والبحث عن أغراض إيراد الكلام على هذه الصفة هو ما تخصصت فيه نظرية البلاغة قديماً وحديثاً.

<sup>1</sup> ينظر أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4/ ج1/ ص34.

<sup>2</sup> ينظر ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من نوي الشأن الأكبر، دار الفكر بيروت، ط2/1988/ ج1/ ص753.

إنّ البحث عن أثر البلاغة الجديدة (الحجاج) في البلاغة العربيّة من خلال القراءات القديمة والمعاصرة، يفرض علينا بشكلٍ منهجي أن نجعل لبلاغتنا موضعاً تداولياً نظراً للشواجح الظاهرة بين الحجاج والتداول، فما المقصود بالتداول؟ وما صلته بالبلاغة العربيّة؟ لم تغب السمة التداوليّة لل بلاغة العربيّة عن القدماء؛ إذ نجدهم يصرون على ربط الصلة بين المعاني وأحوال المتكلم والمتلقّي حين إلقاء الكلام، فيقول (الشاطبي) في هذا المقام " أن معرفة مقاصد الكلام إنّما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال" <sup>1</sup>، ومعلوم أن مقاصد الكلام هي معانيه؛ فربطُ فهم المعنى بالأحوال دليل ساطع على تداوليّة ال بلاغة العربيّة وتداوليّة علم المعاني، فلن يتأتّى الفهم مع بتر المعاني عن مقاماتها. ثمّ انتقل البحث في أحوال المتخاطبين ومقام الكلام إلى علم البلاغة العربيّة ليجعل منها علماً قائماً على ظروف استعمال الكلام، أوّل ما عُرف بسياق الكلام، والتّوجيه الذي تؤدّيه هذه الظروف في بلاغة الكلام.

وإذا كانت النظريّة التداوليّة تعنى " بدراسة الكلام وما يتعلّق به من سياق لغوي وغير لغوي، لتحقيق كمال الاتّصال بين المتكلم ( المرسل) والسماع (المستقبل)" <sup>2</sup>؛ فإنّ للبلاغة العربيّة طرح قديم في هذا المقام إذ رأينا أنّ علم المعاني يقوم على قاعدة (مناسبة المقال للمقام مع مراعاة مقتضى الحال)، وما يحتاجه المتكلم من إحاطة ومعرفة بظروف الخطاب لإيصال قصده إلى السامع، وإذا علّم أنّ السامع على أحوال متعدّدة ومتباينة؛ فإنّ الإحاطة بها تُمكن أداء المهمة ال بقاصلة بنجاح. ولا بأس أن نذكر في هذا المقام تقسيم أضرب الخبر في علم المعاني على حسب حال المتلقّي بين القبول والتّردّد والإنكار، فهذه الحالات المتغيّرة حملت المتكلم على إرسال عباراته وفق تر اكيب مخصوصة، يعمل كلّ تركيب منها على أداء المعنى المقصود على الوجه الأكمل.

<sup>1</sup> مريم مزاييتي، (التداوليّة نشأة المفاهيم والتّصورات)، مجلة إشكالات في اللّغة والأدب، ع8/ ديسمبر 2015م/ 268.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 274.

ولا بأس أن نذكر في سياق بيان تداولية البلاغة العربية تعريف السكاكي للبلاغة في قوله أن البلاغة: " هي إخراج الكلام في صورة مخصوصة دون أخرى وعدول بالكلام من صورة إلى صورة أخرى تطابق مقتضى الحال أو الاعتبار المناسب " <sup>1</sup>؛ هكذا يرى السكاكي التعبير البلاغي بتركيب معين دون آخر، حيث يقوم الاختيار على اعتبارات عدة؛ تقوم كلها على المناسبة، مناسبة الكلام للحال التي يجري فيها التخاطب، وكذا مناسبة الكلام لظروف الخطاب والمخاطب، ومناسبة الكلام لمقام المتخاطبين، وليست مراعاة هذه المناسبة بغريبة عن اللغة العربية، لأنها لغة تقدر في كل حركة قدر المخاطب وتراعي أحواله، وأمثلة ذلك في القرآن الكريم كثيرة جداً منها قوله ﷻ: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ مريم 21. نود أن ننبه على مراعاة حال المخاطب في هذه الآية - وهي مريم - عليها السلام - من حيث أنها أنثى؛ ف جاء ما يدل على جنسها في كاف الخطاب المتصل باسم الإشارة (كذلك)، فحركة الكسر التي لحقت كاف الخطاب تدل على أن جنس المخاطب أنثى؛ مما يدل على اختصاصها بهذا الخطاب دون غيرها، وهذا من بلاغة القرآن الكريم، وعنايته بحال المخاطب.

كما أن نظام اللغة العربية في مختلف صورها التركيبية والإعرابية يراعي المقام التخاطبي لعناصر الإسناد، فرفع المسند والمسند إليه باعتبارهما ركيزة العملية الخطابية، وتأتي الفصلة في رتبة ثانية وغالبا ما تنصب على المفعولية أو الحالية، أو يبقى حكمها تابعا لما قبلها، وليس الحركات الإعرابية اعتبارية بل تداولية، تُحدّد فيها مواقع الكلام في نظام المنطق الطبيعي للغة العربية، فإذا كان المخاطب من أهل العربية المدرك لعلاقة المعاني بالإعراب فإنه سيدرك حتما الوظيفة التداولية لكل عنصر في الجملة عن طريق إقامة العلاقة بين الإعراب ومقتضى الحال.

<sup>1</sup> أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ط1983، 1/ص169.

تبدو العلاقة بين البلاغة والتداولية متينة قوية من خلال ارتكازهما على عنصر مهم في تحليل الخطاب؛ هو عنصر السياق؛ لغوياً كان أو مقامياً. ونعني بالسياق المقامي تلك الظروف المشاركة في إنتاج الخطاب يفوقه سياق لغوي معين تركيبياً وإعرابياً. وتُعنى التداولية المعاصرة بتحليل هذه الظروف التي تُسهم في إنشاء الخطاب. وقد عرّف البلاغيون القدماء هذه الظروف بـ(مقتضى الحال)<sup>1</sup> الذي يوجّه المتكلم في إيصال قصده وجهة مقصودة دون أي اعتبار، وعلى هذا يمكن اعتبار النظرية التداولية في عنايتها بالمقام جزءاً من البلاغة القديمة نظراً لاعتمادها على المقام في بناء وتحليل الخطاب.

وبعد إقامة جسر الترابط بين البلاغة العربية والتداولية، يمكننا الوقوف على العلاقة بين نظرية الحجاج المعاصرة والبلاغة العربية القديمة، وقد رأينا فيما سلف الأصول التداولية لنظرية الحجاج<sup>2</sup>، فالعملية الحجاجية تحتكم للقواعد التداولية للخطاب، ولن تقوم المحاجة دون توافر ظروفها كالخطيب والجمهور والقضية مدار الحجاج، والمقام العام الحامل والحاوي لهذه العملية الحجاجية، وهذا ما تعنى التداولية بدراسته. فعندما يقف المحامي بين يدي هيئة المحكمة للمرافعة؛ فهو حينها في مهمة حجاجية لا تتفك عن طبيعتها التداولية؛ لما تحيط به من ظروف المحاكمة ( القضية وتفاصيلها، الضحية والمتهم والحالة النفسية، القاضي وطبيعته النفسية والفكرية) كل هذه العوامل تمثل المقام التداولي للمرافعة الحجاجية.

وقد وضع أصحاب التداولية نظرية أفعال الكلام التي تبحث في الأعمال المنجزة جزاء التلّفظ بالقول، وهي ثلاثة أفعال : فعل القول، والفعل المتضمّن في القول، والفعل المنجز عن التلّفظ المنجز بالقول<sup>3</sup>، ومن هذه النظرية انتقلت فكرة دراسة الأثر (الفعل) الإنجازي إلى بلاغة الحجاج على يد ( أوزفالد ديكر و كلود أنسكومبر )، فنظرية البلاغة الجديدة على

<sup>1</sup> ينظر سليمان بن سمعون، البلاغة وعلاقتها بالتداولية والأسلوبية وعلم النصّ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع2012/17م ص47/48.

<sup>2</sup> ينظر الفصل الأول من بحثنا هذا (مرجعيات البلاغة الجديدة)

<sup>3</sup> ينظر علي فتح الله أحمد محمّد، من أنماط الحجاج في علم المعاني، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، عدد 38/جوان 2018م (المجلد الثالث)، ص1370.

غرار نظرية أفعال الكلام اهتمت بدراسة الأثر الحجاجي (الإقناعي) المترتب عن التلّفظ بأيّ تركيب لغوي، وقد حاول الرّجلان دمج سياقات التلّفظ في اللّغة في نظرية (التداوليات المدمجة)<sup>1</sup> للخلوص إلى كون اللّغة كلّها حجاج!

تأسست البلاغة العربيّة ونظرية الحجاج تحت مرجعية واحدة إذ تحتكم إلى تداولية الخطاب أو ما عرف قديما بالسياق ومقتضى الحال، وعلى هذا الاعتبار صارت البلاغة العربيّة بلاغة تداوليّة، وكذلك صارت نظرية الحجاج نظرية تداوليّة ، فاجتمعت البلاغة العربيّة والحجاج بجامع التداولية. وبعد هذه التوطئة يمكننا الشروع في نقد بعض أعمال البلاغيين المعاصرين الذين حاولوا إسقاط معطيات البلاغة الجديدة البلاغة العربيّة متّذنين النصّ التراثي ميداناً لأعمالهم رجاء اكتشاف مكان الحجاج في البلاغة العربيّة القديمة في شتى صورها وفنونها.

<sup>1</sup> ينظر علي فتح الله أحمد محمّد، من أنماط الحجاج في علم المعاني، مجلّة الدّراسات العربيّة، كليّة دار العلوم، جامعة المنيا، عدد 38/جوان 2018م (المجلد الثالث)، ص1371

## المبحث الأول

المقال الأول : (تحليل حجاجي لظاهرة بديعية) –

للدكتور (شكري المبخوت)

المقال الأول : (تحليل حجاجي لظاهرة بديعية)<sup>1</sup> - للدكتور (شكري المبخوت) \* :

### 1. تمهيد:

اختار الباحث (شكري المبخوت) ظاهرة بديعية عُرِفَت في البلاغة العربية القديمة بـ (المذهب الكلامي)، وقد اعتبره الباحث وجهاً بلاغياً میناً<sup>2</sup> نظراً لقلّة العناية به في الكتب البلاغية، وكذلك لندرة الشواهد الدالة عليه، ثم ركنه ضمن الفنون البديعية.

استهلّ الباحث عمله بتقديم مفهوم ( المذهب الكلامي ) عند القدماء، ثم طرح علاقة المذهب الكلامي بعلم البديع، ثم طرق إلى العلاقة بين المذهب الكلامي والحجاج، معقّباً بتحليل أمثلة للمذهب الكلامي والرد على بعض البلاغيين ، ثم انتهى إلى تحليل الآية الثانية والعشرين (22) من سورة الأنبياء في قوله ﷻ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء).

طرح (شكري المبخوت) عدّة مفاهيم للمذهب الكلامي عند القدماء، فذكر تعريف (التفتازاني ت793هـ) القائل بأنّ المذهب الكلامي هو : " إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام"<sup>3</sup>، ثم عرض لتحليل المفاهيم الأساسية ( الحجة، المطلوب، المذهب الكلامي) في هذا التعريف مستدلاً بأقوال علماء آخرين، ثم عقد مقارنة بينه وبين طريقة الاستدلال في علم المنطق، حيث اعتبر المذهب الكلامي نوع من الاستدلال غير المنطقي نظراً لتقييده بطريقة أهل الكلام<sup>4</sup>، ولولا هذا التقييد لكان جديراً بتسميته (المذهب المنطقي) ويضمّ إلى علم المنطق وكفى الباحثين عناء التمييز بين المفهومين. والاستدلال "هو استنباط قضية من

<sup>1</sup> شكري المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص140.

\* شكري المبخوت دكتور وأكاديمي وأديب تونيسي معاصر ولد سنة 1962م

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص140.

<sup>3</sup> سعد الدين التفتازاني ت793هـ، شروح المختصر، ج4، ص369..

<sup>4</sup> ينظر شكري المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص142.



أخرى أو من عدة قضايا أخرى" <sup>1</sup>، والاستدلال المنطقي عند الفلاسفة ما اعتمد المقدمات اليقينية في مقابل الاستدلال الخطابي والجدلي المعتمد على مقدمات ظنية <sup>2</sup>.

أما وقد تمّ الفصل بين الاستدلال المنطقي والاستدلال الخطابي فيما سبق، وذلك على اعتبار الفصل بين المقدمات القائم على مسألتي اليقين والظنّ، فيعدّ الاستدلال منطقياً إذا اعتمد على مقدمات مفردة في ذاتها مطابقة للواقع تخلو من الظنّ، وهذا ما يعرف بالمقدمات اليقينية التي تُعتمد لدى المنطقيين، أما إذا شاب هذه المقدمات شيء من الشكّ والرّيب أو تعدّدت لخدمة نتيجة واحدة فحينئذٍ تُخرَج العملية الاستدلالية من دائرة المنطق إلى دائرة الاستدلال البلاغي الخطابي إذا غلب على مقدماتها الظنّ. فأين يكون محل (المذهب الكلامي) بين المنطق والبلاغة؟ إذا علم أنه ليس بالعملية المنطقية، فهل يكون استدلالاً خطابياً؟ وأتى له ذلك إذا علمنا أنّ المذهب الكلامي هو احتجاج نظري لإثبات العقائد الإسلامية <sup>3</sup>؟ ولا يصحّ الاستشهاد للعقيدة الإسلامية إلا بما هو يقين ينافي الشكّ.

وتجدد بنا في هذا المقام الإشارة إلى رأي (ابن المعتز) و(أبي هلال العسكري)؛ الرّأي الذي ينسب المذهب الكلامي إلى التكلّف <sup>4</sup>، فلا تصبح النسبة إلى أهل الكلام نسبة إلى طريقة مخصوصة في الاستدلال والاحتجاج، إنّما إلى نوع من التكلّف والتّنتع في إثبات بعض القضايا على وجه ليس إليه سبيل. لكن هذا الرّأي يحتاج إلى نظر أيضاً على اعتبار أنّ هذا الاصطلاح منسوب إلى الجاحظ <sup>5</sup>، وهو من أهل الكلام فلا يمكن أن يورد هذا الاصطلاح على سبيل الذمّ كما سبق، وعليه يبقى البحث قائماً عن علّة الاصطلاح بالمذهب الكلامي على تلك الطّريقة في الاحتجاج النظري حول مسائل العقيدة الإسلامية.

<sup>1</sup> جميل صليبا، معجم المصطلحات الفلسفية، ج1/ ص68/69

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص69

<sup>3</sup> ينظر ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التّعبير في صناعة الشّعر والنّثر، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص119.

<sup>4</sup> ينظر أبو هلال العسكري، الصّناعتين، الكتابة والشّعر، المكتبة العنصرية بيروت، 1419هـ، ص410

<sup>5</sup> ينظر ابن المعتز، البديع في البديع، ص147.

نسب الجاحظ هذا الوجه البديعي لأهل الكلام على اعتبار أنهم يستخدمون العقل دون النقل في إيراد الحجج القاطعة في إثبات مبادئ العقيدة بصورة نظرية وفق مبادئ العقل الصحيحة، وهذا ما يتجلى من خلال تعريف ابن حجة الحموي : المذهب البديعي " أن يأتي البليغ على صحة دعواه، وإبطال دعوى خصمه، بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها إلى علم الكلام، إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة"<sup>1</sup>، وعليه يمكن ملاحظة التقارب بين الاستدلال المنطقي والمذهب الكلامي على اعتبار أنهما يفتنيان العقل السليم والبراهين القاطعة في إثبات القضايا العقديّة، ولعلّ الجاحظ قد تحرّج من تسميته مذهباً منطقياً أو عقلياً نظراً لما كان يواجهه أهل العقل ممن اشتغل بالمنطق و الفلسفة من رفض وصراع مع أهل النقل والأثر.

لم يقف الباحث ( شكري المبخوت ) على قناعة بيّنة حول ما دار من خلاف حول (المذهب الكلامي) وعلة الاصطلاح عليه ونسبته لأهل الكلام، والظاهر أنّ هذا الفنّ طريقة أهل الكلام في الاحتجاج حول المسائل العقديّة الخلافية بين أهل الملل والنحل . وتستعمل فيها عدّة وسائل حجاجية على اختلاف مقدماتها؛ فإذا صحّت المقدمات كانت استدلالاً منطقياً، وإذا غلب على المقدمات الظنّ والرّجحان فتندرج تحت الاستدلال الجدلي<sup>2</sup>. وخلاصة الأمر أنّ (المذهب الكلامي) لا يخرج عن طرائق الحجاج المعلومة، يعتمد فيها المحاجج على مقدمات متفاوتة الصدق بين اليقين والرّجحان لغاية إثبات مسائل عقديّة بأدلة عقلية أكثر منها أثرية، لأنّ هذا الصّنف من الحجاج كان في الغالب موجّه لغير المسلمين الذين لا يؤمنون بما هو منقول (القرآن الكريم والحديث الصّحيح) ممّا يستدلّ به في إثبات العقائد الإسلامية.

<sup>1</sup> ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الإرب، دار ومكتبة الهلال 2004م، ص 364.

<sup>2</sup> ينظر شكري المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 147.

### 2. العلاقة بين المذهب الكلامي والحجاج :

حاول الباحث تحت هذا المبحث بناء تصوّر للعلاقة بين المذهب الكلامي ونظرية الحجاج المعاصرة، فبدأ بنقض فكرة (ديكرو وأنسكومبر) والتي تقضي بجعل كلّ بناء لغوي عبارة عن محاجة، وهذا زعم في نظر (المبخوت) مردود على صاحبيه، إذ يرى الباحث أنّ الحجاج ظاهرة مقامية أكثر منها بنيوية داخل اللغة<sup>1</sup>. وليس بالضرورة أن يكون كلّ تركيب لغوي ضمّ في بنيته استفهاماً أو عبارة (لكن) أو (حتى) حجاجاً. كما أنّ محاولة (ديكرو وزميله) في تخلص الحجاج من الصوّر المنطقية أمر مبالغ فيه على ما رآه الباحث<sup>2</sup>، وهذا طرح نؤيّد له لما يعترى الباحث من مشقّة إذا ما حاول فصل الاستدلال الحجاجي عن الصوّر المنطقية داخل الخطاب الواحد، فقد يستحيل أن نصادف خطاباً حجاجياً يخلو من الصوّر المنطقية والحجاجية الجدلية والخطابية والبلاغية مبثوثة في بناء لغوي واحد، ولذا نرى اعتبار أنّ اللغة كلّها حجاج أمر مبالغ فيه ويستعصى تحقيقه والتّسليم به.

لاحظ الباحث تشابهاً بين تعريف الحجاج عند (ديكرو) وتعريفات المذهب الكلامي عند القدماء، باعتبار الأول : إيراد قول أو مجموعة أقوال يفيد التلقّف بها التوصل إلى نتائج يتم التّسليم بها<sup>3</sup>، وتعدّ الأقوال الأولى مقدّمات (حجج) والأخيرة نتائج للعملية الحجاجية . أمّا الثاني فإتيان بقول (حجة) يضمن التّسليم المطلوب والتّصديق به، وهذا بغضّ النظر عن الطريقة التي تبنى بها الأقاويل الحجاجية سواء كانت منطقية أو بلاغية . ومن هذا التشابه تتجلى العلاقة بين المذهب الكلامي والحجاج؛ فكلاهما صورة من صور الحجاج التي تبغي الإقناع والإذعان، وغالباً ما يكون في صور القياس المضمّر لأنّ الجاحظ أوّل من نظر للمذهب الكلامي متأثراً فيه بالأقيسة الخطابية عند اليونان كما ذكر ذلك عبد المنعم خفاجي

<sup>1</sup> ينظر شكري المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 149.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 149.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص 148.

عند تحقيقه لكتاب (الإيضاح للخطيب القزويني ت 739هـ)<sup>1</sup>. واختصّ المذهب الكلامي عن الحجاج بالمواضيع العقديّة بينما يخوض الحجاج في شتى المواضيع العامّة.

يصل الباحث في الأخير إلى نتيجة مهمّة مفادها أنّ هذا الفنّ البديعي ( المذهب الكلامي) صورة من صور الحجاج المعلومة، إذ تبنى عملياته الاستدلاليّة على قول (أ) (حجّة) يستلزم التسليم بقول(ب) (نتيجة)، ويمكن أن تكون النتيجة ظاهرة أو ضمنية. وممّا يؤيد انضمام هذا الفنّ تحت لواء الحجاج تلك المقدمات التي تحتمل الصدق ودونه أي الرّجحان؛ إذ لا تبنى البرهنة في (المذهب الكلامي) على اليقين<sup>2</sup>، ولا تلتزم بالقواعد المنطقيّة الصارمة، كما يدخل الاحتمال إلى هذا الفنّ من ناحية الدلالات المتضمّنة في البنيات اللغوية التي تحتكم إلى قواعد اللّغة الطّبيعيّة دون اللّغة الرّمزية؛ فالأولى تقبل التّأويلات المختلفة على عكس الأخيرة.

### 3. تحليل شاهد من المذهب الكلامي :

قام الباحث (شكري المبخوت) تحت هذا العنصر بقراءة حجاجيّة في الآية الثانية والعشرين من سورة الأنبياء ، وقد ذكر أنّها الشاهد القرآني الأكثر تداولاً لهذا الفنّ البديعي<sup>3</sup>، مع العلم أنّ الاستشهاد بها جاء مع المتأخّرين فقط، مع إنكار قاطع من (ابن المعتز ) بوجود هذا المذهب في القرآن الكريم وتبعه في هذا القول (أبو هلال العسكري)، وهذا ينمّ عن عدم اتفاق المتقدّمين والمتأخّرين من البلاغيين القدماء حول ماهيّة هذا الفنّ وماهيّة الأمثلة التي توافقه. وإذا نُسب الفنّ لأهل الكلام يلزم من ذلك عدم وجوده في القرآن الكريم إلاّ أنّ يكون علماء الكلام قد استنبطوا طريقتهم هذه من القرآن الكريم، ولا يصحّ لهم حينئذٍ الاستئثار بهذه النسبة، وهذا مستبعدٌ أيضاً لأنّ مفهوم المذهب الكلامي صريح في اعتماد أصحابه

<sup>1</sup> ينظر الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دارالجيل بيروت ط3/ص 140.

<sup>2</sup> ينظر شكري المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعيّة، ص152.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص152.

على الدليل العقلي اليبين؛ وليس من ذلك شيء في القرآن العظيم إذ لا يصح أن يوصف بالعقلي بل نزل ليدحض العقول المعاندة وينير عقول المؤمنين ويشفي قلوبهم.

كما نعتقد أنه لا يصح أن يوصف الاستدلال القرآني بالاستدلال الخطابي لأن القرآن الكريم يعتمد المقدمات اليقينية التي لا يخالجهما الظن الخطابي مثلما هو في الحجاج لقوله ﴿الْم ۝ ذَلِكُ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الْبَقَرَةُ (1)(2)﴾. وقد يخالف رأينا هذا رأي (سعد الدين التفتازاني) الذي يرى توظيف المقدمات الصادقة في المذهب الكلامي يكون في "الخطابيات دون القطعيات المعتمدة في البرهانيات"<sup>1</sup>، فإذا كان الأمر كذلك فينبغي إعادة النظر في وجود المذهب الكلامي في القرآن الكريم عملاً برأي المتقدمين. وعقيدتنا نحن المسلمين تفرض علينا الإيمان بقطعية ما ورد في القرآن الكريم بدرجة أعلى من البرهان المنطقي الذي وضعه البشر. أما إذا كان البرهان المنطقي عندهم يعني ذلك الجانب الشكلي من القياسات المنطقية والمعادلات الرياضية فإن الشكل لا يغني عن المضمون شيئاً.

عرض الباحث إلى منهج القدماء في تحليل قوله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَاءُ اللَّهِ

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝﴾ (الأنبياء (22))، فوجده تحليلياً على طريقة

القياس المنطقي من خلال علاقة اللزومية<sup>2</sup>، فأسلوب الشرط الذي بنيته وفقه الآية الكريمة

بحرف الشرط (لو) وهو حرف امتناع لامتناع، أي امتناع النتيجة لامتناع المقدمة ؛ أي أن

تعدد الآلهة في الكون يقتضي فساد، والظاهر للعيان أن الكون لا يزال قائماً مسيراً بإحكام

فهذا يستلزم عدم وجود آلهة متحكمة للكون سوى الإله الواحد، أي أن امتناع فساد الكون

دليل على امتناع تعدد الآلهة، وهي حجة منطقية مؤسسة على بنية الواقع قاطعة على

وحدانية الإله الخالق للكون.

<sup>1</sup> التفتازاني، شروح المختصر، ج4، ص369.

<sup>2</sup> ينظر المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص153

ولا بأس من ذكر تفسير للآية الكريمة عند القدماء من باب الاستئناس، فقد جاء في تفسير (الهداية إلى بلوغ النهاية): " لو كان المعبود آلهة أو إلهين لفسد التدبير، لأن أحدهما يريد ما لا يريد الآخر، فإذا تمّ ما أراد أحدهما، عجز الآخر؛ والعاجز لا يكون إلهاً. وإذا فسد وجود إلهين أو آلهة، ولم يكن بدُّ من خالق مقدر للأشياء، يقدّم المقدم منها، ويؤخر المؤخر منها، ويوجدتها بعد عدمها ثبت أنّه واحد"<sup>1</sup>، ومعنى الآية وتفسيرها ظاهر بين يقتضي انتفاء تعدد الآلهة لسبب واحد هو عدم فساد الكون وعدم اختلاله. وقد أسهب ( الفخر الرّازي ت606هـ) في تفسير الآية متوسلاً طريقة المناطقة في اعتمادهم على علاقة التلازمية<sup>2</sup>، ولا يسعنا ذكر كلّ التّفسير في هذا المقام.

استنتج الباحث أنّ القدماء عند تحليلهم للآية الكريمة اعتمدوا على المفاهيم المنطقيّة أكثر من اعتمادهم على تحليل البنى النّحويّة وطريقة تركيبها بغية استنباط النّكت البلاغيّة كما عهد منذ (الجرجاني 471هـ)، وهذا إن دلّ إنّما يدلّ صراحة على تأثر البلاغيين بأساليب المناطقة خاصّة بعد (السّكّافي 623هـ)<sup>3</sup>، وابتعادهم في تحليل هذه الآية عن التّحليل البلاغي. أمّا السّؤال المطروح هو: ماذا يقصد الباحث بالتّحليل على طريقة البلاغيين والتّحليل على طريقة المناطقة؟

لا يمكن بحال من الأحوال - وفق النّظريّة البلاغيّة المعاصرة- استثناء التّحليل الحجاجي للآية الكريمة من حيّز التّحليل البلاغي باعتبار البلاغة نظريّة عامّة تضمّ الحجاج والأسلوب والتّصوير البياني والتّحسين البديعي . وقد جاء تحليل البلاغيين القدماء للآية

<sup>1</sup> أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي ت 437هـ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح مجموعة رسائل جامعيّة بكلّيّة الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، النّاشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كئيّة الشريعة والدراسات الإسلاميّة - جامعة الشارقة، ط1: 1429 هـ - 2008 م ، ج7، ص 4743.

<sup>2</sup> ينظر أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التّيمي الرّازي الملقب بفخر الدين الرّازي ت 606هـ، مفاتيح الغيب = التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي - بيروت، ط3 1420 هـ، ج22، ص128.

<sup>3</sup> ينظر شكري المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعيّة، ص154.

الكريمة حاجيا أشبه ما يكون بطريقة المناطقة، وليس منطقياً صرفاً نظراً لطبيعة المقدمات والنتائج والأقيسة المضمرة، بل هو تحليل حاجي على طريقة المتكلمين المتأثرين بالمنطق.

أما استثناء الباحث لهذا التحليل من طريقة البلاغيين فيعدّ استثناءً صحيحاً إذا استثنى من طريقة التحليل البلاغي التي عرفت على يد (الجرجاني 471هـ) ومدرسته، إذ لم يتطرق (الجرجاني) لمسألة الحجاج والاستدلال البلاغي في بلاغته بالمفهوم المعاصر إلاّ عرضاً استخلصناه من حديثه عن مواقع التمثيل وتأثيره إذ قال " وإن كان [حجاجياً]\*، كان برهانه أنور، وسلطانه أقر" <sup>1</sup> أما أن تستثنى هذه الطريقة الحجاجية من البلاغة العامة فإن الأمر يحتاج مزيداً من الدراسة والنظر، لأنّ هذا التحليل الذي رآه الباحث منطقياً هو موضوع الدراسات البلاغية المعاصرة في محاولات جادة لفصل الاستدلال البلاغي عن القياس المنطقي، وبينهما خيط رفيع لا يأبه له الخطيب حين المراس، لذا فإنّ مسألة الفصل بين المجالين أمر مستبعد إنْ لن نسلّم باستحالته. أمّا أهمّ سمة بلاغية في هذا التحليل هي استناد هذا التركيب إلى مقام بلاغي استدعاه مقتضى الحال على هذه الصورة التي بين أيدينا.

#### 4. تحليل الباحث للآية (22) من سورة الأنبياء :

أعاد (شكري المبخوت) تحليل الآية الكريمة محلّ الشاهد للمذهب الكلامي، والتمثّلة

في قوله ﷻ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢)

الأنبياء(22)،. ولم يفصح عن النظرية الحجاجية المتبّعة في تحليله، فلم يلتزم في تحليله بطريقة (بيرلمان) أو (ديكرو) أو منهجا حاجياً من المناهج المعلومة، بل بدأ تحليله اعتماداً على البنية النحوية للأسلوب الشرطي، ومعاني حرف الشرط (لو) والفروق الدلالية بينه وبين

\* وردت هكذا في طبعة دار المدني ويظهر لنا أنّ قصد الشيخ [حجاجا] وليس [حجابا] مناسبة للسياق (برهانه وسلطانه)، وقد (حجاجا) كذلك في نسخة استانبول تح المستشرق ه.ريتر مطبوعات وزارة المعارف 1954م.

<sup>1</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المدني القاهرة، ص115.

بقية الحروف الشرطية. كما لاحظنا تحليل الآية الكريمة أشبه ما يكون بطريقة المناطقة؛ إذ قام الباحث باستخراج المقدمات الظاهرة والمضمرة والنتائج المترتبة عنها ، وشكلتة القضايا والنتائج في رموز وصور رياضية. فإذ حاولنا تحديد المنهج المتبع في هذا التحليل سنجد الباحث قد اعتمد التحليل اللغوي والبلاغي والمنطقي بنظره إلى التركيب النحوي والأسلوب والشكل المنطقي للقضية.

يؤكد الباحث (شكري المبخوت) على ضرورة وضع الآية في مقامها وذلك بعزوها إلى سياق نزولها، وكذا سياقها الوظيفي داخل الخطاب<sup>1</sup>، والغاية من ورودها على هذا الشكل دون غيره من الأشكال التركيبية (النحوية)، فالصورة النحوية التي جاءت عليها الآية لها الأثر البالغ في إقامة الحجّة وإثبات النتيجة المقصودة، فقد أثبتت الآية الكريمة استحالة دوام الكون مع تعدد الآلهة، إنّما بقاؤه دون أي اختلال أو فتور هو البرهان الأظهر على وحدانية الإله الخالق ﷻ المسير لكل شيء بحكمة بالغة.

توصل الباحث في نهاية تحليله إلى فائدة مهمة مفادها أنّ إقامة الحجّة والوصول إلى النتيجة المقصودة كان بنجاعة التركيب النحوي (الذي جاء على أسلوب الشرط) وليس بفضل الحجاج المنطقي أو الخطابية؛ فقد مكّن التحليل النحوي لأسلوب الشرط " البلاغيين ومن ورائهم المناطقة"<sup>2</sup> من الوصول إلى النتيجة المبتغاة. وعليه فإنّ " قواعد النحو كقيلة ببيان التلازم بين (لو) من جهة والجمع بين جملتين منفيتين من جهة أخرى، فالمتكلم المخاطب لا يقوم إلا بالاستدلال من النحو على شيء يقول النحو نفسه"<sup>3</sup>، فانتفاء النتيجة (فساد الكون) انعقد بانتفاء المقدّمة (تعدد الآلهة سوى الله) عن طريق الرابطة النحوي الشرطي (لو)، وعلى هذا يعدّ الاستدلال على النتيجة عملاً نحويّاً وليس منطقيّاً يندرج تحت الحجاج اللغوي.

<sup>1</sup> ينظر شكري المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ص156.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص157.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص157.



يعيدنا الباحث إلى مقابسات ( أبي حيان التوحيدي ) حين حديثه عن علاقة النحو بالمنطق، فقد قال أبو حيان كلاماً نفيساً مفاده أن النحو طبعي والمنطق عقلي، والنحو كاللفظ للمعنى والمنطق كالمعنى للفظ، وقد رأى التوحيدي أن النحو أسبق من المنطق مثل حاجة الناس للكلام أكثر من حاجتهم للبلاغة<sup>1</sup>. وقد رأينا علاقة بين كلام التوحيدي في مقارنته بين النحو والمنطق مع حكم الباحث شكري المبخوت حينما كشف عن دور النحو في العملية الاستدلالية على وحدانية الله ﷻ؛ إذ جعل الاستدلال النحوي أس العملية الحجاجية قبل أنواع الاستدلال الأخرى كالقياس المنطقي والخطابي بل جعل من البنية النحوية صورة استدلالية تؤدي دور البنى المنطقية في استدلالاتها، ونحسب أن الأمر يحتاج بحثاً دقيقاً لتأكيد الفرضية القائلة أن منطق العربية هة علم النحو.

عاد الباحث في تحليله للآية الكريمة إلى طريقة (الجرجاني)، حيث نظر في نظم الآية وتتبع معاني النحو للوصول إلى الفائدة البلاغية المضمنة في هذا التركيب المنظوم على وجه مخصوص، مع أنه ينفي أن يكون في هذه الصورة النحوية مزية بلاغية<sup>2</sup>، وليس له أن ينفي المزية البلاغية في هذا التركيب، كما أننا لا نعتقد خلو أي تركيب قرآني من المزية البلاغة، فقد تجلت بلاغة هذا التركيب في بلوغه المعنى المراد وإقامة الحجّة على المنكرين وحدانية الإله، وقد تحققت الغاية بالبرهان البيّن الواضح وهو دوام الكون وانتظامه، وهذه هي المزية البلاغية المرجوة.

يُثبت تحليلُ الباحث ونتائجُه أن الآية الكريمة لا تتوافق والمذهب الكلامي، ولا تفي بغرض الاستشهاد لهذا الفن البديعي؛ وذلك على اعتبار أن التوصل إلى النتيجة كان بفضل التركيب لما فيه من تلازم نحوي بين المقدمة والنتيجة حققه العامل الشرطي (لو)، وهذا ما

<sup>1</sup> ينظر أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس ت400هـ، المقابسات، تح حسن السندي، دار سعاد الصباح ط2/

1992 م، ص169/172 (المقابلة الثانية والعرون)

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، 157.

أثبتته التحليل النحوي وليس العقلي المنطقي، لأن علماء الكلام يستدلون بالأدلة (الحجج) العقلية في إثبات عقائدهم (النتائج) وليست الآية كذلك، ولو قال قائل أن دوام الكون هو دليل عقلي فلا يُسلم له لأن هذا الدليل حسيّ مشاهد وليس عقلياً مجرداً كما جاء في تعريف المذهب الكلامي.

### خاتمة المقال :

ختم (شكري المبخوت) بحثه بملاحظات قيّمة تفرض على البلاغيين إعادة النظر في بعض الفنون البلاغية مثل ( المذهب الكلامي )، فقد ثبت لدى الباحث أن هذا الفن - محلّ الدراسة- ليس بمحسنٍ بديعيٍ لأنه "أسلوب في بناء القول مؤسسٍ لدلالته، وليس وجهاً بديعياً محسناً للدلالة"<sup>1</sup>، لأنّ الإتيان به في معرض الكلام كان لغاية تأسيس قولٍ حاجيٍ يبغى به المتكلم صياغة القول على دليل أو أكثر للخلوص إلى نتيجة مقصودة، أو دحض دعوى مؤسّسة على حجج ضعيفة، وعليه فإنّ هذا الأسلوب له دور أساسي في تشكيل البنية اللغوية الحاجية ولم يوّث به لغاية تحسينية كما ركنه القدماء في باب البديع، فالمذهب الكلامي أسلوب بلاغي يبني المعنى ويؤسسه وفق منهجية معينة لتحقيق الغاية البلاغية التي تتمثل في إقناع الخصم والجامه، فالأجدر بهذا الأسلوب أن يُضمّ إلى علم المعاني وليس علم البديع.

كما تبين للباحث من خلال مدارسته الحاجية للآية الكريمة أنّ الحجاج وفق آليات المنطق الصناعي واستدلالاته تتأسس استناداً إلى الأبنية النحوية، ولا تكتسب قوتها الحاجية من ذاتها، فمهما بلغت دقة القضايا المنطقية في قياسها، فإنّ التحليل الحاجي المنطقي أو الطبيعي " ليس إلاّ منهجاً مستقلاً من النحو بدليل أنّ تحليل المعنى النحوي يدلّ عليه، ولا تكفي صور القياس للدلالة بدقة على المعنى النحوي"<sup>2</sup>، وهذه الملاحظة قميّة

<sup>1</sup> شكري المبخوت، تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ص 169.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 169.

بالعناية في البحوث الحجاجية حيث غلبت الطرق المنطقية على الدراسات الحجاجية، دون التفات إلى مسألة الدلالة وكيفية تأديتها للمعنى الحجاجي، فالدلالة - في نظرنا - العامل الأول في تشييد المسألة الحجاجية، والتي يسهم التركيب النحوي بشكل أكبر في تأسيسها كما ذكر الباحث<sup>1</sup> إضافة إلى التداول، فعلى مراعاة الدور الدلالي في تحليل الخطابات الحجاجية باعتبار الدلالة القناة الأوسع في مرور الحجج والبراهين.

لما يجدر التنبيه إلى صعوبة التسليم بكل ما توصل إليه الباحث رغم أهميته الكبرى، وكذا الجهود التي بذلها في تتبع المسار المعرفي لهذا الفن (المذهب الكلامي) من الناحية التاريخية والمفاهيمية، فقد حاول الباحث جاهداً رفع الإشكال عن طبيعة هذا الفن الذي اختلف فيه القدماء قبل المعاصرين، واللافت في عمل الباحث هو اعتماده في تطبيقاته على تحليل الآية الثانية والعشرين من سورة الأنبياء على اعتبارها الشاهد الأظهر لهذا الفن البديعي، متجاهلاً بذلك قول (ابن المعتز) و(العسكري) في قولهم أن هذا الفن ليس له وجود في القرآن الكريم، كما أنه لم يثر بحثه بأمثلة أخرى توضح الرؤية أكثر. وعليه نبني تصورنا في نسبة نتائج البحث؛ فلا يمكن بحال من الأحوال أن نبني مفهوماً للفن البلاغي بالاعتماد على شاهد وحيد وفيه نظر في مناسبه لهذا الفن، ولو سلمنا -بتحفظ- أن الآية تصلح شاهداً للمذهب الكلامي، فإن الأحكام النهائية لا تبنى على تحليل شاهد واحد فقط بل لا بد من أخذ عينة كبيرة من الشواهد ووضعها تحت التحليل الحجاجي، وبعد استقراء نتائجها يمكن أن نخلص إلى نتائج تستحق أن تكون قاعدة صلبة لمفهوم المذهب الكلامي.

<sup>1</sup> ينظر تحليل حجاجي لظاهرة بديعية (مرجع سابق)، ص 169.

## المبحث الثاني

المقال الثاني: (الحجة في الاستعمال القرآني إبراهيم وقومه نموذجاً) للدكتور إدريس

حمادي:

المقال الثاني: (الحجة في الاستعمال القرآني إبراهيم وقومه نموذجاً)<sup>1</sup> للدكتور إدريس

حمادي:

بعد توطئة يسيرة طرح الباحث إشكالية البحث التي تبحث في ماهية التّحاج الذي كان بين إبراهيم عليه السلام من جهة ، وقومه من جهة أخرى، وعن طبيعة الحجة القرآنية في إثبات معتقد الأنبياء بتوحيد الإله المعبود حقاً دون بقية الآلهة الباطلة التي يحاول قوم إبراهيم الدفاع عنها مع أنها دعاوى داحضة بكل ما أوتوا من أدلة وحجج. ولم يذكر الباحث النظرية المؤطرة لبحثه، كما لم يذكر وفق أي منهج سيعالج هذا البحث، إنما شرع مباشرة متكئاً على المعاجم العامة والخاصة معرفاً ببعض المفاهيم الواردة في البحث.

عمد الباحث إلى المعاجم المختصة ليُعرفنا على مصطلح حجاجي كثيراً ما يستخدم في المناظرات وكذلك في المحاكم إلى يومنا هذا؛ وهو مصطلح (الدّعى)، فالدّعى "عند أهل المناظرة قضية تشتمل على الحكم المقصود إثباته بالدليل وإظهاره بالتّنبية"<sup>2</sup>، فالدّعى والقضية والمقدمة في المسألة الحجاجية تأتي بنفس المدلول محيلة على المشكلة الأساس التي أقيمت المناظرة الحجاجية لإثباتها، فإذا ما تمّ إثبات حكمها بالأدلة المقنعة أصبحت نتيجة، وقد لا يتمّ إثباتها فتبقى مجرد دعوى قائمة على الظنّ دون أي دليل يؤيدها.

### 1. تدافع الدّعى في قصة إبراهيم عليه السلام:

يُذكر مصطلح الدّعى كثيراً في المناظرات والمحاكمات، والدّعى قضية وادّعاء لم يثبت بعد بالحجج المقنعة<sup>3</sup>، وصاحب الدّعى يسمّى (المدّعي)؛ وهو من يسعى لتأسيس دعواه على أدلة وبراهين وحجج مختلفة تلقى القبول لدى المستمع. وتقابل الدّعى في

<sup>1</sup> إدريس حمادي، الحجة في الاستعمال القرآني، إبراهيم وقومه نموذجاً، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، القسم الرابع، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، ص172.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص172.

<sup>3</sup> ينظر جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص561 (باب الدّال)

الحجاج الأطروحة أو القضية التي يحاجج الخطيب لإثباتها بشتى الحجج الخطابية التي مرّ ذكرها.

تقوم المناظرة الحجاجية بين إبراهيم عليه السلام كطرف مدّعي من جهة، وهو طرف ضعيف في نظر قومه لأنه أتى ببذع من القول لم يسبقه إليه أحد من القوم، فهو وحيد في فكره ودعواه، والقوم كثيرون في الطرف الآخر يدافعون عن دعواهم بكلّ الوسائل المتاحة؛ الحجاجي منها أو غيره كاستعمال العنف والهجرة. وقد سرد القرآن الكريم الحوارات التي دارت بين إبراهيم وقومه في مواضع عدّة من القرآن الكريم، وهذا ما يقصد الباحث إلى تحليله حجاجياً ومدارسة طبيعة الحجّة القرآنية. لم ترد المناظرة الحجاجية في قصة إبراهيم عليه السلام في اتجاه واحد، إنّما هي في أخذ وردّ بين الطرفين، تقوم على التّدافع الشّديد بين الدّعوى اليقينية (المؤسّسة على الوحي) والدّعوى الظنيّة الدّاحضة مع تعصّب أصحابها لباطلهم ورفضهم للحقّ الذي جاءهم يأمرهم بعبادة الواحد الأحد ﷻ دون غيره من الأصنام الباطلة.

ومن أمثلة الحوارات الحجاجية التي وردت في القرآن الكريم في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه، قوله ﷻ على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مَّا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ الأنعام 79 ، وقوله - ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ سورة الزخرف 27/26.

يرفع (إبراهيم) عليه السلام في هذه الآيات القضية المهمة التي بعث الله لأجلها الأنبياء والرسل -عليهم السلام -، وهي إثبات التّوحيد لله ﷻ ونفي الشّرك عنه سبحانه، إذ كان قوم (إبراهيم) يعلمون أنّ الخالق لهذا الكون والمدبّر لأمره واحد أحد، لكنّ الشيطان قد أوحى إليهم أنّهم أقلّ من أن يعبدوه مباشرة لحقارة منزلتهم، وعليهم أن يتّخذوا وسطاء بينهم وبين الله

ﷺ ليشفعوا لهم عنده وليقضوا لهم الحوائج والدّعاوات، ويتوسّطوا بإيصال عباداتهم وقرباته م<sup>1</sup> إلى خالق الكون ﷻ، وقد قال ﷺ في وصف حالهم: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿3﴾ سورة الزمر 3. ومسألة الشّرك بالله هي أعظم قضية أنزل لأجلها الله ﷻ القرآن الكريم وبقية الكتب السماوية، لذلك نجد الكثير من الآيات تدعو إلى التّوحيد ونبذ الشّرك، مؤبّدة في هذه الدّعوة بكلّ البراهين والحجج على صدقها، من براهين عقلية وحسية ومنطقية.

لن يقف الطّرف الآخر في هذه الم ناظرة مكتوف الأيدي بل سيدافع عن عقيدته بكلّ ما أوتي من حجة وبرهان، ولو احتاج الأمر إلى استعمال العنف في ردع الخصم، وكذلك فعل قوم إبراهيم ﷺ. قال ﷺ ﴿وَخَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَنُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿80﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿81﴾ سورة الأنعام 80. احتدم الصّراع بين الطّرفين حتّى وصل ذروته، ﷺ: ﴿قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿61﴾ سورة مريم 61. وانتهى الحوار الحجاجي بعجز قوم إبراهيم ﷺ عن إثبات عقائدهم الباطلة بالأدلة المعقولة المقبولة، فانتهجوا أساليب أخرى لردعه عن دعوته كهجرته وتعذيبه بالنّار لعله ينزجر ويعود إلى دين آبائه.

<sup>1</sup> ينظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي ت 774هـ، تفسير القرآن العظيم، تح سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتّوزيع، ط2(1420هـ - 1999 م)، ج3/ص292.

### 2. مفهوم الحجّة :

جاء في لسان العرب تحت مادة (حجج) قوله : " والحجّة: البُرْهان؛ وَقِيلَ: الحُجَّةُ مَا دُوفِعَ بِهِ الْخَصْمُ؛ وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الحُجَّةُ الْوَجْهُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الظَّفَرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَهُوَ رَجُلٌ مِحْجَاجٌ أَيْ جَدِلٌ. وَالتَّحَاجُّ: التَّخَاصُّمُ؛ وَجَمْعُ الحُجَّةِ: حُجَجٌ وَحِجَاجٌ. وَحَاجَّهُ مُحَاجَّةً وَحِجَاجًا: نَارَعَهُ الحُجَّةَ. وَحَجَّهُ يَحْجُجُهُ حَجًّا: غَلَبَهُ عَلَى حُجَّتِهِ" <sup>1</sup>. الأصل اللغوي في الحجّة هو القصد، لأنّ استعمالها في الخطاب يكون بقصد من الخطيب إلى غايته بغية الإثبات بالإيجاب أو اللّب، ولم يذكر صاحب اللّسان عن طبيعة الحجج وأنواعها المستخدمة في الخطاب اللّغوي، واكتفى بالجانب اللّغوي فقط.

والحجّة في اصطلاح الفلاسفة " هي الاستدلال على صدق الدّعى أو كذبها، وهي مرادفة للدّليل" <sup>2</sup>، والحجاج جملة الحجج التي يأتي بها الخطيب ليبيّن صدق دعواه، والحجاج أيضاً "طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها" <sup>3</sup> فمصطلح الحجاج (Argumentation) يطلق على الآلة والممارسة في آن واحد.

جعل (حمّادي إدريس) الحجّة على نوعين بحسب موافقتها للحقّ أو الباطل ؛ فلأولى: حجّة ناهضة ؛ وهي الحجّة المستخدمة في الخطاب بغية إثبات القضية التي يطرحها الخطيب على وجه الحقيقة، فهي حجّة إيجابية مؤيّدة وداعمة لدعى صاحبها. والثانية : حجّة داحضة ، وهي التي تستخدم في دعم الدّعى الباطلة التي لا تستجيب للحقّ <sup>4</sup>؛ فتصبح حجّتها حينئذٍ شُبّهة يشبّه بها صاحبها الباطل بالحقّ لغاية في نفسه يريد إدراكها.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، ج2، ص228.

<sup>2</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص445. (باب الحاء)

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص446.

<sup>4</sup> ينظر حمادي إدريس، الحجّة في الاستعمال القرآني، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص174



أما أنواع الحجج بحسب طريقتها في الاستدلال فقد جعلها ثلاثة أنواع هي : القياس، الاستقراء والتّمثيل<sup>1</sup>، وهذه الأنواع وضعها أهل المنطق في الاستدلال على أحكام القضية المنطقية<sup>2</sup>، وقد عُرفت هذه الأنواع منذ عهد اليونان في خطابة أرسطو، وتشارك هذه الطرائق الاستدلالية بين المنطق والخطابة على اختلاف في صحة مقدماتها . ولم يتطرق الباحث إلى الحجج البلاغية والسفسطائية والجدلية التي تتراوح بين الظنّ واليقين، كما لم يذكر مسألة الظنّ (الاحتمال) التي تدخل تحت حجج الخصم، ولعله اكتفى بجمعها تحت باب الحجة الداحضة، بل اكتفى بمسألة الحجة التي بمعنى الدليل والبرهان على اعتبار أنّ القرآن الكريم يستعمل الحجة باعتبار مطابقتها للحق، أما خصوم الأنبياء فيستخدمون حججاً داحضة لإثبات دعاوى باطلة.

### 3. حجج النبي إبراهيم عليه السلام :

عرض الباحث أدلة إبراهيم عليه السلام التي سردها للاستدلال على وحدانية المولى ﷻ الخالق لهذا الكون موجّهاً إياها لقومه لعلهم يؤمنون، وقد وردت هذه الحجج في سورة الأنعام في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُرِيءُ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ سورة الأنعام الآيات 76،77،78.

نرى من خلال الآيات الكريمة أنّ سيدنا إبراهيم عليه السلام توصل - بهداية من الله عز وجل - إلى استحالة ألوهية الكواكب المعبودة عند قومه إذ لا تستحق تلك العبادة لاعتبارات عدة، فقد تتبّع النبي إبراهيم عليه السلام حال الكواكب فوجدها بين ظهور وأقول ممّا يثبت عجزها

<sup>1</sup> ينظر الحجة في الاستعمال القرآني (مرجع سابق)، ص174

<sup>2</sup> ينظر محمد حسن مهدي بخيت، علم المنطق المفاهيم والمصطلحات، الجزء الثاني (التصديقات)، ص75

عن تدبير أمور الكون<sup>1</sup>، فالمدير لا ينبغي أن يغيب لحظة واحدة عن ملكه لما يترتب عنه من اختلال وفساد. وكان إدراج هذه الحجّة على طريقة الاستقراء المنطقي، وهو من طرق الاستدلال غير المباشر<sup>2</sup>، حيث تمّ تعميم الحكم على جميع الآلهة من خلال ملاحظة ثلاثة منها فقط، فالكواكب كلّها تشترك في صفة قارّة فيها هي الظهور والأفول، لذا كان الحكم عليها بالتعميم على طريقة الاستقراء كما رأينا مع إبراهيم عليه السلام الذي سحب الحكم المستنبط من العينة المنتخبة على المجموعة كلّها.

تمكن سيّدنا إبراهيم عليه السلام من خلال ملاحظته لعدّة ظواهر طبيعيّة واشتراكها في نفس السمات وعلى طريقة الاستقراء المنطقي بالانتقال من القضية المنطقيّة (الطرف الأول) إلى النتيجة (الطرف الآخر) عن طريق الطرف الأوسط<sup>3</sup>. فالقضية الأصل هي إنكار ألوهيّة الكواكب، والطرف الأوسط الموصل لإثباتها هو اشتراكها في صفة واحدة هي الزوال التي لا يمكن أن يتّصف بها الإله، على اعتبارها حجّة تثبت إنكار الألوهيّة عن الكواكب (القضية). وكذلك لاحظ إبراهيم عليه السلام ثبات الصّفة التي اتخذها حجّة في كلّ الكواكب التي تتبّعها، فهي تظهر وتختفي في أوقات محدّدة، وهي حجّة كافية للدلالة على قصورها وضعفها، وأنّها مسيرة من قبل خالقها، ولا يستقيم أن تكون آلهة على اتفاق أنّ الإله لا يعتوره النقص الذي أصابها، فالإله الحقّ هو " الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويحيي ويميت .... لا الذي يفنى ولا يبقى، ويزول ولا يدوم، ولا يضرّ ولا ينفع"<sup>4</sup>.

وبعد هذا الاستدلال الذي قام به سيّدنا إبراهيم عليه السلام يصل إلى إثبات الغاية الكبرى وهي وحدانيّة الخالق المستحقّ للعبادة دون سواه من المعبودات، وكان ذلك في قوله ﷻ

<sup>1</sup> ينظر محمّد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط1990، ج7، ص464.

<sup>2</sup> ينظر محمّد مهدي بخيت، علم المنطق، المفاهيم والمصطلحات، ص75.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص75.

<sup>4</sup> محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري ت310 هـ، جامع البيان في تأويل القرآن، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرّسالة، ط الأولى، 1420 هـ - 2000 م، ج11، ص487.

على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (79). الأنعام. تضمنت هذه الآية النتيجة الحتمية التي توصل إليها بعد مراقبته لبقية المعبودات الباطلة التي تم الاستدلال على ضعفها وبطلانها. وقد استدلل إبراهيم عليه السلام أن تلك الكواكب المعبودة خلق من مخلوقات الله في قوله : ( للذي فطر السموات والأرض )، وفي هذا دليل على قدرة الخالق على إبداع ما لا يقدر عليه المخلوق، سواء تجلّى ذلك الإبداع للبشر أو خفي عنهم.

وينبّه الباحث إلى اختلاف المفسرين<sup>1</sup> في حجج إبراهيم عليه السلام ونتائج تلك الحجج، فذكر تأويل (الشيخ محمد رشيد رضا) الذي يرى أن أقول الكواكب كانت حجة من سيدنا إبراهيم عليه السلام لإثبات ضلال قومه التي ذكرت من قبل في قوله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرِنكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام 74. فاستدل إبراهيم على ضلال قومه عن الحقّ كان في قصور الكواكب عن استحقاقها رتبة الألوهية<sup>2</sup>، وليست هذه الحجة حجة على وحدانية الله ﷻ واستحقاقه للعبادة. فالاستدلال على النتيجة الأخيرة (ألوهية الله) كان بحجة خلق السموات والأرض في قوله : ( للذي فطر السموات والأرض ) أي خلقهنّ، فخلق السموات والأرض يخدم الدعوى الكبرى التي من أجلها أرسل إبراهيم عليه السلام وهي التوحيد<sup>3</sup> ولا يدعم القضية الأولى قضية ضلال القوم.

#### 4. حجج قوم إبراهيم :

نبّه الباحث فبيل سرده لحجج قوم إبراهيم عليه السلام على قضية اصطلاحية غاية في الأهمية، حيث رأى أن القرآن الكريم يسمي دعاوى القوم بالحجة رغم بطلانها<sup>4</sup>، إذ يقول ﷻ

<sup>1</sup> ينظر حمّادي إدريس، الحجة في الاستعمال القرآني، ص175.

<sup>2</sup> ينظر الشيخ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج7، ص 469/468.

<sup>3</sup> حمّادي إدريس، الحجة في الاستعمال القرآني، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص175.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه، ص176.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ سورة الأنعام . وقال أيضاً : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَأَنَّا إِلَهُ الْبَاطِلِ ﴿٨١﴾ سورة القصص .  
(25). ولا ريب في أنّ ما كان عليه القوم من معبودات ضلالاً لا يُختلف فيه، لكنهم لم يدّخروا جهداً في الدفاع عن معتقداتهم الباطلة بكلّ ما أوتوا من جدل وحجاج، كما استعانوا بالتخويف والترهيب مع جميع الأنبياء عليهم السلام. وقد وصف القرآن الكريم فعلهم هذا بالحجاج، كما جعل من دعواهم الباطلة حججاً.

والصّواب أنّ الدّعى ليست هي الحجّة كما ذهب إليه (حمّادي إدريس) وقد سبق تعريف الدّعى بأنّها القضية التي يسعى كلّ طرف إلى تأسيسها بما توفّر لديه من حجج. لذا فإنّ ذكر القرآن للحجج في الآيتين السابقتين ليس مرادفاً للدّعى إنّما وسيلة لإثباتها. والحجّة قد تُصرف لإحقاق الحقّ كما تُصرف لتمويه الباطل، ويستعمل لهذين الغرضين الحجج الصّادقة (الدّاعمة) والحجج الباطلة (الدّاحضة)، وقد وصفت بهذا الوصف الأخير في القرآن الكريم في قوله - عز وجل - : ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ سُورَةُ الشُّورَى . كما وصفها الله عز وجل بأنّها ليست بشيء من حيث الصّحة واليقين بل هي مجرد ظنون لا تغني من الحقّ شيئاً مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١٤﴾ سورة الجاثية، وعليه يكون قد اجتمع مصطلح (الحجّة) تحت كلّ الحجج دون النّظر في حكمها (الدّاعمة والدّاحضة)، وهذا يدلّ على أنّ الحجّة في الاستعمال القرآني يُقصد بها كلّ دليل يستعين به المدّعي لإثبات قضيتته بغضّ النّظر عن موافقة هذا الدليل للحقّ أو الباطل.

وقد وردت ألفاظ مرادفة للحجّة في القرآن الكريم مثل لفظتي ( البرهان والسّلطان ) -

كما ذكره الباحث (حمادي إدريس) في بحثه<sup>1</sup> - ومن ذلك في قوله ﷻ: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ سورة آل عمران . قال الزجاج : " أي أشركوا به ما لم يُنزل به حجة، والسلطان في اللغة الحجة ومثله : ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ ﷻ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﷻ (سورة الحاقة). أي ذهب عني حبيتيه".<sup>2</sup>، كذلك استعمال لفظة السلطان كمرادف للحجة تخضع لمعيار الحق والباطل، فما كان من الكافرين كان باطلا ولو سمي حجة أو سلطاناً في القرآن العظيم.

أما مصطلح البرهان فقد استعمل في القرآن الكريم باعتباره الحجة الداعمة القاطعة للظن باليقين، كما جاء في مفهومه اللغوي؛ قال صاحب اللسان : " البرهان الحجة الفاصلة النيئة، يُقال: برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم"<sup>3</sup> . ولم يوصف (البرهان) في القرآن الكريم بالحجة الداحضة أو الباطلة، بل جاء (البرهان) وصفاً للآيات البيّنة والأدلة الباهرة التي أنزلها المولى عز وجل على عباده مؤمنهم وكافرهم، فقال ﷻ : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا مِنْ رَبِّهِمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ﷻ سورة النساء . قال الرّازي: "والبرهان هو محمد ﷺ، وإنما سمّاه برهاناً لأن حُرْفَتَهُ إِقَامَةُ الْبُرْهَانِ عَلَى تَحْقِيقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَسَمَّاهُ نُورًا لِأَنَّهُ سَبَبٌ لَوْفُوعِ نُورِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ..."<sup>4</sup>، ونخلص إلى أن الاستعمال القرآني للحجة ومرادفاتها قد خصّ البرهان بمعنى اليقين، أمّا الحجة والسلطان فقد استعمل لليقين وضده، ومما يشترك مع الحجة في الحقل الدلالي مصطلح (الدليل)، والذي لم نجد له أثراً في القرآن الكريم إلا بصيغة الفعل الماضي (دل) التي وردت مرّة واحدة في القرآن كله في قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ

<sup>1</sup> ينظر حمادي إدريس ، الحجة في الاستعمال القرآني، ص176

<sup>2</sup> إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط 1 / 1408 هـ - 1988 م، ج1/ص478.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج13/ص51.

<sup>4</sup> فخر الدين الرّازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ج11/ص274.

مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجُنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ سُورَةُ سَبَأٍ.

ومما اتفقت عليه الأمة أنّ مسألة حفظ القرآن الكريم قد تكفل به الحكيم الخبير، فالقرآن العظيم كلامه منه بدأ واليه يعود<sup>1</sup>، وعليه فتجدر الإشارة إلى أهميّة اعتماد المفاهيم القرآنيّة في البحوث اللسانيّة باعتبارها المرجع الأول للفصل في معاني الألفاظ والفيصل الدقيق في تحديد الفوارق الدلاليّة بينها، وهذا رغبة في تفادي الكثير من النزاع الاصطلاحي الواقع في علوم اللّغة العربية اليوم.

### 5. المقارنة بين حجج إبراهيم عليه السلام وحجج قومه :

عمد الباحث إلى المقارنة بين حجج إبراهيم عليه السلام وحجج قومه من حيث مصادر تلقّيها، فمن المعلوم أنّ حجج الأنبياء - عليهم السلام - تصدر من مشكاة واحدة من لدنّ علام الغيوب عليه السلام بعكس ما كان يبتدعه أقوامهم من خرافات لا ترقى إلى أقلّ اليقين، كذلك كان إبراهيم عليه السلام يتلقّى الهداية من ربّه مع الأدلّة القاطعة على صوابها أي أنّها براهين إلهيّة لا يمكن المجادلة فيها. ومن دلائل الله تعالى وحججه إلى إبراهيم عليه السلام أنّ أراه ملكوت السّموات والأرض ليستدلّ على إيمانه باليقين ولا يرتاب<sup>2</sup>؛ قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٥٠﴾ سورة الأنعام . وهكذا يكون يقين الأنبياء في إيمانهم ربّانياً لا يخالجه ريب؛ ممّا يزيدهم ثباتاً أمام المحن والابتلاءات التي يواجهونها من أقوامهم دون أن يكسر ذلك أو يثبّط عزيمتهم نحو تبليغ الرّسالات الإلهيّة.

<sup>1</sup> ينظر أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثمّ الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، لمعة الاعتقاد، نشر : وزارة الشؤون الإسلاميّة والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربيّة السّعوديّة ط 2، 1420هـ - 2000م، ص18.

<sup>2</sup> ينظر أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1/ 1420 هـ، ج2، ص137.

ومما لفت انتباهنا في بحث حمّادي إدريس في طبيعة الحجّة القرآنيّة حديثه عن أثر تلك الحجج الإلهيّة في متلقّيها الأوّل وهم الأنبياء، إذ يرى الباحث أنّ الحجج الإلهيّة لم تأتِ إلزاميّة للنبيّ إبراهيم عليه السلام ولا مجبرة له بالاقتناع بها، والدليل على ذلك أنّها لم تسلبه الإرادة في التّفكّر والتّدبّر في ملكوت السّموات والأرض، " فلم تجرّد إبراهيم من نظره العقلي بل هي التي جعلته قادراً على التّصرّف فيما حصل له من علم لدنيّ " <sup>1</sup>. وقد دلّت الآيات الكريمة على حرّيّة إبراهيم في التّفكّر والنّظر إذ قال عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ سورة الأنعام. نظر إبراهيم عليه السلام في الكواكب متأملاً حالها من الأصغر إلى الأكبر بشكلٍ تصاعدي؛ الكوكب فالقمر ثمّ الشّمس بحكم



كبرها وبزوغها واتّساع نورها، فهذه الآيات دليل قاطع على حرّيّة إبراهيم في تدبّر آيات الله الكونيّة التي دلّته بدورها إلى معرفة إلهه الحقّ، وكذلك كان وصول الأنبياء إلى اليقين كان عن اقتناع تامّ بعد تدبّر الأدلّة والحجج والبراهين الدالّة على وحدانيّة الله - عزّ وجلّ.

## 6. السّلميّات الحاجيّة في الخطاب

### الإبراهيمي :

القضية : إثبات الألوهية  
الشّكل (أ) : السّلم الحاجي في ترتيب الحجج الداعمة لقضيّة (الألوهيّة).

لم يعتمد الباحث في تحليله للحجج الإبراهيميّة الداعمة لقضيّة الضلال التي نسبها

<sup>1</sup> حمّادي إدريس، الحجّة في الاستعمال القرآني، ص178.

لقومه نظرية السلميات الحجاجية<sup>1</sup> مع أن التدرج في حجاج إبراهيم عليه السلام كان ظاهراً عند مطالعته للكواكب بين البزوغ والأفول؛ فبدأ سرد الحجج معتمداً (موضع الكم) بحسب الحجم والنور المنبعث من الكواكب الثلاثة؛ إذ بدأ بأضعف حجة متمثلة في (الكوكب) لأنه الأضعف من حيث الإنارة ثم عدل عنه لينتقل إلى حجة أكبر وأظهر متمثلة في (القمر) لأنه أكثر منه إنارة، ثم عدل عنه لينتقل إلى أعظم حجة (الشمس) وهي أقوى الكواكب نوراً إذا بدت فلن يجاريها كوكب في الظهور، وهذا التدرج في سرد الحجج هو ما عرفه (أوزفالد ديكر و زميله أنسكومبر) بنظرية السلم الحجاجي. يتم وفق هذه النظرية ترتيب الحجج المبنوثة في الخطاب والتي تخدم/تدحض قضية واحدة بشكل تصاعدي من أضعف حجة إلى حجة، والغاية من هذا الترتيب هي إقناع المتلقي بشكل سلس في تدرج هادئ يمنعه من رفض الحجاج. ويكون ترتيبها وفق الشكل (أ).

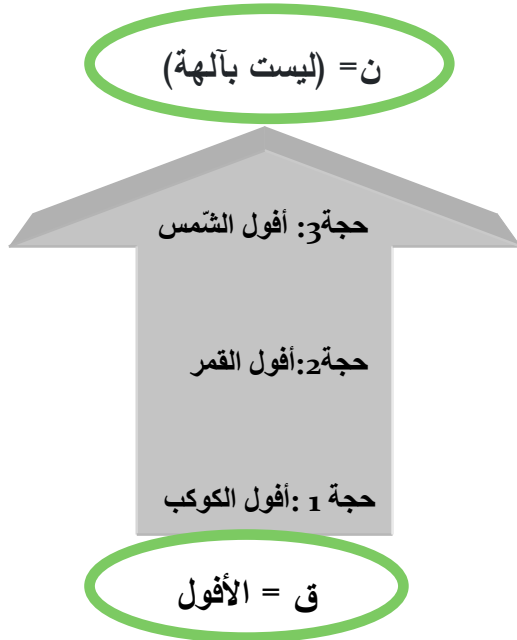
ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا الحجاج النبوي العظيم هو التتابع بين الحجج الداعمة والداحضة، فقد جاء المخطّط الحجاجي بإدراج كل حجة داعمة تتلوها حجتها الداحضة لها مباشرة؛ والمتمثلة في البزوغ والأفول على التوالي، وكأن إبراهيم عليه السلام يجاري قومه في سرد الحجج الداعمة لآلهتهم الباطلة حجة تلو الأخرى، وسرعان ما يستنبط بطلان كل حجة من صفة متأصلة فيها، فقضية الأفول والغروب صفة قارة في كل كوكب وكل المخلوق نظراً لضعفها عن الاتصاف بالديمومة (القيومية) التي ينبغي أن يتصف بها الإله الحق. وهذا الاستدلال الحجاجي قد وضع القوم في ذهول بسبب قطعية حجج إبراهيم عليه السلام الداحضة والمستنبطة من حججهم الداعمة، فكأنه عليه السلام كان يسرد عليهم حججهم الداعمة على ألوهية معبوداتهم حتى لا يبخسهم حقهم في المناظرة والحجاج، ثم يعود بعد كل حجة ظنية داعمة يستخرج منها حجة يقينية تدحضها؛ فبهت القوم وانتهى بهم السبيل إلى استعمال طرائق أخرى لردع إبراهيم ونصرة أصنامهم.

<sup>1</sup> ينظر محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال القراءات البلاغية والمنطقية واللسانية، الناشر: دار الثقافة، مطبعة النجاج الجديدة، الدار البيضاء، ط1/2005م، ص96/95.



يُبنى السّلم الحجاجي وفق وتيرة تصاعديّة من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى، وكذلك ترتّب الحجج الدّاحضة من الأضعف إلى الأقوى لتخدم نقيض القضية الأولى (ألوهيّة الكواكب)، وهذا ما يعرف بقانون القلب<sup>1</sup> الذي جاء ت به نظريّة السّلميات الحجاجيّة عن د (ديكرو وأنسكومبر)، فأصبح ترتيب حجّة الأفول يحيل إلى كون الكواكب مخلوقة ما يكافئ قولنا أنّها ليست بالهة. لكن ترتيب الحجج الدّاحضة جاء كما كان في السّلم الأوّل (الشّكل أ) دون قلب ترتيبها، ونرجع التّرتيب بين الحجج إلى الدّلالة والمقام إذ نرى في حجاج إبراهيم أنّ أفول الشّمس أقوى حجّة من أفول القمر والكوكب، وعليه يبقى السّلم الحجاجي كما كان في الشّكل الأوّل (أ)، فلم يعكس قلب الحجج ترتيبها السّلمي.

استخدم إبراهيم ~~الخطاب~~ سُلّمين حجاجيين في محاجة واحدة، فكان الأوّل بسرد حجج القوم في إثبات (فرضية) ألوهيّة الكواكب وتمثّلت في البيزوغ والظهور ، وفي نفس الوقت استخدم سلماً ثانياً يدحض القضية/الدّعوى الأولى بحجج مناوئة للحجج الأولى التي دعت ألوهيّة الكواكب، وكانت الحجج الدّاحضة من نفس جنس الحجج الدّاعمة بل من ذاتها حتّى لا يتسنى للمعاند أن يردّها أو يعترض عليها بحجة أنّها غير مناسبة. (أنظر الشّكل ب)



### 7. الحجاج اللّغوي في الخطاب الإبراهيمي:

نرى الحجاج اللّغوي حاضراً في محاوره إبراهيم ~~الخطاب~~ لقومه من خلال توظيفه للروابط الحجاجيّة والصّيغ الصّرفيّة التي تعدّ عاملاً حجاجياً مهماً اعتمده أصحاب نظريّة الحجاج اللّغوي<sup>2</sup>، فمن الصّيغ الصّرفيّة التي تدعّم

الشّكل (ب) السّلم يبيّن الحجج الدّاحضة

لفرضية الألوهيّة الممثّلة في ش (أ).

<sup>1</sup> ينظر فائزة بوسلاح، السّلام الحجاجيّة في القصص القرآني، ص

<sup>2</sup> ينظر الفصل الثّاني من هذا البحث.

القضية الحجاجية صيغة (اسم الفاعل)؛ وهي صيغة من " نماذج الوصف التي يحتاج المخاطب بها ليسوع نفسه إصدار الحكم الذي يريد أن تتبني عليه النتيجة التي يرومها"<sup>1</sup>. وقد وصف إبراهيم عليه السلام القمر بالبروغ على صيغة اسم الفاعل في قوله : ( فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا ) للدلالة على حال القمر، وقد أضفت هذه الصيغة (بازغا) على المشهد مزيداً من الكثافة الدلالية مما يقوي الحجة التي يزعم أصحابها ألوهية القمر، في حين أنه كان يكفي الاستغناء عن اسم الفاعل (بازغا) أو يستبدله بالفعل ويحصل الحد الأدنى من تأدية المعنى المطلوب لدى السامع.

إن تصوير حال القمر بصيغة اسم الفاعل دلالة على ثبوته على تلك الصفة كما يحيطه بهالة تدل على عظمة هذا الكوكب مما يؤثر في نفس المشاهد ولعله ي صرف لهذا المخلوق العظيم ما ليس له بحق. لكن ثبات القمر المستتب من صيغة اسم الفاعل سرعان ما انتقض وقد عبر عنه القرآن الكريم بصيغة الفعل الثلاثي المجرد (أفل) دلالة على سهولة وسرعة تحول هذا الكوكب من الثبات (بازغاً) إلى الحدوث (أفل)، وحينها زالت شبهة ألوهية القمر<sup>2</sup> من نفس إبراهيم عليه السلام ويزداد يقينه بأن الكواكب خلق من مخلوقات الله عز وجل.

ونلاحظ التدرج في الحجاج اللغوي من الحجة الأضعف إلى الأقوى عملاً بتراتبية السلم الحجاجي - كما ذكرنا آنفاً- عند توظيفه صيغة اسم الفاعل مرة أخرى عند وصفه لحال الشمس فقال ( فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً )، فأصبح الحجاج على درجة واحدة بين القمر والشمس فاستعان بصيغة صرفية أخرى ليرتقي بالحجاج على السلم الحجاجي<sup>3</sup>؛ وهي صيغة (اسم التفضيل) في قوله عز وجل : ( هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ) فصيغة التفضيل (أكبر) قد رفعت حجة ألوهية الشمس إلى درجة أعلى من حجة ألوهية القمر، وقد دُعمت هذه الحجة أيضاً

<sup>1</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 89.

<sup>2</sup> ينظر حمادي إدريس، الحجة في الاستعمال القرآني، ص 174.

<sup>3</sup> ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 101.

بالعامل الحجاجي المتمثل في التوكيد عن طريق التكرار لاسم الإشارة (هذا). وقد نُقِصَت دعوى ألوهية الشمس بنفس الحجج الداحضة لألوهية الكوكب والقمر وهي الأقول أي الحركة والحدوث الذي لا يصلح صفة للاله عز وجل.

كما جاء سرد الحجج الداحضة تراتبياً أيضاً من خلال الأقوال التي خُص إليها إبراهيم عليه السلام بعد ملاحظته للأفول، فعندما أفل الكوكب قال : ( لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ) وسكت ولم يُضف عليها قولاً آخر، أمّا عندما أفل القمر أضاف قولاً آخر في أسلوب الشرط الذي يشترط جواباً حتمياً في حال وقوع فعله، فقال : ( لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ )؛ وعليه فالضلال محتوم إن لم تلحقه عناية الله بالهداية، وفي هذا الأسلوب تطوّر واضح لدرجة الحجاج والافتتاع الإبراهيمي الذي تقوى بتوكيده للفعل المضارع بلام التوكيد و نون التوكيد (لأكونن)، كما استعان مرّة أخرى باسم الفاعل في وصفه لقومه بقوله (الضالّين). إنّ لهذا التدرّج الحجاجي دلالة واضحة على تضعيع حجج المشركين الواحدة بعد الأخرى إلى أن تقوّض حججهم بعد أفول الشمس وعلّق عليها إبراهيم عليه السلام بنتيجة خاتمة في قوله : (قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)؛ وعندها وصل إبراهيم عليه السلام إلى أقوى حجّة داحضة، فجاءت براءته من الشرك بمثابة النتيجة النهائية والحتمية للحجج الداحضة المختلفة (لغوية وغيرها) التي حشدتها للردّ على شبهات قومه التي لم تقدر على مواجهة حجاج إبراهيم عليه السلام.

### 8. الحجاج المنطقي في الخطاب الإبراهيمي:

كما وظّف إبراهيم عليه السلام عدّة آليات حجاجية قد اختصّ بحصرها (شاييم بيرلمان) في نظريته الموسومة بالحجاج المنطقي لأنها تعتمد الآليات الحجاجية الشبه منطقية<sup>1</sup>؛ نذكر منها ما نحتاجه لتحليل الخطاب الحجاجي بين النبي إبراهيم عليه السلام وقومه، فمن هذه الآليات (مبدأ التناقض وعدم الاتّفاق *incompatibilité*)<sup>2</sup>، ويقوم هذا المبدأ على التناقض الحاصل

<sup>1</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص 42.

<sup>2</sup> ينظر في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات (مرجع سابق)، ص 42.

بين حجّتين داخل القضية الواحدة أو بين قضيتين، ولعلنا نلاحظ جلياً التناقض القائم في قضية ألوهية الكواكب، إذ ينبّه إبراهيم عليه السلام على المشكّلة القائمة في صفات هذه المخلوقات التي ادّعى القوم عبادتها <sup>1</sup> من دون الله ﷻ وخصّ بالذكر صفتي الظهور والأقول المتناقضتين بينهما، والمتناقضتين مع صفة الربوبية، واعتماداً على قاعدة التناقض تمّ نقض الدّعى برُمّتها بدعم الحجج المؤسّسة على (مبدأ التناقض وعدم الاتّفاق)؛ إذ لا تجتمع الأضداد لخدمة نتيجة واحدة، وهذا ما توصلّ عليه إبراهيم عليه السلام في نهاية حجاجه مع قومه المنكرين لألوهية الله ﷻ.

ومن الآليات الحجاجية المنطقية الموظّفة في مخاطبة (إبراهيم عليه السلام) قومه ما وسمه بيرلمان (بالمواضع أو المعاني : *Topique*)؛ ومنها مواضع الكم، وهي "التي تثبت أنّ شيئاً ما أفضل من شيءٍ آخر لأسباب كمية" <sup>2</sup>، وتُعتمد هذه المواضع كحجج ناجعة لطابعها المنطقي المقبول عقلاً، إذ لا يُتوقّع أنّ يعتبر عاقل أنّ الأقلّ أفضل من الأكثر، فكّلما زاد الكم زادت فعاليته، فالمال مستحسن كثيره، والصّحة الأقوى أفضل، والجمع الكثير أنجع، فالنفس البشرية طالما فضّلت الأمر الكثير واحتقرت القليل.

وتبقى (مواضع الكم) حججاً شبه منطقية تقوم على الاحتمال لا اليقين إذ يمكن النّظر في مقبوليتها بل نقضها، فقد أتى في القرآن الكريم في عدّة مواضع ما يثبت أنّ (الأقلّ) يكون أحياناً أحسن من (الأكثر)، وذلك في مثل قوله - ﷻ - (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ سورة الانفال 65. ونلاحظ في الآية الكريمة أنّ الله ﷻ قد مدح القلّة أنّ كانت مؤمنة صابرة. وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن كما جاء في سورة

<sup>1</sup> ينظر إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تح عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب - بيروت، ط 1/ 1408 هـ - 1988 م، ج2/ ص266.

<sup>2</sup> عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص27.

الكهف في قصة الرجل الذي استكبر على صاحبه أن رأى من نفسه كثرة المال والولد، قال  
 ﷻ : ( وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ سورة  
 الكهف 34.

وأما عند البشر فتبقى مواضع الكمّ ناجعة، لكنّها غير معصومة من الخطأ والتقص  
 على اعتبارها حججاً احتمالية، ولئن اجتمعت (مواضع الكمّ) مع (مواضع الكيف) في القرآن  
 الكريم يكون الاعتداد بالكيف أولى وأهمّ كما رأينا في آية الأنفال؛ فقد تغلبت القلة على  
 الكثرة باعتبار (الكيف) لا باعتبار (الكمّ)، فالمؤمنون الصّابرون ولو كانوا قلة في نظر البشر  
 إلّا أنّهم يغلبون الكثرة الكافرة لصفة (الكيف) فيهم هي (الإيمان والصّبر). ومن ذلك قوله  
 ﷻ : (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
 مَعَ الصّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ سورة البقرة الآية 249.

فاليقين والصّبر تعدّان من حجج الكيف وليس الكمّ وهي مقدّمة في القرآن الكريم في  
 مواضع كثيرة، كما ذمّ القرآن الكثرة في مواضع أخرى؛ منها قوله تعالى : (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ  
 أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ سورة الفرقان الآية  
 44. ومثال ذلك أيضاً قوله ﷻ : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ سورة  
 الشعراء الآية (8)، وقد ذكرت هذه الآية في سورة الشعراء في مواضع عدّة يبيّن فيها المولى  
 ﷻ أنّ أكثر الأمم غير مؤمنين بالله وبرسالته، وهذا يدلّ على أن مواضع الكمّ ليست دائماً  
 حججاً ناجعة بخلاف ما يراه البشر وفق منطقتهم الطبيعي الذي يعيشون به.

وقد اتخذ إبراهيم ﷺ من (مواضع الكمّ) حجة في استدراج قومه نحو إبطال ربوبية  
 آلهتهم إذ جعل من الشّمس رباً بالأولوية بحكم أنّها (أكبر) من بقية الكواكب فقال ( هَذَا رَبِّي  
 هَذَا أَكْبَرُ )، فلئن زعم القوم أنّ الكواكب أرباباً فالشّمس أحقّ بالربوبية على اعتبار كبر  
 حجمها دون البقية؛ فكيف تعبدون ما هو أصغر حجماً من الشّمس. وهي حجة قوية بالنظر

في مقاييس البشر الذين يجعلون من الكمّ حجة ظاهرة. ويتجلى لنا من هذا أن إبراهيم عليه السلام كان يعلم بانتفاء الألوهية والزيوية عن كل الكواكب، وإنما لجأ لهذا الحجاج الذي يتوافق مع التفكير البشري ليثبت للقوم ضعف حججهم وبطلان آلهتهم، لأنهم قد اتخذوا من الكواكب آلهة دون أي أسس منطقيّة معقولة، إذ لا يمكن تفضيل الكوكب الصغير البعيد على الشمس بالنظر إلى حجمها وبروزها للعالمين - والله أعلم -.

اكتفى الباحث (إدريس حمادي) بالتعرض للحجاج المنطقي في الخطاب الإبراهيمي سريعاً دون تفصيل أو قراءة متأنية حيث يقول : " يثبت [إبراهيم عليه السلام] كذلك بالردّ المنطقي إنّ الحجج التي يقدمها هؤلاء القوم بين يدي دعواهم هي حجج كذلك متهاقنة" <sup>1</sup>، ويقصد الباحث بـ (الردّ المنطقي) استفهام إبراهيم لقومه حينما خوفوه من عاقبة التعرض لآلهتهم، فكان جوابه في قوله عليه السلام : «وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ سورة الأنعام الآية 81. وهذا احتجاج منطقي -حسب الباحث- إذ احتج إبراهيم على قومه لما زعموا أنّ لعنة الآلهة ستصيبه بسبب اعتدائه عليها، لكن إبراهيم عليه السلام ينكر عليهم تخويفهم إياه من أذية الأصنام فهي جمادات لا تقدر على شيء من ضرر أو نفع، وفي نفس الوقت ينكر عليهم أنهم لم يخافوا من عاقبة الشرك بالله جل جلاله وهي أعظم معصية على الإطلاق؛ فلم يخشوا عذاب الله جل جلاله وهو القادر على أن يبعث عليهم العذاب من تحت أرجلهم ومن فوقهم.

رأى (حمادي إدريس) أنّ هذا الحجاج الإبراهيمي الأخير حجاج منطقي، لأنّ القوم يخافون الجماد ولا يخشون المولى عليه السلام، فالمنطق عندنا أنّ الخوف يكون من القادر على الإيذاء، فأنى للأصنام الجامدة أن يكون لها ذلك؟! وهنا تعقيب ينبغي ذكره مقتضاه أنّ الذي لا يؤمن بالله عليه السلام لا يمكن أن تحتجّ عليه بشيء من قدرته أو آيات لآئه لا يؤمن أصلاً ولا

<sup>1</sup> إدريس حمادي، الحجة في الاستعمال القرآني، إبراهيم وقومه انموذجا، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 182.

يسلم بوجود الإله الأحد الصمد ﷻ، وعليه لا يمكننا اعتبار هذا النوع من الحجج منطقياً إلا إذا أقيم على من يسلم بوجود الله ﷻ، ويسلم بقدرته المطلقة المتصرفّة في هذا الكون، فيكون هذا النوع من الحجج منطقياً بين المؤمنين لأنهم يسلمون أنّ قدرة الله من البديهيات، أمّا الذي لا يؤمن بالله عزّ وجلّ فلا يمكن أن يعدّ هذا الحجج منطقياً في حقّه، لأنّه لم يُبنَ على مقدّمات مسلمة عنده، لا يمكن نقضها.

ومما يمكن إجماله حول بحث الأستاذ ( حمادي إدريس ) الموسوم بـ ( الحجة في الاستعمال القرآني، إبراهيم وقومه أنموذجاً ) هو غياب النظريّة الحجاجيّة المؤطرّة لهذا القراءة الحجاجية ؛ إذ لم يؤسس بحثه وفق منهج حجاجي إجرائي من المناهج الحجاجيّة المعروفة، بل عكف يعرض حجج إبراهيم ﷺ من خلال حوار مع قومه ويحلّلها بنظره الخاصّ مستعيناً بما ورد في بعض التّفسيرات كالتفسير (المنار) للشيخ (محمد رشيد رضا)، و(تفسير مفاتيح الغيب) (للفخر الرّازي)، وقد أدرج ضمن قائمة المصادر والمراجع<sup>1</sup> مصادر أخرى لم نجد لها أثراً في هوامش البحث ومنتته.

أمّا العدة المصطلحيّة فلم يعرض الباحث أنواع الحجج الواردة في خطاب إبراهيم - عليه السّلام- مع قومه وفق المصطلحات النّقدية التي جاءت بها النظريات الحجاجيّة المعاصرة، بل جعل الحجّة نوعان ناهضة (داعمة) يثبت بها الحقّ، وداحضة (باطلة) يموّه بها الباطل<sup>2</sup>، و المعلوم أنّ الحجج أنواع كثيرة قد تمّ سردها في بحثنا هذا<sup>3</sup>. كما ذكر الباحث مصطلحات أخرى ولم يأتِ على ذكر مفهومها، منها استعماله مصطلح (الرّد المنطقي) ولم يُبيّن للقارئ ما المقصود بالرّد المنطقي، وقد علمنا أن هذا المصطلح يحيل على نظريّة

<sup>1</sup> ينظر حمادي إدريس، الحجة في الاستعمال القرآني، إبراهيم وقومه أنموذجاً، ضمن الحجج مفهومه ومجالاته، ص188.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص179

<sup>3</sup> ينظر الفصل الثّاني من هذا البحث.

الحجاج المنطقي والتي تعدّ من أشهر النظريات البلاغية المعاصرة، والمنسوبة إلى صاحبها (شايم بيرلمان).

يصل الباحث في آخر بحثه إلى نتيجة مفادها أنّ حجاج إبراهيم مع قومه لم يؤت أكله بالنظر في نتيجته، فلم يؤمن لإبراهيم <sup>عليه السلام</sup> إلاّ فئة قليلة من قومه، وكفر أكثر القوم وتمادوا في غيهم رغم ما رأوه من آيات وحجج قاطعة على بطلان دعواهم في اتّخاذ الأوثان آلهة من دون الله - سبحانه وتعالى عمّا يشركون - أمّا حجّتهم في الثبات على باطلهم فكانت بدعوى التقليد؛ تقليد الآباء والأجداد كما بيّن ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ سورة الشعراء. وقال أيضاً: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ سورة الزخرف، فالتقليد للآباء سنّة ماضية في الأمم كلّها، رآها الباحث حجة واهية اتّخذها الناس لغاية دنيئة تتمثّل في حفظ الدنيا الفانية وما حصلوه فيها من أموال وجاه وترف وتنعم في الدنيا<sup>1</sup>، فطالما أغرى المشركون أنبيائهم بتخليهم الدنيا بشرط التخلّي عن دعوة التوحيد كما فعلت قريش مع نبيّنا - عليه الصلّاة والسّلام- إذ عرضوا عليه المال والجاه والسؤدد<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ينظر فخر الدّين الرّازي، مفاتيح الغيب، ج27/ ص628.

<sup>2</sup> أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ، السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير)، تح مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، 1395 هـ - 1976 م، ص504.



## المبحث الثالث

المقال الثالث : الحجاج في المناظرة (مقاربة حجاجية لمناظرة أبي

حنيفة مع الملحدين) للدكتور : عبد العزيز لحويديق

### المقال الثالث : الحجاج في المناظرة (مقاربة حجاجية لمناظرة أبي حنيفة مع الملحدين)

للدكتور : عبد العزيز لحويديق

#### 1. تمهيد :

يقوم البحث على قراءة حجاجية في نص المناظرة الشهيرة التي دارت أحداثها بين الإمام (أبي حنيفة النعمان ؓ تـ 150هـ)<sup>1</sup> وجماعة من الملحدين الذين ينكرون وجود الخالق والإله الواحد لهذا الكون. وقد سرد الباحث سياق هذه المناظرة الذي بدأ مع رؤيا أبي حنيفة الغريبة، إذ رأى في المنام "أنّ خنزيراً يريد أن ينحت من ساق شجرة، فمال غصنٌ صغير ضرب الخنزير ضربة موجعة فابتعد صارخاً، ثم انقلب في الرؤيا إنساناً جلس تحت الشجرة يعبد الله"<sup>2</sup>. ولم يعلم الشيخ (أبو حنيفة) تأويل هذه الرؤيا حتى ورده خبر المناظرة التي ستعقد بين جماعة من الملحدين وشيخه حماد<sup>3</sup>، وقد خشى الشيخ (حماد) الفتنة على الناس لأنه سيجادل بالأدلة العقلية دون الأدلة النقلية لأنّ الملحدين لا يسلمون لقال الله وقال رسوله.

روى الشيخ (حماد) قضية المناظرة لتلميذه (أبي حنيفة) فانتبه الأخير إلى تأويل رؤياه، فعلم أنّ الشجرة هي: شجرة العلم متمثلة في (الشيخ حماد)، وأمّا الخنزير فهو كبير الملحدين، وأمّا الغصن الذي مال من الشجرة فهو (أبو حنيفة) التلميذ الصغير<sup>4</sup>، وكانت المناظرة وكان التصريح حليف (أبي حنيفة رحمه الله)، وانقلب كبير الملحدين طالب علم في حلقة أبي حنيفة بعدما اقتنع ودخل في الإسلام.

<sup>1</sup> هو الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن رُوَيْطِ التَّمِيمِي، الكُوفِي، مَوْلَى بَنِي تَيْمِ اللهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ. (80هـ- 150هـ) - سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة ط3/1985/ج6/ص390.

<sup>2</sup> عبد العزيز لحويديق، الحجاج في المناظرة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص316.

<sup>3</sup> حماد بن أبي سليمان مسلم الكوفي العلامة، الإمام، فقيه العراق، أبو إسماعيل بن مسلم الكوفي، مولى الأشعريين، أصله من أصبهان، روى عن: أنس بن مالك. سير أعلام النبلاء، ج5/ص231.

<sup>4</sup> ينظر عبد العزيز حويديق، الحجاج في المناظرة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص316.

سرد الباحث نصّ المناظرة بداية ثمّ انتقل إلى تحليله، فبدأ ببيان أنواع النصوص الحجاجية من حيث ممارستها لطريقة الإقناع وآلياتها الإقناعية، فجعلها من هذا المنطلق وفق ثلاثة أنماط : نصوص تسلك طريقة البرهان وفق الاستدلال المنطقي والحجج القاطعة، ونصوص أخرى تسلك طريقة التفسير يدّعي فيه الخطيب الحياد ظاهراً؛ فيعتمد الشرح والتفسير مع غياب الذات نحو تنامي الأطروحة وتلقيها بالقبول لدى المخاطب دون أن يشعر بتوجيه الخطيب للقضية نحو نتيجة معينة قد أعدت مسبقاً . أما النمط الثالث من الخطابات الحجاجية فيأتي على شكل مناظرة تطرح فيها القضايا الحجاجية على طريقة السؤال أخذاً ورداً معتمدة في ذلك نمط الحوار<sup>1</sup>.

وهذا التصنيف الذي أتى به الباحث حول أنواع النصوص الحجاجية في غاية الأهمية لأنه يهيئ للقارئ الفكرة ويوضح أمامه الرؤية لانتهاج منهج قرائي سليم للخطاب الذي بين يديه دون الوقوع في الإطالة أو الحشو الذي يغلب على القراءات التي تفتقد إلى منهج قويم مناسب، كما يضمن تحليلاً حجاجياً مناسباً للمتن دون خلط بين المناهج أو فرض منهجية معينة لا يحتملها المتن فيلجأ الناقد حينها إلى ليّ أعناق النصوص من غير مسوغ بين.

ولا ريب أنّ النصّ الحجاجي الذي بين أيدينا ينضوي تحت نمط (المناظرة)، "والمناظرة مباحثة عقلية تتم بين جانبيين في مهاد خلافي، ومتوخّاه إظهار الصواب"<sup>2</sup>، وتجرى أحداثها بين متحاورين أو أكثر في سجال تفاعلي، يحاول فيها كلّ طرف إثبات دعواه ونقض دعوى الطرف التقيض في شكل حوارٍ تغلب عليه التحليلات والاستنتاجات المنطقية، والأساليب الاستفهامية. وقد شاع هذا النمط من الخطابات الحجاجية في التراث الإسلامي مع ظهور الفرق الإسلامية وانتشار علم الكلام الذي أراد أصحابه إثبات العقائد الإسلامية<sup>3</sup> بالعقل

<sup>1</sup> ينظر الحجاج في المناظرة (مرجع سابق)، ص317/318.

<sup>2</sup> عماد عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، ط1/2013م، ص130.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه ص 132.

والمنطق دون الاستعانة بالأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من خلال مناظراتهم لأهل الملل والنحل.

### 2. التحليل الحجاجي للمناظرة:

يرى (عبد العزيز لحويدق) أن الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه كل أطروحة في هذه المناظرة يؤدي فعلاً حجاجياً مضمراً قد يكون إيجابياً أو سلبياً، فأطروحة (أبي حنيفة) تمثلت في (حتمية وجود الله)، وأطروحة الملحدين المناقضة هي (إنكار وجود الخالق لهذا الكون)، فسمات وأوصاف الحقل الدلالي للأطروحة الأولى (وجود الله) كلها سمات إيجابية حصرها الباحث في : (الإسلام، الاستقامة، الإخلاص، الواحد الحقيقي : الله، نور السموات والأرض: النور الحقيقي: الله)<sup>1</sup>، وهذه السمات كلها خيرة إيجابية تحمل شحنة إيجابية تمارس وظيفتها الحجاجية بطريقة خفية مضمرة قد لا ينتبه لها الطرف المعاند.

أما أطروحة الملحدين فكانت على الضد من ذلك تماماً إذ تحمل في ثناياها سمات سلبية لا تخدم طرحها الحجاجي، وحصرها الباحث في : (الميل عن القصد، الجور، الظلم، العدوان، الجدل، الاعتراض، الشك في الله، الواحد الحسابي ≠ الواحد الحقيقي، النور الصناعي ≠ النور الحقيقي)<sup>2</sup>، وكلها صفات سلبية تخدم حجاجاً مضمراً للأطروحة المناقضة (وجود الله ﷻ). فالمنحى الحجاجي في المناظرة ينكشف للقارئ ابتداءً من خلال الحقلين الدلاليين الموظفين في خطاب أبي حنيفة وخطاب الملحدين.

ترجح الكفة -ابتداءً- إلى الاقتناع بأطروحة أبي حنيفة ﷻ قبل أن تبدأ المناظرة من خلال الصفات الإيجابية لأطروحة (وجود الله) والصفات السلبية لأطروحة (إنكار وجود الله)، فتتأسس القاعدة لنجاح العملية الحجاجية متينة قبل انطلاقها وتظهر في الأفق بوادر الانفراج

<sup>1</sup> ينظر عبد العزيز لحويدق، الحجاج في المناظرة، ص322.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص322.

خاصة مع بشرى الرؤيا التي رآها (أبو حنيفة)، إذ اقتنع قبل أن يلج الحجاج أن قضيته مؤيدة بنصر لا ريب فيه. وكل هذه العوامل النفسية تعدّ عاملاً حجاجياً يؤدي فعلاً إقناعياً ولو لم يتخذ صورة الحجج المفوطة على تنوع أشكالها ، فالاستعداد النفسي للخطيب يذهب به نحو الثقة في دحض شبهة الخصم.

### 3. الآليات الحجاجية الموظفة في المناظرة :

#### 1.3 أسلوب الاستفهام :

الاستفهام باب من أبواب النحو والبلاغة، " وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وذلك بأداة من أدواته الآتية وهي: الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي"<sup>1</sup>، فإذا كان المستفهم يطلب الخبر حقيقة للعلم بعد جهله، فيعدّ الاستفهام حقيقياً، أما إذا قصد المتحدث بأسلوب الاستفهام أمراً آخر يفهمه المخاطب من سياق الكلام بواسطة قرائن متواضع عليها فيعود الاستفهام مجازياً، قد يفيد الأمر أو النهي، أو التعجب أو التقرير أو التهكم<sup>2</sup>. وتسمى تلك الفائدة المقصودة بالعرض البلاغي من إلقاء الاستفهام. وليس يخفى علينا أنّ طبيعة الخطاب المناظراتي تصطبغ بأسلوب الاستفهام لما يحويه من خصائص تداولية تمكّنه من إدارة الحوار بين المتناظرين، وتجعل منه مركزاً ومحوراً تدور حوله العملية الحجاجية<sup>3</sup>. ولعلّ الأسئلة المباشرة التي تكون للتصوّر وتستوجب الجواب الوحيد المباشر تأسر المتلقّي وتُسدّ دونه منافذ التملّص من الإجابة التي كثيراً ما تكون حجة عليه وذلك ما يرجوه السائل ، ويوقع خصمه في محاجة ذاتية يستحيل دحضها إلا بالسفسطة والتسرّب خارج الموضوع بسبل أخرى قد يرفضها المنطق المناظراتي وأدب الحوار.

<sup>1</sup> أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ت 1362هـ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة العصرية، بيروت، ص 78.

<sup>2</sup> ينظر حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، ج 2/ ص 103.

<sup>3</sup> ينظر عماد عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص 208.

طرح الملحدون عدّة أسئلة على الشيخ أبي حنيفة في المناظرة التي بُنيت وفق منهج حوارى تداول فيها المتناظران السؤال والجواب، ولم يذكر الباحث (عبد العزيز لحويديق) منها إلا ثلاثة أسئلة في قولهم: ( في أيّ سنة ولد ربك؟ في أيّ سنة وجد ربك؟ في أيّ جهة يتّجه ربك؟)<sup>1</sup>، وهذه الأسئلة تنتظر من أبي حنيفة إجابة واحدة على وجه التّحديد؛ إذ لا يحتمل السؤال عن الزّمان والمكان أجوبة متعدّدة ومختلفة، والجواب عنها دون الوقوع في ما يتنافى مع عقيدة المسلمين يتعيّن الحذر والذكاء الفائق، وهذا ما يعرف بسؤال (التّوريط) إذ يلجأ الخصم على فرض جواب واحد علة مناظره دون سواه، لأنّ غاية المناظرة " هي الإلزام والإفحام... لذلك يصبح السؤال ضربة ملعوبة كما في الشّطرنج ينصب طعمًا للخصم فيجرّه إلى اختلاف اعتقاده أو التّكرّر لرأيه"<sup>2</sup> ومن ثمّ يخسر المناظرة وقد ينقلب على عقبيه ليستسلم لمعتقد خصمه، فوجب على المسلمين الحذر من ولوج هذه الحوارات الخطيرة على عقائدهم. تتجلى مهارة الشيخ من خلال الردّ على هذه الأسئلة المفخّخة، إذ مهّد للإجابة بأدلة قرآنيّة ثمّ انتقل إلى أجوبة منطقيّة على نفس طريقة الخصم من خلال طرح أسئلة أخرى على الملحدين مستوحاة من رحم أسئلتهم؛ يستدرجهم بها إلى التّسليم بأطروحتهم القائلة بوجود الله ﷻ. وبالفعل انقلب السحر على السّاحر واستدرج الخصم إلى الاستسلام بعد عدّة أسئلة. فدحض الملحدون أطروحتهم بأجوبة استدرجوا نحوها وأجبروا عليها.

يرى الباحث أنّ القوّة الحجاجيّة في المناظرة ليست في أسئلة الملحدين لأنّها جاءت أسئلة مباشرة لا تحمل أيّ مقصد بلاغي سوى إعطائهم تصوّراً حول المستفهم عنه؛ أي الله ﷻ، فقالوا (في أيّ سنة ولد ربك؟ في أيّ سنة وجد ربك؟)<sup>3</sup>، وطبيعة هذين السؤالين المباشرين تستلزم إجابات محدّدة مباشرة تعطي للسائل تصوّراً يغنيه عن الاستفهام، لكنّ الشريعة الإسلاميّة تمتنع عن الإجابة عن هذه الأسئلة بل تُحرّم الأخذ فيها، في حين أنّ

<sup>1</sup> ينظر عبد العزيز لحويديق، الحجاج في المناظرة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص316/317.

<sup>2</sup> عماد عبد اللطيف بلاغة الإقناع في المناظرة، ص218

<sup>3</sup> عبد العزيز لحويديق، الحجاج في المناظرة، ص 316/317.

السكوت في المناظرة من أيّ طرف يعدُّ تبكيئاً له وانهزاماً، فتتدخل بديهة الشيخ وذكاءه للخروج من هذا المأزق الحجاجي.

يأتي الشيخ بأسئلة أخرى من الواقع لكنّ الإجابة عنها مستحيلة كما أنّ الإجابة عن أسئلة الملحدّين غير ممكنة، فيعتمد قاعدة (قياس الأولى)<sup>1</sup>؛ فإذا عجز الملحدون عن الإجابة عن أسئلة الشيخ الواقعيّة والمعقولة مثلما حدث في عجزهم عن تحديد ما كان قبل العدد (واحد) (إجابة على سؤال الشيخ (عَمَّا كان قبل العدد واحد؟)<sup>2</sup>، فإذا عجز العقل البشري عن تحديد ما كان قبل الرّم (واحد)، واضطرّ إلى التسلم بأن لا شيء قبله؛ فمن باب أولى أن لا يوجد قبل الله ﷻ شيء، ولا يمكن السؤال عنه لأنّه غير موجود قبل الله ﷻ بقياس الأولى كما لم يكن قبل الواحد شيء على وجه الحقيقة.

ولا يمكن للعقل البشري أن يثبت موجوداً قبل الخالق سبحانه عملاً بالقاعدة المذكورة آنفاً؛ (قياس الأولى)، " فعلة الحكم في الفرع أقوى منها في الأصل فيكون ثبوت حكم الأصل للفرع أولى من ثبوته للأصل"<sup>3</sup>، وعليه يظهر أن استحالة إثبات موجود قبل الخالق (القضيّة الفرع أو المقيس) أعظم من إثبات عدد قبل الواحد (القضيّة الأصل أو المقيس عليه).

طبيعة أسئلة الملحدّين تنم عن فكرة راسخة في عقولهم مفادها " أن كلّ شيء في العالم مخلوق بما في ذلك الرّب"<sup>4</sup>، أي أن كلّ ما تقع عليه حواسنا حادث بدون استثناء،

<sup>1</sup> ينظر إسرائ فهمي محمود، العلاقة بين دلالة النصّ والقياس، رسالة ماجستير (نوقشت بكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنيّة، نابلس فلسطين)، إشراف د. حسن سعد خضر، بتاريخ 2014/08/07م، ص43.

<sup>2</sup> ينظر عبد العزيز لحويّد، الحجاج في المناظرة، ص317.

<sup>3</sup> حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت 1250هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلميّة، طبعة د.ت، ج2/ص243.

<sup>4</sup> عبد العزيز لحويّد، الحجاج في المناظرة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص327.

وفكرة الحدوث<sup>1</sup> منتشرة بين الفلاسفة، فيعتقدون أن كل شيء قد حدث بفعل فاعل بعد أن يكن شيئاً مذكوراً، أما المسلمون فيؤمنون ب فعل الخلق الذي وقع على الكون دون الخالق (عَلَّام) الذي لا يدخل ضمن المخلوقات بل هو الخالق الواحد الأحد الذي خضعت له كل المخلوقات. فالملحدون لا يؤمنون بعقيدة الخالق الواحد المدبر للكون، فهم يجادلون من أجل نفي عقيدة التوحيد لكن أدلتهم تنافي العقل الصريح والنقل الصحيح؛ فإذا صحّ تفكير المرء سيسلم باستحالة الصدفة في هذا النظام العجيب، كما أنّ النقل الصحيح قد وصلنا عبر القرآن الكريم والحديث الصحيح يقرّ بعقيدة التوحيد، كما أقرته الكتب السماوية الأخرى قبل تحريفها.

أراد الملحدون من خلال أسئلتهم المحصورة في عنصرَي (الزّمان والمكان) إقامة أطروحة تقوم على إخضاع الوجود كلّ لهذين العاملين دون استثناء، فمهما ذكر المناظر من شيء موجود فلا بدّ أن يخضع لحيز الزّمان والمكان، فتوجّه الشيخ أبو حنيفة بفطنته مباشرة إلى نقض هذه الأطروحة/القاعدة؛ فإذا انتقضت هذه القاعدة، انتقض كلّ ما ينبجّر عنها ممّا زعمه الخصم المناظر، فليس كلّ موجود يحويه الزّمان والمكان.

تمكّن الشيخ من نقض أطروحتهم الأولى المؤسّسة على عامل الزّمن إذ بيّن عجز نظريّتهم عن احتواء ما قبل الواحد، كما عجزت عن تحديد الفضاء/المكان الذي يحوي مسار النّور المنبثق من المشكاة عندما سئلوا (لو أحضرنا مصباحاً في مكانٍ مظلمٍ في أيّ جهة يتّجه نوره)<sup>2</sup>، ينتج عن عجزهم في إيجاد الأجوبة لأسئلة الشيخ فساد القياس القائم على ضمّ الموجودات كلّها تحت القضية العامّة (احتواء الزّمان والمكان للموجودات)، وعليه تنتقض أطروحتهم المبنية على قياس فاسد بفساد مسلماته (مقدماته)، وعندما يشدّ المحسوس ويخرج

<sup>1</sup> ينظر عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ) كتاب التلخيص في أصول الفقه، تح عبد الله جولم التّبالي ويشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلاميّة - بيروت، ط د ت، ج 2/ ص 472.

<sup>2</sup> عبد العزيز لحويق، الحجاج في المناظرة، ص 317



عن ظرفية الزمكانية، فمن باب أولى أن لا تحتوي هذه الظرفية الخالق <sup>عَلَيْكَ</sup> إذ لا تستطيع الحواسّ الإلمام بوجوده، ولكنّ أفعاله وآياته تدلّ على وجوده، فالمسلّم عقلاً أنّ الأثر الموجود له مؤثّر، ولا بدّ له من موجِد أوجدَه؛ فقسّ على ذلك كلّ الموجودات \* التي تراها في الواقع.

ويبقى الاستفهام البلاغي أهمّ تقنيّة حجاجيّة في أنواع الاستفهام، إذ يصرف السائل عن طريق التّقرير خصمَه نحو الإجابة التي يقصدها ويريدُها لأنّها تخدم دعواه ويحول بينه وبين الأجوبة الأخرى التي لا تخدم دعواه محاولاً بذلك تبيّته والجامه.

### 2.3 الحجاج بأسلوب النّفي:

ورد النّفي في المناظرة في عدّة مواضع على لسان (أبي حنيفة) حين كان ينفي ما يحاول الملاحدة إثباته إذ جاء النّفي بتوظيف حرف النّفي (لم) وحرف النّفي (لا)، وتظهر محاولة الشّيخ من خلال نفيه لأطروحة الخصم إبطالاً لها على سبيل التّوكيد والعموم والقطع. وقد أجاب الشّيخ على سؤالهم (متى ولد ربك؟) بالآية الكريمة : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ الإخلاص (3)، واستعمل حرف النّفي (لا) في قوله : "لا أوّل له ولا آخر - لا شيء قبله - لا أوّل لوجوده..."<sup>1</sup>

يرى الباحث ( عبد العزيز لحويديق ) أنّ أساليب النّفي المذكورة تؤدّي فعلاً حجاجياً متمثلاً في توكيد النّفي خاصّة مع (لا النّافية للجنس) التي تفيد الاستغراق في نفي اتّصاف خبرها باسمها. والاستغراق أو العموم وجه من وجوه التّوكيد في نظر الباحث <sup>2</sup>، لكنّ حكمه هذا جاء فضفاضاً عامّاً إذ لم يتوسّع في الخصائص الحجاجيّة لأسلوب النّفي، والطرائق التي

\* في هذا المقام مسألة عقديّة ينبغي التّنبية عليها مفادها : هل يجوز وصف الله عزّ وجلّ باسم المفعول (موجود)، لأنّ معنى اسم المفعول هو ما وقع عليه فعل الفاعل، ولا يصحّ هذا المعنى على الله عزّ وجلّ لأنّه الخالق الموجد لكلّ شيء في الوجود ولم يجزّ عليه فعل الإيجاد. وهذه مسألة عقديّة ليس المقام يسمح بمناقشتها الآن.

<sup>1</sup> عبد العزيز لحويديق، الحجاج في المناظرة، ص329/328.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص329.

يوّدي بها النّفي فعلاً حجاجياً يُرى أثره في الكلام، والذي تجلّى لنا أنّ أسلوب النّفي ليس حجاجياً في ذاته خاصّة إذا جاء كردّ فعلٍ لرفض الحجج الموجهة للطرف الآخر - الشيخ أبي حنيفة في المناظرة محلّ الدّراسة- فالنّفي في هذا المقام لا يخدم موقف الشيخ سواءً جاء النّفي مؤكّداً أو غير ذلك؛ وعليه نرى وجوب إرداف النّفي بحجج أخرى تؤيّد موقفه، وإلّا صار النّافي في موقف سلبي عاجز عن إقناع الآخر بموقفه والبرهنة على سلامة نفيه للحجج المطروحة عليه.

كما أنّ النّفي بواسطة الحرف (لا النّافية للجنس) التي تفيد الاستغراق كما ذكر الباحث لم يوّد الحجاج بذاته إنّما بسبب الاستغراق الذي أفضى إلى المبالغة في توكيد النّفي، والمبالغة من طرائق التّوكيد الذي يعدّ عاملاً حجاجياً مهمّاً في اللغة العربية، وعليه فإنّ قوة الحجاج بالنّفي كامنة في التّوكيد والمبالغة.

### 3.3 الحجج بأسلوب الشرط:

جعل بيرلمان الحجج القائمة على أسلوب الشرط ضمن **حجج الوصل السببي ( Le lien causal)**<sup>1</sup>، وهي من الحجج المؤسّسة على بنية الواقع. وتعتمد حجج الوصل السببي على مبدأ السببية، فإنّ وجود السبب يفضي إلى وجود النتيجة. وهذا ما تقوم عليه القضية الشرطية حيث يشترط فعل الشرط للخلوص إلى جواب الشرط، فيصبح الفعل حُجّةً والجواب نتيجة لا يستغني أحدهما عن الآخر. وقد وجدت القضية الشرطية (**Proposition Hypothétique**) أول الأمر في علم المنطق، وهي كلّ قضية " تتركّب من قضيتين ويحكم فيها على تعلق أحد طرفيها بالآخر"<sup>2</sup>، فتتعلّق نتيجة القضية الثانية بنتيجة الأولى.

<sup>1</sup> ينظر الفصل الثّاني من بحثنا هذا، ص174.

<sup>2</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (حرف القاف)، ج2/ص195

يرى الباحث أنّ أساليب الشرط تتخذ منحى حجاجياً نحو إقناع الخصم، لأنّ الشرط أسلوبٌ " يُسهم في بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج" <sup>1</sup>، وهذا الأخير سيبنى علاقة منطقيّة في عبارة لغويّة شرطيّة من خلال ما يعرف عند المنطقيين بعلاقة (اللزوم)؛ "واللزوم علاقة منطقيّة بين المبادئ والنّتائج، فإذا كانت القضية (أ) ناتجة عن قضية -أو عدّة قضايا- مثل (ب)، أمكنك إذا كانت (ب) صحيحة أن تبرهن بمقتضى قواعد المنطق على صحّة القضية (أ)" <sup>2</sup>، وعليه فإنّ التسليم بصحّة القضية (أ) يستلزم التسليم بالنّتيجة (ب) على سبيل الإلزام الذي لا مناص منه. والإلزام الناشئ عن هذه العلاقة المنطقية (اللزومية) أو الاستلزام هو ما هو ما يحاول أصحاب نظرية الحجاج تفاديّه لأنّه يحصر القضايا في نطاق المنطق الصّوري وليس المنطق الطّبيعي.

كذلك تكون القضية بعد (إذا الشرطيّة) في أسلوب الشرط المتكوّن من جملتين؛ جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط، فالقضيّة (أ) المسلّم بصحّتها تكون بعد (إذا) أي في جملة فعل الشرط، فتقوم (إذا) بدور طرح الفرضيّة (القضيّة المسلّمة) والتي ينتج عنها وفق علاقة اللزوم تواجد النّتيجة كما يريدّها المحاجج، وفي هذا الحجاج نوع من الإلزام والتّبكيث إذ لا يقدر الخصم ردّ النّتيجة (ب) المذكورة في جملة جواب الشرط مع إقراره بالقضيّة المقدّمة في فعل الشرط، لأنّ المحاجج لن يقدم مقدّمة شاذّة غير متّفق عليها بين الطرفين، فالاتّفاق الأوّلي حول المقدّمات هو الدّافع المنطقي لمواصلة العمليّة التّخاطبيّة الحجاجيّة التي تنقل التّوافق الأوّلي حول المقدّمات إلى النّتائج المزمع تحقيقها.

وقد وظّف الشيخ أبو حنيفة في حجاجه للملحدّين أسلوب الشرط في جملتين بتوظيف اسم الشرط (إذا)، في قوله : (إذا كان الواحد الحسابي لاشيء قبله، فما بالكم بالواحد الحقيقي وهو الله!!!) وقوله : (إذا كان هذا حال النّور الصّناعي، فما بالكم بنور السّموات

<sup>1</sup> الحجاج في المناظرة (مرجع سابق)، ص 329.

<sup>2</sup> جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1/ص 283

والأرض!!!). في هذه الجملة الشرطية دخلت (إذا) على قضيتين مسلمّ بصحتهما من لدن الخصم لأنّ المحاجج قد هياً لهذا التسليم بالاتفاق عليه أولاً بين الطرفين، فلا يقدر الخصم العودة عن رأيه ونقض عهده، وعلى هذه الأرضية المتينة (الاتفاق المسبق) يؤسس الشيخ نتائجه المتوقعة والتي تستمدّ صحتها من صحة المقدمات، فلا مناص من إنكار النتائج المتضمنة في جواب الشرط الوارد في صيغ الاستفهام التقريري القاضي بكون أنّ (الله هو الأول ليس قبله شيء، وأنّ نوره سبحانه في كلّ اتجاه)، ولم يصرّح الشيخ بالنتائج مباشرة إنّما أتى بها مضمرة في صيغة أسلوب بلاغي (الاستفهام التقريري) الذي يترك الخصم وحيداً يستنبط النتائج الهادمة لشبهاته والمؤيدة لقضية الشيخ، وينتج عن ذلك تبكيت الخصم دون أي مناورة تُذكر.

يخلصُ الباحث من تحليله لمناظرة (أبي حنيفة مع الملحدين) إلى فائدة قيمة مفادها أنّ النصوص الحجاجية تتفق غاياتها الإقناعية لكنّ سبل ووسائل تحقيق تلك الغايات تختلف من خطاب لآخر، حيث " إنّها تسلك في ذلك مسالك استدلالية متنوعة، إذ قد تعتمد أسلوب المقامة أو الحوار أو القصص والسرد أو الأمثلة أو المثال التاريخي أو الصورة ومختلف الدلائل غير اللسانية"<sup>1</sup>، وهذا الاختلاف في الوسائل الحجاجية يحمل القارئ - حسب رأي الباحث- إلى توظيف آليات تفسيرية مرنة تواكبُ الجنس الأدبي للخطاب الحجاجي ، وعلى هذا التنوع نرى تنوعاً في النظريات الحجاجية ومناهجها الإجرائية. أمّا الخطيب فليس ملزماً بانتهاج وسيلة حجاجية واحدة بل يلجأ إلى كلّ متاح أمامه للوصول إلى الإقناع المنشود.

لم يحدّد الباحث المنهج الحجاجي الذي اتّبعه في تحليل المناظرة، فقد أُلغيناها ي وظّف منهاجاً متداخلاً جمع فيه بين طريقة المنطقيين التقليديّة، وبين الوسائل اللغوية والبلاغية التي أتاحتها له أسلوب المناظرة في حديثه عن الاستفهام والنفي وأسلوب الشرط، فقد كانت قراءته

<sup>1</sup> عبد العزيز لحويق، الحجاج في المناظرة، ص331.

## الفصل الرابع : قراءة في الممارسة البلاغية على النص التراجيدي

---

طبيعة تتفقى مكامن الحجاج المبتوثة في المناظرة محاولة تفسيرها ووضعها ضمن إطارها النظري، لكن النص المقتبس من المناظرة جاء مختصراً جداً لم يمكن القارئ من توظيف الآليات الحجاجية المختلفة الواردة في نظريات البلاغة الجديدة، فلم نجد أثراً لنظرية بيرلمان أو ديكرو، أو مايير...

## المبحث الرابع

- المقال الرابع : (خطبة طارق بن زياد؛ من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي)،  
للباحث خالد يعقوبي.

- المقال الرابع : (خطبة طارق بن زياد؛ من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي)،  
للباحث خالد يعقوبي.

### 1. تمهيد:

اختار الباحث (خالد يعقوبي) متناً مشهوراً لبحثه تمثل في خطبة (طارق بن زياد رضي الله عنه) التي ألقاها أمام جنوده عندما تجاوز البحر نحو بلاد الأندلس لفتحها مستجيباً لأمر ( موسى بن نصير رضي الله عنه) بعدما استتب له أمر إفريقيا<sup>1</sup>، ويحاول الباحث إمطة اللثام عن المقام الخطابي لهذا النصّ متتبّعاً الانعكاسات المقاميّة على البنية الحجاجيّة للخطبة، وعن مدى الأثر الإقناعي الذي حقّقه هذه البنية في المتلقي (الجنود).

### 2. متن الخطبة :

قال طارق بن زياد رضي الله عنه "أيها الناس، أين المفرّ والبحر من ورائكم والعدو أمامكم؟ فليس لكم والله إلاّ الصّدق والصّبر، واعلموا أنّكم في هذه الجزيرة أضيّع من الأيتام في مآدب اللثام، وقد استقبلتم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وررّ لكم غير سيوفكم، ولا أقوات لكم إلاّ ما تستخلصونه من أيدي أعدائكم، وإن امتدّت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تتجزوا لكم أمراً، ذهبت ربحكم وتعوّضت القلوب برعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة \* هذا الطاغية، فقد ألقى إليكم مدينته المحصّنة، وإنّ انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم إن سمحتم بأنفسكم للموت. وإنّي لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطّة أرخص متاع فيها النفوس أبداً فيها بنفسي، واعلموا أنّكم إن صبرتم على الأشقّ قليلاً، استمتعتم بالأرّفه الألدّ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فيما حظكم فيه أوفر من حظّي، وقد بلغكم شأن هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدرّ والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في

<sup>1</sup> ينظر ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء الزّمان، دار صادر بيروت، ط1/1994، ج5/ص320  
\* مناجزة : مقاتلة

قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الأبطال عرباناً، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً، ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستماحكم بمجادلة الأبطال والفرسان، ليكون حظه معكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، ويكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المسلمين سواكم، والله تعالى وليّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين. واعلموا أنّي أولّ مجيب إلى ما دعوتكم إليه، وأنّي عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية قومه (الذريق) فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزمي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يُخذلون.<sup>1</sup>

لا مرأ أن الخطبة جنس أدبي عربي أصيل ينتمي إلى النثر الذي يشكل شطر الأدب العربي القديم، وقد بلغت الخطابة في صدر الإسلام أوجها حتى عرف بالعصر الذهبي للخطابة لما أولى لها الإسلام من مكانة قبل أن تبدأ حركة التأليف والتدوين عند العرب.

ويتلاءم جنس الخطبة كثيراً مع البنيات الحجاجية للتصوص وذلك راجع إلى الغاية الموحدة بين الخطبة والنص الحجاجي إذ يقصد كل منهما الإقناع قصداً مباشراً بل يعدّ الحجاج النظام الذي تقوم عليه الخطابة . ولعظم أمرها -أيضاً- قد اشتق اسم الخطبة من الخُطْب أي الأمر الجلل والعظيم<sup>2</sup>، وليست تخفى أهمية الخطبة في تراثنا القديم بالنظر للقدر الجليل والشأن العظيم الذي حظيت به في ديننا الحنيف؛ فقد جعلها الله ﷻ شطر الجمعة وصلاة العيدين و سنّ خطبة عرفة يوم الحج الأكبر؛ لما فيها من عظيم فائدة في تذكير الناس وتعليمهم أمر دينهم. وأول ما يتبادر إلى الأذهان عند ذكر الحجاج والإقناع من

<sup>1</sup> ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، دار صادر بيروت، ط1/1994، ج5/ص322.

<sup>2</sup> ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج1/360/مادة (خ ط ب)



الأجناس الأدبية هو الخطبة لما ترسخ لدى الباحثين عبر العصور عن خصائصها الإقناعية.

### 3. قراءة الخطبة:

بدأ الباحث قراءته الحجاجية لخطبة ( طارق بن زياد ) بتحديد سياقها التاريخي والمناسبة التي قيلت فيها<sup>1</sup>، ثم بين الأركان الأساسية التي تقوم عليها الخطبة؛ تلك الأركان الثلاثة التي لا يمكن الاستغناء عن أحدها. أول هذا الأركان وأسطها هو الخطيب (المرسل) الذي يرسل خطبته تبعاً لمقام معين يلتزم فيه بمراعاة مقتضياته حتى لا توصف خطبته بالهذر إذا لم يراع فيها المقام ومقتضى الحال، ويمثله في هذه الخطبة القائد العسكري (طارق بن زياد). وتلقى الخطبة إلى متلقٍ حقيقي أو افتراضي؛ حاضر أو غائب، فقد يحضر الخطبة الجمهور حين إلقائها مشافهة من في الخطيب، أو يتلقاها عن بعد بعدما تدون، أو تسجل على وسائل التواصل المختلفة مثل التي شاعت في عصرنا، أما المتلقي في هذه الخطبة فهم الجنود المتواجدون في جيش المسلمين وكان غالبيتهم من البربر.

وآخر ركن من أركان الخطبة هو المتن اللغوي الحامل لنصّها وهو ما يعرف بالرسالة التي تعدّ الوسيط اللغوي بين المرسل والمرسل إليه، وتمرّ عبر قناة اللغة لا غير، ألقاها القائد العسكري على جنوده مباشرة دون وسيط، وهم على الضفة الشمالية من البحر المحاذية (لجبل طارق) الذي ما زال إلى يوم الناس هذا ينسب لهذا الفاتح العظيم. وتعدّ الرسالة اللغوية أمراً بالغ الأهمية، فعليها مدار الأمر كلّ، فعامل الإقناع ينطلق منها ويدور فيها، لذا فإنّ خطة بناء الخطبة ليس بالأمر اليسير الذي يتأتى لكلّ خطيب، إنّما هي ملكة ومهارة ودربة، مع اطلاع بحال المتلقي والمقام الحامل لإلقاء الخطاب. فليس الخطاب الموجه للعامة كخطاب الخاصة، وليست مخاطبة العالم كالمتعلم؛ فكلّ مقام يدفع الخطيب إلى

<sup>1</sup> ينظر خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي، بحث في الحال والمقام، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص332.

اختيار كلماته وأساليبه بعناية خاصّة من خلال الانتقاء المعجمي والبلاغي. وهذه الأركان الثلاثة للخطبة هي التي وجدناها عند اليونان وقد اصطلح عليها بـ(إيتوس، لوغوس، باتوس)

### 4. التّرعيب والتّرهيب منهج البناء الحجاجي للخطبة :

#### 1.4 حجج التّرهيب :

يرى الباحث أنّ الخطيب أسّس منهجيته الإقناعيّة في خطبته وفق منهج القرآن الكريم متوسّلاً (ثنائية التّرعيب والتّرهيب)<sup>1</sup> لإقناع جنوده بالجهاد كخيار وحيد لا مناص عنه. ألقى الخطيب خطبته انطلاقاً من الواقع وهو يتأهّب لملاقاة العدو، فالحال حال حرب لا خيار فيها سوى القتال لتحقيق النّصر، فالانهزام سيكون له عواقب وخيمة ليس على الجيش فقط بل على الأمّة أجمعها، لأنّ الهزيمة التّفسيّة سيسري مفعولها في أمّة الإسلام قاطبة، ويؤثّر عليها تأثيراً عميقاً.

كانت بداية الخطبة بحجّة الواقع الذي لا يمكن دحضه<sup>2</sup> تجلّى في قول الخطيب: (أيّها النّاس أين المفرّ؟)<sup>3</sup>؛ فالنداء يهيئُ المقام بتنبيه الجند نفسياً لما سيلقى إليهم من نياٍ عظيم يكشف عن عظم الأمر الذي ستلقى لأجله هاته الخطبة، ثمّ أردف الخطيب بإلقاء استفهام إنكاري بقوله: (أين المفرّ؟)، يقود الاستفهام المنقّي إلى إجابة وحيدة لا ثاني لها مفادها أنّ (لا مفرّ) فالبحر خلفهم والعدو من أمام. فالأطروحة المثبتة عن طريق الاستفهام مضمرّة نتيجتها في الجواب (لا مفرّ)، وهذه الإجابة الملزمة أقرب إلى الحجاج المنطقي منها إلى الحجاج الخطابي من حيث الضّرورة والبداهة المجتمعة في النتيجة.

إنّ القضية الأساس لهذه الخطبة قضية (الحمل على الجهاد) ، فالخطيب يلزمه إقناع المخاطب بها دون أن يدع له مجالاً للتّفكير أو الاختيار، لذا تستوجب القضية (حججا

<sup>1</sup> ينظر خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، ص334

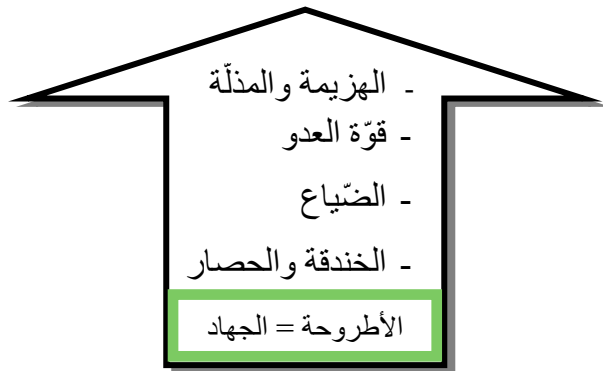
<sup>2</sup> ينظر عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ص24

<sup>3</sup> خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، ص334.

الإلزامية) لا تتيح الفرصة للمتلقّي التردّد في الإذعان؛ وهذا ما تتمّ عنه الحجّة الأولى الواردة في صورة الحجّة البلاغية مجسّدة في الاستفهام الإنكاري الذي يقود المتلقّي نحو نتيجة واحدة هي القتال. ثمّ تترادف الحجج الإلزامية الواحدة تلو الأخرى وكلّها تخدم النتيجة الأولى في قوله : (البحر من ورائكم والعدو من أمامكم) <sup>1</sup>؛ فهذه حجّة قويّة تخدم القضية الكبرى نحو نتيجة الجهاد الوحيدة. فكون (البحر من ورائكم) يغني المتلقّي عن فكرة التولّي يوم الرّحف، و(العدو من أمامكم) حجّة أخرى تلجئ الجند إلى الخيار الأوحّد (الجهاد).

ثمّ يواصل الخطيب حشد حجج الترهيب -حسب رأي الباحث- من خلال تذكير المتلقّي/الجنود بالمصير الذي سيواجههم إذا تقاعسوا وتخاذلوا عن الجهاد، فالمأل سيكون مريراً رهيباً لا يحتمله المسلمون لما سينجرّ من وراء الهزيمة من خذلان وذلّة وصغار تُسبى فيها نساءهم وصبيانهم وأموالهم وأرضهم <sup>2</sup>. وهذا حجج ترهيب كفيّلة بحمل المجاهدين على شحذ الهمم والمضيّ قدماً في المهمّة الكبرى التي ركبوا البحر لأجلها. ثمّ يدعم الخطيب حججه بتذكير جنوده بحال جيش العدو

النتيجة = الإقناع بكسب المعركة



الشكل (ج): حجج الترهيب

ومدى استعداده للقتال عدّة وعدداً في إشارة ذكيّة إلى أنّ المنجى الأوحّد هو الانتصار في المعركة دون أن يدع للجنود فرصة للتّفكير في أمر سواه، فلا الإديار بمنجٍ ولا الصلح بمعقودٍ نظراً لما يُرى من حال جيوش العدو.

لا ريب أنّ حجج الترهيب التي وظّفها

الخطيب تحمل شحنة إقناعيّة تكفي المخاطب لي ذعن لأطروحة القائد فلا مناص سوى

<sup>1</sup> خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، ص334.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص334.

الانتصار في المعركة المصيرية، وقد صنّف الباحث حجج الخطيب في تراتبية سلمية (انظر الشكل ج) <sup>1</sup>، وهذا وفق نظرية السلميات الحجاجية التي وضعها أوزفالد ديكر <sup>2</sup> في تأسيسه لنظريته الحجاجية. وتبنى هذه المصنفة السلمية في سلم تصاعدي يعقد بين المقدمة والنتيجة بالمرور عبر سلسلة من الحجج تبدأ من الأضعف إلى الأقوى، لكن ترتيب الحجج بهذه الصرامة قلما يلتزم به الخطباء خاصة في الخطب المرتجلة التي لا يسبقها تحضير وتنظيم للأفكار والحجج.

يوضح (الشكل ج) -أعلاه- ترتيب الخطيب لحجج الترهيب وفق علاقة لا يمكن الجزم بتصاعديتها من الأضعف إلى الأقوى، فالذي يظهر لنا أنّ (حجة الخندقة والحصار) التي بدأ بها الخطيب هي أقوى حجة لأنها وضعت الجنود تجاه خيار واحد لا ثاني له مما سيحملهم على القتال حتى النصر، كما يمنعهم من التفكير في حل آخر سوى القتال؛ وعليه يتجلى لنا أنّ حجج الترهيب المبنوثة في الخطاب لا تخضع لقواعد السلميات الحجاجية كما وضعها (أوزفالد ديكر)، كما لا نجزم بصحة ما ذهبنا إليه لأنّ التأثير والإقناع في نفس المتلقّي يختلف من شخصٍ لآخر كما يختلف من مقام لآخر؛ لذا فإنّ قراءتنا النقدية تحتل رأياً قد يصيب أو يجانب الصواب حسب رؤية كلّ ناقد. كما يمكن لأيّ ناقد أن يعيد ترتيب هذه الحجج وفق سلم آخر يراه الأنجع والأقوى من حيث تأثيره الإقناعي. ومما لا حظناه أيضاً أنّ الباحث لم يذكر كلّ الحجج مفردة كما ذكرها الخطيب، فقد جمع حجّتي (العدو من أمامكم) و(الحر من ورائكم) تحت حجة (الحصار). كما لم يذكر حجج الاستفهام والنداء.

### 2.4 حجج الترهيب :

بعدما احتج القائد (طارق بن زياد) لأطروحاته بحجج قوية تقوم على أسلوب الترهيب بغية حمل الجند على الإذعان والامتثال لخيار الجهاد، يُردف هذه الحجج بحشد مجموعة

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص335.

<sup>2</sup> ينظر بحثنا هذا الفصل الثاني (مبحث الحجاج اللغوي)، ص

أخرى من الحجج القائمة على التّريغيب متمثلاً في ذلك منهج القرآن الكريم كما يرى الباحث<sup>1</sup> في الموازنة بين التّريغيب والتّرهيب تهيئةً لنفوس المؤمنين نحو الدّخول في دين الله ﷻ كافة؛ عن طريق تذكيرهم بالجنّة وما قرب إليها من قول وعمل، وتخويفهم من النّار وكلّ ما يقرب إليها. وهذا منهج حجاجي ذكي من الخطيب فالنّفوس تختلف من إنسان إلى آخر فمنها ما يلين ويذعن إلى حجج التّريغيب ومنها ما تخوّفه حجج التّرهيب وتحمل إلى الاقتناع والعمل بما يلقي إليه من أفكار، فالمزاوجة بين الحجج المتناظرة يرحّج النّفوس رجاً، ويصل مفعولها إلى كلّ جنديٍّ في الجيش مهما كانت طبيعته الفكرية والنّفسيّة.

عرض الخطيب/القائد في حجج التّريغيب مجموعة من الحجج المقنعة التي لا ينبغي التّفريط بها على اعتبار أنّ القتال صار المصير الأوحّد كما ذكر في حجج التّرهيب. بدأ الخطيب حجج التّريغيب بمخاطبة غريزة الإنسان الشّهوانيّة من خلال تذكير الجنود بسبي نساء العدو الرّوميات الحسنات اللّاء **هي تغري بحسنهنّ الرّجال**<sup>2</sup>، فكانت سبيل الشّهوة والأحاسيس أوّل السّبيل الإقناعيّة إلى الجند متوسّلة التّأثير النّفسي، ولا يخفى علينا الأثر التّاجع لهذه النّقطة في عقل الرّجل ونفسه، كما أنّ البدء بها أمر مناسب جداً لتعلّق قلوب الجنود بالغنائم التي ستجنى من الحرب وعلى رأسها السّبايا، ومن ثمّ حملهم وتحفيزهم على الاستبسال في الجهاد.

ثمّ يتدرّج الخطيب نحو حجّة أخرى أقوى من ( **حجّة الرّغبة في النّساء** )<sup>3</sup> هي حجّة **المُلك والجاه والأموال** في قوله (ويكون مغنمها خالصاً لكم) إذ تعهّد لهم الخليفة عبد الملك بن مروان بأنّ تكون غنائم تلك الدّيار لهم لا يشاركهم فيها أحد، ولا يريد الخليفة سوى مشاركتهم الأجر في إعلاء كلمة التّوحيد على هذه الأرض. ثمّ يذكر بحجّة ( **النّصر والتّأييد** ) فالنّاصر

<sup>1</sup> ينظر خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، ص334.

<sup>2</sup> ينظر خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، ضمن الحجاج مفهومه ومجالته، ص336.

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه ص337

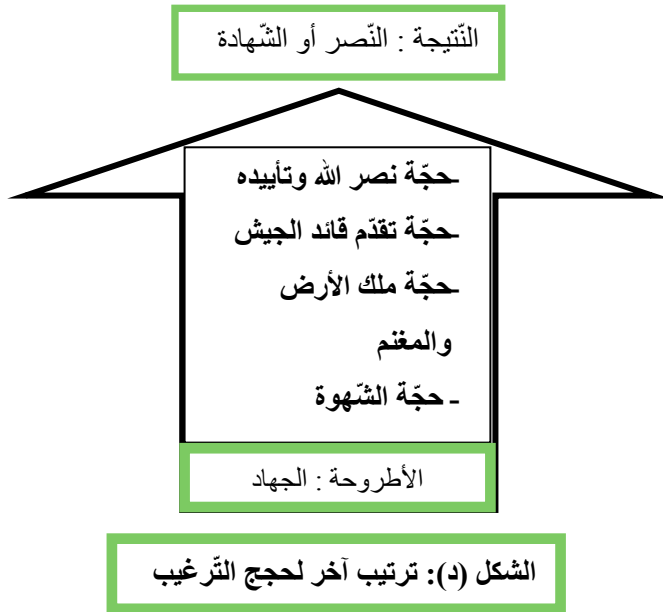
## الفصل الرابع : قراءة في الممارسة البنّائية على النصّ التراجيدي

والمعين في هذه الغزوة هو الله ﷻ الذي لا تقهر جنوده، وقد وعد عباده المخلصين بالنصر على أعدائه في مواضع عدّة في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيّه الأمين ﷺ. ثمّ يختم (طارق بن زياد) حجج التّوغيّب بحجّة من الواقع تمثّلت في ( قيادته للجيش في ساحة الوغى)؛ فلم يتأخّر عن الجند ولم يحصّن نفسه دونهم، إنّما تقدّمهم في ساحة المعركة وألقى نفسه في وسط الأعداء رغبة في النصر أو الشّهادة.

دعم الخطيب خطبته في حجج التّريغيب بأربعة حجج مرتّبة على التّوالي : (الرّغبة في النّساء، امتلاك الأرض والمغانم، نصر الله وتأييده، تقدّم القائد للجيش)، وكلّ هذه الحجج قويّة جدًّا وكفيلة بشحذ الهمم للتّسليم بالمطلوب والافتتاع بالعمل به، ولعلّ ترتيبها قد وافق - إلى حدّ ما - نظريّة السّلام الحجاجيّة التي يرى أصحابها أنّ ترتيب الحجج في الخطاب تكون من الأضعف إلى الأقوى من أجل الحصول على أداء حجاجيّ أحسن وأفضل. وإنّ كان هذا التّرتيب لا يخلو نظر، فالأولى تقديم الحجّة الأخيرة (تقدّم القائد في المعركة) على الحجّة الثّالثة (نصر الله ﷻ وتأييده)، فلو ختم الخطيب خطبته بتذكير الجند بالجنّة وما فيها من نعيم لا ينفد وبنصر الله لعباده

المؤمنين لكان أوقع في النفوس وأقوى، فيرصّع خاتمة خطبته بالغاية الأسمى في هذه الحياة الدّنيا بعد إعلاء دين الله هي الخلود في جنات عرضها السّموات والأرض.

رتّب الباحث حجج التّريغيب في سلّم حجاجي وفق ترتيب تصاعدي، فأورد أربعة حجج نذكرها مرتّبة من



الأدنى إلى الأعلى (الشهوة، الجاه، الشرف، الجنة) <sup>1</sup>، ولم يذكر الباحث في سلمه الحجاجي (حجة تقدم القائد للجيش)، وفرع حجة (الغنائم) إلى حجتين (الجاه والشرف) كما أدمج حجة (نصر الله ﷺ) في حجة الجنة، ولم يقدّم الباحث ترتيب الخطيب للحجج على النحو الذي أسست عليه نظرية السلم الحجاجي، أي أنه لم يطرح استدرآكاته على الترتيب السلمي في خطبة طارق بن زياد، كما لم يُبدِ نقداً على الترتيب الوارد للحجج في الخطبة؛ وعليه نقترح سلماً حجاجياً نراه الأنسب للنظرية المذكورة، ولأننا على دراية مما سبق ذكره في هذا البحث أنّ نظرية الحجاج برمتها تخضع لـ (مبدأ الأنجع)، فنقترح ترتيباً آخر لحجج الخطيب حسب قانون الأنجع مع التنبية أنّ الخطيب لم يلتزم بهذا المبدأ الذي التزمه أصحاب نظرية السلام الحجاجية.

قد أعدنا في الشكل (د) ترتيب الحجج الواردة في خطبة طارق بن زياد -رحمه الله- حسب ما نحسبه يوافق مبدأ النجاعة بحسب قوة الحجج في أداء المطلوب وتحقيقه، فيكون الترتيب من أضعف حجة في قاعدة الشكل (د) إلى أقواها في أعلاه؛ فكان الأخرى في ترتيبها بداية مع حجة الشهوة التي رأيناها أضعف حجة بالنسبة لبقية الحجج الواردة في الخطبة، وضعفها لا يتنافى مع نجاعتها وأثرها في المخاطبين لأنّ النفوس تختلف فمنها ما يتأثر بالرغبة في النساء دون شهوة الجاه والمغنم، ومنها ما تشتهي الجاه والمغنم لأنّه سبيل إلى تحقيق الأولى (الشهوة) لكنّ هذه الأخيرة ليست سبيلاً إلى تحقيق الجاه؛ وعليه يظهر صواب الترتيب الحججي الذي اتبعناه. ثمّ تأتي حجة (تقدم القائد لجيشه في القتال) ثالثة بعد حجة الجاه والمغنم؛ لأنّ تقدم القائد لجنده نحو الحُسنين؛ النصر أو الشهادة من أعظم العوامل التي تشجّع الجنود نحو القتال لأنّ الواقع خير شاهدٍ على شجاعة القائد الذي لا يبخل بنفسه دون أصحابه فيبعث فيهم روح الحماس والانفعال والافتتاع بضرورة الاستبسال في ساحة الوغى.

<sup>1</sup> ينظر خالد يعقوبي ، خطبة طارق بن زياد، ص337.

قد جعلنا حجة (التذكير بتأييد الله ونصره وما ينتظر المجاهدين والشهداء في الجنة) في أعلى السلم الحجاجي على اعتبارها أقوى الحجج الوارد في الخطبة، وقد اكتسبت قوتها من العقيدة الإسلامية الراسخة ، فالمؤمن يعتقد يقيناً الأجر العظيم الذي خصه الله ﷻ لعباده المؤمنين المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، وقد نصّ على ذلك الأجر العظيم القرآن الكريم في غير موضع، فقال ﷻ : «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» آل عمران 169. كما نصّت على ذلك الأحاديث الصحيحة المتواترة عن النبي ﷺ حيث قال : " لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ " <sup>1</sup> وأحاديث الترغيب في الجهاد كثيرة، وفيها ترغيب شديد تعجز نفس المؤمن عن التفریط فيه لما ذكر من نعيم في الجنة للمجاهدين والشهداء.

ويُرجع الباحث خلو الخطبة من حجج السلطنة أو الحجج الجاهزة كالأيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال الماثورة إلى أحوال المخاطبين <sup>2</sup>، فغالبيتهم من الجند البربر، إذ كانوا على حديث عهد بالإسلام والعربية، فقد لا توتّي الحجج القرآنية أثرها الإقناعي فيهم لبعد أذهانهم عن استيعابها وفهمها، ولذا رأى الخطيب في رسم خارطته الحجاجية الانطلاق من الواقع ترغيباً وترهيباً وذلك لدنو الحجج المقدّمة من المصير إلى ينتظر الجند بعد هذه المعركة وكأنّه رأي عين.

ولعلّ تفسير الباحث غياب حجج السلطنة عن هذا الخطبة يُعدُّ الأقرب للصواب فلا يمكننا إنكاره لعدم إحاطتنا الكاملة بأحوال المخاطبين والدوافع التي دفعت الخطيب إلى عدم توظيف الحجج القرآنية والأحاديث النبوية، فالسياق التداولي للخطاب مرجع أساس في التحليل الحجاجي، أمّا الصورة التي وصلتنا عن مناسبة الخطبة فهي موجزة إذ لم تأت على

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب المغازي، الحديث (3983)

<sup>2</sup> ينظر خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، ص338/339.



أحوال المخاطبين من الناحية الثقافية والدينية؛ وعليه فإننا نبقى على تأويل الباحث حتى لا نلج في تأويل موضوع لا نملك مفاتحه.

نختم المقال حول تحليل خطبة طارق بن زياد - رحمه الله- للباحث (خالد يعقوبي) بالتنبية على ملاحظات مهمة لعلّ أبرزها احتكام الباحث إلى نظرية السلام الحجاجية لكن دون تأطير منهجي كالتعريف بالنظرية أو ذكره لأعلامها أو آلياتها، فقد طبق الحجج المستنبطة من الخطبة على السلم الحجاجي مباشرة.

وقد بدأ الباحث مقاله من المقام الخطابي للخطبة مبرزاً أهمية هذا الجنس الأدبي في التراث العربي خاصة مرافقته للغزوات والفتوحات الإسلامية<sup>1</sup>، فقد أولى الخلفاء والأمراء والقواد للجيش الإسلامية أهمية بالغة للفصاحة والبلاغة لأجل تقادي اللحن يوم صعود المنابر وإلقاء الخطب على الناس، وقد قيل لعبد الملك بن مروان الخليفة الأموي: " لقد أسرع إليك الشيب، قال: شيبني صعود المنابر والخوف من اللحن"<sup>2</sup>. فالخطابة زيادة على المهارة اللغوية والبلاغية فلا بد للخطيب فيها من مهارة إقناعية لمواجهة الجمهور، والإقناع إن كان هو القصد الأسمى من إلقاء الخطبة فإنّ له قواعد أساسية يقوم عليها لعلّ أهمها السلامة اللغوية على جميع مستوياتها وصولاً إلى القواعد المنطقية ومراعاة المقام والأحوال وأقدار السامعين، وحسن اختيار الحجج وتوظيفها، حتى تجتمع هذه الوسائل كلّها في بناء متنسق محكم يقوم على القصدية الإقناعية.

قد أردف الباحث لعنوان بحثه بحثاً فرعياً وسمه بـ (من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي) وقد كان هذا التخصيص توجيهياً وتفصيلاً منهجياً دقيقاً للبحث، لكنّ الباحث لم

<sup>1</sup> ينظر خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي، ضمن الحجج مفهومه ومجالاته، ج4/ص332.

<sup>2</sup> محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي ت 709هـ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تح عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت ط 1418 هـ - 1997 م

يلتزم بما قيّد به نفسه، فلم نعثر على مصطلحي (عقلي / عاطفي) داخل متن البحث، فقد انجزّ الباحث وراء التحليل الاعتباطي للحجج دون تصنيفها حسب أنواعها المعلومة ؛ الحجج المنطقية والشبه منطقية أو العقلية، أو الواقعية (المؤسّسة على الواقع أو المؤسّسة للواقع)، والاستدلال القائم على بلاغة التمثيل في قول الخطيب ( أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مآدب اللّثام )، فهذه الصّورة لها قوّة حجاجية، "وتظهر قيمته الحجاجية حين ننظر إليه على أنّه تماثل قائم بين البني وصيغة هذا التّماثل العامّة" <sup>1</sup>؛ فقد تكون الصّورة البلاغية في هذا المقام أقوى من الحجّة التي يقصد الخطيب إلى تكثيفها <sup>2</sup>. كما أنّ الباحث لم يعرّج على الحجج اللّغوية المدمجة في بنية اللّغة، فلم يأتِ الباحث على ذكرها.

ولعلّ التّداخل الحاصل بين العقلي والعاطفي في حجج الخطيب زاد من صعوبة الموقف التحليلي لهذه الحجج، فنرى أنّ الحجّة قد اجتمع فيها الإقناع العقلي مع التأثير العاطفي، فلو عرضنا من حجج الترهيب مثلا حجّة (المذلة النّاجمة عن الهزيمة) لأفيناها تستجيب للتّصنيف العقلي كما تستجيب للتّصنيف العاطفي؛ إذ من المنطقي والمسلّم عقلاً أنّ الهزيمة في هذه المعركة نتيجتها الذلّة والهوان على العدو؛ فهذا الجانب العقلي في هذه الحجّة الذي يسلم به كلّ مقاتل، كما أنّ عنصر المذلة النّاتجة عن الهزيمة يؤثّر على عواطف الجند بترهيبهم من هذا المصير الرّهب الذي لا يقبله أيّ إنسان ولا ترضى به أيّ نفس مؤمنة، وعليه فإنّنا نلاحظ التّواشج الواقع بين عنصري العقل والعاطفة في هذه الحجّة؛ ولا مرأ أن هذا التّفاعل يزيد الحجّة شحنة إقناعية لتحقيق القصد منها.

إنّ الالتزام بالمنهج الذي يفرضه العنوان الفرعي للبحث كان سيفضي بصاحبه إلى نتائج أثرى وأوسع ممّا توصل إليه، فإنّ كان الإقناع المنطقي والعقلي قد لقي نصيباً مهماً من البحث في الدّراسات البلاغية المعاصرة في الوطن العربي؛ فإنّ الإقناع عن طريق

<sup>1</sup> عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص56.

<sup>2</sup> ينظر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التّحليل والتّداول، ص24.

العواطف لازال حقلًا خصباً يحتاج إلى مزيد بحث، وخاصة من الناحية النظرية، فقد أهمل (شايم بيرلمان) الحجاج العاطفي في نظريته (البلاغة الجديدة) مقارنة بالجانب المنطقي والشبه منطقي وكذلك من سار خلفه من فلاسفة الحجاج، وليس الأمر عجيبي بالنظر في طبيعة العاطفة الإنسانية التي لا تكاد تتضبط لملاحظة أو تجربة بله قاعدة أو قانون ، كما أنّ البحث في الحجاج العاطفي يستدعي الخوض في حقل علمي آخر نقصد به (علم النفس) ممّا يزيد الموضوع تداخلاً بين الحقول المعرفية، ويثقل كاهل الباحث المعاصر المتخصّص في مجالات محدودة في حين تأبى العلوم إلاّ التّكامل والتّواصل.

### 5. المنحى الحجاجي في الخطاب؛ طرح جديد:

قد توصلنا من خلال بحثنا هذا إلى أنّ الخطاب الحجاجي ينتهج وتيرة تصاعديّة في الغالب، حين ينتقل الخطيب من أدنى سلّميات الحجاج إلى أعلاها، وهذا من أجل نجاعة حجاجية أقوى للخطاب، فالترّجّ بالحجج من الدّنيا إلى العليا يعمل على زيادة الاقتناع لدى المتلقّي. كما نرى في الوقت نفسه أنّ القيام بترتيب عكسي للحجج أي من العليا إلى الدّنيا من شأنه أنّ يضعف قوة الخطاب الحجاجي ممّا لا يخدم الغاية التي أُلقي لأجلها، لكن الخطباء قلّمًا يراعون التّرتيب الذي جاءت به نظرية السلّميات الحجاجية.

واستناداً إلى فكرة السلّميات الحجاجية عند ديكر و نظرية هرمية القيم عند بيرلمان رأينا وضع مخطّطٍ بياني يوضّح لنا حركيّة الخطاب الحجاجي في نصّ ما، وقد اصطلحنا عليه بـ(المنحى الحجاجي)، وهو عبارة عن رسم بياني يوضّح لنا تدرّج الخطيب في الانتقال من حجةٍ لأخرى صعوداً أو نزولاً لنسلط الضّوء على مدى قوّة الخطاب في التدرّج الحجاجي، فإذا وجدنا المنحى البياني يتصاعد من حجةٍ إلى أخرى حسب ترتيب كلّ حجةٍ في النصّ نستطيع الحكم على قوّة الخطاب الحجاجي، وإذا رأينا المنحى يتهاوى فنحكم على ضعف ترتيب الحجج في الخطاب.

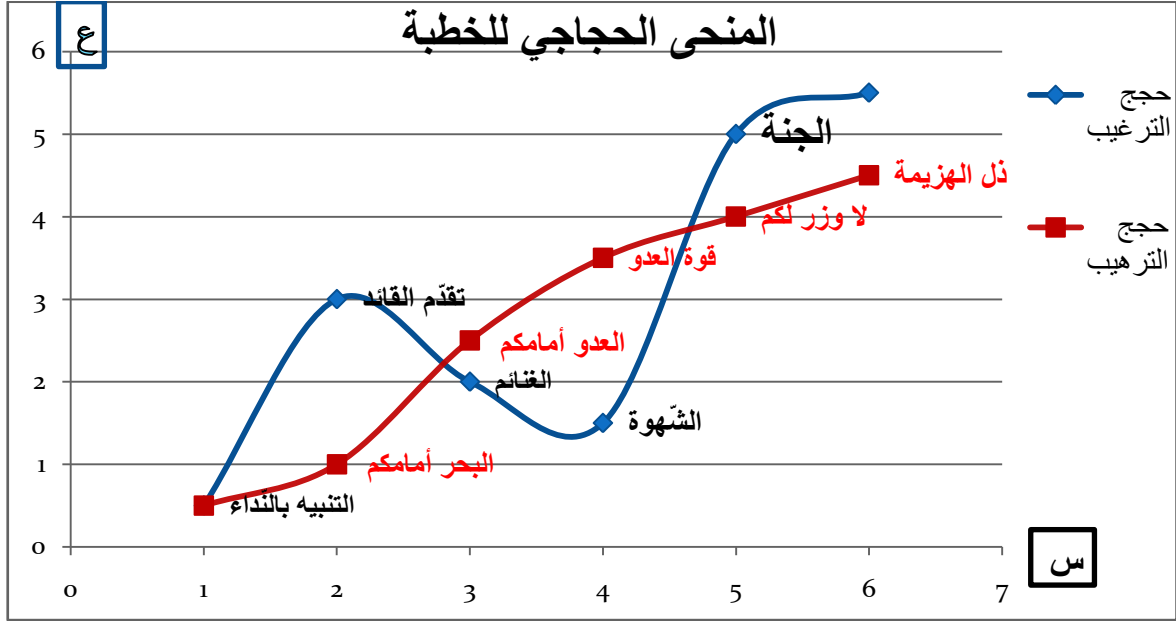
سنحاول إجراء تجربة أولى لفكرة المنحى الحجاجي بتطبيقها على (خطبة طارق بن زياد) التي رأيناها آنفاً، فقد ألقى الخطيب حججاً كثيرة على جنوده صنفها الباحث **خالد يعقوبي** إلى حجج التّريغ وحجج التّرهيب، وعليه فسيكون الشّكل البياني من منحنيين يمثّل أحدهما حجج التّريغ (باللون الأزرق)، والثّاني يمثّل حجج التّرهيب (باللون الأحمر). أمّا المحور العمودي (ع) فيمثّل قوة الحجج التي تُرتّب سلّمياً على هذا المحور من أضعف حجّة إلى أقوىها، وقد يختلف الباحثون في ترتيب الحجج لأنّ الأمر احتمالي وليس قطعي، ولكلّ باحث الحقّ في الاجتهاد يصنّف الحجج وفق ما يراه مناسباً. وأمّا المحور الأفقي (س) فيمثّل ترتيب الحجج حسب ورودها في الخطبة. وستشكّل نقاط تقاطع المحورين المسار الذي يتطوّر عبره منحى الخطاب صعوداً ونزولاً.

أفينا خطبة طارق بن زياد مليئة بالحجج المختلفة كالحجج اللّغوية والبلاغية والحجج الصّناعية وغير الصناعية. وقد اخترنا تلك الحجج التي صنفها الباحث تحت حجج التّريغ والتّرهيب، وقد اخترنا بعضها ليكون نموذجاً للمنحى الحجاجي الخطبة وهي حسب ورودها في الخطبة كالآتي :

**حجج التّريغ** : التّنبية وقد اعتبرناه حجّة نفسية تبعث على الانتباه والإنصات للقائد- تقدّم القائد بنفسه قبل الجند إلى ساحة القتال- الشّهوة المتمثّلة في النّساء الحسنات- ملك الجزيرة بغنائمها- نصر الله والفوز بالجنة.

**حجج التّرهيب** : التّنبية حجّة مشتركة- البحر وراءكم- العدو أمامكم- عدّة وعتاد العدو- لاوزر يقيكم بأس العدو- ذلّ الهزيمة وما ينجّر عنها من هوان. وهناك حجج أخرى مذكورة في الخطبة لا يتّسع المقام لذكرها مع أنّ استقصاء كلّ الحجج على الرّسم البياني ستكون نتائجه أكثر دقّة وشمولية.

وقد جاء ترتيب الحجج على الرّسم البياني كما هو موضّح على الشّكل (هـ)



#### الشكل (هـ) : المنحى الحجاجي لخطبة طارق بن زياد

من خلال دراستنا لنتائج المنحى الحجاجي للخطبة رأينا أنّ قوّة خطاب الترهيب كانت أقوى من خطاب الترغيب على الجملة وليس على مستوى الحجج مفردة، ونفسر ذلك بذلك الانكسار والتراجع الذي وقع على خطاب الترغيب عندما قدّم الخطيب حجّة (تقدّم القائد للقتال) على (حجّتي الشّهوة والغنائم) إذ نحسب أنّ الحجّة الأولى كانت أقوى من الآخرين ممّا نتج عنه هذا التراجع في المنحى الحجاجي لحجج الترغيب.

- وإذا اقترحنا تعديلا في المنحى الحجاجي للخطبة فإننا سنؤخر حجّة (تقدّم القائد للقتال) إلى الرتبة ما قبل الأخيرة أي قبل حجّة الجنّة، وقد نختلف في هذا الترتيب كما ذكرنا آنفا - لأنّ الأمر ليس باليقين الرياضي إنّما تبنى نظريات العلوم الإنسانية على نسبية أوسع من العلوم الدقيقة.

ونرجو أنّ تلقى فكرتنا حول (المنحى الحجاجي) في الخطاب قبولاّ وعناية لدى الباحثين في ميدان الحجاج لمزيد تنقيح وتطوير فيها حتّى تعم الفائدة للخطباء والدّارسين على السواء.

# الغاية

في ختام دراستنا حول نظرية البلاغة الجديدة الموسومة بـ(البلاغة الجديدة مرجعياتها وآلياتها، قراءة في تحولات الدرس البلاغي العربي) تجلّت أمامنا حقائق معرفية عديدة حول هذه النظرية البلاغية المعاصرة، وهذا هدف كلّ بحث علمي يطمح إلى جلاء الغموض عن المعرفة وتقريبها للطالب في صورة مبسّطة مفهومة بغية الاستفادة منها وتطويرها، كما أنّنا لسنا نزعم الإحاطة بكلّ زاوية في هذه النظرية لأنّ الإحاطة تستلزم تضافر جهود كبرى وزمناً طويلاً، فجهود السابقين لا زالت شاهدة على ذلك إذ لم ينقطع البحث البلاغي منذ قرون.

وقد توصلنا إلى نتائج سنذكرها موجزة فيما يلي :

- نظرية البلاغة الجديدة هي نسخة أخرى عن نظرية الحجاج القديمة التي أبدعها الإغريق على حسب المصادر التي وصلتنا مع أنّ بعض الباحثين يعارضون هذه الفكرة لكن ليس لهم دليل قطعي على معارضتهم تلك. وكانت تسمى عندهم الريطوريقا ومقابلها عند البلاغيين العرب القدماء الخطابة.
- استوت نظرية الخطابة اليونانية بعد مخاض طويل بين السفسطائيين والفلاسفة على يد أرسطو الذي فصل الخطابة عن الفلسفة من جهة وعن الشعرية من جهة أخرى. فلا تخوض الخطابة في الخطاب الفلسفي والمنطقي الصّارم، كما لا تختصّ بالخطاب الشعري المعتمد على التخييل. فخصّ الخطابة بموضوع القيم التي ليس لها قوانين صارمة تفصل فيها، ويمارسها الخطباء في المناسبات التشاربية والقضائية والمحفلية. كما تقوم الخطابة بقراءة الخطاب الإقناعي القائم على الاحتمال دون إلزام على طريقة المناطقة أو التخييل على طريقة الشعراء.

- قام المختصّون بالفصل بين الخطابات الثلاثة؛ الفلسفي، الجدلي، الخطابية بالنظر في مسألة قوّة الحجج التي يتأسّس عليها كلّ خطاب، فالفلسفة تتشدّد الحقيقة ببناء قضاياها على قضايا منطقية صارمة، والجدل يتبنّى مقدمات محتملة مشهورة أقوى من مقدمات الخطابة مع اشتراكهما في الاحتمال، لكنّ أوليفي ريبول وجدناه يشكّك

- في نجاعة الخطاب الفلسفي الذي يعتمد أصحابه طرائق الخطابة، فيلجأ الفيلسوف إلى الإقناع الحجاجي ليؤسس لنظرياته الفلسفية وهذا يتعارض مع مبادئ الفلسفة.
- سار خطباء الرومان على خطى الرّيطوريقا اليونانية، مع ميلهم إلى أخلة الخطابة، فقوة الخطاب عند سيثرون وكنتيليان تكمن في صدق موضوعه، ثمّ زاد عامل الأخلاق عندهم مع دخول الخطابة إلى المجال الدّيني مع رجال الكنيسة كالقدّيس أغسطين.
- أُعيد بعث نظرية الخطابة اليونانية في منتصف القرن الماضي تحت مصطلح **البلاغة الجديدة**، وهي نفسها البلاغة الأولى التي أبدعها اليونانيون في صقلية في القرن السّادس قبل الميلاد، وهذا بشهادة فلاسفة وبلاغيين معاصرين مثل شايم بيرلمان ورولان بارت وأوليفي ريبول.
- يعود الفضل في إبداع نظرية البلاغة الجديدة التي عُنيّا بالبحث فيها إلى الفيلسوف البلجيكي المعاصر ( شايم بيرلمان ) وزميلته ( لوسي تيتيكا ) حين أصدرتا مؤلفهما (مصنّف في الحجاج، البلاغة الجديدة ) في سنة 1958م. وقد أقرّ بيرلمان أنّه في نظرية البلاغة الجديدة يسير على خطى الفيلسوف اليوناني ( أرسطو طاليس ) في البحث عن قانون يحكم القيم الإنسانيّة. ويحيل مصطلح البلاغة الجديدة على بلاغة الحجاج القديمة (الخطابة اليونانية). ومفهومها عند صاحبها تلك النّظرية الخطابية التي تروم استخراج عوامل الإقناع في الخطابات المختلفة القائمة على الاحتمال، والاحتمال ما هو ممكن دون إلزام.
- أسهمت عوامل عدّة في بعث نظرية الخطابة اليونانية تحت مصطلح **البلاغة الجديدة**، وقد اصطلحنا على هذه العوامل بمرجعيات البلاغة الجديدة، وحاولنا الإلمام ببعضها في بحثنا هذا وقد جاءت مرتبة في الفصل الأوّل بقدر الأهمية على المنوال



الآتي : (البلاغة اليونانية - أزمة الفلسفة الحديثة- المنطق الطبيعي- روافد معرفية أخرى)

- علم بيرلمان أنّ علّة استبعاد الدّرس البلاغي مقارنة بالفلسفة تكمن في اختلاف المنطق الخاصّ بكل درس، فالفلسفة تقوم على منطق اليقين بينما تقوم البلاغة على منطق الاحتمال. فرأى بيرلمان ضرورة تأسيس منطق جديد يوازي المنطق الأرسطي عرفه بمنطق الاحتمال القائم على الممكن والمشهور وما اتّفق عليه النّاس. وقد تمّت إقامة نظرية المنطق الاحتمالي المستقلّ عن المنطق الأرسطي على يد بيرلمان وتولمين بعد جهود سابقة استثمرت بحوث فلسفة اللّغة حول المنطق الطبيعي الكامن في اللّغات الطبيعيّة.

- اعتمد بيرلمان في تحليله للخطاب على طرائق أقرب ما تكون إلى طريقة المنطقيين فوسّمت نظريته بالحجاج المنطقي، فقد استهل دراسة الحجاج الخطابية بالحجج الشّبه منطقيّة، والحجج التي تعتمد البنى الرّياضية. ولم يعتمد بيرلمان في تقسيمه للحجج على طريقة القدامى في تقسيم الصّور، بل جعل الصّور حججاً بمعايير أخرى لذلك وردت موزّعة على أبواب مختلفة من أنواع الحجج.

- نفى بيرلمان أنّ يعتمد الخطاب الحجاجي على التّخييل الشّعري لأنّ هذا الأخير يعتمد الإيهام، ونرى أنّ المجاز قد يكون حجاجياً إذا قصد صاحبه القياس بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، ولم يقصد التّخييل رأساً. كما لم يتحدّث بيرلمان عمّا عرّف اليوم بالبلاغة العامّة التي تُعاضد بين الحجاج والتّخييل نحو هدف الإقناع.

- عمل بيرلمان على تبرئة الحجاج ممّا ألصق به من تُهم عقب الحملة التي شنّها الفلاسفة على السّفسطائيين، فأنّهت الخطابة بالمرأوة والمناورة من خلال اعتماد الخطباء على المقدّمات الرّائفية.

- يختلف الجمهور في البلاغة الجديدة عن البلاغة القديمة نظراً لما طرأ على عصرنا من ثورات تكنولوجية في مجال الإعلام والاتصال، فلم يعد الجمهور ذلك الحشد من الناس المجتمع في مكان عام أو خاص كما وجد عند اليونان، فالجمهور اليوم صار عالمياً وافتراسياً، كما أصبح الخطاب عالمياً نظراً لاتساع الجمهور وسرعة انتقال الخطاب بسرعة البرق.
- ازدهر الدرس الحجاجي بعد بيرلمان كثيراً على يد باحثين عدّة أمثال (بارت وديكرو وريبول ومايير، وبلونتين...) كما تنوّعت النظريات الحجاجية بعد نظرية الحجاج المنطقي، فظهرت نظرية الحجاج في اللغة ونظرية الحجاج البلاغي، ونظرية المساءلة، وكلّ نظرية حجاجية تنكئ على مرجعية فلسفية خاصة ممّا أدى إلى تنوّع مناهجها.
- أدّى تعدّد النظريات الحجاجية وتنوّعها إلى تعدّد آلياتها وتقنيات تحليلها للخطاب، فلكلّ منها وجهة تلجّ منها للخطاب، فليس التحليل الحجاجي حسب نظرية بيرلمان مثل التحليل الحجاجي حسب نظرية أوزفالد ديكرو، فلكلّ نظرية عدتها الخاصة قد قمنا بعرضها في الفصل الثّاني من هذا البحث.
- تتفق النظريات الحجاجية على اختلاف مرجعياتها وآلياتها على أنّ الفعل الحجاجي في الخطاب هو: قول (أ) يُعرّف بالأطروحة ويقصد به الوصول إلى نتيجة (ب) وذلك عبر تقنيات مختلفة تسمّى بالحجج، تأتي الحجج مباشرة كالأدلة والوثائق والشهادات، وغير مباشرة ممّا يجتهد الخطيب في صناعتها كالمثال والقياس، والحجج اللغوية الكامنة في اللغة.
- تعكف نظرية الحجاج في اللغة على مدارس الآليات اللغوية الواردة في أسلوب الخطاب والتي من شأنها تأدية فعل حجاجي يؤدّي إلى التأثير في المتلقّي وتوجيهه نحو تبني الأطروحة والإذعان لها.

- زعم أصحاب نظرية الحجاج في اللّغة أنّ اللّغة كلّها حجاج وقد اعترض الباحثون على هذه النّظرة، فاللّغة تستعمل لأغراض شتى منها التّواصل وقضاء الحاجات والوصف. فليست كلّ الوظائف اللّغوية حجاجية دائماً. كما أنّ نظرية السّلام الحجاجية ليست موافقة لما يأتي عليه الخطاب فالغالب أنّ الخطباء لا يراعون هذا التّرتيب وقد وجد في القرآن الكريم ما يتعارض والنظرية المذكورة.
- لا يزال الحجاج البلاغي حقلاً بكرًا يحتاج الكثير من الجهود البحثية لأجل الوصول إلى الميكانيزمات الكامنة في العمل الحجاجي للصّورة البيانية، فما زال هذا الطّرح غامضاً لم تتجلى صورته على الوجه الأكمل، فلم نصل بعدُ إلى حقيقة الفعل الحجاجي الناشئ عن الصّور البيانية والمحسنات البديعية.
- لم يكن الدّرس البلاغي العربي بمعزلٍ عن التّشّاط النّقدي الذي شهدته البلاغة الغربية، وقد دعت الحاجة إلى تجديد البلاغة العربية وأظهر الكثير من البلاغيين هذه الرّغبة على غرار أمين الخولي وأحمد الشّايب، وشوقي ضيف. كما عكف الدّارسون العرب المعاصرون على تلقّي واستيعاب التّجديد الطارئ على البلاغة الغربية، ومن ثمّ توظيف تلك المكتسبات في البلاغة العربية وتراثها.
- استفاد الدّرس البلاغي العربي من هذا التّشّاط كثيراً، فتحوّل النّقاد عن الدّراسات الكلاسيكية للخطاب البلاغي إلى توظيف معطيات بلاغة الحجاج لإلقاء نظرة فاحصة على ذلك الجانب المغيب من البلاغة العربية؛ جانب الحجاج الذي تناساه الدّارسون عبر قرون.
- أنجزت مؤلّفات كثيرة جرّاء انتعاش الدّرس البلاغي العربي في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين في محاولة جادّة لبعث نظرية الحجاج العربية والبلاغة العربية بصفة عامّة، وقد كان المغاربة سباقون لهذا المضمار أمثال ( العمري،

- صمود، صولة، مشبال، ناصر عمارة) ومن مصر الباحث (عماد عبد اللطيف). أمّا في البلاغات الأخرى كالتداولية والأسلوبية فتتعدّد البحوث إذ لا يمكن حصرها.
- تعدُّ أعمال محمد العمري مشروعاً رائداً في تجديد البلاغة العربية مقارنة ببقية الباحثين، ويرجع الأمر في ذلك إلى التزامه الدائم بالبحث البلاغي دون ملل أو كلل. وقد انتعش الدرس البلاغي العربي على يد العمري الذي أبدع إضافة إلى بلاغة الحجاج نظرية بلاغية جديدة تُعرفُ بالبلاغة العامّة على غرار نظيرتها الأجنبية. تقوم نظرية البلاغة العامّة على دراسة المساحة التي يتداخل فيها الحجاج مع التخييل؛ عندما تصبح البلاغة التخيلية وسيلة نحو الإقناع عن طريق توظيف الصّور البلاغية كحجج يستعين بها الخطيب في الإقناع، ويعكف الناقد على دراستها واعياً بدورها الجمالي والإقناعي.
- تمكّن المعاصرون من ربط وشائج القرابة بين البلاغة العربية القديمة وبلاغة الحجاج المعاصرة من خلال نظرية المقام القديمة قدم البلاغة العربية، إذ ليست البلاغة سوى موافقة المقال لمقتضيات المقام، وهذا مبدأ التداولية المعاصرة وبلاغة الحجاج من خلال اشتراكهما مع بلاغتنا القديمة في عامل المقصدية.
- يتّجه الخطاب الحجاجي في البلاغة العامّة وجهة واحدة من منطقة التخييل نحو منطقة الحجاج دون العكس، إذ يمكن للصّورة البلاغية أن تكون حجّة يقصد منها الإقناع، ولا يمكن للحجّة (سوى الصّور) أن يقصد من ورائها التخييل.
- قمنا في بحثنا هذا على دحض النّظرية القائلة باختزال البلاغة العربيّة القديمة في الصّور، فالبلاغة العربيّة بلاغة عامّة تداوليّة أدبيّة ، وقد تجلّى لنا الأمر واضحاً من خلال مشروع الباحث محمد البلاغي الذي ألجأنا إلى إعادة تمحيص التراث البلاغي العربي.

- تشبّع الدرس البلاغي العربي بالبلاغة الجديدة من حيث التّظهير، فقد ترجمت المؤلفات الأجنبية والمقالات في هذا التّخصص، كما ألفت مراجع عربية بما يسعف الباحث في الإلمام بالشّطر النظري لنظريات البلاغة الجديدة على تفاوت بينها إذ لاحظنا قلة في المراجع التي تعنى بنظرية المساءلة لمايير. ويبقى الجانب الإجرائي أقلّ عناية مقارنةً بالجانب النظري، وإذا وجد فإنّه قلّمَا ينضبط لقواعد المنهج المتّبع، فقد ألفينا الدّراسات التّطبيقية اعتبارية المنهج لم تُراعَ فيها قواعد المنهج وآلياته.
- وُجِدَت الممارسة الحجاجية عند العرب قديماً أيام الجاهلية ونالت حظّها في الشّعر والخطابة لكنّ المنظرين للبلاغة العربيّة قد قصّروا في التّظهير لفلسفة الخطابة مقارنةً بالشّعر، فلم يبلغوا مدى الخطباء والشّعراء في الممارسة الحجاجية. كما أنّهم أدمجوا بعض مباحث الحجاج داخل أبواب البلاغة القديمة ولم يخصّوها ببابٍ مستقل كما وُجِدَ في البلاغة اليونانية.
- لاحظنا تواطؤاً كبيراً بين مفهوم البلاغة العامّة عند العمري وبين تعريف البلاغة عند أبي يعقوب السّكاكي إذ اتّفق الرّجلان على كون البلاغة خطاباً احتمالي قائم على الاختيار مناسبة وإغراباً.

#### التوصيات الموجّهة للباحثين من خلال هذه الأطروحة :

- نرى من خلال بحثنا أنّه ينبغي إعادة النّظر في بعض المفاهيم والمصطلحات البلاغيّة القديمة على غرار (الحقيقة والمجاز)، إذ يوحي ذكره ما متلازمين بتعارضهما وتقابلها، وليس الأمر كذلك، ممّا يوقع الدّارس في إشكال مفاهيمي يحول دون وصوله للّبّ البلاغة الحقيقي وكنه مصطلحاتها، فليست الحقيقة ضدّ المجاز، وقد توهم الكثيرون بسبب هذا التّلازم أنّ المجاز أقرب ما يكون إلى الكذب والواقع يشهد أنّ المصطلحين مختلفين تماماً.

- وعلينا تفادي استعمال التّخيل مرادفاً للكذب، فليس هو كذلك فينبغي الإعراض عن هذا الاستعمال في قاعات المحاضرات بين الطلبة تفادياً لما يوقع من ألبس ونفور لدى الطلبة إذ إنّ ثقافتنا تمجُّ مصطلح الكذب فلا ينبغي استعماله.
- ننبّه الباحث إلى ضرورة الفصل بين أنواع الحجاج الخطابى القائم على الاحتمال والمقدّمات الظنّية وبين الحجاج الجدلي القائم على مقدّمات مشهورة أقوى من مقدّمات الخطابة وبين القياس المنطقي القائم على مقدّمات يقينية تعتمد الضرورة البرهانية.
- ينبغي تكثيف البحث في مجال الحجاج وتأليف موسوعات شاملة لأنواع الحجاج ونظرياته، وإلحاق كلّ نظرية بتقنياتها وآلياتها، وخاصّة النظريات التي لم تتل ذلك الاهتمام الذي نالته نظرية بيرلمان على غرار الحجاج البلاغي إذ لم يزل عمل المجاز الحجاجي يحتاج مجهودات جماعية للكشف عن الأفعال الكلامية والأفعال الحجاجية الناشئة عن توظيف المجاز.

ويبقى البحث في ميدان البلاغة مفتوحاً ما بقي استعمال اللّغات البشريّة على هذه الأرض، فليس بحثنا هذا سوى خطوة في امبرطورية البحث البلاغي المترامية الأطراف، ونحن ندرك يقيناً أنّنا لن نصل إلى منتهاه بل نرجو أن نكون قد وقّفنا ولو نزراً يسيراً إلى إعانة زملائنا الباحثين في توضيح الرؤية وتقريب الصورة حول مفهوم البلاغة الجديدة وآليات اشغالها ومدى أثرها في البلاغة العربية المعاصرة.

ونودّ في ختام بحثنا أن نفتح نافذة جديدة نحو البحث في نظرية الحجاج في إشكال طالما راودنا؛ مفادُه : ما الغاية المرجوة بعد القراءة الحجاجية للخطاب؟ هل يتوقّف الباحث حيثما انتهى به التحليل الحجاجي على أنّه الفائدة المقصودة لذاتها من هذه الدّراسات الجمّة؟ ونحن نرى أنّ الوصول إلى القراءة الحجاجية لأي خطاب معاصر يعدّ خطوة في بحث طويل يرمي الوصول إلى خبايا الخطاب من أجل مواجهة عالم مليء بالتناقضات والاختلافات، وهذا ما نراه جلياً في الخطاب الفلسفي والفكري والخطاب السّياسي بوجه

أخصّ؛ لأننا نراه من الضّروريات التي ينبغي دراستها للكشف عن خباياها لفهم منطق التّفكير عند الآخر، وكلّ ذلك لحفظ أمن الأمة والحفاظ على ثوابتها ومقدّساتها - والله الموفّق لما يحبُّ ويرضى -

## ملق اهل صراط الكارت



الصفحات	مقابله الأجنبي	المصطلح
307-306	Utilitarisme	الاستبدال
53-30-18	Demonstration	الاستدلال
195-106-57	Métaphore	الاستعارة
268-233-204	Conviction	الإقناع
305-277-270	Pesuation	الإقناع
392-357-327	Mécanismes	الآليات
216-216-185	Plaisir	الإمتاع
219-176-250	Ethos	الإيتوس
36-27-19	Eikos	الأيكوس (المحتمل)
291-259-219	Pathos	الباتوس
118-76-64	Axiome	البدئية
32-28-22	Rhétorique	البلاغة
41-38-34	La nouvelle rhétorique	البلاغة الجديدة
121-52-48	Rhétorique ancienne	البلاغة القديمة
108-99-97	Analyse	التحليل
228-223-216	Imagination	التخيل
287-279-229	Pragmatisme	التداولية
228-197-193	Pragmatisme intégrée	التداولية المدمجة
94-78-60	Pluralisme	التعددية
240-217-180	Analogie	التشبيه
336-269-276	Analogie	التمثيل

134-124-107	Orientation	التوجيه
160-157-140	Polémique	الجدل
178-166-164	Argumentation	الحجاج
222-211-190	Argumentation rhétorique	الحجاج البلاغي
110-97-40	Argumentation linguistique	الحجاج اللغوي
140-139-131	Argumentation logique	الحجاج المنطقي
175-174	Argument de gaspillage	حجة التبذير
258-177-176	Argument de pouvoir	حجة السلطة
394-391-380	Argument refute	حجة داحضة
388	Argument al'apui	حجة مؤيدة
394-391-389	Discours	الخطاب
427-421-412	Rhétorique	الخطابة
207-99-45	Sémiotique	الدلالة
157	Le plus correct	الراجح
202-160-111	Symbolique	الرمزية
203-205-103	Connecteurs argumentatifs	الروابط الحجاجية
117-150-185	Sophistique	السفسطة
203-206-208	Échelles argumentatives	السلالم الحجاجية
213286325	Contexte	السياق
178-121-42	Sémiologie	السيمياثيات
242-229-213	Poétique	الشعرية / البويطقا
113-105-54	Formel	الصورية

264-199-115	Nécessité	الضرورة
200-195-136	Operateurs argumentatives	العوامل الحجاجية
302-300-217	Dissociation	الفصل
211-196-50	Acte perlocutoire	الفعل الإنجازي
361	Acte locutoire	فعل القول
196	Acte illocutoire	القول الفاعل
97-84-80	Philosophie analytique	الفلسفة التحليلية
337-290	Loi de l'avantage	قانون الأنفع
93-78-57	Proposition	القضية
371-296-266	Syllogisme	القياس المنطقي
428-427-423	Valeurs/Morale	القيم
179-122-101	Linguistique	اللسانيات
84-51-21	Langage naturel	اللغة الطبيعية
259	Logos	اللّوغوس
172-165-160	Topic de quantité	موضع الكم
166	Topic de qualité	موضع الكيف
218-214-58	Métaphore	المجاز
330-258-254	Probable	المحتمل
79-60-26	Raisnable	المعقول
335-309-301	Sacré	المقدس
77-70-66	Logique	المنطق
87-79-70	Logique formelle	المنطق الصوري

106-103-89	Logique naturelle	المنطق الطبيعي
71-401-185	L'antithèse	التقيض
52-303-180	Herméneutique	الهيرمينوطيقا/ التأويلية
166-143-73	Liaison	الوصل

# مكتبة الدراسة

مكتبة البحث :

- القرآن الكريم

- قائمة المصادر والمراجع:

- المعاجم :

1 ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرّويفعي الإفريقي ت 711هـ، لسان العرب، دار صادر - بيروت.

2 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة واللاتينيّة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ج1.

- المراجع العربيّة :

1 ابن خلدون عبد الرّحمن، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّان الأكبر، دار الفكر بيروت، ط2/1988/ ج1.

2 ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء الزّمان، دار صادر بيروت، ط1/1994، ج5 .

3 ابن سينا، المنطق

4 ابن طباطبا محمد بن علي المعروف بابن الطّطقي ت 709هـ، الفخري في الآداب السّلطانيّة والدول الإسلاميّة، تح عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت ط 1418 هـ - 1997 م

5 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي ت 774هـ، تفسير القرآن العظيم، تح : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتّوزيع، ط2(1420هـ - 1999 م)، ج3 .

6 أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكّل ابن المعتصم ابن الرّشيد العبّاسي ت 296هـ، البديع في البديع، دار الجيل الطّبعة الأولى 1410هـ - 1990م

7 أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد، الكامل في اللّغة والأدب، دار الفكر العربي القاهرة، ط1

8 أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط4/ ج1 .

9 إحسان عباس، تاريخ النّقد الادبي عند العرب ، دار الثّقافة بيروت / ط4.

- 10 أحمد عبد الحليم عطية، الفسفة التحليلية؛ ماهيتها، مصادرها، مفكروها، العتبة الإسلامية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، ط1.
- 11 أحمد مختار عبد الحميد عمر ت 1424هـ. معجم اللغة العربية المعاصرة بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب ط 1429 هـ - 2008 م ج2.
- 12 إدريس جبيري، سؤال البلاغة في المشروع العلمي لمحمد العمري، نحو بلاغة عامة . ضمن البلاغة والخطاب ، تنسيق وإعداد محمد مشبال، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1 2014.
- 13 ألفت محمد كمال عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، من الكندي حتى ابن رشد.
- 14 البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، كتاب المغازي، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط 1422هـ
- 15 التهانوي محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي (المتوفى: بعد 1158هـ)، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ط1996، 1م.
- 16 الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ ، البيان والتبيين، ت 255هـ، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1423 هـ
- 17 الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة، الرسالة ناشرون، بيروت، ط2007/1م
- 18 الجرجاني عبد القاهر دلائل الإعجاز دار المدني ( بجدة والقاهرة) تح محمود محمد شاكر ط3/ 1413هـ.
- 19 جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق.
- 20 الجويني عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد ، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: 478هـ) كتاب التلخيص في أصول الفقه، تح عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط د ت، ج 2
- 21 حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، الطبعة الأولى 1431هـ/ 2010م.
- 22 حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة، المكتبة الأزهرية للتراث، ج2/ ص103.

- 23 حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت 1250هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، طبعة د.ت، ج2.
- 24 الحسين بنو هاشم ، نظرية الحجاج عند بيرلمان.
- 25 حسين مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرّحاب الحديثة ، بيروت.
- 26 حمّادي صمّود، التّفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السّادس، منشورات الجامعة التّونسيّة 1981م
- 27 الحموي ابن حجّة ، خزّانة الأدب وغاية الإرب، دار ومكتبة الهلال 2004م.
- 28 الخولي أمين ، فنّ القول، دار الكتب المصريّة 1996 م .
- 29 الدينوري ابن قتيبة ، أدب الكاتب، طبع في مدينة ليدن المحروسة سنة 1900م،
- 30 ديوان امرئ القيس
- 31 الرّازي، أبو عبد الله فخر الدين (ت 606هـ) مفاتيح الغيب = التّفسير الكبير، دار إحياء التّراث العربي - بيروت، ط الثّالثة - 1420 هـ، ج25/ص58.
- 32 رشيد الرّاضي، مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانيّة لأنسكومبر وديكرو/ مجلة عالم الفكر العدد 2 المجلد 2011، 40.
- 33 رشيد الرّاضي، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2010/1 .
- 34 الزجاج، إبراهيم بن السّري بن سهل، أبو إسحاق (ت 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط 1 / 1408 هـ - 1988 م، ج1
- 35 الزواوي بغورة، الفلسفة واللّغة، نقد المنعطف اللّغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة بيروت، ط1/2005م.
- 36 السّكاكي، أبو يعقوب ت 623هـ، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط2/ 1407 هـ - 1987 م.
- 37 سليمان بن سمعون، البلاغة وعلاقتها بالتّداوليّة والأسلوبيّة وعلم النّصّ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع17/2012م.



- 38 شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، إشراف حمادي صمود.
- 39 الشيرازي السيد صادق الحسيني ، الموجز في المنطق، تحقيق مازن شاكر التميمي، إخراج وتنضيد كمبيوتر النور، ط 1.
- 40 صابر الحباشة، التداولية والحجاج : مداخل ونصوص، دار صفحات للدراسات والنشر، ط2008، 1 .
- 41 صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة 1992م .
- 42 طه عبدالرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط200/2م.
- 43 عادل مصطفى، المغالطات اليومية ( طبيعتنا الثنائية وخبزنا اليومي، فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2008م.
- 44 عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى 1997، الجزء الثاني.
- 45 عبد الرزاق بنور، الأطر الإيديولوجية لبعض نظريات الحجاج، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته (القسم الثاني)، إشراف حافظ إسماعيلي علوي.
- 46 عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع ، دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط2016، 1م
- 47 عبد العزيز لحويديق، الحجاج في المناظرة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته.
- 48 عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2013/1م
- 49 عبد الله البهلول، الحجاج الجدلي، ط2013م
- 50 عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلاني للنشر والتوزيع، تونس، ط2011/1م

- 51 عبد الله عبدالرحمن أحمد بانقيب، مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز من الرّماني إلى عبد القاهر الجرجاني، أطروحة دكتوراه، إشراف : د. محمود توفيق محمد سعد، كلية اللغة العربية، جامعة أمّ القرى - 2007/2008م .
- 52 عبد النّبي ذاكِر، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة، مجلة عالم الفكر ع 2 م 40، أكتوبر ديسمبر 2011
- 53 عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التّواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، ط2/ 2012.
- 54 عز الدين النّاجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين ، صفاقس، 2011.
- 55 العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهراَن (المتوفى: نحو 395هـ)، الصّناعتين الكتابة والشعر، المكتبة العنصرية ببيروت، 1419هـ.
- 56 علي فتح الله أحمد محمد، من أنماط الحجاج في علم المعاني، مجلّة الدّراسات العربيّة، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، عدد 38/جوان 2018م (المجلد الثالث).
- 57 عماد عبد اللّطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، ط1/2013م .
- 58 العمري محمد ، البلاغة الجديدة بين التّخييل والتّداول، دار إفريقيا الشرق، ط2، 2012م
- 59 العمري محمد ، المحاضرة والمناظرة في تأسيس البلاغة العامّة..
- 60 العمري محمد ، دوائر الحوار ومزالق العنف، إفريقيا الشرق، 2002م
- 61 العمري محمد ، في بلاغة الخطاب الإقناعي. إفريقيا الشرق، ط2/2002م
- 62 فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتّوزيع، الطّبعة العاشرة 2005م.
- 63 فؤاد زكريا، جمهوريّة أفلاطون، منشورات دار الوفاء لندنيا الطّباعة والنّشر 2004م،
- 64 القرطاجني حازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص27.
- 65 القزويني الخطيب ، تلخيص المفتاح، مكتبة البشري باكستان، الطّبعة الأولى 2010.

- 66 القزويني محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: 739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة، تح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل - بيروت/ ط3/ ج3.
- 67 القبرواني أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَوْش بن محمد بن مختار القيسي ثم الأندلسي القرطبي المالكي ت 437هـ، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تح مجموعة رسائل جامعّة بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1: 1429 هـ - 2008 م ، ج7.
- 68 القبرواني الحسن بن رشيق ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، الطبعة الخامسة 1401هـ/1981م.
- 69 مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، منشورات الاختلاف الجزائر العاصمة، ط1/2015م.
- 70 محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ت310هـ ، جامع البيان في تأويل القرآن، تح أحمد محمد شاكر
- 71 محمد بن سعد الدكان، الدفاع عن الأفكار، تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري.
- 72 محمد حسن مهدي بخيت، علم المنطق : المفاهيم والمصطلحات، التصديقات، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ط 2013/1 .
- 73 محمد عبدالمطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، الطبعة الثانية، 2007م
- 74 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1990، ج7.
- 75 محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة.
- 76 محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال القراءات البلاغية والمنطقية واللسانية ، الناشر : دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1/2005م.
- 77 محمد كريم الكوّار، المصطلح والنشأة والتجديد، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2006م.
- 78 محمد محمد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، مكتبة وهبة القاهرة، ط 2012/4م.

- 79 محمد نورالدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة (نموذج هابرماس) إفريقيا الشرق ط2/1998.
- 80 المسيري عبد الوهاب ، حوارات مع عبد الوهاب المسيري.
- 81 المقدسي أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي ثم دمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، لمعة الاعتقاد، نشر : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ط 2، 1420هـ - 2000م.
- 82 ناصر عمارة، الفلسفة والبلاغة : مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي منشورات الاختلاف.
- 83 الهاشمي أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (المتوفى: 1362هـ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- 84 يحيى الجبوري، شعر عبدة بن الطبيب، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1391هـ/1971م .
- 85 يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمويد بالله (المتوفى: 745هـ) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة: الأولى، 1423 هـ، ج1.

- الرسائل الأكاديمية :

- 1 إسرائ فهمي محمود، العلاقة بين دلالة النص والقياس، رسالة ماجستير (نوقشت بكلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين)، إشراف د. حسن سعد خضر، بتاريخ (2014/08/07م)
- 2 بوعافية محمد عبد الرزاق، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة، من خلال مشروع محمد العمري، رسالة ماجستير، إشراف د. عبد الغني بارة، جامعة محمد لمين دباغين 2 / 2014/2015م
- 3 عثمان عمار، ملامح تجديد البلاغة العربية في كتاب البلاغة العربية قراءة أخرى لمحمد الولي، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية وآدابها والفنون، جامعة وهران، 2015م/2016م.
- 4 فايزة بوسلاح، السلام الحجاجية في القصص القرآني، دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه، إشراف د.بن عيسى عبد الحليم، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران، 2014م/2015م.

5 نورالدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، دراسة لسانيّة تقابليّة، أطروحة دكتوراه، جامعة سطيف 2 /2016، 2015.

### - المقالات العلميّة :

- 1 بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، دراسة تداوليّة في الإرساليّة الإشهارية العربيّة، مجلة المخبر ، العدد العاشر 2014، ص500
- 2 بن يحيى طاهر ناعوس، البلاغة وتحليل الخطاب قراءة في تغيير النّسق المعرفين، مجلة دراسات ع7/2015.
- 3 حمادي إدريس، الحجة في الاستعمال القرآني، إبراهيم وقومه أنموذجاً، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته.
- 4 خالد يعقوبي، خطبة طارق بن زياد، من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج4.
- 5 خليفة الميساوي، الوصائل الحجاجيّة في المقاربات الحجاجيّة الغربيّة، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن 2010م، ج1.
- 6 خليفة عوشاش ، البنية الحجاجيّة للتناص، مجلة آفاق للعلوم، العدد الرابع 2016.
- 7 رمضان يوسف، مقال البلاغة الجديدة في الدراسات العربيّة الحديثة (حمادي صمود ومحمد العمري نموذجاً)، مجلة التّعليميّة المجلّد الرابع العدد9 جانفي 2017م، جامعة معسكر.
- 8 الرّيفي هشام ، الحجاج عند أرسطو، ضمن : نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة، إشراف حمادي صمود.
- 9 زوبير بوزاغو، الاستعارة بين الوظيفة الإمتاعيّة والإقناعيّة، مجلة الباحث المجلّد الرابع/ العدد السادس عشر، 2018.
- 10 عباس حشاني، مصطلح الحجاج تقنياته وبواعثه، مجلة المخبير، أبحاث في اللّغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة الجزائر، ع9/2013
- 11 عبد الله صوله، الحجاج أطره وتقنياته ومنطلقاته من خلال " مصنف في الحجاج الخطابية الجديدة لبييرلمان وتينيكاً" ضمن الحجاج في التّقاليد الغربيّة إشراف حمادي صمود.

- 12 عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظريّة وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث الأردن 2010م.
- 13 عبدوش العباس وبوسنه فتيحة، مقال : السّفسطة المعاصرة في كتاب ( السّنة الرّسوليّة والسّنة التّنبؤيّة) لمحمد شحرور، مجلة الخطاب العدد 25.
- 14 عزوي أبو بكر ، الحجاج في اللّغة ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته.
- 15 عماد عبداللطيف، بلاغة الجمهور وتحليل الخطاب السياسي، بحث في البلاغة المهمّشة. مجلة البلاغة وتحليل العد 8/7 خريف/شتاء 2015م.
- 16 عمر بوقمرة، نظرية الحجاج في اللّغة في الدراسات العربيّة المعاصرة : الاستيعاب والممارسة، مجلة العاصمة المجلد التّاسع .
- 17 عمر عروي، تعليميّة البلاغة العربيّة بين التّجريد والفنّ في ضوء النّصّ الأدبي، مقارنة تعليميّة، مجلة الباحث، العدد 09/ أبريل 2012م.
- 18 العمري محمّد ، (البلاغة العامّة في حوار الرّصد والتّنتظير من الشّعْر إلى الخطاب)، ضمن البلاغة والخطاب، تنسيق محمّد مشبال.
- 19 العمري محمد ، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟ ض تاب الحجاج، إعداد وتقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط2010، ج1.
- 20 العمري محمد ، مقال ( المقام الخطابي والمقام الشعري) مجلة دراسات سيميائية العدد الخامس. 1991/12
- 21 العمري محمد ، مقال (المقام الشعري والمقام الخطابي) دراسات سيميائية أدبيّة، ع5، ديسمبر 1991م ( عن فنّ الخطابة لأرسطو)
- 22 العمري محمد ، مقال : المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مج دراسات سيميائية أدبيّة ع5. ديسمبر 1991.
- 23 العمري محمّد، مقال: (البلاغة العامّة في حوار الرّصد والتّنتظير من الشّعْر إلى الخطاب)، ضمن البلاغة والخطاب ، إعداد وتنسيق محمّد العمري، ص27/26

- 24 العناني عز الدين، المنطق الطبيعي والقاسم المشترك بين النظريات الحجاجية، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد 08، العدد 40.
- 25 العياشي ادراوي، الفلسفة التحليلية بين مآزق لغة الكون وأفق لغة الإنسان مجلة علامات، ع37 يناير 2012م.
- 26 الغرافي مصطفى ، مقال (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول لمحمد العمري) [http://ajni7a.blogspot.com/2012/05/blog-post\\_6116.html](http://ajni7a.blogspot.com/2012/05/blog-post_6116.html) - الثلاثاء 01 ماي 2012
- 27 قوادري عيشوش فاطمة الزهراء، آليات البلاغة والحجاج من منظور نظرية المساءلة، مجلة الباحث ع 17
- 28 لطروش الشارف، (قراءة في دعوات تجديد البلاغة العربية)، مجلة حوليات التراث، ع16/2016م، جامعة مستغانم/ ص101.
- 29 لقاء عادل حسين، عقيد خالد عزّاوي، حركة التجديد وتحديث مناهج البلاغة العربية، المؤتمر العلمي الأكاديمي الدولي التاسع : (الاتجاهات المعاصرة في العلوم الاجتماعية، الإنسانية، والطبيعية) 17-18 جويلية 2018م، اسطنبول تركيا.
- <file:///C:/Users/USER/Downloads/133-265-1-SM.pdf>
- 30 المبخوت شكري، تحليل حجاجي لظاهرة بديعية، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته.
- 31 محمد مشبال، (بلاغة صور الأسلوب وآفاق تحليل الخطاب) ضمن البلاغة والخطاب، تنسيق وإعداد محمد مشبال، منشورات الاختلاف، ط1/2014م
- 32 محمد مشبال، مقال (البلاغة بين التخييل والتداول) مج العبارة العدد1، أغسطس 2006م
- 33 مريم مزايّتي، (التداولية نشأة المفاهيم والتصورات)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ع8/ديسمبر 2015م.
- 34 مصطفى الغرافي، البلاغة بوصفها تفكيراً في قضايا الخطاب، مجلة الخطاب العدد 14
- 35 الولي محمد ، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، البلاغة والخطاب ، إعداد وتنسيق محمد الولي، منشورات الاختلاف 2014م، ص60/61.

- 36 الولي محمد ، مقال ( الموضوعات الحجاجية الكبرى في المغرب)، مجلة علامات، ع 19،  
01يناير 2003م
- 37 الولي محمد ، مقال ( مدخل إلى الحجاج : أفلاطون أرسطو وشاييم بيرلمان) مجلة عالم الفكر ع  
2 مجلد 40، أكتوبر ديسمبر 2011م.

- المراجع المترجمة :

- 1 إ.م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا تر د. عزت قرني ص 45سلسلة عالم المعرفة 165  
سبتمبر 1992 الكويت.
- 2 أفلاطون، جمهوريّة أفلاطون، دراسة وترجمة فؤاد زكريا، دار الوفاء لندنيا الطباعة
- 3 أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، دار القلم  
بيروت، 1979م
- 4 أرسطو طاليس، كتاب الطوبيقا، ضمن منطق أرسطو، تحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي، دار القلم  
بيروت 1980.
- 5 أوليفي ريبول، مدخل إلى الخطابة، تر رضوان العصابة وحسان الباهي ، إفريقيا الشرق 2017م .
- 6 إي سي جرابلينج، برتراند رسل (مقدّمة قصيرة جداً)، تر إيمان جمال الدّين الفرماوي، مؤسسة  
الهنداوي للتعليم والثقافة ط1/2014م، ص35.
- 7 أيفور آرمسترونغ ريتشاردز، مقال (فلسفة البلاغة) ترجمة حسن البنا عزالدين، مجلة أبعاد ع6  
2010/02/01م
- 8 برتراند رسل، مشكلات الفلسفة، تر سمير عبده، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق،  
ط1/2016م.
- 9 بول ريكور، مقال(البلاغة، الشعرية ، التأويلية) ترجمة مصطفى النّحال، مجلة أوان، العدد التاسع  
صدر في 2005/02/01م.
- 10 بول ريكور، الاستعارات الحية، تر محمّد الولي، دار الكتاب الجديد المتّحدة/ ط1/2016م
- 11 جان ميشيل بسنيي، فكار الفلسفة المعاصرة، بترجمة حسن لشهب عن PHILISOPHIE DE  
NOTRE TEMPS منشورات 2000 SCIENCES HUMAINES.



- 12 رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عبد الكبير الشرفاوي،
- 13 شايم بيرلمان، (مقال : فلسفة الحجاج التعددية وإشكالية البلاغة الجديدة) ترجمة أنوار طاهر،  
موقع الناقد العراقي تاريخ 20/08/2015م
- 14 فرانز فان إيمرن، و روب غروتندورست، نظرية نسقية في الحجاج، المقاربة الذريعية الجدلية، تر  
عبد المجيد جحفة، الكتاب الجديد المتحدة، ط1/2016م.
- 15 فيليب بروتون جيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر محمد صالح ناحي الغامدي،
- 16 فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال وعبدالواحد التهامي
- 17 فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، ط1/2007.
- 18 ليونيل بلونجر (Lionel Bellenger)، الآليات الحجاجية للتواصل، تر عبدالرفيق بوركي، مجلة  
علامات.
- 19 مانويل ماريا كاريلو، خطابات الحداثة تر إدريس كثير وعز الدين الخطابي ، منشورات دار ما بعد  
الحداثة فاس، ط 2001.
- 20 هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، دار افريقيا الشرق 1999

#### - المراجع الأجنبية :

- 1 Alexandre Motulsky-Falardeau , La rhétorique aujourd'hui, Les Presses de l'Université Laval, [www.pulaval.com](http://www.pulaval.com)
- 2 Anscombe Jean-Claude, Ducrot Oswald. L'argumentation dans la langue. In: Langages, 10e année, n°42, 1976
- 3 Chaiim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca, Traité de l'argumentation.
- 4 Françoise DOUAY-SOUBUN, LES FIGURES DE RHÉTORIQUE : ACTUALITÉ, RECONSTRUCTION, EMPLOI, Langue française, n°101, 1994.
- 5 Jean-Michel GRANDCHAMP, L'argumentation dans le traitement automatique de la langue, Thèse de doctorat de l'Université Paris XI, Orsay, Soutenue le 16 janvier 1996
- 6 Irit Sholomon Kornblit , La diversité culturelle dans tous ses états : analyse, discursive, rhétorique et argumentative d'une formule. (Unpublished PHD thesis). Département de Français, Université Bar-Ilan 2019, p14

Thierry HERMAN, Le fil du discours : Analyse rhétorique et textuelle des messages de guerre du Général de Gaulle (1940-1945) Thèse présentée à la Faculté des Lettres de l'Université de Lausanne pour obtenir le grade de docteur ès lettres, Octobre 2005.

فهرس الموضوعات

- إهداء
- شكر وعران
- مقّمة ..... 01
- مدخل : البلاغة الغربية تاريخ ومفاهيم ..... 14
  - البلاغة اليونانية..... 15
  - مراحل نضج البلاغة اليونانية عبر أعلامها..... 21
  - البلاغة في عهد الرومان ..... 31
  - البلاغة المعممة: القرون الوسطى..... 33
  - مرحلة الانحطاط ..... 35
  - بلاغة القرن العشرين..... 37
- الفصل الأول : مرجعيّات البلاغة الجديدة..... 44
  - تمهيد في المفهوم والمصطلح..... 45
  - مفهوم المرجعية ..... 45
  - مفهوم البلاغة الجديدة..... 48
  - تمييز بلاغة بيرلمان بالجديدة..... 51
  - بين البلاغة الجديدة والبلاغة القديمة ..... 54
  - مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا..... 57
  - البلاغة الجديدة، البرهان، الجدل..... 58
- المبحث الأول : البلاغة اليونانية..... 61
  - الحجاج بين الخطاب القضائي والخطاب السفسطائي..... 62
  - الإقناع القاسم المشترك بين البلاغتين..... 66
  - بلاغة الحجاج بعيداً عن المنطق..... 69
  - التعددية والاختلاف مبعث الحجاج..... 71
- المبحث الثاني : مناللسفة القديمة إلى البلاغة الجديدة..... 73

- 74..... ٥ تمهيد : الحقيقة غاية الخطاب الفلسفي.
- 76..... ٥ الحقيقة بين الفلسفة والحجاج.
- 78..... ٥ النسق البلاغي بديلا عن النسق الفلسفي.
- 84..... ٥ الفلاسفة يمارسون الحجاج.
- 86..... ٥ الأحادية والتعددية بين الفلسفة والحجاج.
- 96..... ٥ الفلسفة التحليلية مرجعا للحجاج اللساني.
- 100..... ٥ المبحث الثالث : المنطق الصوري والمنطق الطبيعي.**
- 101..... ٥ تمهيد : هيمنة المنطق الأرسطي على المعرفة.
- 102..... ٥ المنطق في بلاغة الحجاج.
- 104..... ٥ توسيع المنطق.
- 107..... ٥ نقد المنطق الصوري.
- 111..... ٥ فصل بلاغة الحجاج عن المنطق.
- 118..... ٥ المبحث الرابع : روافد أخرى متعددة السياقات.**
- 119..... ٥ تمهيد.
- 119..... ٥ روافد معرفية.
- 123..... ٥ سياقات تاريخية وسياسية.
- 124..... ٥ سياقات ذاتية واجتماعية.
- 128..... ٥ الفصل الثاني : آليات البلاغة الجديدة.**
- 129..... ٥ تمهيد.
- 131..... ٥ المفهوم العام للحجاج.
- 132..... ٥ مقومات نجاح العملية الحجاجية.
- 138..... ٥ المبحث الأول : آليات الحجاج المنطقي عند بيرلمان.**
- 139..... ٥ تمهيد.
- 140..... ٥ مقدمات وتقنيات البلاغة الجديدة عند بيرلمان.
- 141..... ٥ مقدمات الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا.
- 144..... ٥ الوقائع Les faits.
- 146..... ٥ الحقائق Les vérités.
- 147..... ٥ الافتراضات Les presumption.
- 148..... ٥ القيم Les valeurs.

- 151.....Les hiérarchies du valeurs: هرمية القيم ○
- 154..... Les lieux (أو المعاني): المواضيع ○
- 161..... مواضع الكم والكيف عند بيرلمان. ○
- 163..... تقنيات الحجاج عند بيرلمان ○
- 164..... طرائق الوصل ○
- 164..... الحجاج الشبه منطقية. ■
- 170..... الحجاج المؤسسة على بنية الواقع ○
- 177..... الحجاج المؤسسة لبنية الواقع ○
- 180..... طرائق الفصل بين المفاهيم ○
- 186..... التشجير الهرمي لآليات الحجاج عند بيرلمان ○
- 187..... **المبحث الثاني : آليات الحجاج اللغوي عند أوزفالد ديكر و.** ●
- 188..... مفهوم نظرية الحجاج اللغوي. ○
- 191..... التداولية المدمجة في نظرية الحجاج اللغوي. ○
- 193..... مبادئ وآليات الحجاج اللغوي ○
- 193..... التوجيه. ■
- 195..... الموضوع عند ديكر و أنسكومبر. ■
- 198..... نظرية العامل الحجاجي في اللغة. ■
- 201..... نظرية السالام الحجاجية عند ديكر و. ■
- 204..... قراءة حجاجية في ضوء نظرية الحجاج اللغوي. ○
- 207..... التشجير الهرمي لآليات الحجاج اللغوي ○
- 208..... **المبحث الثالث : آليات الحجاج البلاغي.** ●
- 209..... تمهيد. ○
- 209..... نظرية الحجاج البلاغي. ○
- 210..... الحجاج بواسطة الأساليب البلاغية ○
- 213..... بلاغة الحجاج في الصور البيانية ○
- 220..... التحليل الحجاجي للصور البلاغية ○
- 226..... نظريات حجاجية أخرى. ○
- 232..... **الفصل الثالث : أثر البلاغة الجديدة في البحث البلاغي العربي** ●
- 233..... المبحث الأول : دواعي تجديد الدرس البلاغي العربي. ○

- 234..... دواعي تجديد الدرس البلاغي. ■
- 244..... المبحث الأول : مشروع بلاغة الحجاج لدى العرب المعاصرين. ○
- 247..... بناء نظرية الحجاج: الحجر الأساس كتاب في بلاغة الخطاب الإقناعي. ■
- 282..... نظرية الحجاجفي كتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها..... ■
- 294..... نظرية الحجاج في منجزات عبد الله صولة..... ■
- 310..... المبحث الثاني : مشروع البلاغة العامة لدى العرب المعاصرين. ○
- 312..... نظرية البلاغة العامة وأصولها عند القدماء..... ■
- 313..... ملامح البلاغة العامة في الصناعتين..... ■
- 316..... التداولية في كتاب الصناعتين..... ■
- 321..... البلاغة العامة عند عبد القاهر الجرجاني..... ■
- 328..... البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول..... ■
- 331..... البلاغة العامة نظرية غربية..... ■
- 335..... البلاغة العربية بين الاختزال والتعميم..... ■
- 342..... خلاصة حول مفهوم البلاغة العامة..... ■
- 347..... البلاغة العامة وإشكالية المصطلح والإجراء..... ■
- 356..... الفصل الرابع : قراءة نقدية في الممارسة الحجاجية على النص التراثي. ●
- 357..... تمهيد : التداولية والحجاج في البلاغة العربية القديمة..... ○
- المبحث الأول : المقال الأول : (تحليل حجاجي لظاهرة بديعية) لشكري ○
- 364..... المبخوت.....
- 365..... تمهيد..... ■
- 368..... العلاقة بين المذهب الكلامي والحجاج..... ■
- 369..... تحليل شاهد من المذهب الكلامي..... ■
- 372..... تحليل الآية (22) من سورة الأنبياء..... ■
- 375..... خاتمة المقال..... ■
- المبحث الثاني : المقال الثاني : (الحجة في الاستعمال القرآني -إبراهيم وقومه ○
- 377..... نموذجاً-) للدكتور إدريس حمّاد.....
- 378..... تدافع الدعاوى في قصة إبراهيم..... ■
- 381..... مفهوم الحجة..... ■
- 382..... حجج النبي إبراهيم..... ■

- 384..... حجج قوم إبراهيم عليه السلام. ■
- 387..... المقارنة بين حجج إبراهيم وحجج قومه. ■
- 388..... السلميات الحجاجية في الخطاب الإبراهيمي. ■
- 390..... الحجاج اللغوي في الخطاب الإبراهيمي. ■
- 392..... الحجاج المنطقي في الخطاب الإبراهيمي. ■
- المبحث الثالث : المقال الثالث : الحجاج في المناظرة (مقاربة حجاجية لمناظرة أبي حنيفة مع الملحدين) للدكتور : عبد العزيز لحويديق. 398.....
- 401..... التحليل الحجاجي للمناظرة. ■
- 402..... الآليات الحجاجية الموظفة في المناظرة. ■
- المبحث الرابع : المقال الرابع : (خطبة طارق بن زياد؛ من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي)، للباحث خالد يعقوبي. 411.....
- 412..... تمهيد ، متن الخطبة. ■
- 414..... قراءة الخطبة. ■
- 415..... الترغيب والترهيب منهج البناء الحجاجي للخطبة. ■
- 424..... المنحى الحجاجي في الخطاب، طرح جديد. ■
- 427..... الخاتمة. ●
- 437..... ملحق المصطلحات. ●
- 442..... مكتبة البحث. ●
- 456..... فهرس الموضوعات. ●

## ملخص :

تعنى هذه الدراسة بنظريات البلاغة الجديدة التي تروم الكشف عن آليات الإقناع الموظفة في الخطاب القائم على الاحتمال البلاغي دون الإلزام المنطقي.

وقد اصطلح على نظرية البلاغة الجديدة بنظرية الحجاج وبلاغة الإقناع وخطابة أرسطو التي عرفت قديماً في عهد اليونان، ثم أعيد بعثها في منتصف القرن العشرين.

مع تغيّر الأوضاع العالمية بعد الحربين العالميتين، احتاج النقاد والفلاسفة إلى بعث البلاغة الجديدة التي تلبي حاجات النقد المعاصر في قراءة الخطاب الحجاجي بمختلف أطيافه المتشعبة من السياسة إلى القضاء والدين والتسويق...

## Sammary

This study deals with the new rhetorical theories that aim to reveal the mechanisms of persuasion employed in the discourse based on rhetorical possibility without logical compulsion.

The new rhetoric theory was termed the theory of argumentation, the rhetoric of persuasion, and Aristotle's rhetoric, which was known in ancient times in the era of Greece, and then was resurrected in the middle of the twentieth century.

With the changing world conditions after the two world wars, critics and philosophers needed to resurrect a new rhetoric that meets the needs of contemporary criticism in reading the argumentative discourse in its various ramifications, from politics to justice, religion and marketing...





## **sommaire :**

**Cette étude porte sur les nouvelles théories rhétoriques qui visent à révéler les mécanismes de persuasion employés dans le discours basé sur la possibilité rhétorique sans contrainte logique.**

**La nouvelle théorie rhétorique s'appelait la théorie de l'argumentation, la rhétorique de la persuasion et la rhétorique d'Aristote, connue dans l'Antiquité à l'époque de la Grèce, puis ressuscitée au milieu du XXe siècle.**

**Avec l'évolution de la situation mondiale après les deux guerres mondiales, critiques et philosophes avaient besoin de ressusciter une nouvelle rhétorique qui réponde aux besoins de la critique contemporaine dans la lecture du discours argumentatif dans ses diverses ramifications, de la politique à la justice, la religion et le marketing..**

## ملخص :

تعنى هذه الدراسة بنظريات البلاغة الجديدة التي تروم الكشف عن آليات الإقناع الموظفة في الخطاب القائم على الاحتمال البلاغي دون الإلزام المنطقي.

وقد اصطلح على نظرية البلاغة الجديدة بنظرية الحجاج وبلاغة الإقناع وخطابة أرسطو التي عرفت قديماً في عهد اليونان، ثم أعيد بعثها في منتصف القرن العشرين.

مع تغيير الأوضاع العالمية بعد الحربين العالميتين، احتاج النقاد والفلاسفة إلى بعث البلاغة الجديدة التي تلبي حاجات النقد المعاصر في قراءة الخطاب الحجاجي بمختلف أطيافه المتشعبة من السياسة إلى القضاء والدين والتسويق...

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الشعرية، الحجاج، التجديد، الإقناع.

## Sammary

This study deals with the new rhetorical theories that aim to reveal the mechanisms of persuasion employed in the discourse based on rhetorical possibility without logical compulsion.

The new rhetoric theory was termed the theory of argumentation, the rhetoric of persuasion, and Aristotle's rhetoric, which was known in ancient times in the era of Greece, and then was resurrected in the middle of the twentieth century.

With the changing world conditions after the two world wars, critics and philosophers needed to resurrect a new rhetoric that meets the needs of contemporary criticism in



reading the argumentative discourse in its various ramifications, from politics to justice, religion and marketing...

**Keywords** : Rhetoric, poetic, argumentation, renewal, persuasion

### **sommaire** :

Cette étude porte sur les nouvelles théories rhétoriques qui visent à révéler les mécanismes de persuasion employés dans le discours basé sur la possibilité rhétorique sans contrainte logique.

La nouvelle théorie rhétorique s'appelait la théorie de l'argumentation, la rhétorique de la persuasion et la rhétorique d'Aristote, connue dans l'Antiquité à l'époque de la Grèce, puis ressuscitée au milieu du XXe siècle.

Avec l'évolution de la situation mondiale après les deux guerres mondiales, critiques et philosophes avaient besoin de ressusciter une nouvelle rhétorique qui réponde aux besoins de la critique contemporaine dans la lecture du discours argumentatif dans ses diverses ramifications, de la politique à la justice, la religion et le marketing..

**Mots-clés** : Rhétorique, poétique, argumentation, renouvellement, persuasion